



کتاب السی

فی سیره أهل الفضل والنهی

د. سعید ابوالاسعاد



هَاتِ النُّجُومَ أَصْغُ بِهَا كَلِمَاتِي
إِنَّ الْمَقَامَ سَمَا عَنِ الْكَلِمَاتِ



صَحَبُ الرَّسُولِ ضِيَاءٌ لَمْ يَزَلْ فِيْنَا
هُمُ أَنْجُمٌ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ تَهْدِينَا
نَبْعُ الْفِدَاءِ وَفَيْضُ الطُّهْرِ مَا غَرَبَتْ
شَمْسٌ لَهُمْ وَيَخْلُلُ النُّورُ يَرْوِينَا



بطاقة فهرسة أشاء النشر
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

أبو الأسعاد / سعيد
كنز التقى في سيرة أهل الفضل والنهي /
سعيد أبو الأسعاد . - ط ١ .
الجيزة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١١ .
٤٢٤ ص ، ٢٤ سم
تدمك : ٩٧٧ ٥٨٤٢ ٢٥ ٥
١ - الصحابة والتابعون
أ - العنوان
٢٢٩,٩

الكتاب : كنز التقى في سيرة أهل الفضل والنهي
المؤلف : د . سعيد أبو الأسعاد
رقم الإيداع : ٢٠١١/٤٠٥٢
تاريخ النشر : ٢٠١١
الترقيم الدولي : 5-25-5842-977
حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل
كاملاً أو أي قسم من أقسامه بأي شكل من أشكال النشر إلا بإذن
كتابي من الناشر
الناشر : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
الإدارة : ٩٢ ش التحرير - ميدان الدقي - برج ساريدار - القاهرة
ت : ٣٣٣٨٨١١٩ موبايل : ٠١٢٢١٦٧٤٥٨
المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية - الدقي - القاهرة ت : ٣٣٣٨٤١١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْكَهْمِي
أَنْتَ مَقْصُودِي
وَرِضَالِ مَطْلُوبِي

❁ قَالَ الْحَقُّ جَلَّ فِي عُلَاهُ :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ . (١)

❁ قَالَ حَبِيبُ الْحَقِّ وَمُصْطَفَاهُ ﷺ :

(مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ أَحَبَّ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ أَصْحَابِي وَقَرَابَتِي) (٢) .

❁ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِي ، قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :
(خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَدِيقُهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَخَيْرُهَا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ فَارُوقُهَا عُمَرُ) (٣) .

❁ أَخْرَجَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ وَعَبْرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَسَبَّ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) (٤) .



(٢) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ .

(١) سُورَةُ الْفَتْحِ : الْآيَاتَانِ ١٨ ، ١٩ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْهَنْدِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَالِ : (٩٠٣) وَ (٢٩١٤٠) .

(٣) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَصْحَابُ أَوْلِ الْأَخْبَارِ بِحَقِّ الْجَنَّةِ
مَعْرِفَتُهُمْ اسْتِيعَابُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ :

(إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ
لِنَفْسِهِ ، فَابْتَعَتْهُ لِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صلی اللہ علیہ وسلم فَوَجَدَ قُلُوبَ
أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ) ^(١) .

وَعَنْ الْعَرَبِيَّاتِ بْنِ سَارِيَةَ ، قَالَ :

(وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقُلْنَا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَتْهَا مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ .. فَأَوْصِنَا : فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ،
وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي
اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا
بِالنَّوْاجِدِ) ^(٢) .



(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ .

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استفتاح

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّرَ بِحُكْمَتِهِ مَزِيَّةَ الْاِخْتِصَاصِ لِبَعْضِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكَنَةِ وَالْأَشْخَاصِ ؛ فَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ (وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ) مِنَ الزَّمَانِ : لِيَالِي الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيَلْحَقُ بِهِمُ الْعِيدَانِ ، كَمَا فَضَّلَ (جَلَّتْ حِكْمَتُهُ) لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَلْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ لِمَنْ قَامَ بِحَقِّ الشَّهْرِ الْكَرِيمِ بَابًا يَدْخُلُهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَانِ يُسَمَّى بَابَ الرِّيَّانِ .

وَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْمَكَانِ : الْكَعْبَةَ بَيْنَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَمَثْوَى وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَمَا حَوْلَهُ (مَسْرَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانَ) .

وَفَضَّلَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ : الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْمُصْطَفِينَ نِسْبَةً ، كَذَا صُحْبَةً لِنَبِيِّهِ الْأَمِينِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى قِمَّةِ كَمَالِ بَنِي الْإِنْسَانِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْقَائِلِ : (النَّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النَّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)^(١) ، وَالْقَائِلِ ﷺ : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ) ... أَمَا بَعْدُ :

لَقَدْ دَفَعْتُ وَوَفَّقْتُ (وَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا عَلَى مَا تَقَضَّيْتَ) ، أَنْ أُرْدِفَ كِتَابِي فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي سَمَّيْتُهُ (إِيْنَاسُ الْإِنْسَانِ فِي سِيرَةِ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِبَنِي الْإِنْسَانِ) ، بِكِتَابٍ فِيهِ سِيرٌ وَضَاءَةٌ لِمَنْ نَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَأَزْرَوْهُ وَوَقَّرُوهُ ؛ بُغْيَةَ التَّاسِيِّ وَالْإِعْتِبَارِ ، بِصَحَابَةِ النَّبِيِّ الْأَخْيَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ الَّذِينَ حَمَلُوا أَمَانَةَ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ لِمَنْ خَلَفَهُمْ ؛ فَكَانُوا بِحَقِّ وَرَثَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ .

نَعَمْ .. يَسْتَضِيءُ الْكِتَابُ بِصَفَحَاتٍ مُشْرِقَةٍ لِلسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ؛ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْهُمْ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا .

(١) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ .

أَجَلٌ .. مَا أَحْوَجَ الْإِنْسَانَ الْمُعَاصِرَ وَخَاصَّةً فِيهَا يُسَايِرُهُ مِنْ فَسَادٍ لِلزَّمَانِ ، أَنْ يَحْيَا بِزَادٍ وَطَاقَةٍ يَسْتَمِدُّهَا بِذِكْرِ وَعَتِبَارِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ أَحْسَنَتْ بِصِيرَتِهِمْ رُؤْيَةَ النُّورِ الْجَامِعِ لِخِصَالِ الْخَيْرِ وَالْعِرْفَانِ ؛ وَقَدْ تَجَسَّدَتْ فِي إِنْسَانِيَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ فَاتَّبَعُوهُ بِإِيمَانٍ وَإِيقَانٍ .
وَلَا قَوْلَ لِقَائِلٍ بَعْدَ قَوْلِ الْأَوَائِلِ .

فَهَذَا سَيِّدُنَا (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :

(مَنْ كَانَ مُسْتَنًا فَلَيْسَتْ بِي مَنْ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَانُوا - وَاللَّهِ - أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَبْرَهَا قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ، وَأَقْلَهَا تَكْلَفًا ، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَخْبَرْنَا عَنْ صِفَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَكَى الْحَسَنُ ، ثُمَّ قَالَ :

(ظَهَرَتْ مِنْهُمْ عَلَامَاتُ الْخَيْرِ فِي السِّيَمَاءِ وَالسَّمْتِ وَالْهُدَى وَالصِّدْقِ ، وَخُشُونَةُ مَلَابِسِهِمْ بِالْاِقْتِسَادِ ، وَمَمَشَاهُمْ بِالتَّوَاضُعِ ، وَمَنْطِقُهُمْ بِالْعَمَلِ ، وَمَطْعَمُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ بِالطَّيِّبِ مِنَ الرَّزْقِ ، وَخُضُوعُهُمْ بِالطَّاعَةِ لِرَبِّهِمْ تَعَالَى ، وَاسْتِقَادَتُهُمْ لِلْحَقِّ فِيمَا أَحْبَبُوا وَكَرَهُوا ، وَإِعْطَاؤُهُمُ الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ظَمَّتْ هَوَاجِرُهُمْ ، وَنَحَلَتْ أَجْسَامُهُمْ ، وَاسْتَخَفُّوا بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِينَ فِي رِضَا الْخَالِقِ ، لَمْ يُفْرِطُوا فِي غَضَبٍ ، وَلَمْ يَحْيِفُوا وَلَمْ يُجَاوِزُوا حُكْمَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ ، شَغَلُوا الْأَنْفُسَ بِالذِّكْرِ ، وَبَدَّلُوا دِمَاءَهُمْ حِينَ اسْتَنْصَرَهُمْ ، وَبَدَّلُوا أَمْوَالَهُمْ حِينَ اسْتَقْرَضَهُمْ ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ خَوْفُهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ، حَسَنَتْ أَخْلَاقُهُمْ ، وَهَانَتْ مَوْؤَنَتُهُمْ ، وَكَفَاهُمْ الْيَسِيرُ مِنْ دُنْيَاهُمْ إِلَى آخِرَتِهِمْ) .

لَقَدْ أَدْرَكَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ قَدْرَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَقَامُوا بِحُقُوقِ الصَّحَابَةِ عِلْمًا وَعَمَلًا ، اعْتِقَادًا وَسُلُوكًا ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ قَالَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه :

(قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا ، وَبِصَرِّ نَافِذٍ كَفُّوا ، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى . وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى ، فَلَنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُمْ ، فَمَا أَحَدْتُهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيِهِمْ ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي ، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي ، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسَّرٌ ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصَّرٌ ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفُوا ، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَالُوا ، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدَى مُسْتَقِيمٍ) .

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه :

(هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفِقِهِ وَدِينٍ وَهُدَى ، وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنفُسِنَا) .
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ مُتَابِعاً لِكَلَامِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

(قَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَرَى الرَّأْيَ فَيَنْزِلُ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ ، وَحَقِيقٌ بِمَنْ كَانَتْ آرَائُهُمْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ : أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرًا مِنْ رَأْيِنَا لِأَنفُسِنَا ، وَكَيْفَ لَا ؟
هُوَ الرَّأْيُ الصَّادِرُ مِنْ قُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ نُورًا ، وَإِيمَانًا وَحِكْمَةً وَعِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَفَهْمًا عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَصِيحَةً لِلْأُمَّةِ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِمْ ، وَلَا وَسَاطَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَهُمْ يَنْقَلُونَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مِنْ مِشْكَاتِ النُّبُوَّةِ غَضًّا طَرِيًّا لَمْ يَشْبَهُهُ إِشْكَالٌ ، وَلَمْ يَشْبَهُهُ خِلَافٌ) .

قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ :

(وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا نَفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ ، وَبِغَيْرِ الْحَقِّ يَذْكُرُهُمْ ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ) .

وَعَقِيدَتُنَا هِيَ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى تَقْدِيمِ سَادَتِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهم (الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ) بِهَذَا التَّرْتِيبِ ، وَرَأَوْا الْاِقْتِدَاءَ بِالصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَسَكَتُوا عَنِ الْقَوْلِ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّشَاجُرِ ، وَلَمْ يَرَوْا ذَلِكَ قَادِحًا فِيمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْحُسْنَى .

إِنَّ الصَّحَابَةَ وَتَابِعِيهِمْ أَرَوْا مِنَ اللَّهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَا يَسْتَوْجِبُ اسْتِخْلَافَهُمْ فِي الْأَرْضِ

فَقَدْ عَلِقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَسْتِخْلَافَ فِي الْأَرْضِ وَالتَّمَكِينِ وَالْأَمْنِ عَلَى شُرُوطٍ وَهِيَ :
 (الْإِيمَانُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَتَحْقِيقُ مَفْهُومِ الْعِبَادَةِ الشَّامِلِ لِلْحَيَاةِ كُلِّهَا فِي
 الْأَرْضِ ، وَعَدَمُ الْإِشْرَاقِ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ،
 وَطَاعَةُ الرَّسُولِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ) .
 بِهِذِهِ الشُّرُوطِ حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ التَّمَكِينُ مِنْ قَبْلِ ، وَبِهَا يَحْدُثُ التَّمَكِينُ فِي
 الْمُسْتَقْبَلِ ، إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
 ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا
 الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٩١﴾ .

وَلِلْعَاقِلِ الْمُتَدَبِّرِ أَنْ يَتَفَكَّرَ :

كَيْفَ أَنْجَزَ أَوْلَئِكَ الْأَبْرَارُ كُلَّ هَذَا الَّذِي أَنْجَزُوهُ فِي بَضْعِ سِنِينَ ١٩٠
 كَيْفَ دَمَدَمُوا عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ بِإِمْبِرَاطُورِيَّاتِهِ وَصَوْلَجَانِهِ وَحَوْلُوهُ إِلَى كَثِيبِ
 مَهِيلٍ ١٩٠٠

كَيْفَ شَادُوا بِقُرْآنِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ عَالِمًا جَدِيدًا يَهْتَزُّ نَضْرَةً .. وَيَتَأَلَّقُ عَظْمَةً .. وَيَتَفَوَّقُ
 اقْتِدَارًا ١٩٠٠

وَقَبْلَ هَذَا كُلِّهِ ، وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ .. كَيْفَ اسْتَطَاعُوا فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الضَّوءِ ؛ أَنْ يُضِيئُوا
 الضَّمِيرَ الْإِنْسَانِيَّ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَيَكُنْسُوا مِنْهُ إِلَى الْأَبَدِ وَتَثِيَّةَ الْقُرُونِ ١٩٠٠
 تِلْكَ هِيَ مُعْجَزَتُهُمُ الْحَقَّةُ ..

وَأَيْضًا ، فَإِنَّ مُعْجَزَتَهُمُ الْحَقَّةُ تَتَمَثَّلُ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ النَّفْسِيَّةِ الْهَائِلَةِ الَّتِي صَاغُوا
 بِهَا فَضَائِلَهُمْ ، وَاعْتَصَمُوا بِإِيمَانِهِمْ عَلَى نَحْوِ يَجُلٍّ عَنِ النَّظِيرِ ... ١٩٠٠

إِنَّمَا حِينَ نَسْتَعْرِضُ بَعْضًا مِنْ سِيرَةِ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ ، وَنَقْتَرِبُ مِنْهُمْ بِحُبِّ وَاجْتِلَالٍ وَتَدَبُّرٍ
 وَفَهْمٍ ؛ نَكُونُ قَدْ تَزَوَّدْنَا بِقَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ النَّافِعَةِ ، وَالْإِدْرَاكِ الدَّقِيقِ لِمَنْهَجِ

(١) سُورَةُ النُّورِ : الْآيَاتَانِ (٥٥ ، ٥٦) .

الإسلام في صنْع الرجال - والنساء كذلك - وفي تكوين المجتمع الرائد الفاضل القويم ، لا بعثاً للموتى من القبور كما يزجف بذلك الراجفون ؛ المستشرقون منهم والمستغربون ، وإنما إحياء لقيم صنعت أمة ، وإعلاء لقيم رفعت حضارة ، واعتزازاً بأسماء ما كان يجب أن نتغافل عنها أو نغفلها ، لأن أصحابها جزء وضاء من تاريخنا ، ونموذج فريد في عالمنا ، وقُدوة صالحة لأجيالنا ، وما ذلك إلا لأنهم : أصحاب النبي ﷺ .

ومن جهل التاريخ عثر ، ومن فقد النموذج ضل ، ومن أخطأ القيادة شرد ، ومن أهمل الصعبة عجز ، ومن تنكّر لقيم النساء المؤمنات والمؤمنين الرجال ، هان ودل ، وما له من الله من وال ...! وسبحان الله الكبير المتعال .

إن الصالح السعيد الذي وفقه الله : ليدخل متذللًا متادبًا إلى مدرسة الصحابة من أبوابها ، فيفتح الله له ، فيبصر صرحاً عالياً ، وذوقاً راقياً ؛ فينهل من معينهم الصافي ما تصفوه به دنياه وأخرته من علوم الشريعة والحقيقة وسلوك الطريقة والاستقامة عليها ، ولم لا وهم الصفوة المقربون والخيرة المرفوعون ؟ ولأنهم هم الذين تلقوا مواجهة الخطاب بذواتهم السننية ، وشفوا بحسن السؤال ما وقع في النفوس من بعض الإشكال ، فجابوهم ﷺ بأحسن جواب ، وبين لهم باتم تبيان ، فسمعوا وفهموا وعملوا وأحسنوا وحفظوا وضبطوا ونقلوا وصدقوا ، فلهم الفضل العظيم علينا ؛ إذ بهم اتصل حبنا بحبل سيدنا رسول الله ﷺ وبحبل مولانا جل جلاله ، فلهم اليد العليا علينا حقاً وسبقاً ، فجزاهم الله عنا أفضل ما جزى محسناً قد أحسن .

وقد جمعت صفحات الكتاب من أربعة روافد استقت ماءها وسر جريانها ونقاء بقائها من النبي الرائد ﷺ :

- (أولاً) إمتاع الفؤاد بذكر أصحاب خير هاد .
- (ثانياً) صفو الوداد بذكر صحابيَّات وفضليات أرضين رب العباد .
- (ثالثاً) غاية الإسعاد بذكر كوكبة من التابعين وتابعيهم أولي الأمجاد .

(رابعاً) تَذَكِيرُ أُولِي الْأَلْبَابِ بِذِكْرِ مَا لِلصُّحْبَةِ مِنْ آدَابٍ .
 وَغَايَتُنَا أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ ذِكْرًا كَانَ أَمْ أَنْتَى : الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ وَالْقُدْوَةَ الطَّيِّبَةَ الْمُثَلَّى ؛
 وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَفْسَدَ وَدَنَسَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ الْمَاسُونُ وَالشَّيْطَانُ وَمَنْ هَوَى فِي
 شَرِكِهِمْ وَشَبَاكِهِمْ مِنْ جُمُوعِ بَنِي الْإِنْسَانِ .
 وَالتَّمَسُّنَا ذَلِكَ بِاخْتِيَارِ نَمَازِجٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُتَكَامِلَةٍ : تَلْبِيَّةٌ لِلسَّنَنِ الْكُونِي فِي الْمَجْمُوعِ
 الْإِنْسَانِي حَيْثُ تَتَنَوَّعُ الْمَلَكَاتُ وَالْقُدْرَاتُ وَالتَّطَلُّمَاتُ ؛ تَنَوُّعٌ أَحْتِيَاجَاتٍ لِاصْدَامَاتِ .
 إِنَّ فِي سَرْدٍ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ سِيرِ صَحَابَةِ أَجْلَاءَ ، وَصَحَابِيَّاتِ جَلِيلَاتٍ ، وَتَابِعِينَ
 وَتَابِعِيَّاتٍ ؛ الْقُدْوَةُ فِي إِصْلَاحِ النَّفْسِ وَجِهَادِ الشَّيْطَانِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، الْقُدْوَةُ فِي
 إِعْطَاءِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ حُقُوقَهُمْ بِرُوحِ الْإِنْتِمَاءِ وَالْوَلَاءِ ، وَالْقُدْوَةُ فِي إِعْطَاءِ الزَّوْجِ
 حَقَّهُ وَالزَّوْجَةِ حَقَّهَا بِحُبِّ وَصَفَاءِ ، الْقُدْوَةُ فِي تَنْشِئَةِ الْأَبْنَاءِ عَلَى غَرِيْزَةِ الْعَطَاءِ ،
 الْقُدْوَةُ فِي إِعْطَاءِ الْحَيَوَانَ حَقَّهُ بِخُلُقِ الرَّحْمَاءِ ، الْقُدْوَةُ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي
 تَعْمُرُ بِهِ الْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَفَقَّ مَا يَرْضِيهِ اللَّهُ وَيَضْمَنُ سَعَادَةَ الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ
 وَأُخْرَاهُ .

إِنَّ نَشْرَ هَذَا الْكِتَابِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي عُطِلَتْ فِيهِ شَرِيعَةُ اللَّهِ مِنْ مَجَالِسِ
 الْقَضَاءِ ، وَكَثُرَتْ فِيهِ وَسَائِلُ الْإِغْوَاءِ وَالْإِغْرَاءِ ، وَتَبَنَّتْ فِيهِ قَوَاتُ الشَّيْطَانِ سُبُلُ
 هَدْمِ الدِّينِ فِي التَّطَاوُلِ وَإِسَاءَةِ الْأَدَبِ مَعَ صَحَابَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ إِنَّ نَشْرَهُ لَمِنْ
 الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْعُقَلَاءِ .

وَاللَّهُ نَسَأَلُ أَنْ يَهْدِيَنَا سُبُلَ الصَّحَابَةِ سُفُنِ النَّجَاةِ وَالْهُدَى وَالرَّشَادِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ
 فَكَانُوا نِعْمَ الْأَمْتِدَادِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا التَّوْفِيقَ وَحُسْنَ السَّدَادِ ، وَأَنْ يَخُصَّنَا بِالْعِنَايَةِ
 وَالْإِسْعَادِ ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَهُوَ الْقَادِرُ الْجَوَادُ .

الرَّاجِي رَحْمَةَ رَبِّهِ الْجَوَادِ

سَيِّدِ الْوَالِدِ مُحَمَّدٍ

مَضْرُوبُ الْجُرُوسَةِ

مُسْتَهْلُ رَمَضَانَ ١٤٢١ هـ

أضواء

على سِجَلَاتِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ
وما جاءَ فِي ذِكْرِهِمْ مِنَ الثَّنَاءِ
وَأَنَّهُمْ رضي الله عنهم صَفْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ

يَقُولُ أَبُو عَمَرَ الْقُرْطُبِيُّ^(١) : (إِنَّ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه هِيَ الْمُبَيَّنَةُ لِمُرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُجْمَلَاتِ كِتَابِهِ وَالِدَالَّةُ عَلَى حُدُودِهِ وَالْمُفَسَّرَةُ لَهُ وَالْهَادِيَةُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ صِرَاطِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ نَقَلُوهَا عَنْ نَبِيِّهِمْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَحَفِظُوهَا عَلَيْهِ وَبَلَّغُوهَا عَنْهُ ، هُمْ صَحَابَتُهُ الَّذِينَ وَعَوْهَ وَأَدَّوْهُ نَاصِحِينَ مُحْتَسِبِينَ ، حَتَّى كَمَلَ بِمَا نَقَلُوهُ الدِّينُ ، وَثَبَّتَ بِهِمْ حُجَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ ، وَهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، ثَبَّتَتْ عَدَالَةَ جَمِيعِهِمْ بِنِثْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ ، وَثَنَاءِ رَسُولِهِ صلوات الله عليه ، وَلَا أَعْدَلَ مِمَّنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صلوات الله عليه وَنُصْرَتِهِ ، وَلَا تَزَكِيَةَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا تَعْدِيلَ أَكْمَلُ مِنْهَا ...) .
وَيُرَوَى عَنْ أَبِي زَرْعَةَ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

(تُوْفِيَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وَمَنْ رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ زِيَادَةً عَلَى مِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ ، كُلُّهُمْ رَوَى عَنْهُ سَمَاعًا أَوْ رُؤْيَةً)^(٢) .
❁ مَنْ هُوَ الصَّحَابِيُّ ؟

الصَّحَابِيُّ : فِي اللُّغَةِ مِنَ الصُّحْبَةِ .
أَمَّا الصَّحَابِيُّ : عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ ، فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهِ ، لَا اخْتِلَافَ هَوَى وَشِقَاقٍ ، وَإِنَّمَا وَفَقًا لِضَوَائِبِطٍ وَشُرُوطٍ ، لِأَنَّ الصَّحَابِيَّ كَمَا رَأَيْنَا : أَمِينٌ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَنَقْلِهِ ، أَمِينٌ عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وَسُنَّتِهِ وَتَبْلِيغِهِمَا لِلنَّاسِ ، أَمِينٌ فِي آرَائِهِ وَأَحْكَامِهِ وَاسْتِنْبَاطَاتِهِ لِأَنَّ فِيهَا حُجَّةً وَدَلِيلًا ، وَيَجِبُ أَنْ نُشِيرَ هُنَا إِلَى

(١) أَبُو عَمَرَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ بْنِ عَاصِمِ الْقُرْطُبِيِّ صَاحِبُ كِتَابِ (الاسْتِيعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ) ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٤٦٣ هـ .

(٢) الْأَنْبَاءُ الْمُسْتَنْبَاطَةُ فِي مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ وَالْقِرَابَةِ : هَيْبَةُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سَيِّدِ الْكَلِّ الْقَطُّبِيِّ تُوْفِيَ سَنَةَ ٦٩٧ هـ .

الدِّقَّةِ الْبَالِغَةِ ، وَالتَّمَحِصِ الشَّدِيدِ الَّذِي قَدْ لَا نَجِدُ لَهُ نَظِيرًا فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ ،
وَالِانْتِقَاءِ السَّلِيمِ الْمُصَفَّى فِيمَا نُقِلَ إِلَيْنَا عَنِ الصَّحَابَةِ وَأَحْوَالِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ ، مِمَّا
يُذَكَّرُ بِالْفَضْلِ لِأَثْمَةِ الْحَدِيثِ وَعُلَمَائِهِ الْأَفْذَادِ ؛ وَلَيْسَ فِي هَذَا غَرَابَةٌ وَلَا مُعْجَزَةٌ لِأَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى تَكْفَلَ بِحِفْظِ قُرْآنِهِ الْكَرِيمِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا
لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) ، وَتَوَلَّى سُبْحَانَهُ صِيَانَةَ رَسُولِهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، فَقَالَ :

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٣) ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَمِنْهُمْ ابْنُ حَجَرٍ : ^(٤)

(الصَّحَابِيُّ : هُوَ كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ) :
يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَنْ طَالَتْ صُحْبَتُهُ لِلنَّبِيِّ أَوْ قَصُرَتْ ، مَنْ رَوَى عَنْهُ أَوْ لَمْ يَرَوْهُ ، مَنْ
غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ ، مَنْ رَأَاهُ وَلَمْ يُجَالِسْهُ ، وَمَنْ جَالَسَهُ وَلَمْ يَرَهُ كَالضَّرِيرِ .
وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ :

(مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ رَأَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ) .
وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ : ^(٥)

(كُلُّ مَنْ جَالَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَوْ سَاعَةً ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَوْ كَلِمَةً فَمَا فَوْقَهَا ، أَوْ شَاهَدَ
مِنْهُ ﷺ أَمْرًا بَعِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اتَّصَلَ نِفَاقُهُمْ وَاشْتَهَرَ حَتَّى
مَاتُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا مِثْلَ مَنْ نَفَاهُ ﷺ لِاسْتِحْقَاقِهِ النَّفْيَ مِثْلَ هَيْبِ الْمُخَنَّثِ وَمَنْ
جَرَى مَجْرَاهُ ؛ فَمَنْ كَانَ كَمَا وَصَفْنَاهُ أَوْلًا ، فَهُوَ صَاحِبٌ ؛ وَكُلُّهُمْ عَدْلٌ ، إِمَامٌ ،
فَاضِلٌ ، رَضِيٌّ : فَرَضَ عَلَيْنَا تَوْقِيرُهُمْ ، وَتَعْظِيمُهُمْ ، وَأَنْ نَسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَنُحِبَّهُمْ) .

● وَالصَّحَابِيُّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَعْتَبَرُ الرَّوْيَةُ فَقَطْ دَلِيلًا عَلَى الصُّحْبَةِ ،
فَالصُّحْبَةُ عِنْدَهُ أَحْصُ مِنَ الرَّوْيَةِ ؛ فَقَدْ سُئِلَ يَوْمًا : هَلْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ غَيْرُكَ ؟ قَالَ : نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ رَأَوْهُ ﷺ ، فَأَمَّا مَنْ صَحِبَهُ فَلَا .

(٢) سُورَةُ الْأَنْزَابِ : مِنَ الْآيَةِ ٥٢ .

(١) سُورَةُ الْجُجُرِ : الْآيَةُ ٩ .

(٤) الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ : ابْنُ حَجَرٍ الْمَسْقَلَانِيُّ (ت ٨٥٢ هـ) .

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٦٧ .

(٥) ابْنُ حَزْمٍ : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الظَّاهِرِيِّ (ت ٤٥٦ هـ) .

أَسْتَلَّةٌ وَأَجْوِبَةٌ مُهِمَّةٌ :

مَا حُكِّمَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ كَافِرًا ، وَإِنْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَجْتَمِعْ بِهِ ؟
 قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : لَا يُعَدُّ صَحَابِيًّا ، وَأَضَافَ : (يَدْخُلُ فِي قَوْلِنَا مُؤْمِنًا بِهِ ، كُلُّ مُكَلَّفٍ
 مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، فَحِينَئِذٍ يَتَعَيَّنُ ذِكْرُ مَنْ حُضِرَ ذِكْرُهُ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ آمَنُوا
 بِهِ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ) ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَى ابْنِ الْأَثِيرِ الَّذِي أَنْكَرَ صُحْبَةَ
 الْجَنِّ وَإِنْ كَانُوا قَدْ سَمِعُوا الْقُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْجَنِّ)
 مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

أَمَّا الْمَلَائِكَةُ ، فَلَا يَدْخُلُونَ فِي الصُّحْبَةِ ؛ هَذَا رَأْيُ الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ فِي أَسْرَارِ
 التَّنْزِيلِ (لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ مُرْسَلًا إِلَى الْمَلَائِكَةِ) ، وَإِنْ كَانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ
 السُّبْكِيُّ يُرَجِّحُ أَنَّهُ كَانَ ﷺ مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ .

وَمَاذَا عَنِ الَّذِي لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُسْلِمًا ، ثُمَّ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَاتَ كَافِرًا ؟ (١)
 يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ : إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الصُّحْبَةِ ، كَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَيْضًا مَنْ ارْتَدَّ عَنِ
 الْإِسْلَامِ وَعَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ سِوَاءِ اجْتِمَاعِ بِهِ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ لَا ،
 وَهَذَا هُوَ رَأْيُ الْبُخَارِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

وَهَلْ يُعَدُّ صَحَابِيًّا مَنْ رَأَاهُ ﷺ فَقَطَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ وَقَبْلَ أَنْ يُوَارَى ﷺ ؟ (٢)
 يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ : مَحَلُّ نَظَرٍ ، وَالرَّاجِحُ عَدَمُ الدُّخُولِ فِي الصُّحْبَةِ .

وَالصَّحَابَةُ ﷺ أَجْمَعِينَ ، كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ أَحْيَاءٌ ، لَكِنَّهُمْ مَرَاتِبٌ وَدَرَجَاتٌ ؛ فَإِنْ قِيلَ :
 كَيْفَ وَالْإِسْلَامُ دِينُ عَدَالَةٍ وَمُسَاوَاةٍ ، وَأَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَكُونُوا فِي ذَلِكَ أَسْوَأَ وَقُدْوَةً ؟
 نَعَمْ ، النَّاسُ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ لِأَدَمَ ، وَأَدَمٌ مِنْ تُرَابٍ .. هَذَا حَقٌّ .

الْمُسْلِمُونَ فِي شَرْعِ الْإِسْلَامِ سَوَاسِيَةٌ وَإِخْوَةٌ .. وَهَذَا عَدْلٌ ، وَلَكِنْ ؛ يَنْصَرِفُ ذَلِكَ
 إِلَى أَحْكَامِ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ ، وَإِلَّا فَمَاذَا نَقُولُ فِي تَقْرِيرِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ فِي

(١) مِثْلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ ، ابْنِ عَمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، الَّذِي تَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ زَمَلَةَ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ (زَوْجَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا
 بَعْدُ) ؛ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ فَتَتَمَّرَ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ .

(٢) وَهُوَ الشَّاعِرُ أَبُو ذُوَيْبِ الْهَدَلِيِّ .

التفاضل بالإيمان والتفاضل بالعلم :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (١)

وفي فضلٍ وتفصيلٍ من سبقٍ بالإنفاق والجهاد قبل فتح مكة :

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ

أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢)

والمؤمنون المهاجرون المجاهدون أعظم درجة من غيرهم :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ

دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٣)

بل إن أوائل المهاجرين والأنصار لهم التقديم والسبق :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا

أَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ

بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأَوْلِيَّتِكَ مِنْكُمْ ﴾ (٥)

ولهذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرض (عدلاً وإنصافاً) رواتب للمهاجرين

الأول أعلى من غيرهم ؛ فالله تعالى فرق بين الإيمان والهجرة ، فالذين آمنوا ولم

يهاجروا جعلهم في مرتبة أدنى ، ولا موالاة بينهم وبين من آمن وهاجر ، ولا

نصيب لهم في مغانم أو نفل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أَوْلِيَّتِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ

مِنَ وَلِيِّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ

إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٥)

(١) سورة المجادلة : من الآية ١١ .

(٢) سورة الحديد : من الآية ١٠ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٢٠ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٧٢ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٧٢ . وقال عامر الشامي : (المهاجرون الأولون الذين يابغوا تبعه الرضوان) ، وقال سيدي بن المسيب :

(إنهم من صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين جميعاً) .

ثُمَّ تَأْتِي الْآيَةَ فِي سُورَةِ (التَّوْبَةِ) ، لِتَحْسِمِ الْأَمْرَ :

(١) ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.....﴾ .

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ فَضْلَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَسَبَقَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ كَسَادَتِنَا : أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَمُعَاذٌ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَسَلْمَانُ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ ... وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ..

وَأَوْلِيكَ الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ أَحْيَاءُ بِالْجَنَّةِ .

❁ إِنَّ مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الصَّحَاحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، يُشِيرُ فِي أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ إِلَى فَضْلِ الصَّفْوَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، لَا تَمَيِّزاً لِدَوَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَذَكِيراً بِصِفَاتٍ وَخَصَائِصٍ كُلِّ مِنْهُمْ الْفَاضِلَةِ الْخَيْرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ :

❁ (إِنَّ أَرَأَفَ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَقْوَاهَا فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقَهَا حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهَا عَلِيٌّ ، وَأَفْرَضُهَا زَيْدٌ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) (٢) .

● رِوَايَةٌ أُخْرَى لِلْحَدِيثِ فِيهَا : (وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ أَقْرَبُهُمْ) : أَيُّ لِلْقُرْآنِ .

❁ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا يَمْشِي مُتَقَدِّمًا عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، فَقَالَ لَهُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (تَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ؟) (٣) .

❁ (أَبُو عُبَيْدَةَ وَعَاءٌ لِلْعِلْمِ ، أَوْ قَالَ : وَعَاءُ الْعِلْمِ ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ عِلْمٌ لَا يُدْرِكُ ، وَمَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ) (٤) .

❁ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ وَهُوَ ﷺ أَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَ : (هَكَذَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٥) .

❁ وَتَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : بَيْنَمَا رَأَسُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِي فِي لَيْلَةٍ ضَاحِيَةٍ (أَيُّ صَافِيَةٍ) ، إِذْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ

(٢) البُخَارِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٤) الاِسْتِيعَابُ ، وَالحَدِيثُ تَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ .

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٠٠

(٢) الاِسْتِيعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ : ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

(٥) أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ؟

قال عليه السلام : (نَعَمْ ، عُمَرُ) ، قُلْتُ : فَأَيْنَ حَسَنَاتُ أَبِي بَكْرٍ ؟

قال عليه السلام : (إِنَّمَا جَمِيعُ حَسَنَاتِ عُمَرَ كَحَسَنَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ) (١) .

✽ وجاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَشْكُو حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ :

يا رَسُولَ اللَّهِ ، لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ ، فَردَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْفُؤْرِ مُقَاطِعاً : (كَذَبْتَ ، لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا أَوْ الْحُدَيْبِيَّةَ) (٢) .

✽ يَقُولُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه : كُنْتُ جَالِساً ، إِذْ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْعَبَّاسُ

ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْتَأْذِنَانِ ، قَالَ عليه السلام : (أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِهِمَا ؟) ، قُلْتُ : لَا ،

قال عليه السلام : (لَكِنِّي أَدْرِي) ، فَأَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا ، فَقَالَا : يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا جِئْنَاكَ

نَسْأَلُكَ أَيُّ أَهْلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ عليه السلام : (فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ) قَالَا : مَا جِئْنَاكَ

نَسْأَلُكَ عَنْ أَهْلِكَ (أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ) ، قَالَ عليه السلام : (أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ ، مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ : ابْنُ حَارِثَةَ) ، قَالَا : ثُمَّ مَنْ ؟ ، قَالَ عليه السلام : (ثُمَّ عَلِيٌّ) ، فَقَالَ

الْعَبَّاسُ رضي الله عنه : جَعَلْتَ عَمَّكَ آخِرَهُمْ ؟ ، قَالَ عليه السلام : (إِنَّ عَلِيًّا سَبَقَكَ بِالْهَجْرَةِ) (٣) .

✽ (إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ - أَوْ قَالَ : رُقَبَاءَ - وَأُعْطِيَتْ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ) ،

قُلْنَا : مَنْ هُمْ ؟ ، قَالَ : أَنَا (أَيُّ : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَاوِي الْحَدِيثِ) وَأَبْنَايَ الْحَسَنُ

وَالْحُسَيْنُ ، وَجَعْفَرُ ، وَحَمْزَةُ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَبِلَالٌ ، وَسَلْمَانُ ،

وَعَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَالْمِقْدَادُ ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) (٤) .

✽ (طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارِي فِي الْجَنَّةِ) (٥) .

✽ (هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، وَسَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَأَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ

وَأَبْنَ مَسْعُودٍ إِلَى الْأَمَمِ كَمَا بَعَثَ عَيْسَى الْحَوَارِيِّينَ) ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَلَا تَبْعَثُ أَبَا بَكْرٍ

(١) صحيح البخاري ، وسنن أبي داود . (٢) الاستيئاب . وكذبت : أي وهمت .

(٣) البخاري ومسلم . (٤) البخاري ، وأبو داود ، والترمذي : عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

(٥) البخاري ومسلم ، والترمذي : عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . (٦) صحيح البخاري : عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

وَعَمَرَ فَإِنَّهُمَا أَبْلَغُ ؟

فَقَالَ ﷺ : (لَا غِنَى لِي عَنْهُمَا ؛ إِنَّمَا مَنَزَلْتُهُمَا مِنَ الدِّينِ مَنَزِلَةَ السَّمْعِ
وَالْبَصَرِ) (١).

❁ وَيُحَدِّثُنَا سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ أَوَّلِ سَبْعَةٍ أَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ عَلَى
مَلَأٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ بَدَايَةِ فَتْرَةِ الْمِحْنَةِ وَالتَّعْذِيبِ ، يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ
سَبْعَةٌ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ ، وَصُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ ، وَبِلَالُ
ابْنُ رَبَاحٍ ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو .

فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ ،
وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَالْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ،
فَمَا مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا (أَيِ وَافْتَقَهُمْ ظَاهِرًا وَإِنْ كَانَ قَلْبُهُ
مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ) ، إِلَّا بِلَالًا ؛ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ،
فَأَخَذُوهُ وَأَعْطَوْهُ الْوُدَانَ (أَيِ لِلصَّبِيَّانِ) فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ ، وَهُوَ
يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ (٢) .

❁ وَلَقَدْ بَلَغَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَوْمًا (وَكَانَ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ) أَنَّ رَجُلًا
مِنَ الصَّحَابَةِ جَادَلَ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ فِي الْإِحَافِ وَلِجَاجَةِ فَاسْتَقْدَمَ

ابْنَ الْخَطَّابِ الرَّجُلَ وَعَزَّرَهُ ، قَائِلًا : أَتُرَدُّ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ ؟

❁ وَإِنَّهُ لَمِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ ، وَاكْتِمَالِ الْإِيمَانِ ، وَتَمَامِ الرُّشْدِ أَنْ يَعْتَلِي سَيِّدَنَا أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ ﷺ مِنْبَرَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ ، فَلَا يَقِفُ فِي مَوْضِعٍ
وُقُوفِ النَّبِيِّ ﷺ بَلْ يَنْزِلُ عَنْهُ دَرَجَةً ، ثُمَّ يَخْلُفُهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ فَيَرْتَقِي الْمَنْبَرَ ،
وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَ الدَّرَجَةِ الْأَقْلَى ، وَيَقُولُ : مَا كَانَ لِي أَنْ أَقِفَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ !

❁ وَهُوَ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ لِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْرَهَا وَحُرْمَتَهَا وَحَقَّهَا
عَلَى الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ؛ فَيُحَدِّثُنَا سَيِّدُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ :

(٢) الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ : الطَّبْرَانِيُّ .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ؛ عَنْ عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ .

أَنَّ رَجُلًا بَدَوِيًّا هَجَا الْأَنْصَارَ ، فَشَكَاهُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَيِّدِنَا عُمَرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ نَصَحَهُ فِي رِفْقٍ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ ، فَلَمَّا سُئِلَ ، قَالَ ﷺ : لَوْلَا أَنَّ لَهُ صُحْبَةً مِنْ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ مَا أَذْرِي مَا نَالَ فِيهَا لَكَفَيْتُكُمْوهُ ، وَلَكِنْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ !
وبهذا الفهم الواضح السديد ، يَكْتُبُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَامِلِهِ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ يَأْمُرُهُ ، فَيَقُولُ :

(إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وُجُوهٌ (وَجِهَاءُ) يَرْفَعُونَ حَوَائِجَ النَّاسِ ، فَأَكْرَمُوا وُجُوهَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ بِحَسَبِ الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ أَنْ يُنْتَصَفَ (يُنْصَفَ) فِي الْحُكْمِ وَالْقِسْمَةِ) .

وَلَا يَكْتَفِي ابْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بِذَلِكَ التَّوَجُّيهِ ، بَلْ يُتَّبِعُهُ بِرِسَالَةٍ إِلَى أَبِي مُوسَى ﷺ ، وَهُوَ وَالِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، يَقُولُ لَهُ :

(بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَأْذِنُ لِلنَّاسِ جَمًّا غَفِيرًا (أَي يَدْخُلُونَ جَمِيعًا فِي كَثْرَةٍ مُخْتَلِطَةٍ إِلَى مَجْلِسِكَ) ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا ، فَاتَّذِنْ لِأَهْلِ الشَّرَفِ ، وَلِأَهْلِ الْقُرْآنِ وَالتَّقْوَى وَالدِّينِ ، فَإِذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ ، فَاتَّذِنْ لِلْعَامَّةِ) .

فَائِدَةٌ : تَفَاوَتَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَصْنِيفِ طَبَقَاتِ الصَّحَابَةِ ، فابنُ سَعْدٍ يَجْعَلُهُمْ فِي خَمْسِ طَبَقَاتٍ ، وَالْحَاكِمُ يَجْعَلُهُمْ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَبَقَةً ، وَهُوَ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ : (١)

(١) قَوْمٌ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُمْ بِمَكَّةَ : كَالْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ .

(٢) الصَّحَابَةُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ تَشَاوُرِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ .

(٣) مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ

(٤) أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى .

(٥) أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ .

(٦) أَوْلُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِقُبَاءَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ .

(٧) أَهْلُ بَدْرٍ .

(٨) الَّذِينَ هَاجَرُوا بَيْنَ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَّةِ .

(٩) أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ .

(١) أصول الحديث : د. مُحَمَّدٌ عَجَّاجُ الْخَطِيبِ - بِمَشَقِّ .

١٠) مَنْ هَاجَرَ بَيْنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَفَتَحَ مَكَّةَ ؛ ك (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) وَ (عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ) .
١١) مُسْلِمَةُ الْفَتْحِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي فَتْحِ مَكَّةَ .

١٢) صِبْيَانٌ وَأَطْفَالٌ رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَغَيْرِهِمْ .
✽ وَرَبِّ سَائِلٍ يَسْأَلُ ؛ إِذَا كَانَ هَذَا قَدْرُ الصَّحَابَةِ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّصَدِيقِ وَالِاتِّبَاعِ ، فَمَاذَا عَنْ مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ إِبَّانَ الْخِلَافَاتِ الدَّمَوِيَّةِ وَالْفِتَنِ ؟
وَالجَوَابُ ؛ يَكَادُ الْعُلَمَاءُ يُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَا وَقَعَ كَانَ نَتِيجَةَ اجْتِهَادِهِمْ أَفْرَاداً أَوْ جَمَاعَاتٍ ، وَلَا يَقْدَحُ فِي عَدَالَتِهِمْ ، وَلَا يُجَوِّزُ الطَّعْنَ فِيهِمْ أَوْ تَجْرِيحَهُمْ ، وَكَمَا قَالَ الْأَمِيدِي : (... فَكُلُّهُ اعْتَقَدَ أَنَّ الْوَاجِبَ مَا صَارَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ أَوْفَقُ لِلدِّينِ وَأَصْلَحُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَى هَذَا ؛ فَمَا أَنَّ يَكُونَ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيباً ، أَوْ أَنَّ الْمُصِيبَ وَاحِدٌ وَالْآخَرَ مُخْطِئٌ فِي اجْتِهَادِهِ ، وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَالشَّهَادَةُ وَالرِّوَايَةُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا تَكُونُ مَرْدُودَةً ، إِمَّا بِتَقْدِيرِ الْإِصَابَةِ فَظَاهِرٌ ، وَإِمَّا بِتَقْدِيرِ الْخَطَأِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَبِالْإِجْمَاعِ)^(١) .

✽ وَمَاذَا عَنِ التَّابِعِينَ ؟

التَّابِعُونَ ؛ هُمُ الَّذِينَ عَاشُوا قَرِيباً مِنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ ، وَتَلَّمَذُوا عَلَى أَيْدِي رِجَالِ الْمَدْرَسَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْأُولَى ؛ فَإِذَا هُمْ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الصُّورَةُ لِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رُسُوخِ الْإِيمَانِ ، وَالتَّعَالِي عَنِ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَالتَّفَانِي فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ ، فَكَانُوا حَلَقَةً مُحْكَمَةً مُؤَثَّرَةً بَيْنَ جِيلِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَجِيلِ أَيْمَةِ الْمَذَاهِبِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ ، وَقَدْ قَسَمَهُمْ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ إِلَى طَبَقَاتٍ ؛
أَوْلَهُمْ مَنْ لَحِقَ الْعَشْرَةَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَآخِرُهُمْ مَنْ لَقِيَ صِغَارَ الصَّحَابَةِ أَوْ مَنْ تَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُمْ .

● عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(إِذَا ذُكِرَ الْقَدْرُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا)^(٢) .

(١) الْإِحْكَامُ فِي أُصُولِ الْأَحْكَامِ ؛ أَبُو الْحَسَنِ الْأَمِيدِي (ت ٦٣١ هـ) .

(٢) أَخْرَجَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ، وَابْنُ حَجْرٍ فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ ، وَالدَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ .

● قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِي فِي الرِّيَاضِ النَّضْرَةِ : فَالسَّعِيدُ مَنْ تَوَلَّى حُبَّهُمْ ، وَاهْتَدَى
بِهَدْيِهِمْ ، وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِمْ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ تَعَرَّضَ لِلْخَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وَاقْتَحَمَ
خَطَرَ التَّفْرِيقِ وَأَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، ثُمَّ سَبَّ أَحَدًا مِنْهُمْ .

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ إِذْ أَعَادَنَا مِنْ ذَلِكَ ، وَنَسْأَلُهُ دَوَامَ نِعْمَتِهِ وَإِتْمَامَهَا .

يا باغِي الإِحْسَانِ يَطْلُبُ رَبُّهُ * لِيَفُوزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
انظُرْ إِلَى هَدْيِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِي * كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِي
فَهُمْ الْأَدَلَّةُ لِلْحَيَارَى مَنْ يَسِرُ * بِهِدَاهُمْ لَمْ يَخْشَ مِنْ إِضْلَالِ
وَهُمُ النُّجُومُ هِدَايَةً وَإِضَاءَةً * وَعُلُومٌ مَنزَلَةٌ وَبُعْدَ مَنَالِ
حِلْمًا وَعِلْمًا مَعَ تَقَى وَتَوَاضَعٍ * وَنَصِيحَةٍ مَعَ رُتْبَةِ الْإِفْضَالِ



مِمَّا جَاءَ مِنْ ذِكْرِهِمْ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) .

﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٥) .

﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦) .

﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ (٨) عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٩) وَمَنْ يُوقِ شَحْمَةَ نَفْسِهِ (١٠) فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١١) .

(١) سَاعَةُ الْعُسْرَةِ : هِيَ الْوَقْتُ الَّذِي تَجَهَّزَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الْوَقْتُ شَدِيدَ الْحَرِّ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ جَنَى نَمَارِهِمْ وَيَسَّ مَعَ أَكْثَرِهِمْ زَادٌ وَلَا رِكَابٌ .

(٢) تَزْيِغٌ : تَضَلُّ وَتَعْتَرِفُ عَنِ الْحَقِّ .

(٣) هُمُ : هَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنِ رَكْبِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ لَّمْ تَابُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

(٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الْآيَاتَانِ ١١٧ ، ١١٨ .

(٦) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الْآيَةُ ١٠٠ .

(٥) سُورَةُ الْفَتْحِ : الْآيَاتَانِ ١٨ ، ١٩ .

(٧) تَبَوَّءُوا الدَّارَ : أَي اسْتَوْطَنُوهَا ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْأَنْصَارُ .

(٩) الْخِصَاصَةُ : هِيَ الْحَاجَةُ الَّتِي تَخْتَلُّ بِهَا الْحَالُ .

(٨) الْإِيثَارُ : هُوَ تَقْدِيمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ وَحُطُوطُهَا الدُّنْيَوِيَّةَ .

(١١) سُورَةُ الْحَشْرِ : الْآيَاتَانِ ٨ ، ٩ .

(١٠) الشَّحْمُ : الْبُخْلُ مَعَ شِدَّةِ الْبِرْصِ .

❁ وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢)

❁ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِقَائِنَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤)

❁ وقال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ نَحْنَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٥)

❁ وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ۚ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٧)

❁ وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩)

❁ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠)

(١) أي يُشْبِهُهُ بِمَعْضَىٰ فِي الْخَلَاةِ وَالطَّلَاةِ وَدَقَّةِ النَّظْمِ وَبِرَاعَةِ الْأَسْلُوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ إِعْجَازِهِ .

(٢) مَثَانِي : فِيهِ ذِكْرُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالْغَيْبِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُ يُشَىٰ فِي التَّلَاوةِ بِمَعْنَىٰ يُكْرَرُ ، فَلَا يَمَلُّ بَلْ كُلَّمَا كُرِّرَ يَخْلُو لِسَامِيهِ وَهَارِيهِ .

(٣) سُورَةُ الزُّمَرِ : الْآيَةُ ٢٣ .

(٤) كِتَابَةٌ عَنِ قَلْبِ النَّبِيِّ وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ وَطُولُ الْقِيَامِ .

(٥) سُورَةُ السَّجْدَةِ : الْآيَاتُ ١٥-١٧ .

(٦) سُورَةُ الشُّورَى : الْآيَاتُ ٣٦-٣٩ .

(٧) أَي : وَفِي نَذْرِهِ قَمَاتٍ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ الْوَفَاءَ . (٨) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : الْآيَاتُ ٢٣ ، ٢٤ .

(٩) سُورَةُ الزُّمَرِ : الْآيَةُ ٩ .

(١٠) سُورَةُ الْحَشْرِ : الْآيَةُ ١٠ .

فَهَؤُلَاءِ التَّابِعُونَ : وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَدَمِ الْغِلِّ (وَهُوَ الْحِقْدُ) لِلَّذِينَ آمَنُوا ، ثُمَّ سَمَّاهُمْ الصَّادِقِينَ وَالْمُفْلِحِينَ .

❁ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١) .
وَإِذَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الرِّضَا وَالْمَدْحُ وَالشَّانَاءُ فَلَا اكْتِرَاتَ بِمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَذَمَّهُمْ ، وَلَا نِقَمَاتَ إِلَى مَنْ تَتَقَصَّصَهُمْ وَسَبَّهَهُمْ :
(فَمَا يَضُرُّ السَّحَابَ نُبَاحِ الْكِلَابِ) .

فَأَوْلَيْكَ قَدْ حَقَّ عَلَيْهِمْ قَوْلُ رَبِّنَا : ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) .

● أَخْرَجَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
(إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ وَسُبَّ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صِرَافًا وَلَا عَدْلًا) (٣) .

● وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
(إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي فَقُولُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى شِرْكِكُمْ) (٤) .
وَلِلَّهِ دَرُّ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الَّذِي مَلَأَ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا فِي قَوْلِهِ :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ❁ وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَعْتَ حَقٌّ وَأُخْلِصُ
وَأَنَّ عُرَا الْإِيمَانِ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ❁ وَفِعْلٌ زَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ ❁ وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْخَيْرِ يَحْرِصُ
وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عُثْمَانَ فَاضِلٌ ❁ وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصٌ
أُمَّةٌ هَدَى يَهْتَدَى بِهَدَاهُمْ ❁ لِحَا اللَّهُ مَنْ إِيَّاهُمْ يَتَّقِصُ
فَمَا لِعُورَةٍ يَشْتُمُونَ سَفَاهَةً ❁ وَمَا لِسَفِينِهِ لَا يَحِيصُ وَيَحْرِصُ

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٤١ .

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : الْآيَةُ ١١٩ .

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ : (١٤٢/١٢) بِنَحْوِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْهَيْدِيُّ فِي كَنْزِ الْمَأَالِ : (٩٠٣) وَ (٢٩١٤٠) .

مِمَّا جَاءَ مِنْ ذِكْرِهِمْ ﷺ فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ

❁ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ) (١) .

❁ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) (٢) .

❁ وَقَالَ ﷺ : (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) (٣) .

❁ وَقَوْلُهُ ﷺ : وَقَدْ سُئِلَ حِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ : (فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا) ، قَالُوا : مَا نَأْخُذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ ﷺ : (عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ) ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ ؟ قَالَ ﷺ : (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) (٤) .

❁ وَمِنْهُ مَا رَوَى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَأَتْبَاعُهُ وَهُمْ جِلَّةُ التَّابِعِينَ وَأَهْلُ الْقَرْنِ الثَّانِي الَّذِي شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْفَضْلِ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ بِقَوْلِهِ ﷺ : (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَيُؤْتَمِنُونَ فَيُخُونُونَ) (٥) .

❁ أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عِنْدَ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

(١) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ، وَصَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ .

(٥) الشُّرْحُ الْكَبِيرُ لـ (ابن قدامة) .

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)^(١) ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه :
 (لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَقَالَ : أَنْتُمْ ، فَكُنَّا كُلَّنَا ، وَلَكِنْ قَالَ (كُنْتُمْ) خَاصَّةً فِي أَصْحَابِ
 مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم وَمَنْ صَنَعَ مِثْلَ صَنَعِهِمْ ، كَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) .
 ❁ ذَكَرَ الْإِمَامُ الطَّبْرَانِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) ؛ لِلْعُلَمَاءِ
 أَقْوَالاً ، اخْتَارَ مِنْهَا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلوات الله عليهم ، وَاسْتَدَلَّ بِمَا رَوَاهُ بِسَنَدِهِ عَنِ الْحَسَنِ ،

قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليهم يَقُولُ :

(أَلَا إِنَّكُمْ وَفِيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ) .
 وَقَدْ سَوَّى الْإِمَامُ الطَّبْرَانِيُّ بَيْنَ مَا لَوْ قَالَ (أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ) وَ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) ؛
 فَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَ الْأَسْلُوبَيْنِ فَرْقًا مُسْتَدِلًّا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَذْكُرُوا إِذْ
 أَنْتُمْ قَلِيلٌ) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ) .

❁ وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : (إِنْ اللَّهُ نَظَرَ فِي قُلُوبِ
 الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا صلوات الله عليهم فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ وَانْتَخَبَهُ بَعْلِمِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ
 بَعْدَهُ فَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا ، فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ وَوُزَرَآءَ نَبِيِّهِ صلوات الله عليهم ، فَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ
 حَسَنًا فَهُوَ حَسَنٌ ، وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ قَبِيحٌ)^(٢) .

❁ وَأَخْرَجَ أَيْضًا فِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ : (أَنْتُمْ أَكْثَرُ صِيَامًا وَأَكْثَرُ
 صَلَاةً وَأَكْثَرُ اجْتِهَادًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليهم ، وَهُمْ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ !! قَالُوا :
 لِمَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ ، قَالَ : هُمْ كَانُوا أَرْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ) .

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي أَرَاكَةَ ، يَقُولُ : صَلَّيْتُ مَعَ عَلِيِّ رضي الله عنه صَلَاةَ الْفَجْرِ ،
 فَلَمَّا انْفَتَلَ عَنْ يَمِينِهِ مَكَثَ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَابَةٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى حَائِطِ
 الْمَسْجِدِ قَيْدَ رُمَحٍ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَلَبَ يَدَهُ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ
 مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم فَمَا أَرَى الْيَوْمَ شَيْئًا يُشْبِهُهُمْ !! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ صُفْرًا شُعْنًا غُبْرًا ،
 بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَأَمْثَالِ رُكَبِ الْمَعْرَى ، قَدْ بَاتُوا لِلَّهِ سُجَّدًا وَقِيَامًا ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ،

(٢) حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ (أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ) .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ١١٠ .

يَتَرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ^(١) ، فَإِذَا أَصْبَحُوا فَذَكَرُوا اللَّهَ مَا دُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ ، وَهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْتَلَّ ثِيَابَهُمْ^(٢) .

✽ وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، قَالَ : دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ الْكِنَانِي عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : صِفْ لِي عَلِيًّا ، فَقَالَ : أَوْ تُعْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أُعْفِيكَ ، قَالَ : (أَمَّا إِذْ لَا بُدَّ : فَإِنَّهُ كَانَ - وَاللَّهِ - بَعِيدَ الْمَدَى^(٣) ، شَدِيدَ الْقُوَى^(٤) ، يَقُولُ فَضْلًا^(٥) ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ ، كَانَ - وَاللَّهِ - غَزِيرَ الْعَبْرَةِ^(٦) ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ^(٧) ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خَشَنَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشِبَ^(٨) ، كَانَ - وَاللَّهِ - كَأَحَدِنَا : يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنَ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ ، يُعْظِمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ - وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَغَارَتْ نُجُومُهُ - يَمِيلُ فِي مَحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ^(٩) تَمَلَّمِ السَّلِيمِ^(١٠) ، وَيَبْكِي بِكَاءِ الْحَزِينِ ، فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ الْآنَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبَّنَا ، يَا رَبَّنَا ، يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلدُّنْيَا : إِلَيَّ تَرَرْتِ ؟ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، غُرِّي غَيْرِي ، قَدْ بَتَّتْكَ^(١١) ثَلَاثًا ، فَعُمْرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطْرُكَ^(١٢) يَسِيرٌ ، أَهْ آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ) !

فَوَكَّفَتْ دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ مَا يَمْلِكُهَا وَجَعَلَ يُنْشِفُهَا بِكُمِّهِ - وَقَدْ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ - فَقَالَ : (كَذَا كَانَ أَبُو الْحَسَنِ ، كَيْفَ وَجَدْتُكَ^(١٣) عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ ؟) ، قَالَ : (وَجَدْتُ مَنْ

(١) الْمَعْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا يُطِيلُونَ السُّجُودَ لِیَسْتَرِيحُوا مِنْ عَنَاءِ الْوُقُوفِ ، وَيُطِيلُونَ الْوُقُوفَ لِیَسْتَرِيحُوا مِنْ عَنَاءِ السُّجُودِ .

(٢) الْبِدَائِيَّةُ وَالنِّهَائِيَّةُ لـ (ابن كثير) ، وَجَلْبَةُ الْأَوْلِيَاءِ لـ (أبي نُعَيْمٍ) .

(٣) شَدِيدَ الْحَوَاسِ مِنْ سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَغَيْرِهِمَا .

(٤) الْعَبْرَةُ : الدَّمْعَةُ .

(٥) أَي : تَحَسَّرًا عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ .

(٦) مَا جَشِبَ : مَا غَلِظَ وَخَشَنَ .

(٧) السَّلِيمُ : الْمَسْمُوعُ .

(٨) أَي : سَأَلْتُكَ ، يُقَالُ : فُلَانٌ دُوَّ خَطَرَ ، أَي دُوَّ شَأْنٍ .

(٩) وَجَدْتُكَ : حَزْنْتُكَ .

ذُبِحَ وَاحِدُهَا فِي حَجْرِهَا ، لَا تَرْقَأُ دَمْعَتُهَا ، وَلَا يَسْكُنُ حُزْنُهَا ^(١)) ثُمَّ قَامَ وَخَرَجَ .
 ❁ وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما ، هَلْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَضْحَكُونَ ؟ ، قَالَ :

(نَعَمْ ، وَالْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الْجِبَالِ) ^(٢) .

❁ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ ، قَالَ : اسْتَأْذَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه وَقَدْ عَلَقَتْ عِنْدَهُ بَطُونُ قُرَيْشٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ مُعَاوِيَةُ مُقْبِلاً ، قَالَ : يَا سَعِيدُ ، وَاللَّهِ لِأَلْقَيْنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَسَائِلَ يَغِي ^(٣) بِجَوَابِهَا ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : لَيْسَ مِثْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ يَغِي بِمَسَائِلِكَ ، فَلَمَّا جَلَسَ ، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : مَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ ؟

قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، كَانَ - وَاللَّهِ - لِلْقُرْآنِ تَالِيًا ، وَعَنِ الْمَيْلِ نَائِبًا ، وَعَنِ الْفَحْشَاءِ سَاهِيًا ، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا ، وَبِدِينِهِ عَارِفًا ، وَمِنَ اللَّهِ خَائِفًا ، وَبِاللَّيْلِ قَائِمًا ، وَبِالنَّهَارِ صَائِمًا ، وَمِنَ دُنْيَاهُ سَالِمًا ، وَعَلَى عَدْلِ الْبَرِّيَّةِ عَازِمًا ، وَبِالْمَعْرُوفِ أَمْرًا وَإِلَيْهِ صَائِرًا ، وَفِي الْأَحْوَالِ شَاكِرًا ، وَلِلَّهِ فِي الْغُدُوِّ وَالرَّوْحِ ذَاكِرًا ، وَلِنَفْسِهِ بِالْمَصَالِحِ قَاهِرًا ، فَاقَ أَصْحَابَهُ وَرَعًا وَكِفَافًا وَزُهْدًا وَعِفَافًا وَبِرًّا وَحِيَاظَةً وَزُهَادَةً وَكِفَاءَةً ، فَأَعَقَبَ اللَّهُ مِنْ تَلْبِهِ ^(٤) اللَّعَائِنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

قَالَ مُعَاوِيَةُ : فَمَا تَقُولُ فِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؟

قَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَفْصٍ ، كَانَ - وَاللَّهِ - حَلِيفَ الْإِسْلَامِ ، وَمَأْوَى الْأَيْتَامِ ، وَمَحَلَّ الْإِيمَانِ ، وَمَعَادَ الضُّعْفَاءِ ، وَمَعْقَلَ الْحُنَفَاءِ ، لِلْخَلْقِ حِصْنًا ، وَلِلنَّاسِ عَوْنًا ، قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ الدِّينَ وَفَتَحَ الدِّيَارَ ، وَذَكَرَ اللَّهُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْمَنَاهِلِ وَعَلَى التَّلَالِ وَفِي الضُّوَاحِي وَالْبِقَاعِ ، وَكَانَ عِنْدَ الْخَنَى ^(٥) وَقُورًا ، وَفِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ شَكُورًا ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ذُكُورًا ، فَأَعَقَبَ اللَّهُ مَنْ يُبَغِضُهُ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الْحَسْرَةِ) .

(١) وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (الاسْتِيعَابِ) عَنِ الْحَرَمَازِيِّ عَنِ ضِرَارِ الصَّدَائِقِ ، بِمَعْنَاهُ .

(٢) أَي : يَعْجَزُ عَنْ جَوَابِهَا .

(٣) حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ .

(٤) الْخَنَى : الْفَحْشَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ .

(٥) الْمَعْنَى : أَي فَصَّبَ اللَّهُ اللَّعَائِنَ عَلَى مَنْ أَلْحَقَ بِهِ النَّيْبَ وَالسُّوَى .

قال معاوية : فما تقول في عثمان بن عفان ؟

قال : (رَحِمَ اللهُ أبا عمرو ، كان - والله - أَكْرَمَ الحَفَدَةِ ، وَأَوْصَلَ البَرَّةَ ، وَأَصْبَرَ الغَزَاةَ ، هَجَّاداً بِالأَسْحَارِ ، كَثِيرَ الدَّمُوعِ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ ، دَائِمَ الفِكْرِ فِيمَا يَعبُودُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ ، نَاهِضاً إِلَى كُلِّ مَكْرَمَةٍ ، يَسْعَى إِلَى كُلِّ مُنْجِيَةٍ ، فَرَاراً مِنْ كُلِّ مُوبِقَةٍ ، وَصاحِبَ الجَيْشِ والبَيْتِ^(١) ، وَخَتَنَ^(٢) المُصْطَفَى عَلَى ابْنَتَيْهِ ، فَأَعْقَبَ اللهُ مَنْ سَبَّهُ النَّدَامَةَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) .

قال معاوية : فما تقول في علي بن أبي طالب ؟

قال : (رَحِمَ اللهُ أبا الحَسَنِ ، كان - والله - عِلْمَ الهُدَى ، وَكُهْفَ التَّقَى ، وَمَحَلَّ الجِحَى^(٣) ، وَطُودَ البِهَاءِ^(٤) ، وَنُورَ السُّرَى^(٥) فِي ظُلَمِ الدُّجَى ، دَاعِياً إِلَى المَحَجَّةِ العُظْمَى ، عالِماً بِمَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى ، وَقائِماً بِالتَّأْوِيلِ وَالدُّكْرَى ، مُتَعَلِّقاً بِأَسْبَابِ الهُدَى ، تَارِكاً لِلجُورِ والأَذَى ، وَحائِداً عَنِ طُرُقَاتِ الرَّدَى ، وَخَيْرَ مَنْ آمَنَ وَاتَّقَى ، وَسَيِّدَ مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدَى ، وَأَفْضَلَ مَنْ حَجَّ وَسَعَى ، وَأَسْمَحَ مَنْ عَدَلَ وَسَوَى ، وَأَخْطَبَ أَهْلَ الدُّنْيَا إِلاَّ الأَنْبِيَاءَ وَالنَّبِيَّ المُصْطَفَى ، وَصاحِبَ القِبْلَتَيْنِ ، فَهَلْ يُوازِيهِ مُوحِّداً ؟ وَأَنَّهُ زَوْجُ خَيْرِ النِّسَاءِ ، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ ، لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلَا تَرَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَالتَّلَاقِ ، مَنْ لَعَنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالعِبَادِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) .

قال : فما تقول في طلحة والزبير ؟

قال : رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا ، كانا - والله - عَفِيفَيْنِ ، بَرِّينِ ، مُسْلِمَيْنِ ، طَاهِرَيْنِ ، مُتَطَهِّرَيْنِ ، شَهِيدَيْنِ ، عالِمَيْنِ ، زَلَّ زَلَّةً ، وَاللهُ غافِرٌ لهُمَا إِنْ شاءَ اللهُ بِالنُّصْرَةِ القَدِيمَةِ وَالصُّحْبَةِ القَدِيمَةِ وَالأَفْعَالِ الجَمِيلَةِ) .

قال معاوية : فما تقول في العباس ؟

قال : (رَحِمَ اللهُ أبا الفضل ، كان - والله - صِنُوَ أَبِي رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَوَقْرَةَ عَيْنِ صَفِيِّ اللهِ ، كَهْفَ الأَقْوَامِ^(٦) ، وَسَيِّدَ الأَعْمَامِ ، وَقَدْ عَلَا بِصِرَاً بِالأُمُورِ وَنَظَرًا

(١) البئر : هي بئر رومة ، وكان سيدنا عثمان قد اشتراها من يهودي وجعلها للمسلمين ؛ كما أنه ﷺ هو مَجْهَرُ جَيْشِ العُسْرَةِ .

(٢) الختن : الصَّهْرُ (زَوْجُ البِنْتِ أَوْ الأَخْتِ) .

(٣) الجحى : العَقْلُ .

(٤) البهاء : الحُسْنُ وَالتَّزْهِيفُ .

(٥) السُّرَى : السُّبُرُ لَيْلاً .

(٦) أي : مِثْلَ عَبيدِ اللهِ وَالِدِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

بِالْعَوَاقِبِ ، قَدْ زَانَهُ عِلْمٌ ، قَدْ تَلَاشَتْ الْأَحْسَابُ عِنْدَ ذِكْرِ فَضِيلَتِهِ ، وَتَبَاعَدَتْ
الْأَسْبَابُ عِنْدَ فَخْرِ عَشِيرَتِهِ ، وَلَمْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ ! وَقَدْ سَاسَهُ ^(١) أَكْرَمُ مَنْ دَبَّ وَهَبَّ
عَبْدُ الْمُطَلِّبِ ، أَفْخَرُ مَنْ مَشَى مِنْ قُرَيْشٍ وَرَكِبَ) .

● فَهَذَا مِنْ بَعْضِ مَا نُقِلَ عَنْ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْهُ طَرَفًا ، وَمَا قَصَدْتُ
بِهِ سِرْفًا ، وَإِنَّمَا نَبَّهْتُ بِالشَّهِيرِ عَلَى الْخَفِيِّ ، وَبِالْقَلِيلِ الْجَلِيِّ عَلَى الْكَثِيرِ الْخَفِيِّ ؛
لِتَكُونَ فِي سَمَاءِ الْمَعَارِفِ نُجُومًا ، وَلِلشَّيَاطِينِ الْمُنْكَرِينَ قَدْ أُعِدَّتْ رُجُومًا ، فَإِنَّ
اللَّمْحَةَ مِنْ ذَلِكَ تُثَبِّتُ أَفْتَدَةَ ذَوِي الْأَبَابِ ، وَاللَّمْعَةَ مِنْهُ نُورٌ كُلُّ بَصِيرَةٍ مَعْصُومَةٍ
مِنَ الْغِشَاوَةِ وَالْحِجَابِ ؛ لِيَزْدَادَ قُوَّةً عَلَى قُوَّةِ يَقِينِ الصَّالِحِينَ ، الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ
بَعْدِهِمْ قَائِلِينَ :

﴿ رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَإِلِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) .



(١) سَاسَهُ : أَي رَيَّاهُ وَتَمَهَّدَهُ .

(٢) سُورَةُ الْحَشْرِ : الْآيَةُ ١٠ .

الأسباب المهمة التي أرساها الصحابة للإنسانية سعادة وقمة العلم والتعليم

كانت العرب أمة أمية لا تشغل نفسها بالعلم . فلما أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق حصّ كثيراً على فضل العلم والتعليم والتعلم : قال تعالى في فضل العلم :

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(١) .

وقال سبحانه : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

وقال ﷺ : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِلَيْهِمُ رُشْدُهُ)^(٣) .

وقال ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء) .

ومما قاله سبحانه وتعالى في فضل التعلم :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾^(٤) .

وقال : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

وقال ﷺ : ترغيباً في التعلم :

(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ)^(٦) .

(بَابُ مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) .

ومما جاء في فضل التعليم :

قوله تعالى : ﴿ وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(٧) .

فجعل سبحانه ثمرة العلم التعليم .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾^(٨) .

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه معلماً لأهل اليمن :

(٢) سورة الزمر : من الآية ٩ .

(٤) سورة التوبة : من الآية ١٢٢ .

(٦) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي .

(٨) سورة آل عمران : من الآية ١٨٧ .

(١) سورة المجادلة : من الآية ١١ .

(٢) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، وابن ماجه ، والدارمي .

(٥) سورة الأنبياء : من الآية ٧ .

(٧) سورة التوبة : من الآية ١٢٢ .

(لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) (١)

وقال ﷺ : (نِعَمَ الْعَطِيَّةُ نِعَمَ الْهَدِيَّةِ كَلِمَةٌ حَكْمَةٌ تَسْمَعُهَا فَتَطْوِي عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَحْمِلُهَا إِلَى أَخٍ مُسْلِمٍ تُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا تَعْدِلُ عِبَادَةَ سَنَةٍ) .

وقال ﷺ : (مِثْلُ مَا بَعَثَنِي بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، مِنْهَا نَقِيهٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِيحَانُ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً) (٢)

الأولُ مِثْلٌ لِلْمُنْتَفِعِ بِعِلْمِهِ ، وَالثَّانِي مِثْلٌ لِلنَّافِعِ بِعِلْمِهِ ، وَالثَّلَاثُ مِثْلٌ لِلْمَحْرُومِ مِنْهُمَا . فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ حَاضَةً لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ وَتَعَلُّمِهِ .

وَالْعِلْمُ الَّذِي حَضَّ الشَّرْعُ عَلَى تَعْلُمِهِ هُوَ الَّذِي يُوصِلُ الْإِنْسَانَ إِلَى سَعَادَتِهِ الْآخِرِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ؛ وَهَذِهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالَّتِي كَانَتْ تُعَلَّمُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ :

القرآن

كَانَ أَفْضَلُ مَا يَتَعَلَّمُهُ الْمُتَعَلِّمُونَ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَمَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْإِنْسَانُ كَانَ مُقَدِّدًا فِي إِيمَانِهِ ، وَهَذَا نَقْصٌ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ الْإِتِّصَافُ بِهِ ، وَلَا تَعْنِي بِتَعْلُمِهِ حِفْظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، لِأَنَّ هَذَا لَا يَتَيَسَّرُ لِلْكَثِيرِ مِنْ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ ، بَلْ نَقْصِدُ قِرَاءَتَهُ بِتَدْبِيرٍ وَتَفْهَمٍ ، لِيَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَوَامِرَهُ وَزَوَاجِرَهُ ، فَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ .

وَكَانَ الْقُرْآنُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَحْفُوظًا فِي صُدُورِ الْحُقَاطِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُجْمَعًا فِي مِصْحَفٍ ، فَلَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْ حُقَاطِ الْقُرْآنِ فِي وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ ؛ أَشَارَ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ فِي مِصْحَفٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ .

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ؛ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِذَلِكَ ، فَدَبَّ لِهَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ كَاتِبٌ وَحْيِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحَدَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي عَهْدِهِ ﷺ ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ
الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

فَلَمْ يَزَلْ بِهِ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ
وَعُمَرَ ﷺ ، فَقَامَ ﷺ بِهَذَا الْعَمَلِ خَيْرَ قِيَامٍ ، وَجَمَعَهُ مِنَ الْعُسْبِ (١) وَاللِّخَافِ
وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، وَرَتَبَهُ كَمَا كَانَ مُرْتَبًا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمَّا كَانَ يَكْتُبُ
سُورَةَ التَّوْبَةِ : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُمْ مِنْ
أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) ، وَأَتَىٰ عَلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ظَنُّهَا آخِرُ السُّورَةِ ، فَجَاءَهُ
(خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ) (٣) ﷺ وَقَالَ : لَقَدْ أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بَعْدَهَا :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤) .

فَكَتَبَهَا وَحَقَّقَ اللَّهُ بِعَمَلِ (أَبِي بَكْرٍ) مَا قَالَهُ فِي سُورَةِ الْحَجْرِ :
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٥) .

فَلَمَّا كَانَ فِي مُدَّةِ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ ، وَتَفَرَّقَ الْقُرَاءُ فِي الْأَمْصَارِ
كَانَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي الْإِقْرَاءِ اخْتِلَافُ الْأَفَاطِ لِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ ، فَرَأَى سَيِّدُنَا
حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ (٦) ﷺ أَنَّ اخْتِلَافًا كَهَذَا بَيْنَ الْأُمَّةِ يُؤَدِّي إِلَى شِقَاقٍ وَفَسَادٍ ، وَحَذَرَ

(١) الْعُسْبُ : مُفْرَدُهَا عُسْبٌ وَهُوَ جَرِيدَةُ النَّخْلِ الْمُسْتَقِيمَةُ يُكْشَطُ خُوصُهَا . (٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٧ .

(٣) الصَّحَابِيُّ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْفَاكِهِ الْغَطَمِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، أَبُو عُمَارَةَ ، حَمَلَ رَايَةَ بَنِي خَطْمَةَ مِنَ الْأَوْسِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، جَمَلَ النَّبِيِّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا ، وَعَاشَ إِلَى خِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ .

(٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الْآيَتَانِ ١٢٨ ، ١٢٩ . (٥) سُورَةُ الْحَجْرِ : الْآيَةُ ٩ .

(٦) الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمِمَّا يُؤْتَرُ عَنْهُ قَوْلُهُ : إِنْ الْفِتْنَةُ تُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ فَأَيُّ قَلْبٍ نَكَتَ فِيهِ نَكَتَةُ سُوءَاءٍ فَإِنْ أَنْكَرَهَا نَكَتَ فِيهِ نَكَتَةُ بَيِّضَاءٍ .

سَيِّدَنَا عُثْمَانَ مِنْ سُوءِ الْعُقْبَى ، فَقَرَّرَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ أَنْ يَجْمَعَ الْأُمَّةَ عَلَى مُصْحَفٍ
وَاحِدٍ يُكْتَبُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ ، فَجَمَعَ سِتَّةَ مِنْ كِبَارِ الْقُرَاءِ فِيهِمْ (زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ) ،
وَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاكْتُبُوهُ بِلسَانِ قُرَيْشٍ .
فَكَتَبُوا عِدَّةَ مُصَاحِفٍ سَيَّرَهَا إِلَى الْأَمْصَارِ ، وَأَبْقَى وَاحِدًا عِنْدَهُ ، وَهَذَا الْمُصْحَفُ
هُوَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ ، وَهُوَ الَّذِي أَقْرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ ، فَجَزَى اللَّهُ
أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْفَضْلِ وَالنُّهَى أَفْضَلَ مَا جَازَى هُدَاةَ قَوْمٍ عَنْ أُمَّتِهِمْ ؛
فَقَدْ تَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلُ رَبِّهِمْ : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ ^(١) ،
وَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ عَطَاءِ اللَّهِ ؛ إِذْ يَقُولُ فِي حِكْمَتِهِ : إِذَا أَرَادَ أَنْ يُظَهَرَ فَضْلُهُ عَلَيْكَ
خَلَقَ وَنَسَبَ إِلَيْكَ .

السُّنَّةُ

السُّنَّةُ وَنَعْنِي بِهَا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الدِّينِ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(٢) .
وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ^(٣) .
وَكَانَتْ مَحْفُوظَةً فِي صُدُورِ رُوَاتِهَا ، وَكَانُوا يُعَلِّمُونَهَا أَوْلَادَهُمْ وَخُصُوصًا مَا يَتَعَلَّقُ
مِنْهَا بِالْمَغَازِي ، يَقُولُونَ : (تَعَلَّمُوا مَجْدَ آبَائِكُمْ) ؛ وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ
التَّعْلِيمِ لِلنَّاسِ ، فَإِنَّهُ يَبُتُّ فِي قَلْبِهِ الْحَمِيَّةُ ، فَيَسِبُّ وَلَا شَيْءَ أَحْلَى عِنْدَهُ مِنْ
اِكْتِسَابِ مَجْدٍ يُعْلِي قَدْرَهُ وَيَرْفَعُ ذِكْرَهُ .
وَلَمْ تُدَوَّنِ الْأَحَادِيثُ فِي الْكُتُبِ حَتَّى زَمَنَ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ .

الفقه

كَانَ الْفِقْهُ فِي عَهْدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرَادًا بِهِ كَمَا قَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ
الغزالي : عِلْمُ طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَمَعْرِفَةُ دَقَائِقِ آفَاتِ النُّفُوسِ وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ ،
وَقُوَّةُ الْإِحَاطَةِ بِحَقَارَةِ الدُّنْيَا ، وَشِدَّةُ التَّطَلُّعِ إِلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَاسْتِيْلَاءُ الْخَوْفِ

(٢) سُورَةُ الْحَشْرِ : مِنَ الْآيَةِ ٧ .

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : الْآيَةُ ٤٧ .

(٣) سُورَةُ النَّجْمِ : الْآيَةُ ٣ .

عَلَى الْقَلْبِ ، يَدُلُّكَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ^(١) .

وما يَحْصُلُ بِهِ الْإِنذَارُ وَالتَّخْوِيفُ هُوَ هَذَا ..

وقال تعالى : ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ ^(٢) ، والمُرَادُ بِهِ مَعَانِي الْإِيمَانِ .

وقال ﷺ : (أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِالنَّفِيِّهِ كُلِّ النَّفِيِّهِ ، قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْمِنَهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً إِلَى مَا سِوَاهُ) .

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي وَفَدَ عَلَيْهِ فَأَمَّنَ بِهِ وَعَلَّمَ أَرْكَانَ الدِّينِ ، وَسَلَّمْ بِذَلِكَ تَسْلِيمًا خَالِصًا مِنْ شَائِبَةِ نِضَاقٍ أَوْ رِيَاءٍ : (فَفَقَهُ الرَّجُلُ) ، وَهُوَ لَمْ يَعْلَمْ بَعْدُ إِلَّا الْأُمَمَاتِ الدِّينِ .

أَمَّا الْمَسَائِلُ الَّتِي اصْطَلَحَ عَلَى تَسْمِيَّتِهَا بِالْفِقْهِ فِي الْعَصْرِ الَّذِي بَعْدَهُمْ فَكَانَتْ تَأْتِي أَحْكَامَهَا حَسَبَ وَقَائِعِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ تَجَرَّدَ لِاخْتِرَاعِ الْمَسَائِلِ وَالْإِجَابَةِ عَلَيْهَا ^(٣) .

التَّوْحِيدُ

كَانَ التَّوْحِيدُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةً عَنْ أَنْ يَرَى الْمُؤَحِّدُ الْأُمُورَ كُلَّهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا الْأَسْبَابُ وَالْوَسَائِلُ إِلَّا مَظَاهِرَ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْإِنْسَانِ .

وَكَانُوا ﷺ يَكْتَفُونَ فِي الْأَسْتِدْلَالِ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَبِمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ ، إِذْ كَانُوا عَلَى الْفِطْرَةِ لَمْ تَشَبْ قُلُوبُهُمْ شَوَائِبُ الشُّكِّ وَالْارْتِيَابِ ، فَكَانُوا بَعِيدِينَ عَنْ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ ، وَمَعْرِفَةِ طُرُقِ الْمُجَادَلَةِ ، وَالْإِحَاطَةِ بِطُرُقِ مُنَاقِضَاتِ الْخُصُومِ ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى التَّشَدُّقِ فِيهَا بِتَكْثِيرِ الْأَسْئَلَةِ وَإِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ (الْأُمُورُ الَّتِي جُعِلَتْ بَعْدَهُمْ مَوْضُوعًا لِلتَّوْحِيدِ) .
كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ ذَلِكَ بِنَصْرِ دِينِ اللَّهِ ، وَالْاجْتِهَادِ فِي تَعْمِيمِهِ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ .

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٢ .

(٢) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : مِنَ الْآيَةِ ١٧٩ .

(٣) إِخْبَاءُ عُلُومِ الدِّينِ ، أَبُو حَامِدٍ الْفَرَّالِيُّ .

الْحِكْمَةُ

أَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي أَنْتَى عَلَيْهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) وَالَّتِي أَنْتَى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ (كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُهَا الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) ، وَالَّتِي حَضَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْبَحْثِ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ : (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَنْشُدُهَا أَنَّى وَجَدَهَا) :
فَقَدْ كَانَتْ مُنْتَشِرَةً بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، وَوَرَدَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ حِكْمٌ لَا يُحْصِيهَا الْعَدُّ ؛
تُهَدِّبُ النَّفْسَ ، وَتُحْيِي الْقَلْبَ ، وَتُنِيرُ الطَّرِيقَ .

الْكِتَابَةُ

كَانَتْ الْكِتَابَةُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ قَلِيلَةً جِدًّا لِأُمَّيَّةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنَّهَا أَخَذَتْ فِي الْأَنْتِشَارِ حِينَمَا حَضَّ عَلَى تَعَلُّمِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .
وَكَانَ ابْتِدَاءُ شُيُوعِهَا لَمَّا جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِدَاءَ بَعْضِ الْأَسْرَى فِي بَدْرِ أَنْ يُعَلِّمَ عَشْرَةَ مِنْ صِبْيَانِ الْمَدِينَةِ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ .
وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُتَابٌ كَثِيرٌ لِكِتَابَةِ الْوَحْيِ وَالْمُرَاسَلَاتِ ؛ أَشْهَرُهُمْ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَغَيْرُهُمْ ﷺ ، وَفِي مَدَّةِ الشَّيْخَيْنِ شَاعَتْ الْكِتَابَةُ أَكْثَرَ .

لُغَاتُ الْأَعَاجِمِ (اللُّغَاتُ غَيْرُ الْعَرَبِيَّةِ)

أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعِبْرَانِيَّةَ لُغَةَ الْيَهُودِ لِيَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَلِيَكْتُبَ لَهُمْ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا يُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَهُ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ يَعْرِفُ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ مَتَى كَانَ هُنَاكَ اِحْتِيَاجٌ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي الصَّحَابَةِ كَثِيرٌ مِمَّنْ عَرَفَ لُغَةَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ .

الطُّبُّ

كَانَ الطُّبُّ مُشْتَهَرًا بَيْنَ الْعَرَبِ ، وَلَهُ قَوْمٌ مَخْصُوصُونَ اتَّخَذُوهُ حِرْفَةً ، مِنْ أَشْهَرِهِمْ :

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٦٩ .

الحارث بن كلدة^(١) ، وقد انتدبه رسول الله ﷺ ليدواي مريضاً ألم بـ (سعد بن أبي وقاص) ، وبعث رسول الله ﷺ طبيباً إلى (أبي بن كعب) ، فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه^(٢) .

ورسول الله ﷺ أحاديث في الحث على تعلم الطب ، منها :
(لكل داءٍ دواءٌ فإذا أصيب دواءُ الداءِ برئ يَأْذِنُ اللهُ تَعَالَى)^(٣) .
وفي هذا الحديث حث على معرفة طبائع العقاقير وتشخيص الداء ، حتى يجعل لكل داءٍ دواؤه .

وورد عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث في الطب ، منها :
(الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء)^(٤) .
ومنها أو هو أضر : (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وأصل كل داء البردة) .
ويحضرني هنا ما ذكره الإمام (الفزالي) في (إحياء علوم الدين) تنديداً بطلاب العلم الذين جعلوا دأبهم الاشتغال بفروع الفقه الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج لشيء منها ، ويهملون ما عدا ذلك من الكفايات ، قال رحمه الله :
(فكَمَ مِنْ بَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ طَبِيبٌ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَلَا يَجُوزُ قَبُولُ شَهَادَتِهِمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَطْبَاءِ مِنْ أَحْكَامِ الْفِقْهِ ، ثُمَّ لَا نَرَى أَحَدًا يَشْتَغِلُ بِهِ ، وَيَتَهَاتَرُونَ عَلَى عِلْمِ الْفِقْهِ لِاسِيْمَا الْخِلَافِيَّاتِ وَالْجَدَلِيَّاتِ ، وَالْبَلَدُ مَشْحُونٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ بِمَنْ يَشْتَغِلُ بِالْفَتَوَى وَالْجَوَابِ عَنِ الْوَقَائِعِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي ! كَيْفَ يُرَخِّصُ فُقَهَاءُ الدِّينِ فِي الْأَشْتِغَالِ بِفَرْضِ كِفَايَةِ قَدْ قَامَ بِهِ جَمَاعَةٌ ، وَإِهْمَالِ مَا لَا قَائِمَ بِهِ ؟ هَلْ لِهَذَا مِنْ سَبَبٍ إِلَّا أَنَّ الطَّبَّ لَيْسَ يَتَيَسَّرُ بِهِ الْوُصُولُ إِلَى تَوْلِي الْأَوْقَافِ وَالْوَصَايَا وَحِيَازَةِ مَالِ الْأَيْتَامِ ، وَتَقْلُدِ الْقَضَاءِ ، وَالْحُكُومَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ عَلَى الْأَقْرَانِ ، وَالتَّسَلُّطِ بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ؟) .

(١) الحارث بن كلدة الثقفي : طبيب العرب في عصره . وأخذ الحكماء المشهورين من أهل الملائب ، رحل إلى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن أهلها ، اختلفوا في إسلامه ، وكان النبي ﷺ يأمر من به علة أن يأتيه فيتعطب عنده .

(٢) رواه مسلم بسنده .

(٣) أخرجه مسلم في السلام : باب لكل داءٍ دواءٌ واستجاب التداوي ، وأخرجه أحمد ، والحاكم ، والبيهقي ، والنسائي .

(٤) صحيح البخاري ، ومسلم .

وَنَحْمَدُ اللَّهَ أَنْ أَوْجَدَ مِنْ غَيْرِ الْفُقَهَاءِ مَنْ يَسُدُّ هَذِهِ الثَّلَمَةَ فِي الْأُمَّةِ ، فَقَامَ بِتَعَلُّمِ الطَّبِّ وَإِفَادَةِ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ لَمْ تَكُنْ تَخْلُو مِنْ قَائِمٍ بِالْكَفَايَاتِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْعِمَارِ وَالتَّقَدُّمِ وَالْأَزْدِهَارِ كَالْحِسَابِ أَوْ الْهَنْدَسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

الآدابُ (الثقافةُ الإسلاميةُ الحقَّةُ)

وهو ما يتعلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِبَعْضِهِمْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ؛ إِذْ هَذَا هُوَ الَّذِي تَدَوَّرَ عَلَيْهِ سَعَادَةُ الْأُمَّةِ وَشَقَاوَتُهَا ، وَبِهِ عِزُّهَا وَذُلُّهَا ، وَهَذَا أَسُّ الدِّينِ وَأَسَاسُ صِحَّةِ الْجَمَاعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْ هُنَا أَدْعُو مَنْ يَنْضَوُونَ تَحْتَ شِعَارِ التَّمِيمَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ لِلإِطْلَاعِ كَيْفَ صَانَ الْإِسْلَامُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا حُقُوقَ وَرُقِيَّ الْإِنْسَانِ ؛ وَهَاكَ هُوَ الْبَيَانُ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾^(١) ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(٢) .

فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَاخِينَ فِي اللَّهِ مُتَحَابِّينَ ، وَكَانَتِ الْأَخُوَّةُ بَيْنَهُمْ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا ؛ وَهُوَ الْإِيثَارُ عَلَى النَّفْسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْأَنْصَارِ :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾^(٣) .

فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ :

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(٤) .

فَلَا يَغِشُّهُ لَثَلًا يَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِهِ ﷺ : (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا)^(٥) .

وَلَا يَكْذِبُ عَلَيْهِ إِذَا حَدَّثَهُ ، وَلَا يُخْلِفُهُ إِذَا وَعَدَهُ ، وَلَا يَخُونُهُ إِذَا ائْتَمَنَهُ لِثَلَا يَكُونَ مُنَافِقًا ، قَالَ ﷺ : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)^(٦) .

(٢) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ : مِنَ الْآيَةِ ١٠ .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ١٠٣ .

(٣) سُورَةُ الْحَشْرِ : مِنَ الْآيَةِ ٩ .

(٤) صَحِيحٌ : أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَالدَّارِمِيُّ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ ، وَأَبُو عَوَانَةَ ، وَالتَّبَّوِيُّ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

(٦) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٌ .

وفى حديث آخر : (أَرَبُّ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَّعِيَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (١) .

وَلَا يَقْصِرُ فِي مُعَاوَنَتِهِ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢) .
 وَلَا يَسْخَرُ مِنْهُ ، وَلَا يَلْمِزُهُ ، وَلَا يَنَابِزُهُ بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يَظُنُّ بِهِ الظُّنُونِ ، وَلَا يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَغْتَابُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الِلسْفُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

وَقَالَ ﷺ : (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (٤) .

وَقَالَ ﷺ : (لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَىٰ هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَعَرَضُهُ ، وَمَالُهُ) .

وَقَالَ ﷺ : (لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا تَقَاطَعُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (٥) .

وَقَالَ ﷺ : (لَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ أَنْ يَهْجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةٍ) (٦) .

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخاري ومسلم) .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود .

(٤) سورة الحجرات : ١١ ، ١٢ .

(٥) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو نعيم في الحلية ، والترمذي .

(٦) أخرجه البخاري ، ومسلم ، والطبراني ، والإمام مالك في (الموطأ) .

وَلَا يَنْمُ عَلَيْهِ لَيْلًا يُحْرَمَ الْجَنَّةَ ؛ قَالَ ﷺ : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ) .

وَلَا يَسْبُهُ لَيْلًا يَفْسُقُ ، قَالَ ﷺ : (سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ) (١) .

وَلَا يُجْرَدُ فِي وَجْهِهِ سَيْفًا لَيْلًا تَكُونُ عَاقِبَتُهُ النَّارُ ؛ قَالَ ﷺ :

(إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) ،

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بِالْمَقْتُولِ ؟

قَالَ ﷺ : (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ) (٢) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

وَلَا يَتَرَفَعُ عَلَيْهِ لِبُضْعَةٍ فِي نَسَبِهِ أَوْ قِلَّةٍ فِي مَالِهِ ، قَالَ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ :

(أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّكُمْ لِأَدَمَ ، وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا

بِالتَّقْوَى ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ) .

وَلَا يُعَامِلُهُ بِالرَّبِّبَا .. كَيْفَ وَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ ، فَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا

فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ

فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو

(١) صَحِيحٌ : أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَالْبَيْهَقِيُّ ، وَأَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَأَحْمَدُ ، وَالمَطَالِيسِيُّ .

(٣) سُورَةُ النِّسَاءِ : الْآيَةُ ٩٣ .

عُسْرَةَ فَنظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾
وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

فَلْيَتَذَكَّرْ هَذَا النَّهْيُ أَوْلُو النَّهْيِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَعْرِفُوا كَيْفَ آتَتْ حَالَهُمْ إِلَى مَا هِيَ
عَلَيْهِ الْآنَ .

وكانَ الْمُسْلِمُ يَرَى أَنَّ مِنْ دِينِهِ نَصِيحَةَ أَخِيهِ ، قَالَ ﷺ :
(الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قِيلَ : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ
وَعَامَّتِهِمْ) (٢) .

وَيَمْنَعُ عَنْهُ أذى يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :
(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى
اللَّهُ عَنْهُ) (٣) .

وكانَ الْحَيَاءُ مِنْ شِعَارِهِمْ ﷺ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
(الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ) (٤) .

يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ وَيُقَرَّبُونَ السَّلَامَ ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ سُئِلَ أَيُّ
الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ :
(تَطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) (٥) .

يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَكْثَرَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، قَالَ ﷺ :
(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا
سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ
أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ) (٦) .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَيْسَتْ شَقْشَقَةَ اللِّسَانِ ، إِنَّمَا هِيَ الطَّاعَةُ فِي الْأَقْوَالِ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالطَّبْرَانِيُّ .

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَاتُ ٢٧٥-٢٨١ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ مَاجَهَ .

(٦) صَحِيحٌ : الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ .

(٥) صَحِيحٌ : الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ .

وَالْأَفْعَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

وَأَدَابُ الْإِسْلَامِ الَّتِي كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ، لَا نَمَلُ مِنْ أَنْ نَذْكَرَ بَعْضاً مِنْهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ لِلْإِنْسَانِ وَاِعْظَافاً وَمِنَ الْمَفَاتِيحِ حَافِظاً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢)

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٣)

وَقَالَ عَزَّ شَانُهُ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٤)

وَقَالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٥)

وَقَالَ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴾ (٦)

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَنْفِيذُهُ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ١٧٧ .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢١٥ .

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢٧٧ .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الْآيَةُ ٢١ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٩٠ .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢٧٦ .

● وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾

وقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا وِبِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ ﴿٢﴾

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣﴾
وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ﴿٤﴾

وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ﴿٥﴾

وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَئِكَ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ● وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ● وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٦﴾

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ● وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الْآيَاتِ ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢) سُورَةُ النَّسَاءِ : الْآيَةُ ٣٦ .
(٣) سُورَةُ النَّسَاءِ : الْآيَةُ ٥٨ .
(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١ .
(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٨ .
(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : الْآيَاتِ ١٥١ - ١٥٣ .

كَفِيلاً^ع إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾

وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٤﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ^ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٦﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٧﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٨﴾ إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ^ط نَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْفًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ^ط إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿١٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ^ع وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿١٣﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ^ع ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٤﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ^ط إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٦﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٧﴾

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأَوْلَتْكَ هُمُ الْعَادُونَ ● وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْسِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ● وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ● أَوْلَتْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ●
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾

وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ● وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي
عَامٍ إِنْ أَشْكُرَّ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ● وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ
مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ● يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ
تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ● يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ● وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ● وَأَقْصِدْ
فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢﴾

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ● وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ﴾ ﴿٣﴾

هذا ولو أردنا استقصاء الآداب الإسلامية التي بها دوام عطاء الخيرية الإنسانية
والتي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة لاحتجنا إلى مجلدات ضخمة ،
ولكننا أردنا بما ذكرنا أمرين :

الأول : أننا ذكرنا لك أمهات الفضائل التي كان المسلمون في العصر الأول
متحلقين بها .

الثاني : أننا لفتنا نظرك أيها الإنسان المسلم لمذاكرة القرآن لتعرف ما احتوى
عليه من الآداب والحكم ، فتقف عند ما حده لك ، ومذاكرة السنة المطهرة

(٢) سورة لقمان : الآيات ١٢-١٩ .

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١-١١ .

(٣) سورة الزلزلة : الآيات ٧ ، ٨ .

الهادية ، ولا تكن ممن يضعها في بيته تبركاً بأوراقها ونقوشها ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم .

الزكاة

الزكاة : أحد أركان الإسلام ، وقد أمر الشرع بأخذها من الأغنياء وردّها على الفقراء .
والزكاة لغة : النماء والزيادة .

وشرعاً : هي عبادة مائية اجتماعية يقوم كل إنسان مسلم (ذكر أو أنثى ، صغير أو كبير) بإخراج حصّة مفروضة ومقدّرة من المال الزكوي .
وجعل لها الإسلام نصاباً معلوماً متى ملكه الإنسان حقّت عليه في الأموال ، والنعم (الإبل والبقر والغنم) ، وما يخرج من بركات الأرض وعروض التجارة .

ومن منعها قوتل عليها كما فعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه مع مانعي الزكاة .
ومصارفها مذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) .
والفقراء والمساكين : هم العاجزون عن إدراك حاجاتهم بأنفسهم .
والعاملون عليها : هم العمال الذين يعينهم الخليفة لقبضها .
والمؤلفة قلوبهم : من لم يسلموا وبتنظر إسلامهم إن أعطوا ، أو أسلموا وفي إسلامهم ضعف والعطاء يقويه ، وقد أعطى رسول الله صلّى الله عليه وآله القسامين بعد موقعة حنين .

والرقاب : الأرقاء أو الأسارى ، أو تشتري الرقاب فتعتق .
والغارمون : هم الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب .
وسبيل الله : الجهاد .

وإبن السبيل : المنقطع عن ماله .
ومن تأمل إلى نظام الزكاة وجدّه أبدع نظام لإصلاح الأمة والحكومة (وهذا ما

(١) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

شَهِدَ بِهِ الْوَاقِعُ الْمَلُوسُ مِنْ جَرَاءِ تَدَاعِيَاتِ الْأَزْمَةِ الْمَالِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ وَمَا جَرَّهُ مِنْ
وَبَالَ عَلَى عُمومِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَمَا سَلَّمَتْ قِيَادَهَا لِرُؤُوسِ الْمَأْسُونِيَّةِ .
فَالزَّكَاةُ شَيْءٌ لَا يَضُرُّ الْأَغْنِيَاءَ ، وَيَعُودُ بِالنَّفْعِ الْعَمِيمِ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، فَتَعْمُ
السَّعَادَةُ الْأُمَّةَ بِأَسْرَهَا فَلَا يَشْتغلُ أَفْرَادُهَا بِالْأَحْتِيَالِ لِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
سَلْبًا أَوْ سَرْقَةً ، وَلَا تَتَوَلَّدُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ ، فَيُتَمَنَّى هَذَا هَلَاكُ
ذَلِكَ ، وَتِعَسَتْ أُمَّةٌ بَيْنَ أَفْرَادِهَا عَدَاوَةٌ وَبَغْضَاءٌ .

القضاء

لَمَّا كَانَتْ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ وَجِبِلَّتُهُ لَا تَخْلُو مِنْ حُصُومَاتٍ وَنِزَاعَاتٍ فِيمَا يُمَارِسُهُ
الْإِنْسَانُ مِنْ سُلُوكِيَّاتٍ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ ؛ جَاءَ الْقَضَاءُ فِي الْإِسْلَامِ صِمَامَ أَمْنِ
الْإِنْسَانِ وَأَمَانِهِ ، وَضَمَانَ اسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَازْدِهَارِهَا .
وَنُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ شَاهِدًا بِذِكْرِ نَصِّ الْكِتَابِ الَّذِي بَعَثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ) رضي الله عنه إِلَى (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ) وَإِلَيْهِ عَلَى الْكُوفَةِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ^(١) ، سَلَامٌ
عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ :
فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فَافْهَمْ إِذَا أَدَلِّي إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكْلَمٌ
بِحَقِّ لَا نَفَادَ لَهُ .

أَسْ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا
يَبْأَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ ، الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَالصُّلْحُ
جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا ، لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتُهُ
بِالْأَمْسِ فَرَاجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهُدَيْتَ فِيهِ لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّ الْحَقَّ
قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا تَلْجَلِجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، ثُمَّ اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ

(١) وَهُوَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مِنْ بَنِي الْأَشْعَرِ مِنْ قَطَطَانَ ؛ صَحَابِيٌّ مِنَ الشُّجَرَانِ الْوَلَاءَةِ الْفَاتِحِينَ ، وَأَخَذَ الْحَكْمَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِيَ بِهِمَا الْإِمَامُ
عَلِيٌّ وَمَعَاوِيَةُ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّينَ ، وَكَانَ رضي الله عنه أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا فِي التَّلَاوَةِ وَفِي الْحَدِيثِ ؛ سَيِّدُ الْفَوَارِسِ أَبُو مُوسَى ، لَهُ (٢٥٥) حَدِيثًا) .

والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق .
 واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له
 بحق ، وإلا استحللت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك ، وأجلى للعمى .
 المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ،
 أو ظنياً في ولاء أو نسب ، فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان .
 وإياك والغلق والضحج والتأذي بالخصوم ، والتكبر عند الخصومات ، فإن الحق
 في مواطن الحق يُعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صححت نيته
 وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله
 أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه
 وخزائن رحمته .. والسلام عليك .

وكان الذين ينتخبون لمنصب القضاء في عصر الصحابة (عصر الأُسوة والقُدوة) :
 من كثرت صُحبتهم لرسول الله ﷺ ، فسَطَعَ عليهم نُورُهُ ؛ فَهَمُّ لِدَلِكِ يَقْدِرُونَ عَلَى
 اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ وَيَتَّبِعُونَ عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ جَوْرٍ وَرِشْوَةٍ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ^(١)

وقال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ ^(٢) .
 حتى كان القضاة يتباعدون عن قبول الهدايا وإجابة الدعوة إلى الولائم ، فكان
 القضاة إذ ذاك سُرجاً يهتدى بهم في الظلمات ، لا يريدون إلا الله بأعمالهم ، بعد
 أن قربت منهم الدنيا فابتعدوا عنها ، لعلمهم أنها ظلمات يوم القيامة .. فرضى
 الله عنهم أجمعين .

الفتيا

الفتيا في الإسلام كانت مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكان نور النبوة
 إذ ذاك ساطعاً على الأمة ، فبينهم كثير ممن روى الأحاديث وحفظها ، فمن مقلد

(٢) سُورَةُ النَّسَاءِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٩ .

(١) سُورَةُ النَّسَاءِ : مِنَ الْآيَةِ ٥٨ .

وَمِنْ مُكْثَرٍ : كَأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ،
 وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، وَغَيْرِهِمْ ﷺ .
 وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَدْنَى مَجَالٍ لِلْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ ﷺ : (مَنْ
 كَذَبَ عَلَيَّ عَامِداً مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) .
 فَكَانَ الدِّينُ خَالِياً مِنْ تِلْكَ الشَّائِبَةِ الَّتِي أَحَدَتْهَا خَلْفٌ مِنْ بَعْدِهِمْ .
 وَكَانَ الْخُلَفَاءُ يَسْتَفْتُونَ كِبَارَ الصَّحَابَةِ فِيمَا يَعْضُرُ لَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ ، فَقَدِ اسْتَفْتَى
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ ﷺ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُعْضَلَاتِ
 الْأُمُورِ ، وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ .
 وَلِخَطَرِ الْفُتْيَا كَانَ الْأَصْحَابُ يُحِيلُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ فِيهَا ، وَكَانَ الْمُتَصَدِّرُونَ لَهَا
 مِنْهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ سَبْعَةَ عَشَرَ صَحَابِيًّا ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَّبَعُونَ عَنْهَا خَوْفَ الْخَطَأِ
 فِي الْأَحْكَامِ .

الْحُدُودُ

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عِقَاباً لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُتَّبِعُ الْفَسَادَ فِي الْأُمَّةِ ، وَهَذَا الْعِقَابُ حَاسِمٌ
 وَكَفِيلٌ بَعْدَ التَّقْصِيرِ فِي الشَّرِّ فَضْلاً عَنْ مُمَارَسَةِ صُورِهِ مِنَ الْفَوْضَى وَالتَّدمِيرِ .
 إِنِّي أَدْعُو مَنْ يَنْظُرُ لَصِرَامَةِ هَذَا الْعِقَابِ وَقَسْوَتِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْعَمَلِ الْمَوْجِبِ
 لِهَذَا الْعِقَابِ وَفِدَاخَةِ أَثَرِهِ وَمَفْسَدَتِهِ ، وَالْعَاقِلُ الْمُتَدَبِّرُ يَتَيَقَّنُ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 بِقُدْرَتِهِ كَفِيلٌ بِتَشْرِيعِ مَا يُصْلِحُهُ وَيَحْفَظُ سَلَامَتَهُ .

وَالْحُدُودُ مُرْتَبَةٌ عَلَى الْجَنَايَاتِ السَّبْعِ وَهِيَ كَالآتِي :

(١) الرِّدَّةُ : وَهِيَ رُجُوعُ الْمُسْلِمِ الْعَاقِلِ الْبَالِغِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِذَا كَفَرَ بِاخْتِيَارِهِ مِنْ
 غَيْرِ أَنْ يُكْرِهَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ؛ وَهِيَ قَطْعُ الْإِسْلَامِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَاتَّفَقَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ
 بِحُجَّتِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَنَّ مَنْ ارْتَدَّ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ .
 (٢) الْبَغْيُ : وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ ، وَالْإِعْتِدَاءُ عَلَى النَّفْسِ أَوْ مُمْتَلَكَاتِ الْغَيْرِ بِدُونِ
 وَجْهِ حَقٍّ .

(٣) الزَّنا : وَهُوَ إِيلاجُ رَجُلٍ ذَكَرَهُ فِي فَرْجِ امْرَأَةٍ لَا يَمْلِكُهَا بِعَقْدٍ صَحِيحٍ .

وَحُكْمُهُ : إِنْ كَانَ أَعَزَبَ (أَيْ غَيْرَ مُتَزَوِّجٍ) يُجْلَدُ مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مُحْضَنًا (أَيْ مُتَزَوِّجًا) يُرْجَمُ إِلَى الْمَوْتِ .

لَأَنَّ الزَّانَةَ جِنَايَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ كُلِّهَا حَيْثُ يَخْتَلُ نِظَامُ الْبُيُوتِ ، فَيَخْرُجُ الْوَلَدُ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ يَهْدِيهِ وَيُرَبِّيهِ ، فَهُوَ وَالْحَالَةُ هَذِهِ أَشَدُّ خَطَرًا مِنْ جِنَايَةِ الْقَتْلِ .

(٤) الْقَذْفُ : وَهُوَ شَرْعًا الرَّمْيُ بِالزَّانَا ، وَهُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ الَّتِي حَذَرْنَا اللَّهُ مِنْهَا تَحْذِيرًا شَدِيدًا لِمَا فِيهَا مِنْ هَتِكٍ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَغَمَزٍ لِلْأَعْرَاضِ وَالْأَنْسَابِ ، وَحَدُّهُ : يَلْزَمُهُ الْجَلْدُ ثَمَانُونَ جَلْدَةً .

(٥) السَّرْفَةُ : فِي اللُّغَةِ أَخَذَ الشَّيْءَ خُفِيَةً سَوَاءً كَانَ هَذَا الشَّيْءُ مَالًا أَوْ غَيْرَهُ ، وَيُعْرِفُهَا الْفُقَهَاءُ : بِأَنَّهَا أَخَذَ الْمُكَلَّفُ مِنْ حِرْزِ غَيْرِهِ مَالًا بَلَغَ رُبْعَ دِينَارٍ خُفِيَةً . وَحَدُّهُ : قَطْعُ يَدِهِ الْيُمْنَى أَوَّلًا ، فَإِنْ سَرَقَ ثَانِيًا قُطِعَتْ رِجْلُهُ الْيُسْرَى ، فَإِنْ سَرَقَ ثَالِثًا فَأَكْثَرَ يُحْبَسُ عَلَى رَأْيِ أَحْمَدَ وَأَبِي حَنِيفَةَ .

(٦) قُطَاعُ الطَّرِيقِ : قَالَ الْأَئِمَّةُ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ فِي حَدِّهِمْ : هُوَ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُقْتَلُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٠ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ٥١ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٢ ﴾ (١) .

وَيُسَمَّى الْحَدُّ الْمَقَامُ عَلَيْهِمْ : (جَزَاءُ الْمُحَارِبِينَ) ، وَ (حَدُّ الْحِرَابَةِ) .

(٧) شُرْبُ الْخَمْرِ : وَهُوَ اسْمٌ لِكُلِّ مُسْكِرٍ أَيْ لِكُلِّ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ وَخَالَطَهُ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَ ، سَوَاءً كَانَ مِنْ عِنَبٍ أَوْ تَمْرٍ أَوْ ذُرَّةٍ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ عَسَلٍ أَوْ مَا اسْتَجَدَّ مِنْ أَنْوَاعٍ كَالْحَشِيشِ وَالْبَانْجُو وَالْعَقَاقِيرِ الْمَهْلُوسَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ) .

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : الْآيَاتَانِ ٢٢ ، ٢٤ .

وَحَدُّهُ : يُجَلِّدُ ثَمَانِينَ جُلْدَةً عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ ، وَأَرْبَعِينَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ .

هَذَا .. وَلَوْ كَانَ كِتَابُنَا هَذَا مِنْ مَوْضُوعِهِ التَّكْلُمُ فِي الْفُرُوعِ لاسْتَقْصَيْنَا أَحْكَامَ الشَّرْعِ فِي الْحُدُودِ وَالْجِنَايَاتِ ، وَلَكِنْ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمَسَائِلِ كِفَايَةً فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ نِظَامَ الشَّرْعِ أَرْقَى وَأَسْمَى مِمَّا يُبْتَدَعُ مِنَ النُّظَامَاتِ الَّتِي لَا تَلْبَثُ عَلَى حَالٍ ، بَلْ هِيَ كُلُّ يَوْمٍ فِي تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ ، وَلَا تُضِيفُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا مَزِيداً مِنَ الْإِبَادَةِ وَالتَّكْيِيلِ .

● وَالْخُلَاصَةُ : أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ صِحَّةُ الْأَجْسَامِ فِي قَلَّةِ الطَّعَامِ ، وَصِحَّةُ الْأَرْوَاحِ فِي قَلَّةِ الْآثَامِ ، فَإِنَّ صِحَّةَ وَصَفَاءَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ .



زوال الأرتياب

بِذِكْرِ ثَنَاءِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْقَرَابَةِ وَالْقَرَابَةِ عَلَى الصَّحَابَةِ

بِالْأَسَانِيدِ الْبَابِ

اعْلَمَ وَفَّقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِلصَّوَابِ ، وَمَنْحَنِي وَمَنْحَكَ الْجَنَّةَ فِي دَارِ الثَّوَابِ ، وَأَلْهَمَنِي
وَأَلْهَمَكَ السَّدَادَ ، وَسَرَّنِي وَسَرَّكَ لِلرِّشَادِ ، أَنْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
عُصْبَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَمَحَبَّةٌ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ثَابِتَةٌ رَاسِخَةٌ ، مُلْتَمِعِينَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى
تَعْظِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْمَسَائِلُ وَتَفَاوَتَتْ بِهِمُ الْمَنَازِلُ ، وَسَنَذْكُرُ
مِنْ قَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ فِي الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ وَقَوْلِ الشَّيْخَيْنِ فِي
عَلِيِّ ﷺ مَا يَدُلُّ النَّاطِرَ عَلَى اتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَاجْتِمَاعِ نِحْلَتِهِمْ ، وَأَنَّهَمْ لَمْ يُضْمَرُوا
التَّبَاغُضَ وَالتَّهَاجَرَ ، وَلَمْ يُظْهَرُوا التَّعَادِي وَالتَّشَاجَرَ ، وَلَمْ يَرَوْا التَّبَرِّي وَالتَّعَدِّي ،
وَلَمْ يُصَرُّوا عَلَى مَا ابْتَدَعَهُ الْمُفْتَرِي عَلَيْهِمُ الْمُتَعَدِّي ، بَلْ كَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَجْمَعِينَ فِي التَّنَاصُرِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّزَاوُرِ وَالتَّأَزُّرِ فِي الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَإِنَارَةَ سُبُلِ
الْهُدَى وَمُجَانِبَةَ مَطَارِحِ الرَّدَى فَكَانُوا جَدِيرِينَ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ، وَصَارُوا
الْأُسُوةَ وَالْقُدُوةَ الَّتِي تُحْتَدَى ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَصَابِيحَ الْهُدَى .
فَاعْرِفْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا إِنْ كُنْتَ تَأْخُذُكَ الْحَمِيَّةُ فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِ
أَيِّمَةِ الدِّينِ وَشُمُوسِ الْإِسْلَامِ وَرُؤُوسِ الْأَعْلَامِ ؛ فَبِهَا تَزُولُ الْأَوْهَامُ ، وَيَحَقُّ لِمَنْ
اعْتَقَدَهَا مُوَالَاةُ الْمَلِكِ الْعَلَامِ وَشَفَاعَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

ثَنَاءُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْقَرَابَةِ

وَلِنَذَكِرِ الْآنَ فَضْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، إِذْ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ جِلَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَسَيِّدِ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَأَفْضَلِ ذَوِي الْقُرْبَى وَمِنْ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ .

❁ فِيمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي فَضِيلَتِهِ مَا أُسْنَدَ ^(١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَّةٌ فَلْيَقُمْ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَنِي ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَرْسِلُوا إِلَيَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَى .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَهُ أَنْ يَحْتِيَ لَهُ ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ مِنْ تَمْرٍ ؛ فَأَحْتِثْ لَهُ ، فَحَثَّهَا لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عُدُّوْهَا ، فَعُدُّوْهَا ، فَوَجَدُوْهَا فِي كُلِّ حَثِيَّةٍ سِتِّينَ تَمْرَةً لَا تَزِيدُ وَاحِدَةً عَلَى الْأُخْرَى ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ لِي وَنَحْنُ خَارِجَانِ مِنَ الْغَارِ نُرِيدُ الْمَدِينَةَ :

(يَا أَبَا بَكْرٍ ، كَفَى وَكَفَّ عَلِيٌّ فِي الْعَدْلِ سَوَاءً) ^(٢) . وَهَذَا تَفْضِيلٌ عَظِيمٌ وَمَحَلٌّ مِنَ الدِّينِ الشَّرِيفِ .

❁ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ أَيضًا مَا رَوَاهُ الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَعِيدٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَقْرَبِ النَّاسِ قَرَابَةً مِنْ نَبِيِّهِمْ ، وَأَعْظَمِهِمْ عَنْهُ غِنَاءً ، وَأَحْفَظِهِمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ^(٣) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : قُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَتَّقِيكَ ، قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَمُّكَ

(١) رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ صَالِحِ التَّمَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ وَارَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَجَاءٍ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ حَبِشَةَ بِنْتِ جُنَادَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَمَا فِي (مِيزَانِ الْأَعْتِدَالِ) لِلذَّهَبِيِّ .

(٢) الرِّيَاضُ التُّصْرَةُ ، لِلطَّبْرِيِّ .

(٣) تَارِيخُ بَغْدَادَ ، لِلْبَغْدَادِيِّ .

قُلْتُ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيكُمْ يَوْمَ غَدِيرِخَمٍّ ؟ ^(١) ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : قَامَ فِيْنَا

بِالظَّهْرِ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ ﷺ :

(مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ : أَمْسَيْتَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ^(٢) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى مَعْقَلُ بْنُ يَسَارٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ :

(عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عِتْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ^(٣) .

❁ وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا ، كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي) ^(٤) .

وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَأَحَقُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ مِنَ الْعِتْرَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِالنُّصُوصِ وَمُسْتَبْطَاتِهَا ، وَرَفِيعِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :

(أَيُّهَا النَّاسُ ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ) ^(٥) .

قُلْتُ ^(٦) : إِنَّمَا قَصَدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذَا التَّعْرِيفِ حَقَّ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَمَا يَجِبُ لَهُمْ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ وَالإِجْلَالِ وَالاِحْتِرَامِ .

وَاعْلَمْ : أَنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ مِنَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعْظَمُهَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا انْضَمَّ إِلَى مَا رَوَاهُ الشَّعْبِيُّ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ .

❁ قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : وَأَمَّا اسْتِشَارَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرُجُوعُهُ إِلَى رَأْيِهِ ؛ فَمِمَّا رَوَاهُ الدِّرَاوَزِيُّ عَنْ ابْنِ سَمْعَانَ ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) غَدِيرِخَمٍّ ، هُوَ مَكَانٌ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْجَعْفَةِ يُنْمَرَةُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَهَذَا الْغَدِيرُ تَصَبُّ فِيهِ عَيْنٌ وَحَوْلُهُ شَجَرٌ كَثِيفٌ ، كَمَا فِي (مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ) لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ .

(٢) فَيْضُ الْقَدِيرِ لِلْمَنَاوِيِّ ، وَرَوَى بِطَرِيقٍ آخَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهَبٍ ، وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، كَمَا فِي (مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ) .

(٣) مُتَنُّ الْبَيْهَقِيِّ الْكُبْرَى ، وَلسَانُ الْمِيزَانِ لِابْنِ حَجَرَ .

(٤) رَوَى الْحَدِيثُ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ : عَنْ ثَابِتِ بْنِ زَيْدٍ كَمَا فِي (مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ) ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَمَا فِي (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ كَمَا فِي (الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ لِلطَّبْرَانِيِّ) .

(٥) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .

(٦) ابْنُ سَبِّدٍ الْكَلْبُفِيُّ (الْأَنْبَاءُ الْمُسْتَطَابَةُ فِي مَنَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالْقِرَابَةِ) .

فِي رَجُلٍ يُؤْتَى كَمَا تُؤْتَى الْمَرْأَةُ ، فَدَعَا أَبُو بَكْرٍ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَشَاوَرَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَجْزَعُ مِنْ شَيْءٍ كَمَا تَجْزَعُ مِنَ التَّمْثِيلِ ، أَرَى أَنْ تُحَرِّقَهُ) ؛ فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ وَأَمَرَ بِهِ فَحَرَّقَ حَتَّى عَمِرَ بَنُوهُ بِذَلِكَ بَعْدَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَمَا حَرَّقَ الصِّدِّيقُ جَدِّي وَلَا أَبِي * إِذَا الْمَرْءُ أَلْهَاهُ الْخَنَا عَنْ حَلَائِلِهِ ^(١)

* وَمِمَّا رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفِي أَهْلِ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِمَّا خَرَّجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقَعُ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : (وَيَحَكَ ، أَتَعْرِفُ عَلِيًّا ؟ هَذَا ابْنُ عَمِّهِ ، وَأَشَارَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهِ مَا آذَيْتَ إِلَّا هَذَا فِي قَبْرِهِ) ^(٢) .

* وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ فِيهَا أَبُو حَسَنٍ) ^(٣) .

* وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (تَحَبَّبُوا إِلَى الْأَشْرَافِ ، وَاتَّقُوا عَلَى أَعْرَاضِهِمْ مِنَ السَّفَلَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَتَمُّ شَرَفٌ إِلَّا بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ) ^(٤) .

* وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ عُبيدِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : جَلَسَ إِلَى عُمَرَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذَاكَرُوا الْعَزَلَ ، فَقَالُوا :

لَا نَأْمُرُ بِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ الْمَوْوُودَةُ الصُّغْرَى ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (لَا تَكُونُ مَوْوُودَةً حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْهَا التَّارَاتُ السَّبْعُ حَتَّى تَكُونَ سُلَالَةً مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ تَكُونُ نُطْفَةً ، ثُمَّ تَكُونُ عَلَقَةً ، ثُمَّ تَكُونُ مُضْغَةً ، ثُمَّ تَكُونُ عَظْمًا ثُمَّ تَكُونُ لَحْمًا ، ثُمَّ تَكُونُ خَلْقًا آخَرَ) ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (صَدَقْتَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاعِكَ) ^(٥) .

(١) نَصَبُ الرَّأْيَةِ لِأَحَادِيثِ الْهَدَايَةِ : لِحَمَالِ الدِّينِ الزَّنْبَلِيِّ .

(٢) كَنْزُ الْعُمَالِ : الْمُتَّقِيُّ الْهِنْدِيُّ ، وَفَيْضُ الْقَدِيرِ : الْمُنَاوِيُّ .

(٣) رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ كَمَا فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ، وَأَنْسَابِ الْأَشْرَافِ لِلْبِلَّادُرِيِّ ، وَتَارِيخِ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرٍ .

(٤) فَتْحُ الْبَارِيِّ : ابْنُ حَجَرٍ .

(٥) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ فِي شَرْحِ خَمْسِينَ حَدِيثًا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ : ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : كَانَ لِأَهْلِ بَدْرِ مَجْلِسٌ مَعَ عُمَرَ لَا يَجْلِسُهُ غَيْرُهُمْ ، فَكَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَوْلَهُمْ دُخُولًا وَآخِرُهُمْ خُرُوجًا ^(١) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه لِلزُّبَيْرِ : انْطَلِقْ بِنَا نَعُودُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَكَانَ الزُّبَيْرُ تَلَكَّأً ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عِيَادَةَ بَنِي هَاشِمٍ فَرِيضَةٌ ، وَزِيَارَتُهُمْ نَافِلَةٌ) ^(٢) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قَصَدَ عَلِيًّا فِي بُسْتَانٍ لَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لِزِيَارَتِهِ وَالْحَدِيثِ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ لَوْ جَاءَكَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَكَ أَحَدُهُمْ : أَنَا ابْنُ عَمِّ مُوسَى ، أَكَانَتْ لَهُ عِنْدَكَ أَثَرَةٌ عَلَى أَصْحَابِهِ ٩) ، قَالَ عُمَرُ : نَعَمْ ، قَالَ عَلِيٌّ : (فَأَنَا وَاللَّهِ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وَابْنُ عَمِّهِ ، فَتَزَعَّ عُمَرُ رِدَاءَهُ فَبَسَطَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَكُونُ لَكَ مَجْلِسٌ غَيْرُهُ حَتَّى نَفْتَرِقَ) ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ جَالِسًا عَلَيْهِ حَتَّى تَفَرَّقُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ^(٣) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَسْلَمَ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها ، فَقَالَ : (يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا مِنْ الْخَلْقِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ بَعْدَ أَبِيكَ) ^(٤) .

❁ وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَسَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليهم ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَصْلُحُ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رضي الله عنهما ، فَبَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ فَآتَى لهُمَا بِكِسْوَةٍ ، فَقَالَ : (الْآنَ طَابَتْ نَفْسِي) ^(٥) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ ، قَالَ : اسْتَأْذَنَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَجَلَسَ يَنْظُرُ فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَسْتَأْذِنُ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ رضي الله عنه : إِنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ لَا يُؤْذَنْ لِي ، فَانْصَرَفَ ، قَالَ : وَقَالَ عُمَرُ : عَلِيٌّ بِحُسَيْنٍ ، قَالَ : فَجِيءَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ

(٢) عِلَالُ الْحَدِيثِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّازِيُّ .

(٤) مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ .

(١) تَارِيخُ دِمَشْقَ : ابْنُ عَسَاكِرَ .

(٣) الصَّوَاعِقُ الْمُخْرَقَةُ : ابْنُ حَجَرَ .

(٥) تَارِيخُ دِمَشْقَ : ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَسَيَرُ أَمْلَامِ النُّبَلَاءِ : الذَّهَبِيُّ .

المؤمنين استأذنت فلم يؤذن لي ، فجلست ، فجاء عبد الله فاستأذن فلم يؤذن له ، قلت : إن لم يؤذن له لا يؤذن لي ، قال عمر (أنت أحق بالإذن منه ، وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله إلا أنتم)^(١) .

❖ ومن ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال عمر رضي الله عنه :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه) ، قال عمر : ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ ، قال فلما كان من الغد تطاولت لها فأعطاها علياً ، وقال له : (لا تلتفت حتى يفتح الله عليك)^(٢) .

❖ ومن ذلك ما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ابناي هذان سيِّدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما)^(٣) .

❖ ومن ذلك ما روي عن جابر ، قال عمر رضي الله عنه :

لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانِي عشرة خصلة خصَّ عليُّ بن أبي طالبٍ منها بثلاثة عشر ، وشاركنا في الخمس^(٤) .

❖ ومما ذكره القاضي أبو بكر بن الطيب^(٥) من أقوال سيِّدنا عمر بن الخطاب في فضائل الإمام علي بن أبي طالب :

فمن ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه قوله المشهور :

(لولا عليٌّ لهلك عمر)^(٦) .

ومنها قوله : (أعود بالله من مفضلة ليس لها أبو حسن) .

ومنها قوله : (أعود بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو حسن)^(٧) .

● ولا يستعبد مثل عمر رضي الله عنه وقد ضرب الله بالحق على لسانه وقلبه من البقاء في قوم

(١) علل الدارقطني .

(٢) السنة : ابن أبي عاصم ، والمعجم الكبير : الطبراني ، وتاريخ دمشق : ابن عساكر .

(٣) ميزان الاعتدال : الذهبي .

(٤) المناقب : الموفق الخوارزمي .

(٥) هو القاضي : أحمد بن الطيب الأشعري المنكلم البغدادي .

(٦) مستند زيد بن علي .

(٧) سبل السلام : ابن حجر ، وتاريخ دمشق : ابن عساكر ، وجواهر المطالب : الباعوني .

لَيْسَ فِيهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا لِعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَرُسُوخِهِ فِيهِ ، وَإِنَّ غَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَقُومُ لَهُ مَقَامُهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَيْهِ فِيمَا أَشْكَلَ مِنَ الْمَسَائِلِ وَأَعْضَلَ .

❁ وَمِنْهَا أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا تَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ عَلَى الْمَنْبَرِ : أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كُنْتُ يَوْمِي هَذَا غَنِيًّا عَنِ الْبَاءَةِ ، وَقَدْ وَضَعْتُ
نَفْسِي وَسَطَ قُرَيْشٍ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى هَذَا إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
(يَنْقَطِعُ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي) ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسَبٌ أَوْ سَبَبٌ (١) .

❁ وَمِنْهَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْضِيلِ عَلِيٍّ وَوَلَدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : (كُلُّ بَنِي أَنْثَى فَإِنَّ عَصَبَتَهُمْ لِأَبِيهِمْ ، مَا خَلَا وَلَدَ فَاطِمَةَ فَأَنَا عَصَبَتُهُمْ ،
وَأَنَا أَبُوهُمْ) (٢) .

❁ وَمِنْهَا مَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
(عَلِيٌّ أَقْضَانَا وَأَبِي أَقْرُونَا) (٣) .

❁ وَمِنْهُ مَا رَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَسَمَ مَا لَّا فَأَعْطَى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَأَعْطَى وَلَدَهُ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ عَطَايَاهُمَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَبَتِ مَا لَكَ قَصَّرْتَ
بِي عَنِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، فَقَالَ عُمَرُ : (يَا بُنَيَّ حَتَّى يَكُونَ لَكَ أَبٌّ كَأَبِيهِمَا وَأُمَّ
كَأُمَّهُمَا وَجَدٌّ كَجَدَّهُمَا) (٤) .

❁ وَكَذَلِكَ مَا رَوَى فِي كِتَابِ (بَهْجَةِ الْأَسْرَارِ وَلَوَامِعِ الْأَبْصَارِ) لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْمَنْصُورِيِّ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ يَسْتَعْدِي عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ :
(إِنَّ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ عُيُونًا ، وَإِنَّ عَلِيًّا مِنْ عُيُونِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ) (٥) .
وَبَعْدُ : فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فِعْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَوْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِحَقِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا مَا رَوَى لَكَفَى .

(١) سُنَنِ النَّبِيَّهِ الْكُبْرَى ، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : الْحَاكِمُ ، وَالذَّرِيَّةُ الطَّاهِرَةُ النَّبَوِيَّةُ : الدُّوَلَابِيُّ .

(٢) الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ : الطَّبْرَانِيُّ ، وَفَيْضُ الْقَدِيرِ : الْمُنَاوِيُّ .

(٣) الْمَلْبَعَاتُ الْكُبْرَى : ابْنُ سَعْدٍ ، وَعِلَلُ الدَّارَقُطْنِيِّ : الدَّارَقُطْنِيُّ .

(٤) تَارِيخُ دِمَشْقَ : ابْنُ عَسَاكِرَ .

(٥) نَوَادِرُ الْأَصُولِ : التَّرْمِذِيُّ .

وَلِلَّهِ دَرُّ السَّيِّدِ أَبِي الْهُدَى الصَّيَّادِي عِنْدَمَا شَدَا :

بِنَاءُ الدِّينِ قَامَ بِصَحْبِ طَهَ ❁ وَحُبُّ بَنِيهِ طَوْقٌ فِي الرِّقَابِ
سَحَابُ الْفَضْلِ قَدْ هَمَعَتْ عَلَيْهِمْ ❁ وَحَسْبُكَ فَضْلُ رَبِّكَ مِنْ سَحَابِ

وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ أَنَارَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ فَعَرَفَ لِصَاحِبِ الْفَضْلِ خُصُوصِيَّتَهُ ؛ فَقَالَ :

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَتَيْتُكَ بِالصِّدِّيقِ أَرْجُوكَ نَظْرَةَ ❁ وَبِالسَّيِّدِ الْفَارُوقِ وَفَّ كَرَامَتِي
بِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ جِئْتُكَ سَيِّدِي ❁ بِجَاهِكَ يَا مَوْلَايَ أَدْرِكُ حَاجَتِي
بِبَحْرِ عُلُومِ الْحَقِّ بِحَرِّ جَنَابِكُمْ ❁ وَمَنْ هُوَ سَيْفُ اللَّهِ بِحَرِّ الْفُتُوَّةِ
أَبُو الْحَسَنِ الطَّاهِرِينَ الَّذِي سَمَا ❁ عَلِيُّ الَّذِي أَحْيَا عُلُومَ الْحَقِيقَةِ
بِحِمَاةِ الْعَبَّاسِ وَالْأَلِّ كُلِّهِمْ ❁ بِأَنْصَارِكَ الرَّاقِينَ أَرْقَى مَكَانَةَ
بِمَنْ هَاجَرُوا لِلَّهِ يَبْتَغُونَ فَضْلَهُ ❁ بِيَدْرٍ وَأُحَدٍ وَالْكَرَامِ الْأَجَلَّةِ
وَبِالطَّاهِرَاتِ الطَّيِّبَاتِ وَفَضْلِهِمْ ❁ وَمَنْ سَلَكَوا سُبُلَ الصِّفَا وَالْهِدَايَةِ



تَنَاءُ الْقَرَابَةِ عَلَى الصَّحَابَةِ

نَذُكْرُ مَنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَقَوْلُ وَلَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(١) .

❁ فَمِنْ ذَلِكَ : مَا أَسْنَدَهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

(مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى عَرَفْنَا أَنَّ أَفْضَلَنَا بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَمَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى عَرَفْنَا أَنَّ أَفْضَلَنَا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَجُلٌ آخَرٌ لَمْ يُسَمِّهِ) ^(٢) .

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ (الْحُجَّةِ) ^(٣) ، بَعْدَمَا ذَكَرَ إِسْنَادَهُ : (تَأَمَّلْ سَنَدَ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَسَانِيدِ وَأَفْضَلِهَا ؛ لِشُهْرَةِ رِجَالِهِ وَإِتْقَانِهِمْ وَضَبْطِهِمْ وَمَوْضِعِهِمْ مِنَ الْحِفْظِ وَشُهْرَتِهِمْ بِالْعَدَالَةِ) .

❁ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ كَاسٍ النَّجْفِيِّ ، قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرِ الْحَرِيرِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مُطَيْرٍ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ صَوْحَانَ ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ ، فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَتْرُكُكُمْ كَمَا تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا ، قَالَ : خَيْرًا (إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِيكُمْ خَيْرًا يُؤَلِّعُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ) قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فَعَلِمَ اللَّهُ فِيْنَا خَيْرًا قَوْلِي عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ^(٤) .

قُلْتُ ^(٥) : فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّوَلِيَةَ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا مَنْ هُوَ خَيْرُ الْجَمَاعَةِ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَيْرُهُمْ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ أُنْعَقَدَتْ لَهُ بِالِاخْتِيَارِ ،

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٣ .

(٢) السُّنَّةُ : ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ ، وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرُّشَادُ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ : مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الصَّالِحِي الشَّامِي ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ : ابْنُ عَسَاكِرَ .

(٣) الْحُجَّةُ : إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِي (ت : ٥٢٥ هـ) . (٤) الْمُنَّةُ : ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ : ابْنُ عَسَاكِرَ .

(٥) ابْنُ سَيِّدِ الْكَلِّ الْفَقْطَنِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ (الْأَنْبَاءِ الْمُسْتَمْلَاةِ فِي مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ) .

وفيه دليلٌ على أن النبي ﷺ إنما ترك النص على الخليفة لأن الله تعالى أطلعَهُ على ما سيقع ، وأنه لا يكون إلا على الوجه الأفضل ؛ فأراد ﷺ أن لا يحرم أمته ثواب الاجتهاد مع علمه بحقيقة الحال فيه ، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ : (يا أبا الله والمسلمون إلا أبا بكر) ، بعد ما قال :

(إئتوني بدواة أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه بعدي) (١) .

● وبذلك يتضح أن الأخبار الموقوفة على الإمام عليّ ﷺ في تخيير أبي بكر ﷺ وتفضيله كثيرة ؛ فمنها ما روي عن أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين أمرنا رسول الله ﷺ بالافتداء بهم ووصفهم بأنهم خير القرون وأمرنا عند اضطراب الآراء وتشتت الأهواء أن نتمسك بما كانوا عليه ؛ فقد سئل ﷺ حين ذكر أنه : (في آخر الزمان يكون دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها) ، قالوا : ما نأخذ يا رسول الله ؟ قال : (عليك بالجماعة) قالوا : فإن لم يكن للناس جماعة ، قال ﷺ : (ما أنا عليه وأصحابي) (٢) .

فالصحابة كلهم عدول بتزكية رسول الله ﷺ وثناء الله عز وجل . ومن هذه الأخبار ما رواه عنه أهل بيته وولده الذين هم العترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بدعوة نبيهم ﷺ بذلك يوم جمعهم في العباء ، وقال : (اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) ؛ فناهيك برواية هؤلاء صحّة ، والاعتماد عليها حجة .

● ومنها ما روى عنه أصحابه وأتباعه وهم جلة التابعين وأهل القرن الثاني الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل على من بعدهم بقوله ﷺ : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي قوم يشهدون ويؤمنون فيخونون) (٣) قلت : (٤) فضل

(١) تاريخ دمشق : ابن عساکر .

(٢) صحيح البخاري ومسلم .

(٣) الشرح الكبير : عبد الرحمن بن قدامة .

(٤) ابن سيد الكل القفطي صاحب كتاب (الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة) .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ فَضِيلَةَ الْقَرْنِ الثَّانِي بَعْدَهُمْ ، وَاقْتَصَرَ فِي ظُهُورِ
 الْفَسَادِ بَعْدَهُمْ عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ وَالْخِيَانَةِ فِي الْأَمَانَةِ ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى طَهَارَةِ مَنْ
 قَبْلَهُمْ عَنْ هَذَا الدَّنَسِ ، فَكَانُوا أَحَقَّ مَنْ يُعْتَمَدُ عَلَى قَوْلِهِ فِي الرَّوَايَةِ وَالشَّهَادَةِ
 لِثُبُوتِ عَدَالَتِهِمْ ، وَقَدْ شَهِدُوا عَلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ نَطَقَ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
 ﷺ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَمَا نَرُوهُ عَنْهُمْ مَحْذُوفُ الْإِسْنَادِ لِيَثَلَّ يَطُولُ الْكِتَابُ
 فَيَقَعُ الْمَلَامُ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْنَابِ ، وَأَحْلُنَا ذَلِكَ عَلَى أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ كَفَلُوا ذَلِكَ
 وَحَمَلُوا عَنِ الْأُمَّةِ مَوْؤَنَتَهُ :

❁ فَمِمَّا رَوَاهُ الصَّحَابَةُ ﷺ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ ، حَدِيثَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
 ﷺ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ ﷺ :

(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ؟ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَلَا
 أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : عُمَرُ ، وَلَوْ
 شِئْتُ أُخْبِرْتُكُمْ بِالثَّالِثِ) (١) .

رَوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ أَبُو مُوسَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيُّ (مِنْ الْمُهَاجِرِينَ ، ثَبَتَتْ
 لَهُ الْهَجْرَتَانِ : هِجْرَةُ الْحَبَشَةِ وَهِجْرَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) .

❁ وَمِنْهُمْ : أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِي ، قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ ﷺ :
 (خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَدِيقُهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَخَيْرُهَا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ فَارُوقُهَا
 عُمَرُ) (٢) .

❁ وَمِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ : (يَا أَبَا سَعِيدٍ ، رَجِمَ اللَّهُ أَبَا
 بَكْرٍ وَعُمَرَ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ) (٣) .

❁ وَمِنْهُمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ﷺ ، قَالَ : (مَنْ فَضَّلَ عَلِيَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَحَدًا
 مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَرَزَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَطَعَنَ عَلِيَّ أَصْحَابِ

(١) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِي .

(٣) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِي .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١) .

وقال : قال علي : (لا يُفْضَلُنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ إِلَّا وَقَدْ أَنْكَرَ حَقِّي وَحَقَّ النَّبِيِّ ﷺ) (٢) .

● وهذا الخبرُ مِنْ قَوْلِ عَمَّارٍ ﷺ شَاهِدٌ بَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ ، وَهَذَا رَأْيُ السَّلَفِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَمَّارٌ ﷺ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ بِقَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ إِذْ كَانَ عَلِيٌّ ﷺ مِنْ سَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَفْضَلِ السَّلَفِ الْمَاضِينَ ، وَإِذَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِمَا أَوْ إِلَى أَحَدِهِمَا الْكُفْرَ أَوْ الْفِسْقَ أَوْ الْكُذْبَ أَوْ الْغَضَبَ كَمَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ فَقَدْ بَرئَ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَهَذَا رَأْيُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ ، فَلَا يَأْتِي أَحَدٌ بَعْدَهُمْ بِمَا يُخَالِفُ آرَاءَهُمْ ؛ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ بَدْعَةً مَرْدُودَةً عَلَيْهِ .

❁ وَمِنْهُمْ : أَبُو جُحَيْفَةَ وَهَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، فَقُلْتُ : مَا خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : (مَهَلًا يَا أَبَا جُحَيْفَةَ ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَيَحْكُ يَا أَبَا جُحَيْفَةَ : لَا يَجْتَمِعُ حُبِّي وَبُغْضُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ) (٣) .

❁ وَفِيهَا رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ ثنا أَبِي أَبُو هِشَامِ بْنِ خُوْشَبِ ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْيَشْكُرِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ ، قَالَ : (قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ الْبَاقِرَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا أَخَا الْعِرَاقِ لَا تَجْلِسْ إِلَيْنَا فَإِنَّكُمْ قَدْ نُهَيْتُمْ عَنِ الْجُلُوسِ إِلَيْنَا ، قَالَ : فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ؟ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، قُلْتُ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَنَا بِالْعِرَاقِ أَنَّكَ تَتَبَرَّأُ

(١) الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ : الطَّبْرَانِيُّ ، وَتَهْدِيبُ الْكَمَالِ : الْمَرْزِيُّ ، وَبِشِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ : الدَّهْلَبِيُّ .

(٢) تَارِيخُ دِمَشْقَ ، ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَكُنُزُ الْعُمَالِ : الْمُتَّقِيُّ الْهَنْدِيُّ .

(٣) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَالْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ : الطَّبْرَانِيُّ ، وَمَجْمَعُ الرِّوَايَاتِ : الْهَيْثَمِيُّ .

مِنْهُمَا ، قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، كَذَبُوا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ أَوْ لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
 ﷺ زَوْجَ ابْنَتِهِ أُمَّ كَلْثُومٍ - مِنْ فَاطِمَةَ ﷺ - مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؟

وَهَلْ تَدْرِي مَنْ جَدَّتُهَا ؟ خَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَجَدُّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ
 الْعَالَمِينَ ، وَأَخُوهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَبُوهَا عَلِيُّ بْنُ
 أَبِي طَالِبٍ ذُو الشَّرَفِ وَالْمُنْقَبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ؛ فَلَوْلَمْ يَكُنْ لَهَا أَهْلًا - يَعْنِي عُمَرَ
 ﷺ - لَمَا زَوَّجَهَا إِيَّاهُ .

وَبِهَذَا : احْتَجَّ الْبَاقِرُ ﷺ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ
 وَعُمَرَ ﷺ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالْمُوَالَاةِ لَمْ يَكُنْ عَلَى جِهَةِ النَّقِيَّةِ بِتَزْوِيجِ عَلِيٍّ ﷺ عُمَرَ مِنْ
 السَّيِّدَةِ أُمَّ كَلْثُومٍ ﷺ ، لِأَنَّهُ لَوْلَمْ يَرَهُ كُفُؤًا لَهَا فِي الدِّينِ وَالْحَسَبِ لَمَا زَوَّجَهُ إِيَّاهَا ،
 فَجَعَلَ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ عَلَى عُلُوِّ دَرَجَتِهِ فِي الدِّينِ ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ عَلَى عَلِيٍّ ﷺ أَنْ يَبْذُلَ
 ابْنَتَهُ لِغَيْرِ مَنْ هُوَ كُفُؤٌ لَهَا ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ أَعْظَمَ مَنْزِلَةً فِي الشَّجَاعَةِ ، وَأَجَلَ قَدْرًا
 فِي الْبَسَالَةِ ، وَأَعْلَى رُتَبَةً فِي الْأَنْفَةِ مِنْ ذَلِكَ .

❁ وَمِنْهُمْ : سُؤدُ بْنُ غَفَلَةَ ^(١) ، قَالَ : مَرَرْتُ بِنَفَرٍ يَتَنَاوَلُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَيَقُولُونَ
 فِيهِمَا غَيْرَ الَّذِي هُمَا لَهُ أَهْلٌ ، فَاتَيْتُ عَلَيْهِمَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَرَرْتُ
 بِنَفَرٍ يَتَنَاوَلُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَيَقُولُونَ فِيهِمَا غَيْرَ الَّذِي هُمَا لَهُ مِنَ الْأُمَّةِ أَهْلٌ ،
 وَلَوْلَا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّكَ تُضَمِّرُ لَهُمَا مِثْلَ ذَلِكَ مَا اجْتَرَأُوا عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ عَلِيٌّ :
 أَعُوذُ بِاللَّهِ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، ثُمَّ نَهَضَ دَامِعَةً عَيْنَاهُ يَبْكِي وَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي
 الْمَسْجِدَ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ قَابِضًا أَوْ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَخَطَبَ
 خُطْبَةً مُوجِزَةً بَلِيغَةً ، فَقَالَ :

(مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ سَيِّدِي فَرِيشَ وَأَبَوِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَعَنْهُ
 مُتَنَزِّهٌ وَعَلَى مَا يَقُولُونَ مُعَاقِبٌ ، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَا يُحِبُّهُمَا إِلَّا

(١) هُوَ سُؤدُ بْنُ غَفَلَةَ أَبُو أُمَيَّةَ الْجَنْمِيُّ الْكُوفِيُّ . عَاشَ ١٢٨ سَنَةً . وَتُوفِيَ سَنَةَ ٨٠ هـ . كَمَا فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ ، الْبُخَارِيِّ ، وَالْكُنِيِّ
 وَالْأَسْمَاءِ : مُسْلِمٌ ، وَالْمُقْتَسَبِ فِي سَرِّدِ الْكُنِيِّ : الذَّهَبِيِّ .

مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَلَا يُبْغِضُهُمَا إِلَّا فَاجِرٌ رَدِيٌّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَزِيرِهِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ يَأْمُرَانِ وَيَنْهَيَانِ، وَلَا يُجَاوِزَانِ فِيمَا يَصْنَعَانِ رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا يَرَى مِثْلَ رَأْيِهِمَا رَأْيًا، وَلَا يُحِبُّ كَحُبِّهِمَا حُبًّا، مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمَا رَاضٍ، وَمَضَى وَالْمُؤْمِنُونَ عَنْهُمَا رَاضُونَ، أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَلَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَصَلَّى بِهِمْ تِسْعَةَ أَيَّامٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، وَوَلَّاهُ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ عَلَى مَا وَوَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَعْطَوْهُ الْبَيْعَةَ طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ، أَنَا أَوَّلُ مَنْ سَنَّ لَهُ ذَلِكَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ لِذَلِكَ كَارِهٌ يَدُّ لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا كَفَاهُ ذَلِكَ، فَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ مَنْ بَقِيَ، أَرْحَمَهُ رَحْمَةً وَأَزَافَهُ رَأْفَةً وَأَبْيَنَهُ وَرِعًا وَأَقْدَمَهُ سِنًّا وَإِسْلَامًا، شَبَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِيكَائِيلَ رَأْفَةً وَرَحْمَةً، وَبِإِبْرَاهِيمَ حِلْمًا وَوَقَارًا، فَسَارَ فِينَا بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ مِنْ بَعْدِهِ فَاسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ رَضِيَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَ، فَأَقَامَ الْأَمْرَ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ يَتَّبِعُ آثَارَهُمَا كَاتِبَاعِ الْفَصِيلِ بِأَثَرِ أُمَّهِ، وَكَانَ وَاللَّهِ رَفِيقًا بِالضُّعْفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَوْنًا وَنَاصِرًا لِلْمَظْلُومِينَ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، ضَرَبَ اللَّهُ بِالْحَقِّ عَلَى لِسَانِهِ، وَجَعَلَ الصَّدَقَ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ مَلَكًا يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِهِ، أَعَزَّ اللَّهُ بِإِسْلَامِهِ الْإِسْلَامَ، وَجَعَلَ هِجْرَتَهُ لِلدِّينِ قَوَامًا، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ لَهُ الرُّهْبَةَ، وَفِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ الْمَحَبَّةَ، فَظًّا غَلِيظًا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَحَنَقًا مُفِيطًا عَلَى الْكُفَّارِ، الضَّرَاءُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أَثَرُ عِنْدَهُ مِنَ الشَّرَاءِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَمَنْ لَكُمْ بِمِثْلِهِمَا - رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - وَرَزَقْنِي الْمُضِيَّ عَلَى سَبِيلِهِمَا، فَإِنَّهُ لَا يُبْلَغُ مَبْلَغُهُمَا إِلَّا بِاتِّبَاعِ آثَارِهِمَا وَالْحُبِّ لَهُمَا، فَمَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيُحِبِّهِمَا، وَمَنْ لَمْ يُحِبِّهِمَا فَلَقَدْ أَبْغَضَنِي وَأَنَا مِنْهُ نَبِيٌّ، أَلَا فَمَنْ أَوْتَى بِهِ يَقُولُ فِيهِمَا قَبِيحًا بَعْدَ الْيَوْمِ فَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، أَلَا إِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ، أَبُو بَكْرٌ بْنُ قُحَافَةَ ثُمَّ

عَمْرَيْنِ الْخَطَّابِ - ثُمَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ حَيْثُ هُوَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ (١) .

❁ وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّادِقُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، يَذْكُرُ عَنْ أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : قَالَ فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام حِينَ أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَمِعْتُكَ تَخْطُبُ أَنْفًا فِي الْجُمُعَةِ : تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَصْلِحْنَا بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ، مَنْ هُمْ ؟ ، فَأَعْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ أَهْمَلَهَا ، وَقَالَ : (هُمَا حَبِيبَايَ وَعَمَّاكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ إِمَامَا الْهُدَى وَشَيْخَا الْإِسْلَامِ وَرَجُلَا قُرَيْشٍ ، وَالْمُقْتَدَى بِهِمَا ، هُمَا حِزْبُ اللَّهِ وَحِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (٢) .

وَنَخْتِمُ هَذِهِ الْبَابَةَ الْعِطْرَةَ مِنَ الْوَاحَةِ الْمَزْدَهْرَةِ بِعَبْقِ الْعِتْرَةِ ، بِقَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام : (إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَا بِعُمَرَ ، مَا كُنَّا نُبْعُدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ) (٣) .

وَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام وَوَلَدِهِ عليهم السلام فِي تَخْيِيرِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ عليهما السلام خَارِجَةً عَنِ الْحَضَرِ ، وَقَدْ خَرَجَتْ عَنْ نَقْلِ الْأَحَادِ إِلَى نَقْلِ التَّوَاتُرِ وَالِاسْتِفَاضَةِ الَّتِي يَحْصُلُ مَعَهَا الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ خَاصَّةً وَأَصْحَابِ الْأَثَارِ ، فَأَمَّا مَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْبِضَاعَةَ وَرَفَضَ الْأَخْبَارَ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ هَذَا الْعِلْمُ ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَتَوَاتَرَ خَبْرٌ عِنْدَ قَوْمٍ وَيُضْطَرُّونَ الْعِلْمَ بِمُخْبِرِيهِ وَإِنْ لَمْ يَنْقَلْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ إِلَى غَيْرِهِمْ ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا حَصَلَ لِأَوْلِيكَ لِعَدَمِ الشَّرْطِ فِيهِمْ ؛ فَلَا يَكُونُ عَدَمُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ هَوْلَاءِ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ ، وَهُوَ كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْمَلِّ يَكْذِبُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ ، وَيَقُولُونَ لَمْ يَحْصُلْ لَنَا الْعِلْمُ بِمَا تَدَّعُونَ .

فَيَكُونُ الْجَوَابُ : إِنَّكُمْ لَمْ تُخَالِطُوا أَهْلَ التَّوَاتُرِ وَلَمْ تُشَارِكُوهُمْ فِيهَا نَقَلُوا ، وَلَوْ سَمِعْتُمْ كَمَا سَمِعُوا لَحَصَلَ لَكُمْ الْعِلْمُ ، فَإِنْ كَذَبْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عِلْمَ عِنَادِكُمْ وَكَذِبُكُمْ ؛ فَلَيْسَ جَهْلُ الْجَاهِلِ وَلَا عِنَادُ الْمُعَانِدِ حُجَّةً عَلَى إِبْطَالِ عِلْمِ الْعَالِمِ .

وَإِنَّمَا نَقَلْتُ فِي كِتَابِي هَذَا بَعْضًا مِنْ كُلِّ فَمَنْ أَرَادَ تَحْصِيلَ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ فَلْيَتَّبِعِ

(١) تَارِيخُ وَاسِطٍ : أَسْلَمَ بِنُ سَهْلِ الرَّذَّازِ الْوَاسِطِيِّ ، وَالرِّيَاضُ النَّضْرَةَ : الطَّبْرِي .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

(٣) الرِّيَاضُ النَّضْرَةَ : الطَّبْرِي .

الآثَارَ وَكُتِبَ الْأَخْبَارَ ، وَلِيُخَالِطَ أَهْلَهَا وَيُجَالِسَ نَقَلَتَهَا ، فَلَسْنَا نَدْعِي أَنَا مِنْ أَهْلِ
صِنَاعَةِ الْحَدِيثِ وَلَا مِنْ جِلَّةِ الْحِفَاطِ ، وَإِنَّمَا كَانَ غَرَضُنَا مِنْ هَذَا النَّقْلِ فِي هَذَا

الْكِتَابِ تَلْقِينَ الْأَحْبَابِ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَرَضُنَا فِي
نَقْلِ مَا نَقَلْنَا عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَأَعْلَامِ التَّابِعِينَ ، أَنَّ
الْقَوْمَ مُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ مُتَوَاصِلِينَ مُتَعَاضِدِينَ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ ، لِأَنَّ الْعَامَّةَ قُلُوبُهُمْ
سَادَجَةٌ ، فَرُبَّمَا سَمِعُوا مِنْ بَعْضِ الْمُتَبَدِّعِينَ كَلَامًا يُوهِمُ بِنَقْصِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَأَرَدْتُ
أَنْ أُبَيِّنَ مَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّحَابَةِ وَتَوْفِيرِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا لِمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ؛

فَإِنَّ مَنْ ثَبَّتَ عَدَالَتَهُ وَإِيمَانَهُ وَصِحَّتْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُ وَشَهَادَةِ رَسُولِهِ ﷺ حَقِيقٌ بِأَنْ
يُحْسِنَ الظَّنَّ بِهِ وَيُسَلِّمَ لَهُ حَالَهُ ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِنَا وَبِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ
مَحَبَّةِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ أَيْمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا مِنْ اتِّبَاعِ
السُّنَّةِ وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَبِيلِكَ مِنْ مَدَحِهِ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ
جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى هَذَا الْإِعْتِقَادِ حَتَّى نَلْقَى بِهِ الْأَجِبَةَ مُحَمَّدًا
وَحِزْبَهُ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَأَنْ يُرْضِيَهُ عَنَّا ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى
أَنْ يُرْضَى عَلَيَّ أَصْحَابِي وَأَزْوَاجِي وَأَهْلِي بَيْتِي ، وَأَنْ يُرْضِيَهُمْ عَنَّا وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُنْجِزَ
لَنَا مَا وَعَدَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) (٢) ؛ فَقَدْ أَحْبَبْنَا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَأَصْحَابَهُ وَعِثْرَتَهُ وَكُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ وَنَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ ، وَنَتَوَسَّلُ بِأَقْرَبِ وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُخَيِّبَنَا
مِنْ هَذَا الْأَمَلِ الشَّرِيفِ وَأَنْ تُحَقِّقَ هَذَا الرَّجَاءَ الْمُنِيفَ .

وَبَعْدَ هَذَا التَّنْوِيهِ وَالتَّنْبِيهِ الَّذِي لَزِمَ ذِكْرُهُ ، نَشْرَعُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ فِي التَّعَرُّضِ
لَأَنْوَارِ كَوْكَبَةِ جَسَدَتِ خَيْرِيَّةِ الْإِنْسَانِ بِصُحْبَتِهَا لِخَيْرِ نَبِيِّ ، وَمَنْ تَبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
وَعِرْفَانٍ جَلِيٍّ ؛ فَكَانُوا ﷺ بِحَقِّ أُسْوَةٍ لِكُلِّ تَقِيٍّ :

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٍ ، وَابْنِ جِبَانَ .

(١) سُورَةُ الْحَشْرِ : آيَةٌ ١٠ .

أَوَّلًا (إِصْطِنَاعُ السُّؤَالِ
بِذِكْرِ اصْطِنَاعِ خَيْرِ مَا

سَيِّدُنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

صَدَرْنَا بِهِ الْأَصْحَابَ ؛ حَيْثُ حُبُّهُ مِيزَانُ الْإِيمَانِ
وَأَطْلَقْنَا لِحَدِيثِهِ الْعِنَانَ ؛ حَيْثُ تَجَلَّتْ مَوَاهِبُ الْإِنْسَانِ

كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ شَمْسِ بْنِ صَخْرٍ ؛ فَلَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، وَشَرَفَهُ
بِلِقَاءِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَالَ لَهُ : (مَا اسْمُكَ ؟) .

فَقَالَ : عَبْدُ شَمْسٍ .. فَقَالَ رضي الله عنه : (بَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ) .

فَقَالَ رضي الله عنه : نَعَمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ^(١) يَا رَسُولَ اللَّهِ .

أَمَّا تَكْنِيَّتُهُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ فَسَبَبُهَا أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ فِي طُفُولَتِهِ هَرَّةٌ صَغِيرَةٌ يَهْتَمُّ بِشَأْنِهَا ؛
فَقِيلَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَشَاعَ ذَلِكَ وَذَاعَ حَتَّى غَلَبَ عَلَى اسْمِهِ .

فَلَمَّا اتَّصَلَتْ أَسْبَابُهُ بِأَسْبَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه جَعَلَ يُنَادِيهِ كَثِيرًا بِ (أَبِي هِرٌّ)
إِنْسَاءً لَهُ وَتَحَبُّبًا ، فَصَارَ يُؤَثِّرُ أَبَا هِرٌّ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَيَقُولُ : نَادَانِي بِهَا
حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ .

أَسْلَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى يَدِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ ، وَظَلَّ فِي أَرْضِ قَوْمِهِ (دَوْسٍ)
إِلَى مَا بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِسِتِّ سِنِينَ حَيْثُ وَفَدَ مَعَ جُمُوعٍ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه
بِالْمَدِينَةِ مَا بَيْنَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَغَزْوَةِ خَيْبَرَ .

وَقَدَانِطَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَ فِي نَحْوِ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ لِخِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه
وَصُحْبَتِهِ ؛ فَسَكَنَ الصُّفَّةَ ^(٢) مُتَّخِذًا الْمَسْجِدَ مَقَامًا ، وَالنَّبِيَّ مُعَلِّمًا وَإِمَامًا ؛ إِذْ لَمْ
يَكُنْ لَهُ رضي الله عنه فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه زَوْجٌ وَلَا وَلَدٌ .

وَعِنْدَئِذٍ أَدْرَكَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِفِطْرَتِهِ السَّيِّدَةَ الدَّوْرَ الْكَبِيرَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْدِمَ
بِهِ دِينَ اللَّهِ ، فَإِنَّ أَبْطَالَ الْحَرْبِ فِي الصَّحَابَةِ كَثِيرُونَ ، وَكَذَلِكَ الْفُقَهَاءُ وَالِدُّعَاءُ
وَالْمُعَلِّمُونَ كَثِيرُونَ ، وَلَكِنَّ الْبَيْتَةَ وَالْجَمَاعَةَ تَفْتَقِدُ الْكِتَابَةَ وَالْكِتَابَ .

(١) يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛ أَيِ أَفْدِيلِكَ يَا أَبِي وَأُمِّي .

(٢) أَهْلُ الصُّفَّةِ ؛ هُمْ ضُيُوفُ اللَّهِ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَا أَهْلَ لَهُمْ وَلَا أَوْلَادَ وَلَا أَمْوَالَ ، فَكَانُوا يُقِيمُونَ عَلَى صُفَّةٍ فِي
الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ .

نَعَمْ ، فَفِي تِلْكَ الْعُصُورِ ، كَانَتِ الْجَمَاعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ كُلُّهَا ، لَا الْعَرَبَ وَحَدَهُمْ ، لَا يَهْتُمُونَ بِالْكِتَابَةِ ، وَلَمْ تَكُنِ الْكِتَابَةُ مِنْ عِلَامَاتِ التَّقَدُّمِ فِي مُجْتَمَعٍ مَا ؛ بَلْ إِنَّ (أُورُبَّا) نَفْسَهَا كَانَتْ كَذَلِكَ مُنْذُ عَهْدٍ غَيْرِ بَعِيدٍ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مُلُوكِهَا وَعَلَى رَأْسِهِمْ (شارلمان) أُمِّيِّينَ لَا يَقْرَءُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ ، مَعَ أَنَّهُمْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانُوا عَلَى حَظٍّ كَبِيرٍ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْمَقْدَرَةِ .

نَعُودُ إِلَى أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، وَإِنَّ أَمْرَهُ حَقًّا لَعَجِيبٌ !!

لَمْ يَكُنْ أَبُو هُرَيْرَةَ أَسْبَقَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ رِوَايَةَ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ . وَلَمْ يَكُنْ أَحْسَنَهُمْ قِرَاءَةً وَكِتَابَةً ، بَلْ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ مِنْ صَحِيفَةٍ وَلَا يَكْتُبُ وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَقْوَاهُمْ حِفْظًا وَذَاكِرَةً (بَارَكهَا الرَّسُولُ ﷺ فَزَادَتْ قُوَّةً) ، وَكَذَلِكَ فَهَمَّا لِكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعْرِفَةِ بَسْنَتِهِ وَفَقْهِهِ .

وَلَمْ يَكُنْ أَشَدَّهُمْ بِلَاءً وَغَزْوًّا ، فَكُلُّ صُحْبَتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعُ سَنَوَاتٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْلَاهُمْ مَكَانَةً وَشَأْنًا .

وَهُوَ لَمْ يَكُنْ أَوْفَرَهُمْ مَالًا وَثَرَاءً ، بَلْ كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا مِنَ الْمَالِ كَحَالِ أَهْلِ الصُّفَّةِ جَمِيعًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَغْنَاهُمْ حَظًّا وَعَطَاءً .

وَهُوَ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهُمْ عَدَدَ أَبْنَاءٍ وَعَشِيرَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعَزَّهُمْ جَانِبًا وَمِنْ أَرْشَدِهِمْ حُجَّةً .

لِمَاذَا ؟ وَكَيْفَ ؟

لِسِمَاتٍ ثَلَاثٍ تَمَيَّزَ بِهَا ؛ فَضْلًا عَنِ السَّمَاتِ الْعَامَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ

ﷺ ، وَلِصِفَاتٍ ثَلَاثٍ اخْتَارَ هُوَ أَنْ يُلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ ، وَلِمَزَايَا ثَلَاثٍ اخْتَصَّهُ بِهَا

النَّبِيُّ ﷺ ؛ إِذْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا جَدِيرٌ وَلَهَا أَهْلٌ ، وَقَدْ يُضَيَّفُ غَيْرُنَا إِلَى تِلْكَ السَّمَاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْمَزَايَا ، فَيَزِيدُ وَيُوسِّعُ ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ ، لَكِنَّهُ لَنْ يَنْقُصَ مِنْهَا أَوْ يَبْتَرُ .

وَهِيَ الدُّرُوسُ الَّتِي تَعَلَّمْنَا فِي كُلِّ عَصْرِ وَجِيلٍ وَحَضَارَةٍ كَيْفَ يُصْنَعُ الرِّجَالُ ، وَأَيْنَ

يَكُونُ مَكَانُهُمْ فِي مُجْتَمَعِ الْإِيمَانِ ، وَلِمَاذَا لَا تَنْقَطِعُ أَوْ تَجِفُّ ثِمَارُ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ حَيْثُمَا ظَلَّ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَلِتَبْقَى نُبُوَّةُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ :

(الْخَيْرُ فِيَّ وَفِي أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

(١) السُّمَّةُ الْأُولَى : الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا (أَبُو هُرَيْرَةَ) حُسْنُ الْأَدَبِ وَجَمِيلُ الْخُلُقِ فِي حَيَاءٍ غَلَابٍ وَرِقَّةٍ بِالْفِعْلِ ؛ وَحَسْبُكَ أَنْ تَسْمَعَ وَتَتَدَبَّرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ الَّتِي يَرُويهَا هُوَ بِنَفْسِهِ ، يَقُولُ :

كَانَتْ أُمِّي مُشْرِكَةً ، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَأَسْمَعْتَنِي فِي الرَّسُولِ ﷺ مَا أَكْرَهُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْيَى .. فَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ ﷺ : (اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ) .

❁ مَا أَحْوَجَ دَاعِيَةَ الْيَوْمِ إِلَى هَذَا النَّهْجِ الْقَوِيمِ :

وَلِنَتَوَقَّفَ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ نَمْضِيَ مَعَ سِيَاقِ الْقِصَّةِ : فَهَذَا وَلَدٌ مُسْلِمٌ صَالِحٌ ، ذَاقَ حَلَاوَةَ الْإِسْلَامِ ، وَأَدْرَكَ حَقِيقَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ ، وَسَعِدَ كُلَّ السَّعَادَةِ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ ، فَأَرَادَ أَنْ تَنَالَ أُمَّهُ هَذَا الْخَيْرَ وَذَلِكَ النَّعِيمَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ .. فَدَعَاها إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ لَمْ يُكْرِهْها وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْها أَوْ يَتَكَبَّرْ لَهَا ؛ بَلْ صَبَرَ وَأَعَادَ دُونَ أَنْ يَبْخَسَها حَقَّها مِنْ حُسْنِ الصُّحْبَةِ بِالْمَعْرُوفِ ، رَغْمَ أَنَّها كَانَتْ تَأْتِي عَلَيْهِ ، وَتَرْفُضُ ما يَدْعُوها إِلَيْهِ .

مِنْ وَاجِبِهِ ﷺ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْهُدَى وَإِلَى الْحَقِّ الَّذِي يُصِيبُهُمْ مِنْهُ الْخَيْرُ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ الْأَقْرَابُ وَالْأَهْلُ ، كَمَا قَالَ الْمَوْلَى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) وَأَقْرَبُ الْأَهْلِ هِيَ الْأُمُّ ؛ لَكِنَّهُ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ مُرْتَبِطَةٌ كُلُّ الْارْتِبَاطِ بِالْمَوْدَةِ وَالرَّفْقِ ، وَهُمَا مِنْ عِلَامَاتِ الْحِكْمَةِ وَأَشْرَاطِهَا الَّتِي أَلْزَمَنَا اللَّهُ بِها ، وَلَمْ يُلْزَمْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى سَبِيلِهِ بِغَيْرِها مَعَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٢) ، وَهَذَا هُوَ مَجَالُ (الدَّاعِيَةِ) وَأَدَاتُهُ وَسُلْطَانُهُ :

(١) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ : الْآيَةُ ٢١٤ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٥ .

الْحِكْمَةَ ، وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ، فَإِذَا مَا دَعَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (وَاللَّهُ الْأَمْرُ وَالْخَلْقُ) بِغَيْرِ الْحِكْمَةِ وَبِمَوْعِظَةٍ غَيْرِ حَسَنَةٍ ، يَكُونُ قَدْ تَنَكَّبَ الطَّرِيقَ ، وَأَخْطَأَ الْوَسِيلَةَ ، وَأَفْسَدَ الْأَسْلُوبَ ، وَاحْتِاجَ الدَّاعِيَةَ نَفْسَهُ إِلَى مَنْ يَدْعُوهُ لِلتَّصْحِيحِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ ، وَلِأَنَّهُ بَدَّلَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلِأَنَّهُ أَعْطَى لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَا يَسْتَحِقُّ ، وَتَوَهَّمَ مَكَانَةً لَيْسَتْ لَهُ ، وَأَدَّى دَوْرًا مَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ .

وَالدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ (إِنْ مَلَكَ الْقُدْرَةَ وَكَانَ هُوَ الْقُدْوَةَ) لَا تَتَّسِعُ دَائِرَةَ اخْتِصَاصِهِ إِلَّا لِلدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ الْمُهَدَّبَةِ ، بِإِلَافِظَةٍ حَتَّى لَا يُنْفِرَ النَّاسَ ، وَبِإِلَافِظَةٍ حَتَّى لَا يُضَجِرَ النَّاسَ ، وَبِإِلَافِظَةٍ حَتَّى لَا يَمَلَّ النَّاسُ ، وَبِإِلَافِظَةٍ حَتَّى لَا يَمُضِعَ مُضِيعٌ ؛ بِأَنَّهُ الْحَاكِمُ عَلَى النَّاسِ ، وَالْقَاضِي بَيْنَ النَّاسِ ، وَالْأَفْضَلُ مِنْ كُلِّ النَّاسِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَأَنْ يُطِيعُوا ... فَهَلْ يَتَوَهَّمُ مَكَانَةً أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ؟ وَهَلْ يَفْتَرِضُ مَنْزِلَةً يُخَالِفُ بِهَا الرَّسُولَ ﷺ ، فَهَذَا قَوْلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ ﴾^(١)

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ ﴾^(٢)

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَعَهُ ﴾^(٣)

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝ قُلْ ءَامِنُوا بِهِمْ أَوْ لَا تُوْمِنُوا ﴾^(٤)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾^(٥)

(٢) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الْآيَةِ ٤٨ .

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : الْآيَتَانِ ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : الْآيَتَانِ ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٦ .

(٥) سُورَةُ الْكَافِرِينَ .

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (٢)

﴿ فَذَرَهُمْ تَخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ (٣)

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ● وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمَمِينُ ﴾ (٥)

فَإِذَا قِيلَ : وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦)

كَمَا يَقُولُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (٧)

نَعَمْ ، صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى ، لَكِنَّهُ يُخَاطَبُ هُنَا الْقِيَادَةَ ؛ وَلِيَّ الْأَمْرِ ، مَنْ فِي مَوْقِعِ الْمَسْئُولِيَّةِ الْكُبْرَى فِي الْأُمَّةِ ، الَّذِي يَحِقُّ لَهُ وَيَسْتَطِيعُ جِهَادَ الْكُفَّارِ الْمُعْتَدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ الْمُخْرَبِينَ ، إِذَا لَمْ يُفْلِحْ رَدُّعُهُمْ بِالْكَلِمَةِ وَبِأَسَالِيبِ الدُّعَاةِ وَمَنْطِقِ الدُّعْوَةِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، فَهُنَا تَنْتَقِلُ الْمُهِمَّةُ إِلَى رِجَالٍ آخَرِينَ لَدَيْهِمْ قُدْرَاتٌ أُخْرَى وَصَلَاحِيَّاتٌ تَخْتَلِفُ ، وَبِقِيَادَةِ (الْمُحَرِّضِ عَلَى الْقِتَالِ) وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُ قَرَارَ الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ كَمَا شَرَعَ الْإِسْلَامُ لِلأُمَّةِ .

وَهَلْ هُنَاكَ سَمَاحَةٌ وَحِكْمَةٌ وَاحْتِرَامٌ لِلإِنْسَانِيَّةِ وَلِلْعَقْلِ تَفُوقُ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨)

إِنَّمَا آيَةٌ حَاسِمَةٌ مُلْجِمَةٌ رَغِمَ أَنَّهَا جَاءَتْ فِي أَوَائِلِ آيَاتِ ﴿ سُورَةِ التَّوْبَةِ ﴾ ، وَهِيَ كَمَا نَعْلَمُ كَسَابِقَتِهَا سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، سُورَةُ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالتَّعَامُلِ مَعَ الَّذِينَ

(٢) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ : مِنَ الْآيَةِ ١١٧ .

(٤) سُورَةُ الدَّارِيَاتِ ، الْآيَاتَانِ ٥٤ ، ٥٥ .

(٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ : مِنَ الْآيَةِ ٩ ، التَّوْبَةِ : ٧٣ .

(٨) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الْآيَةُ ٦ .

(١) سُورَةُ يُوسُفَ : الْآيَةُ ٤١

(٣) سُورَةُ الزُّخْرُفِ : الْآيَةُ ٨٢ ، وَسُورَةُ الْمَعَارِجِ : الْآيَةُ ٤٢ .

(٥) سُورَةُ النَّجْلِ : الْآيَةُ ٨٢ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : مِنَ الْآيَةِ ٦٥ .

يَعْتَدُونَ وَيَنْقُضُونَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيثَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ
يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ .

وَهَلْ فَعَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَلَى نَحْوِ غَيْرِ ذَلِكَ ؟ دَعَا أُمَّهُ إِلَى الْهِدَايَةِ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَبَتْ ؛
فَإِذَا كَانَ مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَدْعُوهَا إِلَى خَيْرٍ ، فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تَقْبَلَ أَوْ أَنْ تَرْفُضَ ؛
﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ ^(١) ، و ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ^(٢) .

وَدَعَاهَا يَوْمًا إِلَى مَا كَانَ يَدْعُوهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ تَكْتَفِ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِالرَّفْضِ وَالْعِصْيَانِ ،
بَلْ سَبَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه عَامِدَةً مُجَاهِرَةً حَتَّى تُسْمَعَ ابْنَهَا مَا يَكْرَهُ سَمَاعَهُ .

فَهَلْ ثَارَ وَفَارَ وَأَطْلَقَ الشَّرَارَ ، وَرَدَّ الْعُدْوَانَ وَأَنْتَقَمَ لِهَذَا الْبُهْتَانِ ؟ ! أَخْذًا فِي
الاعْتِبَارِ أَنَّ هَذَا قَدْ حَدَثَ بَعْدَ نُزُولِ آيَاتِ الْقِتَالِ فِي الْمَدِينَةِ وَلَيْسَ فِي أَوَّلِ الْبِعْثَةِ
بِمَكَّةَ أَيَّامَ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ .

كُلُّ مَا فَعَلَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، أَنْ كَتَمَ غَيْظَهُ ، وَاحْتَبَسَ غَضَبَهُ ، وَلَمْ يَقُلْ لَهَا أَفٍّ وَلَمْ
يَنْهَرْهَا ، بَلْ بَكَى ، خَوْفًا عَلَيْهَا ، وَجَزَعًا مِمَّا قَالَتْهُ عَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، وَأَسْرَعَ إِلَى
النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، يَبْتُهُ هَمَّهُ وَيَطْرَحُ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ بِكُلِّ الْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ .

وهنا يأتي الدرس الأكبر :

فَالرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي مَوْقِعِ الْقِيَادَةِ وَالسُّلْطَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ،
لَكِنَّهُ هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلْعَالَمِينَ ، وَهُوَ الْمُحِبُّ الْمَحْبُوبُ ، وَقَدْ سَمِعَ مَا قَالَتْهُ
أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لَمْ يَغْضَبْ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَنْتَصِرْ لَهَا ، بَلْ عَلَّمَهُ وَعَلَّمْنَا كَيْفَ
نُوجِبُهُ مِثْلَ هَذَا الْمَوْقِفِ ، خَاصَّةً وَهُوَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ ، وَيَعْلَمُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ
يُحِبُّ أُمَّهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَعْقُهَا ، فَكَانَ جَوَابُهُ صلوات الله عليه : (اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ) ،
فَالْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَى اللَّهِ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .

نَعَمْ ، هَذَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ، يُرْسِخُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ مَبْدَأَ مُهِمًّا : أَنْ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى مُؤْمِنٍ
مِنْ أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى اللَّهِ .. وَفِي لَحْظَةٍ ، يَنْقَلِبُ هُمُّ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُزْنُهُ الشَّدِيدُ
إِلَى فَرَحَةٍ غَامِرَةٍ مُبَاغِتَةٍ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ دُعَاءَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه مُجَابٌ مُحَقَّقٌ ، فَهُوَ

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٥٦ .

(١) سُورَةُ الْكَهْفِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٩ .

يَقُولُ ﷺ :

(فَخَرَجْتُ عَدْوًا ، حَتَّى صِرْتُ إِلَى الْبَابِ (بَابِ بَيْتِهِ) فَإِذَا هُوَ مُغْلَقٌ ، وَسَمِعْتُ حَصْحَصَةَ الْمَاءِ ، ثُمَّ فَتَحَتْ أُمِّي الْبَابَ ، وَقَدِ اغْتَسَلَتْ ، وَلَبَسَتْ دِرْعَهَا ، وَوَضَعَتْ خِمَارَهَا ، وَقَالَتْ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ... فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ ، قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمِّي ، وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يُحِبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبِّبَهُمَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اللَّهُمَّ حَبِّبْ عِبِيدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّبُهُمَ إِلَيْهِمَا) (١) .

وَمِنْ وَقْتِهَا : أَصْبَحَ حُبُّ أَبِي هُرَيْرَةَ مِعْيَارًا لِلْإِيمَانِ ، فَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا أَهْلُ النَّفَاقِ وَالْبُهْتَانِ .
(٢) وَالسَّمَةُ الثَّانِيَةُ : الَّتِي اتَّسَمَ بِهَا أَبُو هُرَيْرَةَ : حُبُّ الْعِلْمِ ، وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ : إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ رُكِبَ فِي طَبَعِهِ حُبُّ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّطَلُّعُ إِلَى كَشْفِ مَا يَجْهَلُ .. فَإِذَا لَمْ يَشْغَلْهُ شَاغِلٌ أَوْ يَمْنَعُهُ حَائِلٌ ، وَمَضَى قُدَمًا فِي هَذَا السَّبِيلِ ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ وَيَتَعَلَّمُ وَيَزِدُّهُ تَخْصِيلًا وَمَعْرِفَةً وَجَمْعًا .. وَهَذَا فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ صَحِيحٌ .. لَكِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ أَنْ تُحِبَّ أَهْلَكَ : أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَوْ زَوْجَكَ وَوَلَدَكَ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ رَكِيزَةٌ فِي طَبَعِ الْإِنْسَانِ وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ شَاذٌّ وَنَشَازٌ ، فَتُعَامِلُ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ بِالرَّفْقِ وَالْمَعْرِوفِ ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِ مَا فُضِّلَ عَلَيْكَ دِينًا أَوْ قَانُونًا مِنْ تَبِعَاتٍ وَحُقُوقٍ لَا تَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصُ ، وَفَرْقٌ بَيْنَ أَنْ تَنْقَطِعَ عَنْ كُلِّ هَوَى آخَرَ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ ؛ إِثَارًا بِكُلِّ الْمَالِ وَالْجُهْدِ وَالْحَدَبِ وَالْمَعْرِوفِ فَوْقَ الْعَادَةِ وَالْعُرْفِ وَالْمَأْلُوفِ .

كَانَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ الْأَبْرَارِ ﷺ مَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ حَظًّا مِنَ الْعِلْمِ أَوْ نَصِيبًا مِنَ الْفِقْهِ أَوْ قَدْرًا مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَفِي كَنَفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّدَ وَاسْتَزَادَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْصَرَفًا فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى سَعْيِ فِي الْحَيَاةِ وَعَمَلٍ ، مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ صُنْعَةٍ أَوْ مَشْغَلَةٍ .. وَكَانَ فِي مُجْتَمَعِ الْمَدِينَةِ وَفِي غَيْرِهَا مِنْ مَدِينِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَجَالَاتٌ كَثِيرَةٌ لِلْعَمَلِ وَالْكَسْبِ بَلْ وَالثَّرَاءِ وَاسْتِجْلَابِ الرِّزْقِ ، وَمَا كَانَ عَلَى سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) صَحِيحٌ : أَخْرَجَهُ (مُسْلِمٌ) فِي فَصَائِلِ الصَّحَابَةِ .

مِنْ حَرَجٍ لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُ ، فَتَكَسَّبَ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَثْرَى وَاسْتَمْتَعَ وَأَغْدَقَ ...
وَلَكِنْ اسْتَمِعَ إِلَيْهِ فِيمَا يَرَوِيهِ الْبُخَارِيُّ بِلسَانِهِ ﷺ :

(كُنْتُ امْرَأً مَسْكِينًا ، أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ مِلءَ بَطْنِي ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ
يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ (عَقْدُ الصَّفَقَاتِ) بِالْأَسْوَاقِ ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ
عَلَى أَمْوَالِهِمْ ...)

لَقَدْ دَفَعَهُ حُبُّ شَدِيدٌ لِلْعِلْمِ (وَعِلْمُ الدِّينِ بِالذَّاتِ) إِلَى الْأَنْقِطَاعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشْغَلُهُ
أَوْ يَصْرِفُهُ عَنْ هَذَا الْحُبِّ ، فَهُوَ مُلَازِمٌ لِمُصَدِرِ هَذَا الْعِلْمِ الْأَسْنَى وَمَنْبِعِهِ الْفَيَاضِ
الْمُصَفَى (رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) إِشْبَاعًا لِهَذَا الْحُبِّ وَاسْتِثْمَارًا لَهُ .

إِنَّ الْحُبَّ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ يَعْنِي (إِنْ كَانَ صَادِقًا مُؤْتَمِنًا أَمِينًا) الْإِثَارَ وَالتَّضْحِيَةَ ،
وَالْإِقْبَالَ الدَّائِمَ بِالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالْوَجْدَانِ وَاللِّسَانِ ، وَتَخْلُو الدُّنْيَا عَلَى اتِّسَاعِهَا
وَأَمْتِلَائِهَا إِلَّا مِنَ الْمَحْبُوبِ وَمَا يُرْضِيهِ وَمَا يُبْقِيهِ وَمَا يُصْلِحُهُ وَيَسْرُهُ ؛ وَهَذَا هُوَ

حَالُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فِي حُبِّهِ لِعِلْمِ الدِّينِ ، مِنْ خِلَالِ حَدِيثِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ ؛
فَهُوَ قَدْ حَفِظَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ^(١)

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٢) ،

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٣) ،

وَهُوَ قَدْ رَدَّدَ دُعَاءَ الْقُرْآنِ : ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٤) ،

وَهُوَ ﷺ قَدْ سَمِعَ مِنْ فَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ :

(مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمِثْلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَتْ مِنْهَا
طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ
الْمَاءَ فَفَنَعَ بِهَا النَّاسُ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى

(٢) سُورَةُ فَاطِرٍ : مِنَ الْآيَةِ ٢٨ .

(٤) سُورَةُ طه : مِنَ الْآيَةِ ١١٤ .

(١) سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١١ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢٦٩ .

إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَتْبِتُ كَلًّا ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ (١) .

كَمَا سَمِعَ دُعَاءَ النَّبِيِّ الْمَأْثُورِ عَقِبَ صَلَاةِ الْفَجْرِ :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَرِزْقًا طَيِّبًا) (٢) .

مِنْ هُنَا كَانَتْ تِلْكَ السِّمَةُ الْمُمَيِّزَةُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ؛ حُبُّ الْعِلْمِ ؛ جَلِيَّةٌ مُتَأَلِّقَةٌ ، زَادَ مِنْ إِشْرَاقِهَا وَوَهَجِهَا ، وَرَعُهُ وَتَقْوَاهُ ، لِيَتَحَقَّقَ فِيهِ بِصِدْقِ خُشُوعِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَشَارَتْ إِلَيْهِمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ سُورَةِ ﴿ فَاطِرٍ ﴾ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا مُنْذُ قَلِيلٍ :

اسْتِضَافَ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ رضي الله عنه أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَهْلَهُ ، أَقَامُوا عِنْدَهُ أَيَّامًا .

يَقُولُ (٣) : فَكَانَ هُوَ (أَبُو هُرَيْرَةَ) ، وَامْرَأَتُهُ ، وَابْنَتُهُ ، يُقَسِّمُونَ اللَّيْلَ ثَلَاثًا :

يُصَلِّي هَذَا ، ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا .

(٣) السِّمَةُ الثَّلَاثَةُ : مِنْ سِمَاتِهِ الْفَاضِلَةِ الْمُمَيِّزَةِ : ذَاكِرَةٌ وَاعِيَةٌ حَافِظَةٌ حَيَاهُ اللَّهُ

بِهَا ، كَوَعَاءٍ مُؤْتَمَنٍ لِحِفْظِ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه (وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) ،

وَلَقَدْ كَرَّمَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وَأَخَذَ بِيَدِهِ حِينَ بَدَرَتْ مِنْهُ هُوَ بِإِدْرَةِ ، وَاخْتَارَ بِإِرَادَةِ الْخَيْرِ

فِيهِ أَنْ يَحْطَى بِهَذَا الشَّرْفِ ، يَقُولُ رضي الله عنه :

حَضَرْتُ مِنَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه مَجْلِسًا ، فَقَالَ : (مَنْ يَبْسُطُ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي

هَذِهِ ، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي) ، فَبَسَطَتْ بُرْدَةً ،

حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ صلوات الله عليه ، ثُمَّ قَبِضْتُهَا إِلَيَّ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا نَسِيتُ شَيْئًا

سَمِعْتَهُ مِنْهُ بَعْدَ . (٤)

وَهَذَا أَصَابَتُهُ بَرَكَةٌ وَأَنْظَارُ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه .

وَلِنْتَأَمَلُ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ ، لَا يَجِبُ أَنْ تَمُرَّ بِنَا دُونَ أَنْ نَنْتَفِعَ بِهَا أَوْ نَجْنِي مِنْهَا ثَمَرَةً :

لَقَدْ كَانَ فِي مَقْدُورِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه أَنْ يَخْتَارَ مُبَاشَرَةً أَحَدَ الصَّحَابَةِ يُعِينُهُ وَيُدْنِيهِ مِنْهُ

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَمُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، عَنِ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ رضي الله عنه .

دُونَ أَنْ يَسْأَلَ أَوْ يَسْتَشِيرَ ؛ وَهُوَ ﷺ إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ إِنَّمَا لِيُبَيِّنَ لَنَا : أَنْ مَجَالَ
التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرَاتِ مُفْتَحُ الْأَبْوَابِ وَيَسَّعُ مَنْ يَمْلِكُ الْقُدْرَةَ وَالْعِزْمَ ، وَأَنَّ الْكِفَاءَةَ
وَحَدَهَا لَيْسَ فِيهَا الْكِفَايَةُ ، وَإِنَّمَا يَسْبِقُهَا وَيَأْتِي مَعَهَا : النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ ، وَتَبْدُو فِي
المُبَادَرَةِ الدَّائِيَّةِ ، وَالإِسْرَاعُ بِالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِالْقَوْلِ ، أَوْ بِالْفِعْلِ وَهُوَ أَفْضَلُ .

وَأَنَّهُ إِذَا صَدَقَتِ النِّيَّةُ ، وَصَاحِبُهَا الْعَمَلُ ، وَلَمْ يَهِنِ الصَّبْرُ وَالْعِزْمُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُفِيضُ مِنْ عَطَائِهِ وَبَرَكَاتِهِ ، فَتَزِيدُ الْكِفَاءَةُ ، وَيَتَلَاشَى الْخَطَأُ ، وَتَشْتَدُّ الطَّاقَةُ ،
وَتَرْتَفِعُ الدَّرَجَةُ ، وَيَعْظُمُ الْأَجْرُ .

وَلَا يَعْضِبَنَّ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ فِي نَفْسِهِ يَحْمِلُ ؛ فَخِطَابُ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ
مُوجَّهًا لِكُلِّ مَنْ حَضَرَ وَسَمِعَ ، وَوَعْدُهُ لَمْ يَقْصُرْهُ عَلَى وَاحِدٍ بَعِيْنِهِ ، لَكِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ
وَحَدَهُ الَّذِي التَّقَطَّ الرِّسَالَةَ مِنْ سَيِّدِنَا الرَّسُولِ ؛ فَبَسَطَ رِدَاءَهُ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى فَرَغَ
النَّبِيُّ مِنْ حَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَبِضَ الرِّدَاءَ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَبَارَكَ ذَاكِرَتَهُ وَحَفِظَهُ ؛ وَقَدْ
شَهِدَ لَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِذَلِكَ ، كَمَا أَكَّدَهُ أَئِمَّةُ الْمُحَدِّثِينَ وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ .

يَقُولُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ : (كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَحْفَظَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَا كَانَ
أَفْضَلَهُمْ بَلْ أَحْفَظَهُمْ) .

وَيَقُولُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : (أَبُو هُرَيْرَةَ أَحْفَظُ مَنْ رَوَى الْحَدِيثَ فِي ذَهْرِهِ) .

وَيَقُولُ الإِمَامُ أَبُو دَاوُودَ : (كُنْتُ أَجْمَعُ سَنَدَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ وَأَنَا
بِأَصْبَهَانَ ، فَقَالَ لِي : أَنَا أَوَّلُ صَاحِبٍ حَدَّثْتُ فِي الدُّنْيَا) .

وَيَقُولُ الإِمَامُ الْحَاكِمُ : (كَانَ مِنْ أَحْفَظِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالزَّمِيمَ لَهُ صُحْبَةً
عَلَى شَبَعِ بَطْنِهِ (مُقَابِلَ أَنْ يُسَكِتَ الْجُوعَ فَقَطُ) ؛ فَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِهِ ، يَدُورُ مَعَهُ
حَيْثُ دَارَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ ﷺ ، وَلِذَلِكَ كَثُرَ حَدِيثُهُ) .

وَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ :

(لَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنِّي إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، فَإِنَّهُ
كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه :

(أَبُو هُرَيْرَةَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَعْلَمُ بِمَا يُحَدِّثُ) .

- نَعَمْ ، وَلَا يُدْرِكُ الْفَضْلَ إِلَّا ذُووهُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ - .

أَمَّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، فَيُرْوَى لَنَا :

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قَالَ

صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَى مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ

حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ) .

أَمَّا مَا اخْتَارَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه لِنَفْسِهِ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ وَالتَّزَمَ بِهِ :

فَأَوَّلُهُ : الصَّبْرُ .. وَالصَّبْرُ زِينَةُ طَالِبِ الْعِلْمِ أَوْ آفَتُهُ !

وَإِذَا كَانَ الصَّبْرُ خَلِيقَةً مِنْ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ وَالرُّشْدِ وَالْوَرَعِ :

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ ^(١) ،

وَيَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٢) ،

وَيَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ ^(٣) ؛

فَإِنَّ طَالِبَ عِلْمِ الدِّينِ ، وَعِلْمِ حَدِيثِ الرَّسُولِ ، لِأَبَدٍ لَهُ مِنْ صَبْرٍ مَتِينٍ فَوْقَ الصَّبْرِ

الْجَمِيلِ ، وَقَدْ نَذَّرُ جَمِيعًا أَنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ حِينَ

تَطَّلَعَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ لَدَى ذَلِكَ الْعَبْدِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِي أَخْبَرَ

عَنْهُ اللَّهُ : ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ^(٤) .

سَأَلَ مُسْتَأْذِنًا : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ^(٥) .

كَانَ جَوَابُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ (الْخَضِرِ) مُتَعَلِّقًا بِمِفْتَاحِ بَابِ الْعِلْمِ :

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ^(٦) .

وَسَيِّدُنَا أَبُو هُرَيْرَةَ كَمَا عَلَّمْنَا ، صَبَرَ عَلَىٰ مُفَارَقَةِ أَطْيَابِ الْحَيَاةِ وَزِينَةِ الدُّنْيَا ؛ بِكُلِّ

أَشْكَالِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَحْجَامِهَا وَأَوْزَانِهَا ، إِقْبَالًا عَلَىٰ هَدْفِهِ وَمُبْتَغَاهُ ؛ أَلَا وَهُوَ :

(٢) سُورَةُ الشُّورَى : الْآيَةُ ٤٣ .

(٤) (٥) (٦) سُورَةُ الْكَهْفِ : الْآيَاتُ ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ٢٠٠ .

(٣) سُورَةُ فَصَّلَتْ : مِنَ الْآيَةِ ٣٥ .

حَدِيثُ الرَّسُولِ بِمُلَازِمَةِ الرَّسُولِ ؛ حَتَّى كَانَ يَدُورُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، حَيْثَمَا دَارَ ، فِي بَيْوتِ نِسَائِهِ ﷺ ، يَخْدِمُهُ وَيَرْعَى بَعْضَ شَأْنِهِ ، وَفِي الْغَزْوِ يَتَّبِعُهُ وَيُجَاهِدُ مَعَهُ ، وَفِي الْحَجِّ يُرَافِقُهُ وَيَكُونُ عَلَى أَثَرِهِ دَانِيًا مِنْهُ .

بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَفْقِدِ الصَّبْرَ ، وَلَمْ يُضَيِّعْ لَحْظَةً قَدْ تُبْعِدُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، مِنْ أَجْلِ إِعْدَادِ ضَرُورَاتِ الْحَيَاةِ كَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .. فَصَبَرَ أَشَدَّ الصَّبْرِ ، فَفَازَ بِأَعْلَى نِعْمَةٍ وَأَعْظَمِ أَجْرٍ ... يَقُولُ ﷺ مُحَدِّثًا عَنْ نَفْسِهِ :

(لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُصْرَعُ بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَيُقَالُ مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ ، مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ) !

وَيُضَيِّفُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ : (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ عَلَى الْأَرْضِ بِكَفْيٍ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَشَدُّ الْحَجَرِ عَلَى بَطْنِي ...) (١) .

وَعِنْدَ الصَّالِحِينَ ، لَا يَسْتَقِيمُ لِلْمَرْءِ مَعَ شَبَعَانَ : شَبَعُ الْبَطْنِ وَشَبَعُ الْعَقْلِ .. شَبَعُ الشَّهَوَاتِ وَشَبَعُ الْإِشْرَاقَاتِ .. وَالْإِلَّا ، فَمَا ظَنُّكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ فِي أَوَّلِ صُحْبَتِهِ لَهُ ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَ الرِّدَاءَ الَّذِي بَسَطَهُ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ؟ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (أَوْصِيكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ بِخِصَالٍ لَا تَدَعُهُنَّ مَا بَقِيَتْ) ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَوْصِنِي مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ لَهُ ﷺ : (عَلَيْكَ بِالْفُغْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْبُكُورِ إِلَيْهَا ، وَلَا تَلْغُ وَلَا تَلْهُ ، وَأَوْصِيكَ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَإِنَّهُ صِيَامُ الدَّهْرِ ، وَأَوْصِيكَ بِرُكْعَتَيِ الْفَجْرِ لَا تَدَعُهُمَا وَإِنْ صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ) (٢) ، قَالَهَا ﷺ ثَلَاثًا .

أَلَا تَرَى مَعِيَ أَنَّ تِلْكَ الْوَصَايَا جَمِيعُهَا ، تَدْرِيْبٌ مُنْتَظَمٌ يَوْمِيٌّ عَلَى حُسْنِ الصَّبْرِ ، وَاسْتِعْدَادٌ دَائِمٌ لِتَلْقَى الْعَقْلَ وَالرُّوحَ مَا يَأْتِي فِي آيَةِ لَحْظَةٍ مِنْ أَمْدَادِ الْخَيْرِ ؟

ثُمَّ تَأْتِي الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ ؛ أَوْ الْوَسِيلَةُ الثَّانِيَةُ لِتَحْقِيقِ الْهَدَفِ ، وَهِيَ : التَّوَاضُعُ ، فِي عِفَّةٍ وَحَيَاءٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ .

(١) الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ : ابْنُ حَجَرٍ الْعَمَقْلَانِيُّ .

والتواضع الحيي العفيف من الصق الخصال بالمشتغلين بالعلم من عالم ومتعلم؛
أوصى به النبي ﷺ فقال: (تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا
لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء) (١)، والعلم الذي لا ينفع صاحبه
أولاً قبل أن ينفع الناس أو يورثه العجب والكبرياء والزهو؛ هو علم لا خير فيه
ولا نفع من وراءه، وهذا ما استعاذ منه النبي ﷺ، قال: (تعوذوا بالله من
علم لا ينفع) (٢).

وأبو هريرة ذاته، هو الراوي لحديث النبي - فهو أولى بالالتزام به - حيث أورد
الترمذي: قال رسول الله ﷺ:

(إن الله، إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقيضي بينهم، وكل أمة جاثية،
فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال،
فيقول للقارئ: ألم أعلمك بما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يارب، قال: فماذا
عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله:
كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ، وقد
قيل...)، وهكذا مع الذي قاتل ليُقَالَ عنه شجاع، ولصاحب المال المتصدق يُقَالَ
مُحْسِنٌ كَرِيمٌ، ثم يقول أبو هريرة: ثم ضربني النبي على ركبتي، فقال: (يا أبا
هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

فإذا أضيف إلى التواضع، حياءً في عفة، كمل الأدب وصلح العمل؛ فالحياءُ
(خيرٌ كله) (٣) كما يعلمنا النبي ﷺ، بل يجعل الحياءَ إطارَ الإيمانِ ومَنَاطَ الدِّينِ،
فيقول عليه الصلاة والسلام: (الحياءُ هو الإيمانُ كله) (٤).

ولعلَّ هذا الحوار اليومي الذي كان يدور بين أبي هريرة وأمه، يُظهِرُ تِلْكَ الْمَعَانِي
الْوَضَاءَةَ وَصِفَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ، مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ:
قال البخاري فيما أخرجه في صحيحه:

(٢) أخرجه ابن ماجه .

(٤) أخرجه الطبراني .

(١) صحيح البخاري .

(٢) صحيح مسلم .

كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، وَقَفَ عَلَى بَابِ أُمِّهِ ، فَقَالَ :
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّتَاهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَتَقُولُ :
وعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَيَقُولُ :
رَحِمَكَ اللَّهُ كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ، فَتَقُولُ :
رَحِمَكَ اللَّهُ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا ..١

وهُوَ عَلَى قَدَرٍ مَا حَمَلَ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَا حَفِظَ مِنْ سِيرَتِهِ وَأَخْبَارِهِ ، لَمْ
يَجْعَلْ هَذِهِ الثَّرْوَةَ الْغَالِيَةَ أَدَاءً لِلْمَنْفَعَةِ وَالْكَسْبِ ، وَلَمْ يَزُهْ بِهَا عَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ
الصَّحَابَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

أَمَّا الصِّفَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ارْتَضَاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ لِنَفْسِهِ نَتِيجَةٌ لِخَطِيئَةٍ اخْتَطَّهَا وَرَأَى
ارْتَاةً ، فَهِيَ : الْحَيْطَةُ ؛ وَنَقْصِدُ بِالْحَيْطَةِ هُنَا الْحَذَرَ الشَّدِيدَ الْوَاعِي ، الْمُسْتَمَدُّ مِنْ
قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (١) ،
وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فَأَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ مُلَازِمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ لَصِيقًا بِهِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ قَرِيبًا كُلَّ الْقُرْبِ مِنْ
سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ ، وَلَعَلَّ أَبُو هُرَيْرَةَ أَطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رِضَى
أَوْ فِي غَضَبٍ ، فِيمَا يُحِبُّ أَوْ فِيمَا يَكْرَهُ ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَهُوَ بِقَدْرِ
مَا تَزَوَّدَ مِنْ عِلْمٍ وَاسْتُحْفِظَ فِي صَدْرِهِ مِنْ حَدِيثٍ ، بِفَضْلِ تِلْكَ الْمُلَازِمَةِ وَذَلِكَ
الْجَوَارِ ، بِقَدْرِ مَا أَزْدَادَ بَصِيرَةً وَوَعْيًا وَفِرَاسَةً ، فَهَلْ كَانَ لِرِزَامِ عَلَيْهِ أَنْ يُفْرِغَ كُلَّ
مَا عِنْدَهُ وَيُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا رَأَى وَمَا سَمِعَ ؟

مَعْرُوفٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَيَاةٌ مَسْتُورَةٌ خَاصَّةً ، وَأُخْرَى لِلنَّاسِ عَامَّةً ،
حَيَاةٌ يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَحِلُّ لَهُ وَيَشَاءُ مِمَّا لَا يُحِبُّ أَنْ يُذْرِكَ أَحَدٌ ، وَأُخْرَى يَتْرُكُهَا
مُبَاحَةً لِلْأَخْذِ وَالنَّظَرِ بِقَدْرِ مَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَحَادِثُهُمْ ؛ وَكَمَا قَالَ أَحَدُ الْمَوْفَّقِينَ
فِي اسْتِقْرَاءِ إِنْسَانِيَّاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ : (وَالرَّسُولُ الْأَمِينُ الْكَرِيمُ ، رَحْمَةُ اللَّهِ
لِلْعَالَمِينَ .. لَيْسَ هُوَ الْبَطَلُ ؛ لِأَنَّهُ الْأَقْوَى ، وَلَيْسَ هُوَ السُّلْطَانُ ؛ لِأَنَّهُ الْأَغْلَبُ ،

(٢) سُورَةُ الْقَلَمِ : مِنَ الْآيَةِ ٤٤ .

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٥ .

ولا الحكيم ، لأنه الأفقه ، وما هو بالسيد ؛ لأنه الأغنى ، أو الزعيم ؛ لأنه الأزهب ..
فالناس خضعوا ، ويخضعهم طوعاً أو كرهاً واحداً من هؤلاء ، لسبب من بين
الأسباب ، لكن الرسول محمداً يؤلف ويحب ؛ لأنه هكذا : (محمد) و(رسول الله) ،
لذاته وبصافته ، بشريعته وبمنهاجه ، صلوات الله وسلامه عليه^(١) .

ولا نحسب أن سيرة أحد من الخلق ، وحياة إنسان من البشر ، عرفت وحقت
وفصلت في كل أجزائها وبكل خصوصياتها ، مثل ما كانت سيرة خاتم الأنبياء على

مدى أيام عمره في دنيا الناس وهذا ما تفرّد به وحده ولم يكن لغيره ﷺ .

فالصحابة كلهم جميعاً ، على تصاعد منازلهم ودرجات فضلهم وبرهم ، نعرف
عنهم ونجهل ، وليس فيهم من نعيشه يوماً بيوم وساعة بساعة ، في بيته وخارج
بيته ، في أهله وبعيداً عن أهله ، في نهاره ، وليله ... إلا النبي !

ليس ذلك تعدياً ولا تجاوزاً أو تدخلاً في (الحياة الشخصية) واعتداءً على
(حرمة أسرارها) كما يقال اليوم .. وإنما هو الأخذ ، أو التلقي من (الأسوة
الحسنة) ، والقُدوة القائدة ، والمثل الأسمى ، من الذي أرسل (ليبين) للناس ...
كل شيء ، وأي شيء .

لكن أبا هريرة يتناول الأمر من زاوية أخرى لها قيمتها ، بل لها محاذيرها ،
فلنسمعه أولاً :

قال ﷺ : (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثته - أي أذعته
على الناس - وأما الآخر ، فلو بثته لقطع هذا البلعوم)^(٢) .

لقد امتنع أبو هريرة ﷺ عن نشر أحاديث النبي ﷺ التي تنبئ عن الفتن
والصراعات والتمزق ؛ ولا يعتبر ذلك كتماناً للعلم ، وحجباً للمعرفة ، واستئثاراً
بخير ، بل إن الخير أن تطوى وتُصان في صدر من تلقاها منفرداً وحده مع
النبي ﷺ ، دفعا لهوى النفس (والنفس أمارة بالسوء) ، ودرءاً لأخطار المنافقين
ووساوس الشياطين ، وأمر الله بعد ذلك يظلُّ قدراً مقدوراً .

(٢) صحيح البخاري .

(١) عن الأحباب : فؤاد شاكر .

فَلَمَّا أَطَلَّتِ الْفِتْنُ السَّوْدَاءُ وَالْحَمْرَاءُ بِرَأْسِهَا وَلَعِبَتْ بِرُؤُوسِ كَثِيرِينَ ، وَكُلُّ يَظُنُّ أَنَّهُ
عَلَى جَادَةِ الصَّوَابِ ، ظَلَّ أَبُو هُرَيْرَةَ يُرَدِّدُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ حَرِيقِهَا
وَالْإِمْسَاكِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا ؛
(طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عُيُوبِ النَّاسِ .. طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ ، وَوَسِعَهُ
بَيْتُهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ) .

وَلَقَدْ اخْتَصَّ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا هُرَيْرَةَ بِمَزَايَا ثَلَاثٍ ؛ لِمَا تَوَسَّمَ فِيهِ مِنْ حُبِّ الْعِلْمِ ،
وَحُبِّ لِلصُّحْبَةِ ، وَعُزُوفٍ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى لَا يُشْغَلَ عَنْ هَذَيْنِ الْحُبَّيْنِ ؛

أ - مَيْزَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِإِبْقَائِهِ الْكُنْيَةَ أَوْ اللَّقَبَ الَّذِي اشْتَهَرَ بِهِ فِيمَا بَعْدُ ، وَأَصْبَحَ لَهُ
أَسْمَاءٌ ، وَهُوَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؛ وَهُوَ يُنْمَى عَنْ جَانِبِ الْبِسْمَةِ وَالطَّرَافَةِ وَالْمُدَاعَبَةِ فِي حَيَاةِ
مُجْتَمَعِ الصَّحَابَةِ الْجَادِّ الْفَاضِلِ الرَّصِينِ .

ب - وَمَيْزَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَالِدُخُولِ عَلَيْهِ وَالْخُرُوجِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ
نَهَارٍ ؛ حَتَّى إِنْ بَعْضَ الْوَاقِدِينَ الْغُرَبَاءِ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ كَانُوا يَظُنُّونَهُ مِنْ آلِ
الْبَيْتِ (وَهَذَا الْإِيثَارُ وَالرَّفْقُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا يُشْبِهُهُ (الْمُكَافَأَةُ) أَوْ (الْحَافِزُ)
لَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ لِكَيْ يُرْسَخَ عِنْدَهُ حُبُّ الْعِلْمِ ، وَيُنَشِّطَ عَقْلَهُ لِحِفْظِ حَدِيثِ الرَّسُولِ
وَيَزِدَادَ صَبْرًا وَزُهْدًا وَعِفَّةً .

ج - وَلَقَدْ مَيْزَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَاخْتَصَّهُ بِبَرَكَاتِهِ وَنَظَرَاتِهِ الَّتِي مَكَنَتْهُ مِنَ الْاسْتِيعَابِ
الدَّقِيقِ وَالْحِفْظِ ؛ كَمَا سَبَقَ مِنْ حَدِيثِ بَسْطِ الرَّدَاءِ .

فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، رَحَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ إِلَى الْبَحْرَيْنِ عَامِلًا
(وَالْيَأَى) عَلَيْهَا ، فَرَجَعَ مِنْهَا بِمَالٍ لَهُ بَلَغَ نَحْوَ عَشْرَةِ آفِ دِرْهَمٍ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ ، وَكَانَ
شَدِيدًا حَازِمًا مَعَ عُمَّالِهِ ، كُلِّ الْحَزْمِ وَالشَّدَةِ ، قَالَ : اسْتَأْثَرْتُ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ ، فَمَنْ
أَيُّنَ لَكَ ؟ ، أَجَابَ أَبُو هُرَيْرَةَ : خَيْلٌ نَتَجَتْ وَأَعْطِيَةٌ تَتَابَعَتْ وَخِرَاجٌ رَقِيقٌ لِي ؛ فَبَحَثَ
سَيِّدُنَا عُمَرُ وَتَحَرَّى فَوَجَدَهَا حَقًّا كَمَا قَالَ ؛ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَعُودَ قَابِي .

قَالَ عُمَرُ ﷺ : لَقَدْ طَلَبَ الْعَمَلُ مَنْ كَانَ خَيْرًا مِنْكَ !

فَرَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّهُ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ^(١) ، وَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ أُمَيْمَةَ ،
وَأَخْشَى ثَلَاثًا : أَنْ أَقُولَ بغيرِ عِلْمٍ ، أَوْ أَقْضِيَ بِغيرِ حُكْمٍ ، وَيُضْرَبَ ظَهْرِي وَيُسْتَمَّ
عِرْضِي وَيُنزَعَ مَالِي ! فَتَرَكَهُ عُمَرُ لِمَا أَرَادَ .

وَعَنْ ثَمَانَ وَسَبْعِينَ سَنَةً تُوِّفِيَ سَيِّدُ الْحَفَاطِ سَيِّدُنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِالْمَدِينَةِ سَنَةً
سَبْعَ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ عَلَى الْأَرْجَحِ .

فَائِدَةٌ بِكُلِّ خَيْرٍ عَائِدَةٌ :

وَكَمَا أَحَبَّ أَبُو هُرَيْرَةَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ فَقَدْ أَحَبَّهُ لِغَيْرِهِ : مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ
بِسُوقِ الْمَدِينَةِ فَهَالَهُ انْشِغَالُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا ، وَاسْتِغْرَاقُهُمْ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْأَخْذِ
وَالْعَطَاءِ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : مَا أَعْجَزَكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ !!

فَقَالُوا : وَمَا رَأَيْتَ مِنْ عَجْزِنَا يَا أبا هُرَيْرَةَ ؟

فَقَالَ : مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه يُقَسَّمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا ؟

أَلَا تَذْهَبُونَ وَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ !! .

فَقَالُوا : وَأَيْنَ هُوَ يَا أبا هُرَيْرَةَ ؟

قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ .

فَخَرَجُوا سِرَاعًا ، وَوَقَّفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أبا هُرَيْرَةَ
لَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ فَلَمْ نَرَ شَيْئًا يُقَسَّمُ .

فَقَالَ لَهُمْ : أَوْ مَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا ؟

قَالُوا : بَلَى .. رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ وَقَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ فِي

الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ..

فَقَالَ رضي الله عنه : وَيَحْكُمُ ... ذَلِكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه .

رَحِمَ اللَّهُ أبا هُرَيْرَةَ وَارْتُقْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُ مَعِيَّةً فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، فَأَنْتَ وَلِيُّ
ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا غَنِيُّ .



(١) إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم على لسان سيدنا يوسف عليه السلام لملك مصر : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَشِيتُ عَلَىٰ﴾
سُورَةُ يُوسُفَ الْآيَةُ ٥٥ .

سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَاسْمُهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ عُمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو
ابنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ الْقُرَشِيِّ
التَّيْمِيِّ ، يَلْتَقِي مَعَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ .

وَلَقَّبَ رضي الله عنه عَتِيقًا : كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ ، وَقِيلَ : لِعِتَاقَةِ وَجْهِهِ (أَيِ حُسْنِهِ
وَجَمَالِهِ) ؛ قَالَهُ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَاللَيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَجَمَاعَةٌ ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
فِي نَسَبِهِ شَيْءٌ يُعَابُ بِهِ .

وَأُمُّهُ أُمُّ الْخَيْرِ : سَلَمَى بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ .
وُلِدَ رضي الله عنه لِسِتْنَيْنِ مِنْ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه .

وَشَبَّ رضي الله عنه عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَالسَّيْرَةِ الْمَحْمُودَةِ ، وَكَانَ ذَا يَسَارٍ ، يَحْمِلُ الْكَلَّ ،
وَيُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَكَانَ مُصَاحِبًا لِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه قَبْلَ النَّبُوءَةِ ، فَلَمَّا اصْطَفَى اللَّهُ
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا بِرِسَالَتِهِ ؛ كَانَ (أَبُو بَكْرٍ) أَوَّلَ رَجُلٍ أَجَابَهُ ، حَتَّى قَالَ رضي الله عنه : (مَا دَعَوْتُ
أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كِبُوءَةٌ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ) ، ثُمَّ قَامَ رضي الله عنه بِاصْطِفَاءِ الْعُقُولِ
الرَّاجِحَةِ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ فَاسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ : عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ
الْعَوَّامِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ،
وَعُمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَالْأَرْقَمُ
بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ ، فَهَمَّ فِي صَحِيفَتِهِ وَمَنْ تَنَاسَلَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
ذَكَرَ أَوْلَادَهُ ^(١) :

وَكَانَ لَهُ رضي الله عنه مِنَ الْوَالِدِ : عَبْدُ اللَّهِ وَأَسْمَاءُ (وَأُمُّهُمَا قَتِيلَةٌ) ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَائِشَةُ
(وَأُمُّهُمَا أُمُّ رُومَانَ) ، وَمُحَمَّدٌ (وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسَ) ، وَأُمُّ كَلْثُومٍ (وَأُمُّهَا حَبِيبَةُ
بِنْتُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ) ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى خَارِجَةَ
فَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ .

(١) سِيرُ أَعْلَامِ النَّبِيَاءِ : الدَّهْمِي ، وَصِفَةُ الصُّفُوَّةِ : ابْنُ الْجَوْزِيِّ .

فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنَّهُ شَهِدَ الطَّائِفَ .

وَأَمَّا أَسْمَاءُ (ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ) ﷺ : فَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَعَاشَتْ مِائَةَ سَنَةٍ .

وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ﷺ : فَشَهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ أَسْلَمَ .

وَأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ : فَقَدْ وُلِّاهُ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مِصْرَ ، فَقَتَلَهُ هُنَاكَ صَاحِبُ مُعَاوِيَةَ .

وَأَمَّا أُمُّ كُلْثُومٍ ﷺ : فَتَزَوَّجَهَا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : (فَلَمْ يَبْقَ لَهُ وَوَلَدٌ ، وَلَا وَالِدٌ وَلَا وَالِدَةٌ إِلَّا آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْلَمَ هُوَ ، وَأَبَوَاهُ ، وَأَوْلَادُهُ ، وَبَنَاتُهُ كُلُّهُمْ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ) .

تَسْمِيَتُهُ الصِّدِّيقِ .. وَعَلَامَاتُهُ عَلَى الطَّرِيقِ :

قَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَغَيْرُهُ : وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَسْمِيَتِهِ ﷺ بِالصِّدِّيقِ ؛ لِأَنَّهُ

بَادَرَ إِلَى تَصْدِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا زَمَ الصِّدْقَ ، فَلَمْ تَقَعْ مِنْهُ هَنَاءٌ مَا ، وَلَا وَقْفَةٌ فِي حَالَةٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَكَانَتْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ الْمَوَاقِفُ الرَّفِيعَةُ مِنْهَا قِصَّتُهُ يَوْمَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ ، وَثَبَاتُهُ وَجَوَابُهُ لِلْكَفَّارِ فِي ذَلِكَ ، وَكَلِمَتُهُ الَّتِي تُخْبِرُ عَنْ يَقِينِ الْإِيمَانِ :

(إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ !) ، وَهَجَرْتُهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ عِيَالَهُ وَأَطْفَالَهُ ،

وَمُلَازَمَتُهُ فِي الْفَارِ وَسَائِرِ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ كَلَامُهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ حِينَ اشْتَبَهَ عَلَى غَيْرِهِ الْأَمْرَ فِي تَأْخُرِ دُخُولِ مَكَّةَ ، ثُمَّ بُكَاءُهُ وَهُوَ يَقُولُ : (فَدَيْنَاكَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ يَا بَابَانَا وَأُمَّهَاتِنَا) حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنْ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ) فَكَانَ ﷺ ، أَعْلَمَ الصَّحَابَةِ ، ثُمَّ ثَبَاتُهُ يَوْمَ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

ﷺ وَخُطْبَتُهُ النَّاسَ وَتَسْكِينُهُمْ ، ثُمَّ قِيَامُهُ فِي قَضِيَّةِ الْبَيْعَةِ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ ،

ثُمَّ اهْتِمَامُهُ وَثَبَاتُهُ فِي بَعْثِ جَيْشِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى الشَّامِ وَتَصْمِيمُهُ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ

قِيَامُهُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ وَمُنَاطَرَتِهِ لِلصَّحَابَةِ حَتَّى حَجَّهُمْ بِالْأَدْلَالِ ؛ وَشَرَحَ اللَّهُ

صُدورَهُمْ لِمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرُهُ مِنَ الْحَقِّ وَهُوَ قِتَالُ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، ثُمَّ تَجْهِيزُهُ الْجِيُوشَ إِلَى الشَّامِ لِفَتْوحِهِ ، ثُمَّ إِمْدَادُهُمْ بِالْأَمْدَادِ ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِمِهِمَّ مِنْ أَحْسَنِ مَنَاقِبِهِ ، وَأَجَلَ فِضَائِلِهِ ، وَهُوَ اسْتِخْلَافُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَقَرُّسُهُ فِيهِ ، وَوَصِيَّتُهُ لَهُ ، وَاسْتِيدَاعُهُ اللَّهَ الْأُمَّةَ ، فَخَلَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ ، وَظَهَرَ لِعُمَرَ الَّذِي هُوَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَوَاحِدَةٌ مِنْ فِعَالَتِهِ تَمْهِيدُ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْزَازُ الدِّينِ وَتَصَدِيقُ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَمَّ لِلصِّدِّيقِ مِنْ مَنَاقِبَ وَمَوَاقِفَ وَفِضَائِلَ لَا تُحْصَى (١) .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُسْلِمِينَ سَنَدًا وَعُدَّةً ؛ فِي مُوَاجَهَتِهِ أَحْدَاثَ الرَّدَّةِ :

أَيُّ مَصِيرٍ كَانَ يَنْتَظَرُ الْإِسْلَامَ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ هُنَاكَ ٩٩٠٠

لَقَدْ عَبَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَاجِدَةِ بِقَوْلَتِهِ الْخَالِدَةِ :

(لَقَدْ قُمْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا كِدْنَا نَهْلِكُ فِيهِ ، لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَبِي بَكْرٍ) .

أَجَلٌ ، لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ نِعْمَةَ اللَّهِ وَمُثَوِّبَةً لِلدِّينِ ، وَلِلنَّاسِ .

قَدْ تَضَرَّعَتِ الْأَرْضُ نَارًا فِي الْجِهَاتِ النَّائِيَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ؛ وَالَّتِي كَانَ مُعْظَمُ أَهْلِهَا

حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَكُونُوا يَتَصَوَّرُونَ بِفِطْرَتِهِمُ السَّادِجَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَمُوتُ كَمَا يَمُوتُ النَّاسُ ، وَهَكَذَا بِهَذِهِ السُّرْعَةِ !!

لَقَدْ سَقَطَ هَوْلًا تَحْتَ صِيَاحِ الْكَاذِبِينَ الْمَهْرَةَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ

بِالْإِسْلَامِ كُلِّ سُوءٍ .

لَقَدْ انْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَجَاءَ عَنْ كُلِّ الْمُؤْتَرِينَ بِهِ وَالْمُتَرَبِّصِينَ ، وَعَنْ أَنْبِيَاءِ كَذِبَةٍ ،

قَادُوا بِرَاعَةِ الْإِفْكَ اللَّعِينِ ؛ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانَتْ الْغَفْلَةُ تُرَشِّحُهُمْ لِأَنْ يَكُونُوا ضَحَايَا

أَكَاذِبِهِمْ ، وَلَا سِيَّمَا أَوْلِيَّكَ الْبَعِيدِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالِدَاخِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ قَرِيبٍ .

وَقَفَّ طَلِيحَةُ الْأَسَدِيِّ يُعْلِنُ نُبُوَّةَ كَاذِبَةٍ ، وَتَبَعَهُ الْكَثِيرُونَ مِنْ قَبَائِلِ أَسَدٍ ، وَعَظْفَانَ ،

وَطَيْئِيٍّ ، وَعَبْسِيٍّ ، وَذُبْيَانٍ .

(١) تَهْدِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ : الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ (ت : ٦٧٦ هـ) .

ثُمَّ اشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الرَّدَّةِ فِي بَنِي عَامِرٍ ، وَهَوَازِنَ ، وَسُلَيْمٍ .
ثُمَّ شَبَّتْ فِي بَنِي تَمِيمٍ ، وَجَاءَتْهُمْ الْمَرْأَةُ (سَجَاح) تَزْعُقُ بِنُبُوتِهَا الضَّالَّةِ
الْمَهْرَجَةِ !!

ثُمَّ تَمَرَّدَ أَهْلُ الْيَمَامَةِ رَافِعِينَ لِوَاءِ أَخْطَرِ مُدْعِي النُّبُوَّةِ جَمِيعاً ؛ مُسَيِّمَةَ الْكَذَّابِ .
وَهَكَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَاجِهُهُ فُلُولاً صَغِيرَةً ، أَصْبَحَ أَمَامَ جُيُوشِ جَرَّارَةٍ
قَوْمُهَا عَشْرَاتُ الْأُلُوفِ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ .
وَسَرَّتِ الْعَدَوَى إِلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَعُمَانَ ، وَالْمَهْرَةَ ، وَصَارَ هَؤُلَاءِ وَأَوْلَتْكَ يَتَغَنَّوْنَ
بَيْتَ مِنَ الشُّعْرِ أَطْلَقَهُ أَحَدُ شُعْرَائِهِمْ :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا دَامَ بَيْنَنَا ❁ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ ؟؟

وَلَكِنْ ، لِلَّهِ مِنْ خَلْقِهِ رِجَالٌ تَتَحَوَّلُ الْمِحْنُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى مَنَحٍ ، وَالْكَوَارِثُ إِلَى رَبِيعٍ
تَمْلُؤُهُ رُوحُ الْحَيَاةِ .. !!

فَخِلَالَ هَذِهِ الْمِحْنَةِ الصَّاهِرَةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِالْإِسْلَامِ ، تَكَشَّفَتْ كُلُّ جَوَانِبِ الضَّعْفِ
فِي الْبِنَاءِ الْبَشَرِيِّ لِمَنْ يَنْتَمُونَ لِلْإِسْلَامِ ، وَهَبَّ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الْقَوِيُّ بِرَبِّهِ ، فَرَأَبَ
الْصَّدْعَ ، وَحَوَّلَ الصَّفَّ إِلَى تَمَاسُكٍ وَاقْتِدَارٍ !!
وَكَانَتْ حُظُوظُ الْإِسْلَامِ وَافِيَةً ، وَمَقَادِيرُهُ سَعِيدَةً ؛ إِذْ جَاءَتْهُ هَذِهِ الْمِحْنَةُ وَأَبُو بَكْرٍ
حَامِلُ الرَّأْيَةِ ، وَقَائِدُ الْأُمَّةِ .

وَيَفْضُلُ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ ، تَفَوَّقَ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ وَالْخَلِيفَةُ الْمُؤْمِنُ عَلَى أخطَارٍ
كَانَتْ حَرِيَّةً بِأَنْ تُدَاعِيَ بِنَاءَ إِمْبِرَاطُورِيَّةٍ شَامِخَةٍ رَاسِخَةٍ ، فَمَا الْبَالُ بِبَيْدَيْنِ نَاشِئٍ
غَضٌّ جَدِيدٌ ؟..

وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَيَّامُ الْمُزْنَزَلَةُ أَعْظَمَ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْصَبَهَا ،
وَأَكْثَرَهَا بَرَكَةً عَلَيْهِ ، وَخَيْرًا لِمَصِيرِهِ .

وَاصْحَابَتَاهُ .. ، فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ ، وَقَدْ تَكَالَبَتِ قُوَى الشَّرِّ وَالطُّغْيَانِ ، بِأَزْ
مِنَ الشَّيْطَانِ ، مُتَدَرِّعَةً بِالِدِّفَاعِ عَنِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ ؛ وَجَوْهَرُ هَدْفِهِمْ اقْتِلَاعُ جُذُورِ
الْإِسْلَامِ ، وَطَمَسُ مَعَالِمِ الْإِيمَانِ ؛ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَمِنْ مَآثِرِهِ : نَطَقَ الْكِتَابُ بِفَضْلِهِ :
(١) قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ :

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

قال الليث بن سعد : ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق .
وقال سفيان بن عيينة^(٢) : خرج أبو بكر بهذه الآية من المعتابة .

في قوله : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ .

وقال الإمام القرطبي^(٣) : ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ : أي أخرجوه منفرداً من جميع الناس إلا من أبي بكر .

(٢) قال الله تعالى في آخر سورة الليل :

﴿وَسِجْنَهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۖ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا أَتِنَعًا وَجِهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۖ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾^(٤).

جاء في تفسير ابن كثير : وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك .

(٣) قال الله تعالى في سورة النور :

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

(٢) تاريخ دمشق : ابن عساکر .

(٤) سورة الليل : الآيات ١٧ : ٢١ .

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

(٣) تفسير القرطبي .

(٥) سورة النور : الآية ٢٢ .

هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ النُّورِ وَضَعَتْ حَدًّا لِثَوْرَةِ الْغَضَبِ الَّتِي اعْتَرَتْ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، تَجَاهَ مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ وَالَّذِي تَرَبَّطَهُ بِسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ صَلَافَةً قَرَابَةً ؛ وَكَانَ مِسْطَحٌ قَدْ اشْتَرَكَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ فِي النَّيْلِ مِنْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ الصِّدِّيقَةِ بِنْتِ الصِّدِّيقِ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها ، وَرَدَّدَ مَا رَدَّدُوا مِنْ إِفْكِ وَزُورٍ عَلَيْهَا ، وَكَانَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ يُنْفِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا ، وَعِنْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ بِجَلَاءِ ظُلْمِهِ لِابْنَتِهِ (زَوْجَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) ، أَقْسَمَ أَلَّا يُنْفِقَ عَلَيْهِ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ عَنْ عَائِشَةَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا سَمِعَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا ^(١) .

(٤) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ :

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢)

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ رضي الله عنه : (الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَصَدَّقَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه) ^(٣) .

(٥) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءِانَاءَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا تَحَذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٤)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي رِوَايَةِ الضَّحَّاكِ عَنْهُ : (هُوَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه) ^(٥) .

(٦) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ :

(٢) سُورَةُ الزُّمَرِ : الْآيَاتَانِ ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) سُورَةُ الزُّمَرِ : الْآيَةُ ٩ .

(١) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ .

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ .

(٥) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

قال الإمام عليّ عليه السلام : (هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ أسلم أبواه جميعاً ، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره فأوصاه الله بهما ، ولزم ذلك من بعده) (٢) .

(٧) وقال الله تعالى في سورة الحديد :

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُفْقَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣)

جاء في تفسير (ابن كثير) ، و(القرطبي) عن هذه الآية ما يفيد أنها نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي (حلية الأولياء) ، قال أبو نعيم :

(أبو بكر الصديق : السابق إلى التصديق ، الملقب بالصديق ، المؤيد من الله بالتوفيق ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في الحضر والأسفار ، ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار ، وضجيعه في الروضة المحفوفة بالأنوار ، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار ، وعمامة الأبرار ، وبقي له شرفه على كرور الأعصار ، حيث يقول عالم الأسرار : ﴿ثَانِي أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ إلى غير ذلك من الآيات والآثار ، ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار ؛ التي غدت كالشمس في الانتشار ، وفضل كل من فاضل ، وفاق كل من جادل وناضل ، ونزل فيه :

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ ، توحد الصديق ، في

(٢) تقيمير (القرطبي) ، و(البغوي) ، و(أبي السعود) .

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٣) سورة الحديد : الآية ١٠ .

الأحوال والتحقق... الخ) .

(٨) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

وَالَّذِي يَقْرَأُ تَارِيخَ الرَّدِّ يَتَأَكَّدُ لَدَيْهِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَحَقَّقَتْ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ ذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ قَدْ لَاقَى فِي بَدَايَةِ الْحَرْبِ مُعَارَضَةً مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ احْتَجُّوا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي ، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ) ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ بِأَنْ أَكْمَلَ الْحَدِيثَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) (٢) .
وَقَالَ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ :

(وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ) ،
وَبِهَذَا يَكُونُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ جَمَعَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .

وَمِنْ مَآثِرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِ :

❁ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا فِي الْغَارِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لِأَبْصَرْنَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا ظَنَنْكَ ، يَا أَبَا بَكْرٍ ! بِأَتَيْنِ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا ؟) (٣) .
❁ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : (إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : فَدَيْنَاكَ يَا أَبَانَا وَأُمَّهَاتِنَا ، فَعَجِبْنَا لَهُ ، وَقَالَ

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٌ .

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : الْآيَةُ ٥٤ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ) .

النَّاسُ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : فِدْيَانِكَ يَا أَبَاتِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ؛ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنْ مِنْ أُمَّنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ ، إِلَّا خَلَةَ الْإِسْلَامِ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ) (١) .

✽ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، قَالَ : أَتَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ، قَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ ، قَالَ ﷺ : (إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أبا بَكْرٍ) (٢) .

✽ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْتَاهُ ، مَا خَلَا أبا بَكْرٍ ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ) (٣) .

✽ وَعَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : (مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنْ أبا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَأَمْرُ عُمَرَ ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ؛ قَالَتْ ، فَقَالَ : (مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ إِنْ أبا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَأَمْرُ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ؛ فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّكُمْ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) (٤) .

✽ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَحَدِ (جَبَلِ أَحَدٍ) وَمَعَهُ أَبُو

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالْخَوْخَةُ : الْبَابُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ .

بُكَرٌ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَضْرَبَهُ ﷺ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : (ائْتَبْتُ أَحَدًا فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ) (١) .

وَفِعْلًا فَالْصَّدِيقُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ ، وَالشَّهِيدَانِ سَيِّدُنَا عُمَرُ وَسَيِّدُنَا عُثْمَانُ ﷺ .

❁ وَعَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
(مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مَثَلُ الْقَطْرِ ، أَيْنَمَا وَقَعَ نَفَعَ) (٢) .

سِيَاقُ جَمَلٍ مِنْ فَضَائِلِهِ وَمَنَاقِبِهِ ﷺ :

ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا وَجَمِيعَ الْمَشَاهِدِ ، وَلَمْ يَفْتَهُ مِنْهَا مَشْهَدٌ ، وَثَبَّتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ أَنْهَزَمَ النَّاسُ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَايَتَهُ الْعُظْمَى يَوْمَ تَبُوكَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ يَوْمَ أُسْلَمَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَكَانَ يُعْتَقُ مِنْهَا وَيُقَوِّي الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ شُرْبِ الْمُسْكِرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاءَ تَحْرُجًا مِنَ الشُّبُهَاتِ ، وَأَنَّهُ ﷺ أُسْلِمَ عَلَى يَدَيْهِ سِتَّةٌ مِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ كَمَا مَرَّ بِنَا ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ عَنْهُ : (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَقَدْ أَعْتَقَ سَيِّدَنَا) (٣) ؛ يَعْنِي سَيِّدَنَا بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ ﷺ ، وَرَوَى الصَّدِيقُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِائَةَ حَدِيثٍ وَاثْنَيْ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا ، وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ مِنْ أَعْبَرِ النَّاسِ بِالرُّؤْيَا ، وَكَانَ فَرَدَّ زَمَانِهِ فِي النَّسَبِ (أَيَ : فِي عِلْمِ الْأَنْسَابِ) .

تَعَرَّضُ لِنَفْسَاتِهِ وَبِرَكَاتِهِ بِذِكْرِ أَوْلِيَائِهِ :

أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ أُسْلِمَ ، وَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَمَّاهُ مُصْحَفًا ، وَأَوَّلُ مَنْ سَمَّى خَلِيفَةً ، وَأَوَّلُ مَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَأَبُوهُ حَيٌّ ، وَأَوَّلُ خَلِيفَةٍ فَرَضَ لَهُ رَعِيَّتَهُ الْعَطَاءَ .
سُبُوحَاتُ رُوحِيَّةٍ .. وَجَوْهَرُ الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ :

مَرِضَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَسُرْعَانَ مَا عَلِمَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ ، فَجَاءَهُ وَعَادَهُ ،

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .

فَلَمَّا رَأَهُ مَرِيضًا مَرَضَ بِمَرَضِهِ ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَلَمَّا بَرِيَ ﷺ مِنَ الْمَرَضِ عَلِمَ أَنَّ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ فِي مَنْزِلِهِ لِإِصَابَتِهِ بِالْمَرَضِ فَجَاءَهُ ﷺ وَعَادَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، فَلَمَّا رَأَهُ الصَّدِيقُ شُفِيَ وَقَامَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَمْرُضْ .
فَسَجَلَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ هَذِهِ الْوَقَائِعَ النُّورَانِيَّةَ فِي بَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ يُرَدُّهُمَا أَحِبَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا :

مَرَضَ الْحَبِيبُ فَرَزَّتُهُ ❁ فَمَرَضْتُ مِنْ خَوْفِي عَلَيْهِ
شُفِيَ الْحَبِيبُ فَزَارَنِي ❁ فَشُفِيَتْ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ

نَعَمْ .. إِذَا اسْتَقَامَتْ جَوَارِحُ الْإِنْسَانِ ، وَفَقَّ مَا ارْتَضَاهُ الرَّحْمَنُ ، تَخَلَّصَتْ مِنْ قِيُودِ الشَّيْطَانِ ، وَأَنْطَلَقَتْ فَأَثَرَتْ وَتَأَثَّرَتْ بِمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهَا مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ :

يَقُولُ الْحَبِيبُ الْأَعْظَمُ ﷺ : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى) (١) .

مُدَّةُ خِلَافَتِهِ ﷺ : ١١ - ١٣ هـ : حَيْثُ بُويعَ ﷺ يَوْمَ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

وَفَاتَهُ ﷺ : وَكَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ ﷺ :
﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

تُوفِّيَ ﷺ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ لِثَمَانِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَغَسَلَتْهُ زَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكُمِّنَ فِي ثَوْبِيهِ كَمَا وَصَّى ، وَصَلَّى عَلَيْهِ خَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ ، وَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَخَلَ قَبْرَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَطَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ .

رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَحَشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَأَمَاتْنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ .

(٢) سُورَةُ يُوسُفَ : مِنَ الْآيَةِ ١٠١ .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٍ .

وَبَعْدُ ، فَهَذَا هُوَ الصِّدِّيقُ .. ((لَا يَرْفَعُ الْكَاتِبُونَ مِنْ قَدْرِهِ بِمَا يَسْطُرُونَ عَنْهُ وَعَنْ فَضَائِلِهِ ؛ إِنَّمَا يَرْفَعُونَ مِنْ أَقْدَارِ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يُؤْهَلُوهَا لِلْحَدِيثِ عَنْ هَذَا الطُّوْدِ الشَّامِخِ الْعَظِيمِ .

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ حَيَاءً إِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ كَلِمَةً ثَنَاءً .. حِينَ ذَلِكَ ؛ كَانَ الدَّمْعُ يُبَلِّغُ عَيْنَيْهِ ، وَيُرَدِّدُ ابْتِهَالَهُ المَأْثُورَ :

(اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ) .

فَائِدَةٌ بِكُلِّ خَيْرٍ عَائِدَةٌ :

لَقَدْ رَأَى سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَبْرَاجَ الرُّومِ وَالْفُرْسِ تَدَاعَى تَحْتَ سَنَابِكِ خَيْلِهِ ، وَأَقْدَامِ جُنْدِهِ ، وَرَأَى الْعَالَمَ الْقَدِيمَ كُلَّهُ يَبْدَأُ رِحْلَةَ فَنَائِهِ تَحْتَ خَفَقِ رِيَائِهِ الطَّافِرَةِ .. كُلُّ هَذَا وَلَمْ تَتَسَلَّلْ إِلَى نَفْسِهِ هَمْسَةٌ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَحَدٍ .

بَلْ كَانَ دَوْمًا ، يُمَسِّكُ قَلْبَهُ بِيَمِينِهِ ، وَيَجَارُ بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) .

إِنَّهُ وَهُوَ صَاحِبُ هَذَا الْإِيمَانِ الَّذِي يَكْفِي أَهْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا ، يَخَافُ عَلَى قَلْبِهِ أَنْ يَزِيغَ ؛ وَيَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجْرَةً تُعْضَدُ) .

فَإِذَا ذُكِّرَ بِمَقَامِهِ عِنْدَ اللَّهِ أَجَابَ :

(وَاللَّهِ لَا أَمِنْ مَكْرَ اللَّهِ ، وَلَوْ كَانَتْ إِحْدَى قَدَمَيَّ فِي الْجَنَّةِ) .

وَمِنْ هُنَا كَانَ قَوْلُهُ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، تَعْبِيرًا أَمِينًا عَنْ طَبِيعَتِهِ وَفِقْهِهِ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ بَعْدَهُ الشَّدِيدُ عَنْ كُلِّ مَظَاهِرِ الزَّهْوِ وَالِاسْتِعْلَاءِ .



سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْمُهُ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رَبَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رِزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ الْعَدَوِيِّ الْقُرَشِيِّ ؛ يَلْتَقِي مَعَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي الْجَدِّ السَّابِعِ لَهُ (كَعْب) .
 وَكُنْيَتُهُ : (أَبُو حَفْص) ، وَلَقَبُهُ : (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) ، وَ(النَّظْرُوق) .
 وَأُمُّهُ : حَنْتَمَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ الْمُفِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ بِنْتُ عَمِّ (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) .
 وُلِدَ رضي الله عنه فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ مِنْ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه (٤٠ ق . هـ) .

إِسْلَامُهُ رضي الله عنه وَعِزَّةُ الْإِسْلَامِ بِهِ :

لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ كَانَ عُمَرُ مِنْ أَكْبَرِ الْمُعَارِضِينَ لَهُ ، فَلَمَّا هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ؛ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ بِبِرْكَةِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه :
 (اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَوْ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ) ^(١) فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ ؛ فَاتَى دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ ، وَالتَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه مُسْتَخْفِيًّا فِيهَا ، وَدَانَ بِالْإِسْلَامِ ، وَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه بِتَرْكِ الْاِخْتِفَاءِ وَإِظْهَارِ الدِّينِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ صَفَيْنِ يَقْدُمُ أَحَدُهُمَا : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَيَقْدُمُ الْآخَرَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(٢) .

وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ عُمَرُ رضي الله عنه يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ قُوَّةِ الْبَطْشِ ؛ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : (مَازَلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ) .

فَلَمَّا أذنَ اللَّهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى الْهَجْرَةِ خُفِيَّةً إِلَّا عُمَرَ رضي الله عنه ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا عَزِمَ عَلَيْهَا جَاءَ قُرَيْشًا فِي نَادِيهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِعِزْمِهِ ، وَقَالَ : (مَنْ أَرَادَ أَنْ تَتَكَلَّهُ أُمُّهُ ^(٣) ، وَيَسْتَمَ وَلَدَهُ وَتُرْمَلَ زَوْجَتُهُ ، فَلْيَلْقِنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي) ،

(١) صحيح الترمذي ، والحاكم ، وابن جبان : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ، والأعلام : خير الدين الزركلي .

(٣) أي نكده .

فَمَا تَبِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

وَحَضَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا ؛ مِنْ (بَدْرِ) إِلَى (تَبُوكَ) .

وَزَوْجَ ﷺ ابْنَتَهُ (حَفْصَةَ) ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ تُوِّفِيَ عَنْهَا زَوْجُهَا مِنْ جِرَاحَةٍ أَصَابَتْهُ فِي أَحَدٍ .

وَمِنْ إِعْزَازِهِ لِلدِّينِ مَا تَحَقَّقَ فِي خِلَافَتِهِ مِنْ فُتُوحَاتٍ عَمَّتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؛ نَشِيرُ إِلَيْهَا لَاحِقًا .

وَمِنْ إِعْزَازِهِ لِلدِّينِ إِشَارَتُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ .

أَخْرَجَ ابْنُ السَّمَّانِ فِي الْمَوْافِقَةِ عَنِ النَّزَالِ بْنِ سَبْرَةَ ، قَالَ :

(وَافَقْنَا مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمًا أَطْيَبَ نَفْسًا وَمَزَاجًا ، فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : ذَاكَ أَمْرٌ سَمَّاهُ اللَّهُ الْفَارُوقَ فَفَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ) .

ذَكَرَ أَوْلَادِهِ ﷺ :

كَانَ لَهُ مِنَ الْوَالِدِ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَحَفْصَةُ (أُمُّهُمُ زَيْنَبُ بِنْتُ مَطْعُونِ) ، وَزَيْدُ الْأَكْبَرِ ، وَرُقِيَّةُ (أُمُّهُمَا أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ) ، وَزَيْدُ الْأَصْغَرُ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ (أُمُّهُمَا أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ جَرْوَلِ) ، وَعَاصِمٌ (أُمُّهُ جَمِيلَةُ) ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ (أُمُّهُ لَهْيَةُ أُمُّ وُلْدِ) ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَصْغَرُ (أُمُّهُ أُمُّ وُلْدِ) ، وَفَاطِمَةُ (أُمُّهَا أُمُّ حَكِيمِ بِنْتُ الْحَارِثِ) ، وَعِيَاضُ (أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ) ، وَزَيْنَبُ (أُمُّهَا فَكِيهَةُ أُمُّ وُلْدِ) .

مُؤَافِقَاتُهُ ﷺ الَّتِي سَجَلَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ :

أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ عَنْ عُمَرَ ﷺ ، قَالَ : وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، فَتَزَلَّتْ : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (١) ، وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَى نِسَائِكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ يَحْتَجِبْنَ ، فَتَزَلَّتْ آيَةُ الْحِجَابِ ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ ، فَقُلْتُ : عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ، فَتَزَلَّتْ كَذَلِكَ (٢) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٍ ، عَنْ عُمَرَ ﷺ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٥ .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمًا عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فِي الْحِجَابِ وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ ، وَفِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ) ^(١) .

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (ثَلَاثَةٌ) أَنَّ هَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَشْهَرُهَا ؛ وَإِلَّا فَقَدْ أَوْصَلَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ ، وَإِلَيْكَ بَعْضُ بَيَانِهَا :

● لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَا تَرَوْنَ فِي هَوْلَاءِ الْأُسَارَى ؟) ، فَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَخْذِ الْفِدَاءِ مِنْهُمْ (وَبِهَذَا الرَّأْيِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) ، وَأَشَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٢) .

● قَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْسَ هَذَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ أَيُّنَا ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ عُمَرُ : فَلَوْ اتَّخَذْتَهُ مُصَلًّى ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(٣) .

● وَفِي الْحِجَابِ أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ^(٤) .

● وَفِي الْخَمْرِ ، عِنْدَمَا قَالَ عُمَرُ : اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَحْرِيمَهَا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ^(٥) ، وَ(يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ﴾ ^(٦) .

● وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ ^(٧) ،

قَالَ عُمَرُ : فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ :

فَنَزَلَتْ : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(٨) .

● لَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ لِقَوْمٍ ، قَالَ عُمَرُ : سِوَاءَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ ^(٩) .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٥ .

(٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : مِنَ الْآيَةِ ٦٧ .

(٤) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : مِنَ الْآيَةِ ٥٣ .

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : الْآيَةُ ٩٠ .

(٦) سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ : مِنَ الْآيَةِ ١٢ .

(٧) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ : مِنَ الْآيَةِ ٦ .

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٥ .

(٩) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ : مِنَ الْآيَةِ ٦ .

● لَمَّا اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابَةَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ ، أَسَارَ عُمَرُ بِالْخُرُوجِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ (١) .

● لَمَّا اسْتَشَارَ ﷺ الصَّحَابَةَ فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ ، قَالَ عُمَرُ : مَنْ زَوَّجَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : اللَّهُ ، قَالَ عُمَرُ : أَفَتُظَنُّ أَنْ رَبِّكَ دَلَسَ عَلَيْكَ فِيهَا ؟ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ؛ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ كَذَلِكَ : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

● قِصَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا جَامَعَ زَوْجَتَهُ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ وَكَانَ ذَلِكَ مُحَرَّمًا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (٣) .

● وَقِصَّةُ الْيَهُودِيِّ الَّذِي لَقِيَ عُمَرَ ، فَقَالَ : إِنَّ جِبْرِيلَ الَّذِي يَذْكُرُهُ صَاحِبُكُمْ عَدُوٌّ لَنَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

● لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ ، دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ سَلُولٍ ، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا وَكَذَا ؟ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُكِّثْ يَسِيرًا ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ۖ وَمَاتُوا وَهُمْ فٰسِقُونَ ﴾ (٥) .

وَمِنْ مَآثِرِهِ ﷺ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّهِ :

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟

(٢) سُورَةُ النُّورِ : مِنَ الْآيَةِ ١٦ .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٩٨ .

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : مِنَ الْآيَةِ ٥ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٨٧ .

(٥) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الْآيَةُ ٨٤ .

فَقَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا (فَبَكَى عُمَرُ ، وَقَالَ :
أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) (١) .

✽ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ
النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ ، وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ ،
وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ) ، قَالُوا : فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ ؟
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ صلوات الله عليه : (الدِّينَ) (٢) .

✽ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجَأًا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجَأًا غَيْرَ فَجَكِ) (٣) .

✽ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ
الْأُمَّمِ مُحَدِّثُونَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ) (٤) .

✽ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ : (إِنْ اللَّهُ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَيَّ
لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ) (٥) .

✽ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) (٦) .

✽ عَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ) (٧) .

✽ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (عُمَرُ سِرَاجٌ أَهْلِ
الْجَنَّةِ) (٨) .

✽ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (مَا فِي السَّمَاءِ مَلَكٌ إِلَّا وَهُوَ
يُوقِرُ عُمَرَ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ شَيْطَانٌ إِلَّا وَهُوَ يَفْرُقُ مِنْ عُمَرَ) (٩) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .
(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .
(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .
(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .
(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ .
(٨) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
(٩) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، مُحَدِّثُونَ ، مُلْهُمُونَ .
(١٠) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .
(١١) أَخْرَجَهُ الْبَرْزَارُ .

❁ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه :

(بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَنِي عَلَى قَلْبٍ ^(١) ، عَلَيْهَا دَلْوٌ ، فَتَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَتَزَعَهَا بِهَا ذَنْبًا ^(٢) أَوْ ذَنْبَيْنِ ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا ^(٣) ، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّ أَرْعَبَقْرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَهُ ، حَتَّى رَوَى النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنِ) ^(٤) .

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي تَهْذِيبِهِ ^(٥) ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما ، وَكَثْرَةِ الْفُتُوحِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ فِي زَمَنِ عُمَرَ رضي الله عنه .

❁ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : (مَنْ أَبْغَضَ عُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَإِنَّ اللَّهَ بِأَهَى بِالنَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ عَامَةً ، وَبَاهَى بِعُمَرَ خَاصَةً ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا كَانَ فِي أُمَّتِهِ مُحَدَّثٌ وَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَهُوَ عُمَرُ) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ مُحَدَّثٌ ؟ قَالَ : (تَتَكَلَّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى لِسَانِهِ) ^(٦) .

❁ وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه فِي الْعُمْرَةِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ : (يَا أُخَيَّ لَا تَسْنَا مِنْ دُعَائِكَ) ^(٧) ، قَالَ عُمَرُ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ لِي بِهَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

خِلَافَتُهُ وَفُتُوحَاتُهُ رضي الله عنه (١٣-٢٣ هـ) :

وَلِيَ رضي الله عنه الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يَوْمَ تُوْفِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَهُوَ يَوْمُ الثَّلَاثِ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنْ هِجْرَتِهِ رضي الله عنه ، وَكَثُرَتِ الْفُتُوحُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي أَيَّامِ عُمَرَ رضي الله عنه فِي كُلِّ الْبِلَادِ :

❁ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فَتِحَتْ دِمَشْقُ مَا بَيْنَ صُلْحِ وَعَنْوَةَ ، وَجِمَصُ وَبَعْلَبَكُ صَلْحًا ، وَالْبَصْرَةَ وَالْأُبْلَةَ ؛ كِلَاهُمَا عَنْوَةَ (بَعْدَ قِتَالٍ وَحَرْبٍ) ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ جَمَعَ عُمَرَ رضي الله عنه النَّاسَ عَلَى صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ .

(٢) الذَّنْبُوبُ : الدَّلْوُ .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

(١) الْقَلْبُوبُ : الْبَيْتُ .

(٣) غَرْبًا : أَي دَلْوًا كَبِيرًا .

(٥) تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللِّغَاتِ : النَّوَوِيُّ .

(٧) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْحَافِظُ السَّلْفِيُّ .

❁ وفي سنة خمس عشرة فُتِحَتِ الأُردُنُّ كُلُّها عَنوةً إلا طَبْرِيَّةً فَإِنها فُتِحَتِ صُلْحاً ،
 وفي هذه السَّنَةِ كَانَتْ وَقَعَتَا الِيزْمُوكِ والقَادِسِيَّةِ ، وفيها مَصَرَ^(١) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الكُوفَةَ ، وفيها فَرَضَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الفُرُوضَ وَدَوَّنَ الدَّوَاوِينَ وَأَعْطَى العَطَاءَ عَلَى
 السَّابِقَةِ (أَي السَّابِقَةَ إِلَى الإِسْلَامِ) .

❁ وفي سنة ست عشرة فُتِحَتِ الأَهْوَازُ وَالمَدَائِنُ ، وَأَقَامَ بِهَا سَعْدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجُمُعَةَ
 فِي إِيْوَانَ كِسْرَى ؛ وَهِيَ أَوَّلُ صَلَاةٍ جُمُعَةٍ تُقَامُ بِالعِرَاقِ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ ،
 وفي هذه السَّنَةِ كَانَتْ وَقَعَةُ جُلُولَاءِ^(٢) وَهَزِمَ فِيهَا يَزْدَجَرْدُ بْنُ كِسْرَى وَتَقَهَّرَ إِلَى
 الرِّيِّ ، وفيها فُتِحَتِ تَكْرِيتُ^(٣) ، وفي هذه السَّنَةِ أَيْضاً سَارَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَفَتَحَ
 بَيْتَ المَقْدِسِ وَخَطَبَ بِالجَابِيَةِ خُطْبَتَهُ المَشْهُورَةَ ، وفيها فُتِحَتِ قَتْسِرِينَ عَنوةً^(٤) ،
 وَحَلَبُ^(٥) وَأَنْطَاكِيَّةُ^(٦) وَمَنْبِجُ صُلْحاً ، وَسَرُوحُ عَنوةً ، وفيها فُتِحَتِ قَرْقِيسِيَاءُ صُلْحاً ،
 وفي ربيعِ الأوَّلِ كُتِبَ التَّارِيخُ بِالهَجْرَةِ بِمَشُورَةِ الإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

❁ وفي سنة سبع عشرة زاد عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وفي هذه السَّنَةِ كَانِ
 القَحْطُ بِالجِجَارِ ؛ وَسُمِّيَ عَامَ الرَّمَادَةِ ، وَاسْتَسْقَى عُمَرُ لِلنَّاسِ بِالعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛
 ● أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنِ نِيَارِ الأَسْلَمِيِّ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا خَرَجَ يَسْتَسْقِي خَرَجَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ
 رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَخْرَجَ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخَذَ عُمَرُ بِيَدِ العَبَّاسِ ثُمَّ رَفَعَهَا وَقَالَ :
 (اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ أَنْ تُذْهَبَ عَنَّا المَحَلُّ^(٧) ، وَأَنْ تَسْقِيَنَا الغَيْثَ) ،
 فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى سَقُوا ، فَأَطْبَقَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِمُ أَيَّاماً .
 وفي هذه السَّنَةِ أَيْضاً فُتِحَتِ الأَهْوَازُ صُلْحاً .

(١) مَصَرَ : أَي قَامَ بِتَخْطِيطِهَا . (٢) جُلُولَاءُ : بَلَدَةٌ عَلَى شَامِئِ دِجْلَةَ .

(٣) تَكْرِيتُ : بَلَدَةٌ عَلَى شَامِئِ دِجْلَةَ الشَّرْفِيِّ .

(٤) قَتْسِرِينَ : كُورَةٌ بِالشَّامِ ، وَفِي جَبَلِهَا مَسْجِدٌ يُعَالُ إِنَّهُ قَبْرُ صَالِحِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ آثَارُ أَفْدَامِ النَّاقَةِ وَاللَّهِ أَكْبَرُ . وَكَانَ فُتْحُهَا عَلَى
 يَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجِرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٥) حَلَبُ : مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَاسِعَةٌ كَثِيرَةُ الخَيْرَاتِ طَيِّبَةُ الهَوَاءِ صَحِيحَةُ الأَدِيمِ وَالمَاءِ ، وَسُمِّيَتْ بِ(حَلَبِ) ؛ لِأَنَّ مَبْدَأَ إِبرَاهِيمَ ﷺ كَانِ
 يَحْلِبُ فِيهَا غَنَمَهُ فِي الجُمُعَاتِ وَيَتَّصِدُّ بِهَا فَيَقُولُ الفُقَرَاءُ حَلَبُ حَلَبٌ ، فَسُمِّيَ بِهِ .

(٦) أَنْطَاكِيَّةُ : قَصْبَةُ العَوَاصِمِ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ . (٧) المَحَلُّ : القَحْطُ وَالجَدْبُ .

❁ وفي سنة ثمانٍ عشرة فُتِحَتْ جُنْدُ يَسَابُورَ^(١) صَلْحاً ، وَحُلُوانُ عَنُوءَ ، وفي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ طَاعُونُ عَمَّاسٍ ، وَفِيهَا فُتِحَتْ الرَّهَاءُ ، وَسَمِيسَاطُ عَنُوءَ ، وَحَرَانَ وَنَصِيبِينَ وَطَائِفَةَ مِنَ الْجَزِيرَةِ ، وَكَذَا الْمُوَصِّلُ وَنَوَاحِيهَا عَنُوءَ .

❁ وفي سنة تسع عشرة فُتِحَتْ قَيْسَارِيَّةُ عَنُوءَ .

❁ وفي سنة عشرين فُتِحَتْ مِصْرُ عَنُوءَ (وَقِيلَ مِصْرُ كُلِّهَا صَلْحاً إِلَّا الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ فَعَنُوءَ) ؛ فَتَحَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ^(٢) .

● أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ :

(إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ فِيهَا يُسَمَّى الْقِيْرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا - أَوْ ذِمَّةً وَصَهْرًا -) .

وفي هذه السنة فُتِحَتْ تَسْتُرَ (أَعْظَمُ مَدِينَةٍ بِخُوزِسْتَانَ الْيَوْمَ) ، وَفِيهَا هَلَكَ قَيْصَرُ عَظِيمِ الرُّومِ ، وَفِيهَا أَجَلَى عُمَرُ^(٣) الْيَهُودَ عَنْ خَيْبَرَ وَعَنْ نَجْرَانَ ، وَقَسَمَ خَيْبَرَ وَوَادِي الْقُرَى .

❁ وفي سنة إحدى وعشرين فُتِحَتْ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ عَنُوءَ ، وَنَهَاوَنْدُ (وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَعَاجِمِ بَعْدَهَا جَمَاعَةٌ) ، وَفُتِحَتْ بَرْقَةَ أَيْضًا .

❁ وفي سنة اثنتين وعشرين فُتِحَتْ أَدْرَبِيْجَانَ^(٤) عَنُوءَ (وَقِيلَ صَلْحاً) ، وَالْدَيْبُورُ عَنُوءَ ، وَمَاسَبْدَانَ عَنُوءَ ، وَهَمْدَانَ عَنُوءَ ، وَطَرَابُلُسَ الْمَغْرِبِ ، وَالرِّيَّ ، وَعَسْكَرُ ، وَقَوْمِسُ^(٥) .

❁ وفي سنة ثلاثٍ وعشرين كَانَ فَتْحُ كَرْمَانَ ، وَسِجِسْتَانَ ، وَمُكْرَانَ مِنْ بِلَادِ الْجَبَلِ وَأَصْبَهَانَ وَنَوَاحِيهَا .

❁ وَكَانَ نَفْسُ خَاتَمِ عُمَيْرِ الَّذِي اصْطَنَعَهُ لِنَفْسِهِ ؛ (كَفَى بِالْمَوْتِ إِعْظَامًا يَا عُمَرَ) .

(١) جُنْدُ يَسَابُورَ : بَلَدٌ جَانِبُ الْأَمْوَازِ .

(٢) عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ الْقُرَشِيِّ . أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : فَاتَحَ مِصْرَ وَأَحَدَ عُظَمَاءِ الْعَرَبِ وَدُهُاتِهِمْ وَأُولِي الرِّأْيِ وَالْحَزْمِ وَالْمَكِيدَةِ فِيهِمْ . أَسْلَمَ فِي هَذِهِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَلَاَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَةَ جَيْشِ (ذَاتِ السَّلَاسِلِ) ، وَأَمَدَهُ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَهُوَ الَّذِي افْتَتَحَ قَتْمَرِينَ وَصَالِحَ أَهْلِ حَلَبٍ وَمَنْبِجَ وَأَنْطَاكِيَّةَ وَوَلَّاهُ عَمْرُ فَلَطِينِ ، وَلَهُ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ (٣٩ حَدِيثًا) .

(٣) أَدْرَبِيْجَانَ : بَلَدٌ غَرْبَ بَحْرِ الْخَزَرِ ، وَقَاعِدَتُهَا تَبْرِيزُ .

(٤) هَذِهِ الْبِلَادُ تَقَعُ قُرْبَ طَهْرَانَ .

وَأَمَّا الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ يَخْتَمُّ بِهِ فَهُوَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ فِي يَدِ عُمَرَ ثُمَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ وَقَعَ فِي (بَيْتِ أَرِيْس) ، وَكَانَ نَقْشُهُ : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) .

قراءات في صفحات الفتوحات :

● كَانَتْ وَقْعَةُ الْيَرْمُوكِ آخِرَ وَقْعَةٍ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ جَاءَ أَثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ بِرِيدِ الْمَدِينَةِ بِوَفَاةِ الصَّدِيقِ وَخِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَتَوَلِيَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رِثَاسَةَ الْجِيُوشِ ؛ فَلَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْخَبْرُ الْجَيْشَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ انْقَضَتِ الْمَوْقِعَةُ ، وَكَانَ الْقَائِدُ فِيهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا انْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ فَتَحَ الْكِتَابَ فَإِذَا فِيهِ : (وَفَاةُ الصَّدِيقِ وَخِلَافَةُ عُمَرَ وَعَزْلُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ إِمَارَةِ الْجَيْشِ وَتَوَلِيَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ رِثَاسَةَ الْجِيُوشِ) ، فَقَرَأَ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْكِتَابَ عَلَى جُنْدِهِ (وَسَلَّمَ أبا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زِمَامَ الْأُمُورِ وَإِمَارَةَ الْجَيْشِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ تَحْتَ رَايَتِهِ) .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ : إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَزَلَ خَالِدًا عَنْ إِمَارَةِ الْجَيْشِ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ النَّاسَ ظَنُّوا أَنَّ النَّصْرَ يَأْتِي مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ لَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِكَثْرَةِ انْتِصَارَاتِ خَالِدٍ ، فَأَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، فَعَزَلَ خَالِدًا وَالْمُتَنَّى بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ : (إِنِّي لَمْ أَعَزِلْهُمَا عَنْ رِيبَةٍ وَلَكِنَّ النَّاسَ عَظَمُوهُمَا ، فَخَشِيتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِمَا) (١) .

● قَمْعُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ .. وَدُرُوسٌ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ :

وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ الْوَقَائِعِ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ (الْقَادِسِيَّةِ) ، وَبَعْدَ رُجُوعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْحَجِّ انْتَخَبَ لِقِيَادَةِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُ : (يَا سَعْدُ ابْنَ أُمَّ سَعْدٍ لَا يَغْرُنْكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ : خَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ، فَالنَّاسُ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، وَاللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ

(١) الكامل : ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)

يَتَفَاضِلُونَ عِنْدَهُ بِالْعَافِيَةِ ، وَيُدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْزِمُهُ فَالْزِمَهُ) ، وَكَتَبَ لَهُ عَهْدًا قَالَ فِيهِ :

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ ،
وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ؛ فَإِنَّ
ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ
لِلَّهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ بِهِمْ قُوَّةٌ ؛ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَعُدَّتَنَا لَيْسَتْ
كَعُدَّتِهِمْ ، فَإِنِ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصَرُ
عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حَفْظَةَ مِنَ اللَّهِ
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَلَا تَقُولُوا إِنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا وَإِنْ أَسَانَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَنْ
هُوَ شَرٌّ مِنْهُمْ كَمَا سَلَّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَمَلُوا بِالْمَعَاصِي كُفَّارُ الْمَجُوسِ ،
فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا
تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ) .

حَسْرَةً بِالْأَنْفُسِ مَعَ اسْتِذْكَارِ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ :

سَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ﷺ إِلَى أَجْنَادِينَ وَفِيهَا لَقِيَ جَيْشًا مِنَ الرُّومِ وَهَزَمَهُ ، وَانْطَلَقَ
حَتَّى أَتَى (إِبِلْيَاءَ) ^(١) ، فَحَاصَرَهَا ثُمَّ طَلَبَ أَهْلَهَا الصُّلْحَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُتَوَلَّى لِلْعَقْدِ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ أَبِيهِ بِذَلِكَ ، فَعَزَمَ عُمَرُ ﷺ عَلَى السَّفَرِ إِلَى الشَّامِ
لِيَتَسَلَّمَ مَفَاتِيحَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، فَسَارَ مِنَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ عَلَيْهَا الْإِمَامُ
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَطَلَبَ مِنْ عُمَّالِهِ أَنْ يُوَاوَهُ بِالْجَابِيَةِ (وَهِيَ بَلَدٌ بِدِمَشْقَ) ،
فَوَافَوْهُ بِهَا وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ ثُمَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
وَعَلَيْهِمُ الدِّيْبَاجُ ؛ فَتَزَلَّ عُمَرُ ﷺ وَأَخَذَ الْحِجَارَةَ وَرَمَاهُمْ بِهَا ، وَقَالَ : (مَا أَسْرَعَ
مَا رَجَعْتُمْ عَنْ رَأْيِكُمْ ، إِيَّايَ تَسْتَقْبِلُونَ فِي هَذَا الزَّيِّ وَإِنَّمَا شَبِعْتُمْ مِنْذُ سَنَتَيْنِ ،

(١) إِبِلْيَاءُ : اسْمٌ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا بَيْتُ الْمَقْدِسِ .

وَبِاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ هَذَا عَلَى رَأْسِ الْمَائَتَيْنِ لَأَسْتَبَدَلْتُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ) ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هِيَ يَلَامِقَةٌ (أَي مَا بَرَقَ مِنَ السَّلَاحِ) ، وَإِنَّ عَلَيْنَا السَّلَاحَ ، قَالَ : (فَنَعَمْ إِذَا) .

وَجَاءَ وَعُمَرُ بِالْجَابِيَةِ أَهْلُ إِيلِيَاءَ مُسْتَأْمِنِينَ فَصَالَحَهُمْ عَلَى الْجَزِيَةِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ أَمَانًا صُورَتُهُ ^(١) : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا أَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ إِيلِيَاءَ مِنَ الْأَمَانِ ، أَعْطَاهُمْ أَمَانًا لِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلِكِنَائِسِهِمْ وَصُلْبَانِهِمْ وَسَقِيمِهَا وَبَرِيئِهَا وَسَائِرِ مِلَّتِهَا أَنَّهُ لَا تُسَكَنُ كِنَائِسُهُمْ وَلَا تُهْدَمُ وَلَا يُنْتَقَصُ مِنْهَا وَلَا مِنْ حَيِّزِهَا وَلَا مِنْ صَلِيْبِهِمْ ...) ، حَتَّى قَالَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ :

(وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الْخُلَفَاءِ وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا أَعْطُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَزِيَةِ ، وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو ابْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَتَبَ وَحَضَرَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ) ^(٢) .

وَلَمَّا دَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَدِينَةَ دَخَلَ كَنِيسَةَ الْقِيَامَةِ وَجَلَسَ فِي صَحْنِهَا وَحَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ لِلْبَطْرِيْرِكِ : أُرِيدُ الصَّلَاةَ ، فَقَالَ لَهُ : صَلِّ مَوْضِعَكَ ، فَامْتَنَعَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَلَّى عَلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي عَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ مُنْفَرِدًا ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ ، قَالَ لِلْبَطْرِيْرِكِ : (لَوْ صَلَّيْتُ دَاخِلَ الْكَنِيسَةِ أَخَذَهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدِي ، وَقَالُوا : هُنَا صَلَّى عُمَرُ) ، وَكَتَبَ أَلَّا يُجْمَعَ عَلَى الدَّرَجَةِ لِلصَّلَاةِ وَلَا يُؤَدَّنَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : (أَرِنِي مَوْضِعًا أَبْنِي فِيهِ مَسْجِدًا) ، فَقَالَ : عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَجَدَ عَلَيْهَا رَدْمًا كَثِيرًا ، فَشَرَعَ فِي إِزَالَتِهِ ، وَتَنَاوَلَ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ فِي ثَوْبِهِ ، وَاقْتَدَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ كَافَّةً ، فَزَالَ لِحِينِهِ وَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ ^(٣) .

وَبَيْنَ الْقَلْبِ فَيَرِدُّ اللِّسَانُ وَاحْسَرَتَاهُ ... !!

وَكَأَنِّي بَبَيْتِ الْمَقْدِسِ يَصْرُخُ وَأَعْمَرَاهُ ... !!

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ .

(١) الْعَهْدَةُ الْعُمَرِيَّةُ .

(٣) مُقَدِّمَةُ ابْنِ خُلْدُونَ .

الْفِرَارُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ :

فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ حَصَلَ فِي الشَّامِ طَاعُونٌ أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَهُوَ (طَاعُونُ عَمَاسٍ) ، وَبَلَغَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَبْرُهُ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشَّامِ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ ، فَوَافَاهُ الْأَمْرَاءُ بِسُرْعٍ (مَوْضِعُ قُرْبِ الشَّامِ بَيْنَ الْمُغِيثَةِ وَتَبُوكَ) ، وَفِيهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَخْبَرُوهُ بِالْوَبَاءِ وَشِدَّتِهِ ، وَكَانَ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَجَمَعَهُمْ مُسْتَشِيرًا : (أَيْمُضِي لَوَجْهِهِ أَمْ يَرْجِعُ ؟) .

فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ، فَمِنْ قَائِلٍ : (خَرَجْتَ لَوَجْهِ اللَّهِ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهُ هَذَا) .

وَمِنْ قَائِلٍ : (إِنَّهُ بَلَاءٌ وَفَنَاءٌ ، فَتَرَى أَنْ لَا نَقْدِمَ عَلَيْهِ) .

ثُمَّ أَحْضَرَ مُهَاجِرَةَ الْفَتْحِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ، بَلْ أَشَارُوا بِالْمَعُودَةِ ،

فَنَادَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ : (إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ) .

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : (أَفِرَارًا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ) .

فَقَالَ : (نَعَمْ ، نَفَرُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطْتَ وَادِيًا

لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا مُخْصَبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخِصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ

اللَّهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ ؟) .

فَسَمِعَ بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَهُمْ ، وَقَالَ : إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا

سَمِعْتُمْ بِهَذَا الْوَبَاءِ بِيَلَدٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِيَلَدٍ وَأَنْتُمْ فِيهِ فَلَا تَخْرُجُوا

فِرَارًا مِنْهُ) ^(١) .

فَانصَرَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّاسِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَمَاتَ بِهَذَا الْوَبَاءِ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) ، فَخَلَفَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣) فَمَاتَ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتَّبَهِيُّ .

(٢) هُوَ الصَّحَابِيُّ ؛ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ بْنِ هِلَالِ الْقَهْرِيِّ الْقُرَشِيِّ ، الْأَمِيرُ الْقَائِدُ فَاتِحَ الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ ، وَأَخَذَ الْعُسْرَةَ

الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَأَمِيرُ الْأُمَّةِ ، تُوْفِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَاعُونِ عَمَاسٍ سَنَةَ ١٨ هـ .

(٣) مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ، كَانَ أَعْلَمَ الْأُمَّةِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَهُوَ

أَخَذَ السِّتَةَ الَّتِي دَخِنَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمَ وَهُوَ فَتَى ، وَأَخَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ

مَعَ الْأَنْصَارِ السَّبْعِينَ ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لَوْلَا مُعَاذُ لَهْلَكَ عُمَرُ) ؛ يُنَوِّهُ بِعِلْمِهِ .

فَخَلَفَهُ (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) ، فَخَرَجَ بِالْجَيْشِ إِلَى مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْجِبَالِ ، فَخَفَّ عَنْهُمْ الْوَيْاءُ ، فَاسْتَحْسَنَ عُمَرُ رضي الله عنه فِعْلَهُ .

وَمَاتَ (يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ) أَمِيرَ دِمَشْقَ ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَخَاهُ (مُعَاوِيَةَ) ، وَاسْتَعْمَلَ (شُرْحَبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ) ^(١) عَلَى جُنْدِ الْأُرْدُنِّ وَخَرَّاجِهَا .
وَأَصَابَ النَّاسَ مِنَ الْمَوْتِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ إِقَامَتِهِ شُهُورًا .
هَكَذَا صِيَانَةُ الْإِنْسَانِ فِي الْإِسْلَامِ :

● وَالْقِصَّةُ مَعَ حَاكِمِ مِصْرَ وَفَاتِحِهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، حِينَ وَفَدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مِصْرَ فَتَى مَكْرُوبٌ ، يَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ .

وَيَسْتَوْضِحُهُ عُمَرُ رضي الله عنه النَّبَأَ ، فَيَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ (مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ) قَدْ أَوْجَعَهُ ضَرْبًا ، لِأَنَّهُ سَابَقَهُ فَسَبَقَهُ ، فَعَلَا ظَهْرَهُ بِالسَّوْطِ وَهُوَ يَقُولُ : خُذْهَا ، وَأَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ .. !!

وَيُرْسِلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُو عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَابْنَهُ مُحَمَّدًا .. وَنَدَعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَرَوِي لَنَا النَّبَأَ كَمَا شَهِدَهُ وَرَأَاهُ :

يَقُولُ رضي الله عنه : .. فَوَاللَّهِ إِنَّا لَجُلُوسٌ عِنْدَ عُمَرَ ، وَإِذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يُقْبِلُ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَتَلَفَّتُ بِأِحْتَاءٍ عَنِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، فَإِذَا هُوَ خَلْفُ أَبِيهِ ..

فَقَالَ : (أَيُّنَ الْمِصْرِيِّ ۖ) ، قَالَ : هَا أَنْدَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ..
قَالَ عُمَرُ : (خُذِ الدَّرَّةَ ، وَاضْرِبْ بِهَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ ..) .

فَضْرِبَهُ حَتَّى أَتَخَفَهُ وَنَحْنُ نَشْتَهِي أَنْ يَضْرِبَهُ ، فَلَمْ يَنْزِعْ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنْ يَنْزِعَ مِنْ كَثْرَةِ مَا ضْرِبَهُ ، وَعُمَرُ يَقُولُ : اضْرِبْ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ !!

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ لِلْمِصْرِيِّ : (أَجْلِهَا عَلَى صَلْعَةِ عَمْرُو ؛ فَوَاللَّهِ مَا ضْرِبَكَ إِلَّا بِفَضْلِ سُلْطَانِهِ .. (١) .

قَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ اسْتَوْفَيْتُ ، وَاسْتَفَيْتُ ، وَضْرِبْتُ مَنْ ضْرِبْتَنِي ..

(١) الصَّعَابِيُّ : شُرْحَبِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُطَاعِ بْنِ الْفَطْرِيفِ الْكِنْدِيِّ خَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ . مِنَ الْقَادَةِ وَيُعرفُ بِشُرْحَبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ وَهِيَ أُمُّهُ . اسْتَلَمَ بِمَكَّةَ وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ . أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مِصْرَ رَسُولًا .

قَالَ عُمَرُ : (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبْتُهُ مَا حُلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَدْعُهُ) ،
ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى عَمْرٍو ، وَقَالَ :

(يَا عَمْرٍو ، مَتَى اسْتَعْبَدْتُمْ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟) .

والتفت إلى المصري ، وقال له : (انصرف راشداً ، فإن رابك ريب فاكذب إلي) .

● خَرَجَ عُمَرُ رضي الله عنه لَيْلَةً يَتَحَسَّسُ كَعَادَتِهِ أَحْوَالَ النَّاسِ ، فَإِذَا بِصَوْتِ امْرَأَةٍ يَأْتِيهِ
خَافِتًا مِنْ وَرَاءِ بَابٍ ، فَوَقَّفَ يَسْمَعُ :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَسْوَدَ جَانِبُهُ * وَأَرْقَنِي أَنْ لَا خَلِيلَ الْأَعْبُهُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ تَخَشَى عَوَاقِبُهُ * لَحُرِّكَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلَكِنِّي أَخْشَى رَقِيْبًا مُوَكَّلًا * بِأَنْفُسِنَا لَا يَفْتَرُ الدَّهْرُ كَاتِبُهُ
مَخَافَةَ رَبِّي وَالْحَيَاءِ يَصُدُّنِي * وَأَكْرِمَ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَاتِبُهُ

ثُمَّ قَالَتْ فِي حُزْنٍ : لَقَدْ هَانَ عَلَيَّ عُمَرُ وَحَشْتِي وَعَيْبَةُ زَوْجِي عَنِّي !

فَطَرَقَ عُمَرُ الْبَابَ ، فَفَزَعَتْ وَقَالَتْ :

مَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي امْرَأَةً غَابَ زَوْجُهَا هَذِهِ السَّاعَةَ ؟

قَالَ عُمَرُ : (افْتَحِي) ، قَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِعَاقِبِكَ !

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : (افْتَحِي فَإِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ ، فَعَرَفَتْهُ : فَلَمَّا فَتَحَتْ

الْبَابَ وَعَلِمَ أَنَّ زَوْجَهَا خَرَجَ لِلغَزْوِ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْبَرِيدِ يَطْلُبُهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى ابْنَتِهِ

أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ رضي الله عنها ، يَسْأَلُهَا : (أَيُّ بِنِيَّةٍ ، كَمْ تَصْبِرُ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا ؟) ،

قَالَتْ : شَهْرًا وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثَةً ، وَفِي الرَّابِعِ يَنْفَدُ صَبْرُهَا : فَأَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى

أَمْرَاءِ الْجِيُوشِ وَإِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَكُونَ أَجَلُ الْبِعْثِ أَرْبَعَةَ شُهُورٍ لَا تَزِيدُ .

● ذَاتَ لَيْلَةٍ خَرَجَ عُمَرُ رضي الله عنه فِي جَوْلَةٍ مِنْ جَوْلَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَخْرُجُ فِيهَا وَحِيدًا ،

وَالنَّاسُ نِيَامٌ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى قَوْمِهِ ، وَيَبْلُوَ أَحْوَالَهُمْ ، وَيَنْفُضَ اللَّيْلَ عَنْ حَاجَاتِهِمْ .. !!

وَعِنْدَ مَشَارِفِ الْمَدِينَةِ رَأَى كُوخًا ، يَنْبَعِثُ مِنْهُ أَنْيُنُ امْرَأَةٍ ، فَاقْتَرَبَ يَسْعَى ، وَرَأَى

رَجُلًا يَجْلِسُ بِيَابِ الْكُوخِ ، وَعَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ زَوْجُ السَّيِّدَةِ الَّتِي تَتَنُّ ، وَعَلِمَ أَنَّهَا تُعَانِي

كَرْبَ الْمَخَاضِ ، وَلَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ يُعِينُهَا ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ وَزَوْجَتَهُ مِنَ الْبَادِيَةِ وَقَدْ حَطَّ

رِحَالَهُمَا هُنَا وَحِيدَيْنِ غَرِيبَيْنِ ..

وَرَجَعَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَيْتِهِ مُسْرِعاً ، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ أُمُّ كَلْثُومٍ (بِنْتِ الْإِمَامِ عَلِيِّ) : هَلْ لَكَ فِي مَثُوبَةٍ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيْكَ ؟
قَالَتْ : خَيْرًا ؟ قَالَ : أَمْرَأَةٌ غَرِيبَةٌ تَمَخَّضُ ، وَلَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ .
قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَعَمْ ، إِنْ شِئْتَ .

وَقَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعَدَّ مِنَ الزَّادِ وَالْمَاعُونِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْوَالِدَةُ مِنْ دَقِيقٍ وَسَمْنٍ ، وَمِرْقٍ ثِيَابٍ يُلْفُ فِيهَا الْوَلِيدُ .

وَحَمَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقِدْرَ عَلَى كَتِفِ ، وَالِدَقِيقَ عَلَى كَتِفِ ، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ :
اتَّبِعِينِي ، وَيَأْتِيَانِ الْكُوخَ ، وَتَدْخُلُهُ أُمُّ كَلْثُومٍ زَوْجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِتُسَاعِدَ الْمَرْأَةَ فِي مَخَاضِهَا .

أَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَجْلِسُ خَارِجَ الْكُوخِ وَيَنْصُبُ الْأَثَافِيَّ وَيَضَعُ فَوْقَهَا الْقِدْرَ ، وَيُوقِدُ تَحْتَهَا النَّارَ ، وَيُنْضِجُ لِلْوَالِدَةِ طَعَامًا ، وَالزَّوْجَ يَرْمُقُهُ شَاكِرًا !!
وَفَجْأَةً صَدَحَ فِي الْكُوخِ صُرَاخُ الْوَلِيدِ ، لَقَدْ وَضَعَتْهُ أُمُّهُ بِسَلَامٍ ، وَإِذَا صَوْتُ أُمِّ كَلْثُومٍ يَنْطَلِقُ مِنْ دَاخِلِ الْكُوخِ عَالِيًا :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَشَّرْ صَاحِبِكَ بِغَلَامٍ !!
وَيَشْهَقُ الْأَعْرَابِيُّ مِنَ الدَّهْشِ ، وَيَسْتَأْخِرُ بَعِيدًا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَنْطَلِقَ الْكَلِمَتَيْنِ - أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - لَكِنَّ شَفْتَيْهِ لَا تَقْوِيَانِ عَلَى الْحَرَكَةِ مِنْ فَرَطٍ مَا أَفَاءَتْهُ الْمَفَاجَأَةُ مِنْ سَعَادَةٍ ، وَطَرَفَةٍ ، وَذُهُولٍ !!

وَيَحْمِلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِدْرَ ، وَيَقْتَرِبُ مِنْ بَابِ الْكُوخِ مُنَادِيًا زَوْجَتَهُ :
خُذِي الْقِدْرَ يَا أُمُّ كَلْثُومٍ ، وَأَطْعِمِي الْأُمَّ وَأَشْبِعِيهَا .
وَتَطْعِمُهَا أُمُّ كَلْثُومٍ حَتَّى تَشْبَعَ ، وَتَرُدُّ الْقِدْرَ إِلَى عُمَرَ بِمَا بَقِيَ مِنْ طَعَامٍ ، فَيَضَعُهَا عُمَرُ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَيَقُولُ لَهُ :

كُلْ وَاشْبَعْ ، فَإِنَّكَ قَدْ سَهَرْتَ طَوِيلًا ، وَعَانَيْتَ كَثِيرًا ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ ، بَعْدَ أَنْ يَقُولَ لِلرَّجُلِ :

إِذَا كَانَ صَبَاحُ الْغَدِ فَاتَّبَعْتَنِي بِالْمَدِينَةِ ، لِأَمْرٍ لَكَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُصْلِحُكَ
وَلِنَفْرَضٍ لِلْوَلِيدِ حَقَّهُ !!

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ ؛ وَإِنَّهُ لَحَقُّ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ :
(لَمْ أَرْ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَهُ) .

فَهُوَ بِالْمَعْيَةِ وَبِصِيرَتِهِ ، قَدْ عَرَفَ حَقِيقَةَ السَّعَادَةِ ، وَحَقِيقَةَ الْعِظَمَةِ فِي دُنْيَانَا
هَذِهِ ، فَأَخَذَ مِنْهُمَا بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى .

أَلَا وَرَبِّ عُمَرَ ، إِنَّ مَشْهَدًا وَاحِدًا كَهَذَا الَّذِي رَأَيْنَاهُ لَخَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
وَعَرَبَتْ ؛ مِنْ عُرُوشٍ وَتِيْجَانٍ ، وَزُخْرُفٍ وَصَلَفٍ !!

أَيُّ تَوَاضِعٍ ، وَأَيُّ بَسَاطَةٍ ، وَأَيُّ حَنَانٍ وَمَوَدَّةٍ تَنْسَابُ مِنْ نَفْسِ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي رَفَعَ
اللَّهُ بِهِ مِنْ قَدْرِ الْحَيَاةِ ؟..

● يَجْتَازُ عُمَرُ ﷺ الطَّرِيقَ يَوْمًا ، وَمَعَهُ الْجَارُودُ الْعَبْدِيُّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تُنَادِيهِ ،
وَتَقُولُ : رُوَيْدَكَ يَا عُمَرُ ، حَتَّى أَكَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ قَلِيلَةً .

وَيَلْتَفِتُ عُمَرُ وَرَاءَهُ ، ثُمَّ يَقِفُ حَتَّى تَبْلُغَهُ السَّيِّدَةُ ، فَتَقُولُ لَهُ وَهُوَ مُصْنَعٌ مُتَبَسِّمٌ :
يَا عُمَرُ ، عَهْدِي بِكَ ، وَأَنْتَ تُسَمِّي عُمَيْرًا تُصَارِعُ الْفِتْيَانَ فِي سُوقِ عُمَاظَ ، فَلَمْ
تَذْهَبِ الْأَيَّامُ حَتَّى سُمِّيتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ
خَافَ الْمَوْتَ ، خَشِيَ الْفَوْتَ !!

فَقَالَ لَهَا الْجَارُودُ الْعَبْدِيُّ : اجْتَرَأْتِ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَجَذَبَهُ عُمَرُ مِنْ يَدِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : دَعَا فَإِنَّكَ لَا تَعْرِفُهَا ، هَذِهِ خَوْلَةٌ بِنْتُ حَكِيمٍ ؛

الَّتِي سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ وَهِيَ تُجَادِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي زَوْجِهَا
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ، فَعُمِّرُ - وَاللَّهِ - حَرِيٌّ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهَا !!

● لَقِيَ عُمَرُ الْعَبَّاسَ يَوْمًا ، وَقَالَ لَهُ :

لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَإِنَّ دَارَكَ قَرِيبَةً
مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَأَعْطِنَا إِيَّاهَا نَزِدْهَا فِيهِ ، وَأَقْطَعْ لَكَ أَوْسَعَ مِنْهَا .

قَالَ الْعَبَّاسُ : لَا أَفْعَلُ .. قَالَ عُمَرُ : إِذَنْ أَغْلِبُكَ عَلَيْهَا .
فَأَجَابَهُ الْعَبَّاسُ : لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَنْ يَقْضِي بِالْحَقِّ .

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : مَنْ تَخْتَارُ ؟؟

قَالَ الْعَبَّاسُ : حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ .

وَبَدَلًا أَنْ يَسْتَدْعِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَجْلِسِهِ حُدَيْفَةَ ، انْتَقَلَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ إِلَيْهِ .
نَعَمْ ، فَحُدَيْفَةَ الْآنَ يُمَثِّلُ سُلْطَةً أَعْلَى مِنْ سُلْطَةِ الْخَلِيفَةِ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ سَيَقْضِي وَيَفْصِلُ
بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَوَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، بَيْنَ الدَّوْلَةِ وَفَرْدٍ مِنَ الْمَوَاطِنِينَ .

وَأَمَامَ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ جَلَسَ عُمَرُ وَالْعَبَّاسُ ، وَقَصَا عَلَيْهِ الْخِلَافَ الَّذِي بَيْنَهُمَا .
فَقَالَ حُدَيْفَةُ : سَمِعْتُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ
فَوَجَدَ بَيْتًا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ لِيَتِيمٍ ، فَطَلَبَهُ مِنْهُ ، فَأَبَى ، فَأَرَادَ
سَيِّدُنَا دَاوُدُ أَنْ يَأْخُذَهُ قَهْرًا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : (إِنَّ أَنْزَلَ الْبُيُوتِ عَنِ الظُّلْمِ لَهُوَ
بَيْتِي) ، فَعَدَلَ دَاوُدُ وَتَرَكَهُ لِصَاحِبِهِ .

فَنَظَرَ الْعَبَّاسُ إِلَى عُمَرَ ، وَقَالَ : أَلَا تَزَالُ تُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَنِي عَلَى دَارِي ؟ ، قَالَ عُمَرُ : لَا .

قَالَ الْعَبَّاسُ : وَمَعَ هَذَا ، فَقَدْ أَعْطَيْتَكَ الدَّارَ تَزِيدُهَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● كَانَ عُمَرُ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ يَوْمًا ، فَيَقُولُ :

(لَا تَزِيدُوا مَهْوَرِ النِّسَاءِ عَلَى أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ، فَمَنْ زَادَ أَلْقَبِتِ الزِّيَادَةَ فِي بَيْتِ الْمَالِ) .

فَتَنْهَضُ مِنْ صُفُوفِ النِّسَاءِ سَيِّدَةٌ تَقُولُ : مَا ذَاكَ لَكَ .

فَيَسْأَلُهَا : وَلِمَ ؟

فَتَجِيبُهُ : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ إِحْدَثَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ
شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَّاتِنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ ^(١) .

فَيَهْتَلُ وَجْهَ عُمَرَ ، وَيَبْتَسِمُ وَيَقُولُ عِبَارَتَهُ الْمَأْثُورَةَ : (أَصَابَتِ امْرَأَةٌ ، وَأَخْطَأَ عُمَرُ) .
أَيُّنَ الَّذِينَ يَتَشَدَّقُونَ بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ ؟ وَهُمْ أَعْدَى أَعْدَاءِ الْإِنْسَانِ .. بَلْ
صَارُوا أَدْوَاتِ طَبِيعَاتِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَاسُونِ وَالشَّيْطَانِ ! لَا عَمَلَ لَهُمْ إِلَّا هَدْمَ
الْقِيمِ وَصَحِيحِ الْأَذْيَانِ .

(١) سُورَةُ النِّسَاءِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٠ .

عِظَاتٌ وَعِبرٌ .. فِي أَوْلِيَّاتِ عُمَرَ :

هُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ التَّارِيخَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ بَيْتَ الْمَالِ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَنَّ قِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ (صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ) ، وَأَوَّلُ مَنْ عَسَّ بِاللَّيْلِ ^(١) ، وَأَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ عَلَى الْهَجَاءِ ، وَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الدِّيَانَ ، وَأَوَّلُ مَنْ فَتَحَ الْفُتُوحَ وَمَسَحَ السَّوَادَ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الطَّعَامَ مِنْ مِصْرَ فِي بَحْرِ أَيْلَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ اخْتَبَسَ صَدَقَةً فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَ زَكَاةَ الْخَيْلِ ، وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَقْضَى الْقَضَاةَ فِي الْأَمْصَارِ ، وَأَوَّلُ مَنْ مِصَّرَ الْأَمْصَارَ (أَمَرَ بِتَخْطِيطِهَا) : الْكُوفَةَ ، وَالْبَصْرَةَ ، وَالْجَزِيرَةَ ، وَالشَّامَ ، وَمِصْرَ ، وَالْمَوْصِلَ .

وَهُوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الدَّرَّةَ ، وَلَقَدْ قِيلَ مِنْ بَعْدِهِ : لِدَرَّةِ عُمَرَ أَهْيَبُ مِنْ سَيْفِكُمْ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ ؛ قَالَهُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ : أَيَّدَكَ اللَّهُ ؛ قَالَهُ لِعَلِيِّ أَيْضًا ^(٢) .

✽ أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : مَرَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَى الْمَسَاجِدِ فِي رَمَضَانَ وَفِيهَا الْقَنَادِيلُ ، فَقَالَ : نَوَّرَ اللَّهُ عَلَى عُمَرَ فِي قَبْرِهِ كَمَا نَوَّرَ عَلَيْنَا فِي مَسَاجِدِنَا . كَرَامَاتُهُ ﷺ :

✽ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : بَيْنَمَا عُمَرُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ تَرَكَ الْخُطْبَةَ وَنَادَى : (يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ) مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى خُطْبَتِهِ ، فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ تَرَكَ خُطْبَتَهُ وَنَادَى يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ يَبْسُطُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجْعَلُ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ مَقَالًا ، بَيْنَمَا أَنْتَ فِي خُطْبَتِكَ إِذْ نَادَيْتَ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ ذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُ سَارِيَةَ وَأَصْحَابَهُ يُقَاتِلُونَ عِنْدَ جَبَلٍ يُؤْتُونَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ فَلَمْ أَمْلِكْ أَنْ أَقُولُ : يَا سَارِيَةَ

(١) أَي طَافَ بِاللَّيْلِ لِيَتَّقِدَ أَحْوَالَ الرَّعِيَةِ .

(٢) تَارِيخُ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرَ ، وَتَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ لِلنُّوَيْ ، وَتَارِيخُ الْخُلَفَاءِ لِجَلَالِ الدِّينِ السُّهَيْطِيِّ .

الْجَبَلِ ، لِيَلْحَقُوا بِالْجَبَلِ فَلَبِثُوا إِلَى أَنْ جَاءَ رَسُولُ سَارِيَةَ بِكِتَابِهِ : إِنَّ الْقَوْمَ لَقَوْنَا
يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا حَضَرَتِ الْجُمُعَةُ وَدَارَ حَاجِبُ الشَّمْسِ ، سَمِعْنَا
مُنَادِيًا : يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ (مَرَّتَيْنِ) ، فَلَحَقْنَا بِالْجَبَلِ ؛ فَلَمَّ نَزَلَ قَاهِرِينَ لِعَدُونَا
حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ (١) .

❁ لَمَّا فَتَحَتْ مِصْرُ آتَى أَهْلَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، حِينَ دَخَلَ يَوْمٌ مِنْ أَشْهُرِ
الْعَجَمِ ، فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ لِنَيْلِنَا (٢) هَذَا سُنَّةً لَا يَجْرِي إِلَّا بِهَا ، قَالَ :
وَمَا ذَاكَ ؟ ، قَالُوا : إِذَا كَانَ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً تَخْلُو مِنْ هَذَا الشَّهْرِ ، عَمِدْنَا إِلَى
جَارِيَةِ بَكْرِ بْنِ أَبِيهَا ، فَأَرْضَيْنَا أَبِيهَا ، وَجَعَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الثِّيَابِ وَالْحُلِيِّ أَفْضَلَ
مَا يَكُونُ ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي هَذَا النَّيْلِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو : إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا
فِي الْإِسْلَامِ وَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، فَأَقَامُوا وَالنَّيْلُ لَا يَجْرِي قَلِيلًا وَلَا
كَثِيرًا ، حَتَّى هَمُّوا بِالْجَلَاءِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمْرُو كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ
ابْنَ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ لَهُ أَنْ قَدْ أَصَبْتَ بِالَّذِي قُلْتَ وَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا
كَانَ قَبْلَهُ ، وَبَعَثَ بِطَاقَةٍ فِي دَاخِلِ كِتَابِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو : (إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ
إِلَيْكَ بِبِطَاقَةٍ فِي دَاخِلِ كِتَابِي فَأَلْقِهَا فِي النَّيْلِ) ، فَلَمَّا قَدِمَ كِتَابُ عُمَرَ إِلَى عَمْرُو
بِنِ الْعَاصِ ، أَخَذَ الْبِطَاقَةَ فَفَتَحَهَا ، فَأِذَا فِيهَا :

(مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَيْلِ مِصْرَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ
كُنْتُ تَجْرِي مِنْ قَبْلِكَ ، فَلَا تَجْرِ ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُجْرِيكَ فَاسْأَلِ اللَّهَ الْوَاحِدَ
الْقَهَّارَ أَنْ يُجْرِيكَ) ، فَأَلْقَى عَمْرُو الْبِطَاقَةَ فِي النَّيْلِ ، قَبْلَ الصَّلَيبِ بِيَوْمٍ ،
فَأَصْبَحُوا وَقَدْ أَجْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَطَقَعَ اللَّهُ تِلْكَ
السَّنَةَ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى الْيَوْمِ .

❁ وَأَخْرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَشْرَانَ فِي فَوَائِدِهِ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعِ عَنِ
ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِرَجُلٍ : مَا اسْمُكَ ؟
قَالَ : جَمْرَةٌ ، قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ شَهَابٍ ، قَالَ : مِمَّنْ ؟ ، قَالَ : مِنَ الْحَرْقَةِ ،

(١) أَخْرَجَهُ النَّبِيهِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَ سَارِيَةُ عِنْدَهُ بِنَهَاوَيْدٍ مِنْ أَرْضِ الْعَجَمِ ؛ وَفُتِحَتْ مَنَّةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ .
(٢) أَي : نَهْرُ النَّيْلِ

قال : أَيْنَ مَسْكُنِكَ ؟ ، قال : الحَرَّةُ : قال : بِأَيِّهَا ؟ ، قال : بِذَاتِ لَطْفِي ، فقال عُمَرُ :
أَدْرِكُ أَهْلَكَ فَقَدِ احْتَرَقُوا ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ أَهْلَهُ قَدِ احْتَرَقُوا .

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُحَدِّثَ عُمَرَ
بِالْحَدِيثِ فَيَكْذِبُهُ الْكَذِبَةَ ، فَيَقُولُ : أَحْسِنْ هَذِهِ ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُ بِالْحَدِيثِ ، فَيَقُولُ لَهُ :
أَحْسِنْ هَذِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : كُلُّ مَا حَدَّثْتُكَ حَقٌّ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي أَنْ أَحْسِنَهُ .

❁ وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ أَبِي هَدَبَةَ الْحِمَصِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَ عُمَرَ بِأَنَّ أَهْلَ
العِراقِ قَدِ حَصَبُوا^(١) أَمِيرَهُمْ ، فَخَرَجَ عُمَرُ غَضَبَانَ ، فَصَلَّى فَسَهَا فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا
سَلَّمَ قَالَ : (اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ قَدِ لَبَسُوا عَلَيَّ فَأَلْبَسْ عَلَيْهِمْ ، وَعَجَّلْ عَلَيْهِمْ بِالْغُلَامِ الثَّقَفِيِّ ،
يَحْكُمُ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ) .
قال الإمام السُّيوطي : أشار به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، قال ابن لهيعة :
وما وُلِدَ الحجاجُ يَوْمَئِذٍ^(٢) .

وفاته رضي عنه :

كان سيدنا عمر رضي عنه يردد في دعائه : (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل
موتي في بلد رسولك)^(٢) .

طُعنَ رضي عنه يومَ الأَرْبَعاءِ لِأَرْبَعِ بَقِينِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ ، وَهُوَ يَوْمُ
المُسْلِمِينَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ؛ حَيْثُ طَعَنَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ المَجُوسِي ، وَدُفِنَ رضي عنه يَوْمَ الأَحَدِ
صَبِيحَةَ هِلالِ المُحَرَّمِ بِجِوَارِ صاحِبِيهِ (سَيِّدِنَا رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، وَسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ
رضي عنه) ، حَيْثُ اسْتَأْذَنَ رضي عنه أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ عائِشَةَ رضي عنها فِي ذَلِكَ ، فَأَذِنَتْ لَهُ .
وَهُنَاكَ قَالَ الإمامُ عَلِيُّ رضي عنه كَمَا أَخْرَجَهُ البُخاريُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ :

(رَحِمَكَ اللَّهُ ، إِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صاحِبِيكَ ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ
أَسْمَعُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ،
وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَإِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا) .

(٢) تاريخ الغلاء : جلال الدين السُّيوطي .

(١) حَصَبُوهُ : رَمَوْهُ بِالحَصْباءِ ، وَهِيَ صِنَاغُ الحِجَاةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخاريُّ .

بِمِثْلِ هَذَا سَادَ الْأَوَّلُونَ

❁ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَرَ عَلَيْهِمْ أَمِيرًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ سَلْمَةَ بْنَ قَيْسِ الْأَشْجَعِيِّ ، فَقَالَ : سِرْ بِاسْمِ اللَّهِ ، قَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، فَإِذَا لَقَيْتُمْ عَدُوَّكُمْ فَادْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوا وَأَقَامُوا بِدَارِهِمْ فَعَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الضَّيِّئِ نَصِيبٌ ، وَإِنْ سَارُوا مَعَكُمْ فَلَهُمْ مِثْلُ الَّذِي لَكُمْ وَعَلَيْهِمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَإِنْ أَبَوْا فَادْعُوهُمْ إِلَى الْجَزِيَّةِ فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ وَإِنْ أَبَوْا فَقَاتِلُوهُمْ وَإِنْ تَحَصَّنُوا مِنْكُمْ وَسَأَلُوكُمْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ ذِمَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا تُجِيبُوهُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ أَتُصِيبُونَ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَذِمَّتَهُمَا أَمْ لَا ، وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا تُمَثِّلُوا .

❁ بَعْدَ فَتْحِ فَارِسَ : قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ بِسَيْفِ كِسْرَى وَمِنْطَقَتِهِ وَزَبْرَجَدِهِ : إِنَّ قَوْمًا آدَوُا هَذَا لَذَوُوا أَمَانَةٍ ؛ فَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرَّعِيَّةُ .

❁ وَكَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قُوَّةً فِي سَاعِدِ وَعُدَّةً .. رِقَّةً فِي قُلُوبٍ وَأَهْتِدَةً :

اسْتَشْهَدَ فِي طَاعُونِ عَمَّوَسَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا فَرَغَ الطَّاعُونُ كَتَبَ أَمْرًا الْأَجْنَادِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَوَارِيثِ ، فَسَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ الشَّامَ قَسَمَ الْمَوَارِيثَ وَالْأَرْزَاقَ وَسَدَّ فُرُوجَ الشَّامِ وَمَصَالِحَهَا وَأَخَذَ يَدُورُهَا وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَلَمَّا كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَالَ لَهُ النَّاسُ : لَوْ أَمَرْتَ بِإِلَّا فَاذَنْ ، فَأَمَرَهُ فَاذَنْ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِلَالٌ يُؤَذِّنُ إِلَّا بَكَى حَتَّى بَلَ لِحَيْتِهِ وَعُمَرُ أَشَدَّهُمْ بُكَاءً ، وَبَكَى مَنْ لَمْ يُدْرِكْهُ بِبُكَائِهِمْ لِذِكْرِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أُسْوَةٌ ذَوْقٍ وَرُقِيٍّ .. مَعَ صَاحِبِي النَّبِيِّ :

✽ لَمَّا وُلِّيَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ الْخِلَافَةَ ، وَأَصْبَحَ لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ خَطِيبًا ، فَكَانَ إِذَا رَقِيَ الْمَنْبَرَ لَمْ يَتَجَاوَزِ الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ تَأْدِبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَجْلِسُ عَلَى الثَّلَاثَةِ ، وَيَضَعُ قَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ عَلَى الثَّانِيَةِ .

✽ وَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ الْخِلَافَةَ قَامَ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى الْأُولَى ، وَوَضَعَ رِجْلَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ ، تَأْدِبًا مَعَ الصَّدِيقِ ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

✽ وَهَذَا الْأَدَبُ لَمْ يَأْتِ عَنْ عِلْمِ الْأَوْرَاقِ ؛ بَلْ عَنْ عِلْمِ الْأَذْوَاقِ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنَ الدِّرَاسَةِ وَالْبُحُوثِ ؛ بَلْ مِنْ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ الْمَبْعُوثِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

اسْتَدْرَاكٌ وَإِظْهَارٌ لِمَقَامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ عِنْدَ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ وَعَلِيِّ الْكَرَّارِ :

✽ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(رَأَيْتُ حَمْرَةَ وَجَعْفَرَ كَأَنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا طَبَقًا كُلُّهُ نَبِقٌ كَالزَّبْرِجَدِ يَأْكُلَانِ مِنْهُ ، فَقُلْتُ

لَهُمَا : مَا وَجَدْتُمَا أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ ؟

فَقَالَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قُلْتُ : ثُمَّ مَاذَا ؟

قَالَا : الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُلْتُ : ثُمَّ مَاذَا ؟

قَالَا : حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ) .

✽ أَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ :

(لَمَّا بَرَزَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسْتَوَى عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرِمَامِهَا ،

وَقَالَ : إِلَيَّ أَيْنَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ أَقُولُ لَكَ مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ :

شِمٌّ سَيْفِكَ وَلَا تَفْجَعْنَا بِنَفْسِكَ وَارْجِعْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ فُجِعْنَا بِكَ لَا يَكُونُ

لِلْإِسْلَامِ نِظَامٌ أَبَدًا) .

وَلَمَّا أَلْحُوا عَلَيْهِ فِي الرَّجُوعِ رَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ الْأَمْرَاءَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ لِقِتَالِ

أَهْلِ الرَّدَّةِ .

❁ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْعَبَّاسِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَكَانَ إِبْلِ الصَّدَقَةِ فَجَلَسَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الظِّلِّ يَكْتُبُ ، وَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَأْسِهِ يُمْلِي عَلَيْهِ مَا يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعُمَرُ قَائِمٌ فِي الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ عَلَيْهِ بُرْدَتَانِ سَوْدَاوَانِ مُؤْتَزِرٌ بِوَاحِدَةٍ وَقَدْ وَضَعَ الْأُخْرَى عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَتَفَقَّدُ إِبْلَ الصَّدَقَةِ يَكْتُبُ أَلْوَانَهَا وَأَسْنَانَهَا ، فَقَالَ عَلِيُّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ ابْنَةِ شُعَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿يَتَأْتِ أَسْتَعْرَهُ إِنِّ خَيْرٌ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ^(١)

وَأَشَارَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : هُوَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ .

● الصِّدِّيقُ وَصِيَانَةُ الْإِسْلَامِ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ :

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي أَوْامِرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قَائِدِ جَيْشِهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :

إِيَّاكُمْ وَالْأَشْرَ ^(٢) ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِكَلِمَاتٍ عَشْرَ :

لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً ، وَلَا صَبِيًّا صَغِيرًا ، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا ، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمَرًا ، وَلَا تُخْرِبَنَّ بَيْتًا عَامِرًا ، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ ، وَلَا تَحْرِقَنَّ نَخْلًا ، وَلَا تَغْلُلْ ، وَلَا تَجْبُنْ .



(٢) الْأَشْرُ : الْبَطْرُ .

(١) سُورَةُ الْفَصَصِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٦ .

تَمَّةٌ فِيهَا فَوَائِدٌ مُهِمَّةٌ

❁ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه :
(أَتَانِي جِبْرِيلُ أَنْفًا فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ حَدِّثْنِي بِفَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : لَوْ
حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ مِثْلَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ مَا نَفَذْتُ فَضَائِلَ عُمَرَ) .

وَأَنَّ عُمَرَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، وَرُبَّمَا أَنَّ الْعُقُولَ الْقَاصِرَةَ تَسْتَبْعِدُ كَثْرَةَ
هَذِهِ الْفَضَائِلِ لِعُمَرَ رضي الله عنه ، لَكِنَّ مَنْ كَانَ ذَا بَصِيرَةٍ وَأَمْعَنَ فِكْرُهُ فِيمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ
سَيِّدَنَا عُمَرَ مِنَ الْفَضَائِلِ فِي نَفْسِهِ وَفِيمَا أَجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ وَمَا حَصَلَ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ
بِسَبَبِهِ : مِنْ كَوْنِهِ أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ فِي ابْتِدَائِهِ وَمِنْ كَثْرَةِ الْفُتُوحَاتِ الَّتِي فَتَحَهَا
اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ حَتَّى كَثُرَ الْعِلْمُ وَاتَّسَعَ الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ الْمُسْلِمُونَ ؛ يَتَّضِحُّ لَهُ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ
وَقَعَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْذُ خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّهُ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رضي الله عنه
وَمِنْ حَسَنَاتِهِ وَيَكْتَبُ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ أَجُورِهِمْ ، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ وَلَا إِحْصَاؤُهُ
وَلَوْ مَكَتَ الْعَبْدُ مِثْلَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ .

❁ وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ :

(إِنِّي لَأَرْجُو لِأُمَّتِي فِي حُبِّهِمْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مَا أَرْجُو لَهُمْ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .

❁ وَأَخْرَجَ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ :

(عُمَرُ مَعِي وَأَنَا مَعَ عُمَرَ وَالْحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كَانَ) .

❁ وَهَذَا مِثْلُ مَا قَالَ صلوات الله عليه فِي حَقِّ عَلِيٍّ رضي الله عنه :

(وَأَدِرَّ الْحَقُّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ) .

فَكُلُّ مَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنه كَانَ مَعَ الْحَقِّ ، وَلِهَذَا كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مَعَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ قَبْلَهُ
فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِمْ وَلَمْ يُنَازِعْ أَحَدًا مِنْهُمْ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ الْحَقِّ فَكَانَ هُوَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا
جَاءَتْ نُوْبَةُ خِلَافَتِهِ وَنُوزِعَ فِي ذَلِكَ قَاتِلٌ مِنْ نَازِعِهِ ؛ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ أَنْ سَكُوتُهُ فِي
زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ كَانَ تَقِيَّةً ؛ فَلَقَدْ حَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمُحَابَاةِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى .

● وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ أَكْبَرِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنَ الثَّغَاءِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ
 وَالْإِعْتِرَافِ بِحَقِّيَّةِ خِلَافَتِهِمْ فَشَيْءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْحَصِرُ : قَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ أَمْثَلَةً فِي
 ثَنَاءِ الْقَرَابَةِ عَلَى الصَّحَابَةِ ، وَفِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ إِفَادَةٌ :

❁ فَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى بْنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ
 قِيلَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) :

نَصٌّ فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَصًّا وَقَالَ : لَوْ عَنَى بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ لَأَفْصَحَ لَهُمْ كَمَا أَفْصَحَ عَنِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 كَانَ أَنْصَحَ النَّاسِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِي وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ
 بَعْدِي فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا .

فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اخْتَارَا عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَالْقِيَامِ
 بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ أَوْ يَعْدِرَ فِيهِ
 لِلْمُسْلِمِينَ لَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ خَطِيئَةً وَحَاشَاؤُ مِنْ ذَلِكَ .

❁ وَأَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْضِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى بْنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ
 أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ : امْسَحْ فَقَدْ مَسَحَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ أَنْتَ تَمْسَحُ ؟ ، فَقَالَ : ذَلِكَ أَعْجَزُ لَكَ أُخْبِرُكَ عَنْ
 عُمَرَ وَتَسْأَلُنِي عَنْ رَأْيِي ، فَعُمَرُ خَيْرٌ مِنِّي وَمِلءُ الْأَرْضِ مِنِّي .

فَقِيلَ لَهُ هَذِهِ تَقِيَّةٌ ، فَقَالَ : نَحْنُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ ، اللَّهُمَّ هَذَا قَوْلِي فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مَقْهُورًا ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ
 بِأَمْرِ فَلَمْ يَنْفِذْهُ ! فَكَفَى بِهَذَا أَزْدِرَاءً وَمَنْقَصَةً ، وَحَاشَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ .

● فَانظُرْ إِلَى كَلَامِ هَذَا الْإِمَامِ وَإِسْنَادِهِ مَسْحَ الْخُفَّيْنِ إِلَى عُمَرَ مَعَ أَنَّ الْمَسْحَ أَيْضًا
 ثَابِتٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، فَلَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلْ أَسْنَدَهُ
 إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِيُرَدَّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ تَقْيِصَهُ .

❁ وَأَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحْضِيِّ أَنَّهُ

قال لما سُئِلَ عَنِ الشَّيْخَيْنِ عليهما السلام ، إِنَّهُمَا عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام .

❖ وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام أَنَّهُ قَالَ : أَجْمَعَ بَنُو فَاطِمَةَ عليها السلام عَلَى أَنْ يَقُولُوا فِي الشَّيْخَيْنِ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْلِ .

❖ وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ عليهما السلام أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام ، فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ ؟ ، فَقَالَ : عَنْ الصَّدِيقِ ؟ فَقَالَ : وَتُسَمِّيهِ الصَّدِيقَ ؟ ، فَقَالَ : نَكَلْتُكَ أُمُّكَ قَدْ سَمَّاهُ صَدِيقًا رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَمَنْ لَمْ يُسَمِّهِ الصَّدِيقَ فَلَا صَدَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اذْهَبْ فَاحْبَبْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ عليهما السلام .

❖ وَأَخْرَجَ أَيْضاً : أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ الْبَاقِرِ عليهما السلام سُئِلَ عَنْ حِلْيَةِ السَّيْفِ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ قَدْ حَلَّى بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ عليه السلام سَيْفَهُ .. فَقِيلَ لَهُ : وَتَقُولُ الصَّدِيقَ ؟ ، فَقَالَ : نَعَمْ الصَّدِيقُ ... نَعَمْ الصَّدِيقُ ... نَعَمْ الصَّدِيقُ ، فَمَنْ لَمْ يَقُلِ الصَّدِيقَ فَلَا صَدَقَ اللَّهُ قَوْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

❖ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ وَزَادَ فِيهِ : فَوَثَبَ وَثَبَةً وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَقَالَ : نَعَمْ الصَّدِيقُ .. إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ .

❖ وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام ، أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُمَا : وَاللَّهِ إِنْ الْبِرَاءَةَ مِنْهُمَا بِرَاءَةً مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ .

وَزَيْدٌ هَذَا كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا خَرَجَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاسْتَشْهَدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ، وَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ تَابَعَهُ خَلْقٌ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَحَضَرَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الشَّيْعَةِ ، فَقَالُوا لَهُ : ابْرَأْ مِنَ الشَّيْخَيْنِ وَنَحْنُ نُبَايِعُكَ ، فَأَبَى فَقَالُوا : إِنَّا نَرَفُضُكَ .. فَقَالَ : اذْهَبُوا فَانْتُمْ الرَّافِضَةُ ، فَمِنْ حِينُنْدِ سُمُّوا الرَّافِضَةَ .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّ الْإِمَامَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ انْتَزَعَ مِنْ فَاطِمَةَ عليها السلام فَدَكَ ، فَقَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ رَحِيمًا وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُغَيَّرَ شَيْئًا تَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَاللَّهِ لَوْ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَقَضَيْتُ بِقَضَائِهِ

أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

❁ وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الشَّيْخَيْنِ ؟ ، فَقَالَ : يَا سَالِمُ تَوَلَّيْتُمَا وَابْرَأَ مِنْ عَدُوِّهِمَا ، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامِي هُدَى .

❁ وَأَخْرَجَ عَنْهُ أَيْضاً ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأُحِبُّهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي نَفْسِي غَيْرٌ هَذَا فَلَا نَالَتِي شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

❁ وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي أَيْضاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَجَمَاعَةٍ خَاضُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، ثُمَّ فِي عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَلَا تُخْبِرُونِي ؟ أَنْتُمْ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ :

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ^(١) . ؟

قالوا : لا .

قال : فَأَنْتُمْ :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) . ؟

قالوا : لا .

قال : أَمَا أَنْتُمْ فَقَدْ بَرَّيْتُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي أَحَدِ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(٣) .

(٢) سُورَةُ الْحَشْرِ : الْآيَةُ ٩ .

(١) سُورَةُ الْحَشْرِ : مِنْ الْآيَةِ ٨ .

(٣) سُورَةُ الْحَشْرِ : الْآيَةُ ١٠ .

❁ وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ الْمُثَنَّى ابْنَ الْحَسَنِ السَّبِطِ رضي الله عنه يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكُمْ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ تَوْبَةً .

❁ وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ رضي الله عنه أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه وَقَفَ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاتِهِ وَهُوَ مُسَجَّى ، فَقَالَ : مَا أَقَلَّتِ الْغِبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتِ الْخِضْرَاءُ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِصَحِيفَةٍ هَذَا الْمُسَجَّى .

● قَالَ الْعَلَمَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي (الصَّوَاعِقِ الْمُعْرِفَةِ لِإِخْوَانِ الضَّلَالِ وَالزَّنَدَقَةِ) :

فَمَا الَّذِي أَحْوَجَ عَلِيًّا أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ تَقِيَّةً ؟ وَمَا الَّذِي أَحْوَجَ الْبَاقِرَ أَنْ يَرُويَ ذَلِكَ لِابْنِهِ جَعْفَرٍ تَقِيَّةً ؟

وَمَا الَّذِي أَحْوَجَ جَعْفَرَ أَنْ يَرُويَهُ لِمَالِكٍ تَقِيَّةً ؟

فَكَيْفَ يَسْعُ الْعَاقِلُ أَنْ يَتْرَكَ هَذِهِ النُّقُولَ الصَّحِيحَةَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ وَيَحْمِلَهَا عَلَى التَّقِيَّةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى وَصْفِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بِالْعَجْزِ وَالذُّلِّ وَالْمُدَاهَنَةِ ، وَكِتْمَانِ الْحَقِّ ؛ بَرَأَهُ اللَّهُ وَحَمَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَنَدٌ صَحِيحٌ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ خَيَالَاتِهِمْ وَكَذِبِهِمْ وَحُمَقِهِمْ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا سَلَكَهُ بَعْضُ الشَّيْعَةِ الْمُنْصِفِينَ ، فَإِنَّهُ قَالَ : أَفْضَلُ الشَّيْخِينَ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ إِيَّاهُمَا عَلَى نَفْسِهِ وَإِلَّا لَمَا فَضَّلْتُهُمَا ؛ كَفَى بِي وَزراً أَنْ أَحْبَبَهُ ثُمَّ أَخَالَفَهُ .

● فِي حَضْرَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ (الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ ٦٢٣-٦٤٩ هـ) قَامَ الْوَجِيهُ الْقَيْرَوَانِي يَمْدَحُهُ بِقَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ كُنْتُ فِي يَوْمِ السَّقِيفَةِ حَاضِراً ❁ كُنْتُ الْمُقَدِّمَ وَالْإِمَامَ الْأَوْرَعَا

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ بِحَضْرَتِهِ : أَخْطَأْتَ قَدْ كَانَ حَاضِراً الْعَبَّاسُ جَدُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ الْمُقَدِّمَ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ ، فَأَقْرَ ذَلِكَ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَخَلَعَ عَلَى قَائِلِ ذَلِكَ خِلْعَةً ، وَأَمَرَ بِنَفْيِ الْوَجِيهِ فَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ .

فَهَذَا فِيهِ مَفْتَحٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ ، وَتَذَكْرَةٌ لِمَنْ تَذَكَّرَهُ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ .

سَيِّدُنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رضي الله عنه

ثَالِثُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، ذُو النُّورَيْنِ وَصَاحِبُ الْهَجْرَتَيْنِ وَاسْمُهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ
ابْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ
ابْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ ، الْقُرَشِيُّ ، الْأُمَوِيُّ .

يَجْتَمِعُ رضي الله عنه مَعَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي عَبْدِ مَنَاةٍ ؛ وَهُوَ أَقْرَبُ الْخُلَفَاءِ إِلَى
سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه بَعْدَ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه .

وَأُمُّهُ : أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ ،
أَسْلَمَتْ ، وَأُمُّهَا : الْبَيْضَاءُ (أُمُّ حَكِيمٍ) بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه
شَقِيقَةُ أَبِي طَالِبٍ (فَأُمُّ عُثْمَانَ بِنْتُ عَمَّةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه) .

وُلِدَ رضي الله عنه فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْفِيلِ (السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه) .
كُنِيَّتُهُ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو عَمْرٍو ، وَيُقَالُ لَهُ : ذُو النُّورَيْنِ ، وَاشْتَهَرَ بِهَا .

✽ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رضي الله عنه وَقَدْ سُئِلَ عَنْ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رضي الله عنه ، قَالَ : (فَذَاكَ أَمْرٌ
يُدْعَى فِي الْمَلَأِ ذَا النُّورَيْنِ ، كَانَ خَتَنَ ^(١) رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه عَلَى ابْنَتَيْهِ ، ضَمِنَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ^(٢) .

وَعَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : لِمَ قِيلَ لِعُثْمَانَ ذُو النُّورَيْنِ ؟ قَالَ :
(لَأَنَّهُ لَمْ يُعْلَمْ أَحَدٌ تَزَوَّجَ ابْنَتَيْ نَبِيِّ غَيْرِهِ) .

مَنْقِبَةُ زَوَاجِ عُثْمَانَ ابْنَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه :

تَزَوَّجَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ السَّيِّدَةَ رُقِيَّةَ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَهَاجَرَتْ رضي الله عنها الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى
الْحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا عُثْمَانَ ، وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه إِلَى غَزْوَةِ بَدْرٍ خَلَفَهُ عَلَى السَّيِّدَةِ
رُقِيَّةَ يَمْرُضُهَا ، وَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ ، فَكَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا ، وَزَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه
ابْنَتَهُ أُمَّ كَلْثُومَ بَعْدَ السَّيِّدَةِ رُقِيَّةَ ، وَلَمْ يُنْجِبَا رضي الله عنهما .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّمَّانِ .

(١) الْخَتَنُ : زَوْجُ الْبَيْتِ أَوْ زَوْجُ الْأَخْتِ .

❖ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عِصْمَةَ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ عُثْمَانَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (زَوْجُوا عُثْمَانَ ، لَوْ كَانَ لِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُه ، وَمَا زَوَّجْتُه إِلَّا بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ) .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِعُثْمَانَ : (لَوْ أَنَّ لِي أَرْبَعِينَ بِنْتًا زَوَّجْتُكَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ) (١) .

❖ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةٌ تَمُوتُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً زَوَّجْتُكَ أُخْرَى حَتَّى لَا يَبْقَى مِنَ الْمِائَةِ شَيْءٌ) (٢) وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الرَّوَايَاتِ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ تَكَرَّرَ ذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْهُ ﷺ فَمَرَّةً قَالَ : (أَرْبَعِينَ) ، وَمَرَّةً قَالَ : (مِائَةٌ) .

أَوْلَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عَبْدُ الرَّحْمَنِ (وَأُمُّهُ رُقِيَّةٌ) ، وَعَبْدُ اللَّهِ (وَأُمُّهُ فَاحِشَةُ بِنْتُ غَزْوَانَ) ، وَعَمْرُو وَأَبَانُ وَعُمَرُ وَمَرْيَمُ (وَأُمُّهُمْ أُمُّ عَمْرُو بِنْتُ جَنْدَبٍ مِنَ الْأَزْدِ) ، وَالْوَلِيدُ وَسَعِيدُ وَأُمُّ سَعِيدٍ (وَأُمُّهُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْوَلِيدِ) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ (وَأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينِ بِنْتُ عُبَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ) ، وَعَائِشَةُ وَأُمُّ أَبَانَ وَأُمُّ عَمْرُو (وَأُمُّهُمْ رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ) ، وَمَرْيَمُ (وَأُمُّهَا نَائِلَةُ بِنْتُ الْفَرَاغِصَةِ) ، وَأُمُّ الْبَنِينِ (وَأُمُّهَا أُمُّ وُلْدِ) .

فَضْلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ فِي آيِ الْقُرْآنِ :

وَقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِهِ ﷺ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى :

❖ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣) .

❖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾

(٢) أَخْرَجَهُ الْهِنْدِيُّ فِي كِتَابِ السُّمَالِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْهِنْدِيُّ فِي كِتَابِ السُّمَالِ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : آيَةُ ٢٦٢ .

وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِمْ) (١)

❁ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٢)

❁ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣)

❁ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٤)

وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الإِطَالَةِ بِبَيَانِهِ .
وَمِنْ مَآثِرِهِ ﷺ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّهِ :

❁ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ بِأَهْلِهِ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(صَحِبَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، إِنَّ عُثْمَانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ) (٥)

❁ وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِهِ كَاشِفاً عَنِ سَاقِيهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ
لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ،

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ فَتَحَدَّثَ ، فَلَمَّا خَرَجَ ، قَالَتْ
عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ
تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ..؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) (٦)

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي بِشَفَاعَةِ عُثْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ) (٧)

(٢) سُورَةُ الأنبياء : الآيَةُ ١٠١ .

(٤) سُورَةُ الأَحْزَابِ : مِنَ الآيَةِ ٢٣ .

(١) سُورَةُ الزُّمَرِ : مِنَ الآيَةِ ٩ .

(٣) سُورَةُ النَّحْلِ : مِنَ الآيَةِ ٧٦ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَائِعِ وَالنَّهَائِعِ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَاصِمٍ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَابْنُ حَجْرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ .

(٧) أَخْرَجَهُ الزُّبَيْدِيُّ فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَالْهَنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

(الْقَائِمُ بَعْدِي فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي يَقُومُ بَعْدَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ فِي الْجَنَّةِ) .

❖ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

وَعُثْمَانُ جَبَلٌ أَحَدٌ ، فَرَجَفَ الْجَبَلُ رَجْفَةً فَضْرَبَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ :
(أُثِبْتُ أَحَدٌ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانُ) ^(١) .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَإِنَّمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ أَنَّ هَذِهِ الرَّجْفَةَ لَيْسَتْ كَرَجْفَةِ الْجَبَلِ لِقَوْمِ

مُوسَى لَمَّا حَرَفُوا الْكَلِمَ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ رَجْفَةً غَضَبٍ وَهَذِهِ هَزَّةٌ طَرَبٍ ، وَلِذَا نَصَّ صلى الله عليه وسلم
عَلَى مَقَامِ النَّبُوءَةِ وَالصِّدِّيقِيَّةِ وَالشَّهَادَةِ الْمَوْجِبَةِ لِسُرُورٍ مَا اتَّصَلَتْ بِهِ ، فَأَقْرَأَ الْجَبَلُ
بِذَلِكَ فَاسْتَقَرَّ .

وَهَذِهِ الْقِصَّةُ أَعْنَى رَجْفِ الْجَبَلِ تَكَرَّرَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ فَكَانَتْ بِأَحَدٍ ،
وِحِرَاءٍ ، وَثَوْرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ فِي بَعْضِهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَفِي بَعْضِهَا زِيَادَةُ
عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ رضي الله عنهم ؛ فَاخْتَلَفَ الْأَحَادِيثُ لِتَكَرُّرِ تِلْكَ الْوَقَائِعِ .

❖ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ :

(إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ كَمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ
الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ فَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلَاةُ وَلَا
الزَّكَاةُ وَلَا الصَّوْمُ وَلَا الْحَجُّ) ^(٢) .

❖ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ ، قَالَ : شَهِدْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ

يَحُثُّ عَلَى تَجْهِيْزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةٌ
بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا ^(٣) وَأَقْتَابِهَا ^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ حَضَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْجَيْشِ ، فَقَالَ
عُثْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَابْنُ حَجْرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزُّوَائِدِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عِمْرَانَ فِي تَفْزِيهِ الشَّرِيعَةِ .

(٣) أَحْلَاسُهَا : الْمُمْرَدُ : الْجُلُوسُ ، أَي : كِسَاءٌ يُلْفَى عَلَى ظَهْرِ الدَّائِبَةِ وَيَكُونُ تَحْتَ الرَّجْلِ أَوْ السَّرْجِ .

(٤) أَقْتَابُهَا : الْمُمْرَدُ : الْقَتَبُ ، أَي : الرَّجْلُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدْرِ سِنَامِ الْبَعِيرِ .

حَصَّ عَلَى الْجَيْشِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةٍ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا
وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه عَنِ الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ : (مَا عَلَى
عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذِهِ) ^(١) .

✽ وَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه الْمَدِينَةَ لَمْ يَكُنْ بِهَا مَاءٌ مُسْتَعْدَبٌ غَيْرُ بَثْرُ رُومَةَ ، فَقَالَ صلوات الله عليه :
(مَنْ يَشْتَرِي بَثْرَ رُومَةَ يَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ) ^(٢) .

✽ وَكَانَتْ بُقْعَةٌ إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه :
(مَنْ يَشْتَرِيهَا وَيُوسِعُهَا فِي الْمَسْجِدِ فَلَهُ مِثْلُهَا فِي الْجَنَّةِ) ^(٣) .

فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه بَعْدَ ذَلِكَ فَوَسَّعَهَا فِي الْمَسْجِدِ .

✽ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه قَدْ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَبَايَعَ النَّاسَ ، وَقَالَ :
(إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ) فَضَرَبَ بِأُحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى لِبَيْعَةِ
عُثْمَانَ ، وَقَالَ صلوات الله عليه : (هَذِهِ لِعُثْمَانَ) ^(٤) .

✽ وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ
صلوات الله عليه قَالَ لِعُثْمَانَ :

(يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِذَا أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ
حَتَّى تَلْقَانِي) ^(٥) .

● وَهَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى خِلَافَتِهِ رضي الله عنه دِلَالَةً وَاضِحَةً ، وَعَلَى
حَقِّيْقَتِهَا لِنِسْبَةِ الْقَمِيصِ الْمُكْنَى بِهِ عَنِ الْخِلَافَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، بَلْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ
رَوَاهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه :

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرِ .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى ، وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ بِنَعْوِهِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البَارِي .

(٣) أَخْرَجَهُ الهَيْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ .

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البَارِي ، وَالهَيْدِيُّ فِي مَجْمَعِ الرِّوَايَةِ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرِ ، وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالتُّطْبَرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ .

(يا عُثْمَانُ إِنَّ وِلَاكَ اللَّهُ تَعَالَى وَوَلَايَةَ هَذَا الْأَمْرِ يَوْمًا فَأَرَادَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِي قَمَّصَكَ اللَّهُ فَلَا تَخْلَعْهُ) ، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

جَمَعَ عُثْمَانُ الْقُرْآنَ مَكْرَمَةً مِنَ الرَّحْمَنِ :

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَانَتْ تَنْزَلُ آيَاتُهُ مُفْرَقَةً وَفَقَّ أَسْبَابُ نَزُولِهَا وَظُرُوفُهُ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ اخْتَارَهُمْ لِيَكْتُبُوا آيَاتِ الْمُنزَّلَةِ أَوَّلًا قَوْلًا ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَتَنَاقَلُونَ آيَاتِ الْمُنزَّلَةِ ؛ يَعْتَمِدُ بَعْضُهُمْ عَلَى قُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ فَيَحْفَظُهَا ، وَيُسَطِّرُهَا بَعْضٌ آخَرَ حَيْثُ يَحْتَفِظُ بِهَا مَكْتُوبَةً .

وَفِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَرَّرَ بِمَشُورَةٍ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ ، فَعَهَدَ إِلَى الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بِالْإِشْرَافِ عَلَى هَذِهِ الْمُهْمَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَكَانَ زَيْدٌ ﷺ أَقْدَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا نُدِبَ إِلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ، كَمَا كَانَ أَكْثَرَ كِتَابِ الْوَحْيِ مُلَازِمَةً لِلرَّسُولِ ﷺ .

وَجَمَعَ سَيِّدُنَا زَيْدٌ الْقُرْآنَ بَادِلًا مِنْ وَعْيِهِ وَيَقْظَتِهِ وَأَمَانَتِهِ جُهْدًا خَارِقًا ، مُسْتَعِينًا بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَبَعْضُهُمْ يَحْتَفِظُ بِهِ مَسْطُورًا . وَهَكَذَا صَارَتْ آيَاتِ النَّبِيِّ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً فِي صُدُورِ الرِّجَالِ أَوْ عَلَى الْأَوْحِ الْكِتَابَةِ مُصْحَفًا وَاحِدًا مُرْتَبِّ السُّورِ وَالْآيَاتِ ، مَعْرُوفَ الْبَدْءِ وَالْمُنْتَهَى .

وَحَفِظَ الْمُصْحَفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمِنْ بَعْدِهِ انْتَقَلَ إِلَى عُمَرَ ﷺ .

خِلَالَ عَهْدِ سَيِّدِنَا عُمَرَ شَرَعَتْ الْفُتُوحُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَطْوِي الْبِلَادَ طَيًّا ، وَآلَ إِلَى الْإِسْلَامِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يَجْتُمُّ فَوْقَهَا طُفْيَانُ فَارِسَ وَالرُّومِ . وَخِلَالَ عَهْدِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بَلَغَتْ الْفُتُوحَاتُ أَمَادًا أَبْعَدَ ، وَأَفَاقًا أَرْحَبَ .

وَمَعَ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ فِي عَهْدِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ ﷺ كَانَ الْإِسْلَامُ يَسْتَقْبِلُ شُعُونًا مُخْتَلِفَةً اللَّسَانِ ، وَنَمَا الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ نُمُوًّا هَائِلًا ، انْتَضَمَ بَيْنَ مَوْجَاتِهِ تَبَايُنٌ كَبِيرٌ .

وَحَدِيثُ جَمْعِهِ ﷺ الْمُصْحَفِ مَذْكُورٌ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، وَمُلَخَّصُهُ : أَنَّ حُدَيْفَةَ

ابن اليماني رضي الله عنه كان مع أهل العراق في فتح أرمينية وأذربيجان ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القرآن ، فلما رجع ، قال لعثمان رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن أرسلني إلي بالمصحف (وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قد أودعه قبل استشهاده عندها) ، فأرسلته رضي الله عنه إليه ، فأمر سيدنا عثمان بنسخ عدد من المصاحف ، وأرسل لكل إقليم من أقاليم الدولة مصحفاً .

ومضى الكاتبون في كل إقليم ينسخون لأنفسهم ولغيرهم مصاحف أخرى من هذا المصحف الجامع الذي سمي يومئذ - ولا يزال يسمى إلى يومنا هذا - مصحف عثمان .
قمة سخاء الإنسان عثمان بن عفان :

أخرج المنلا في سيرته عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قحط الناس في زمان أبي بكر رضي الله عنه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه يوماً : لا تمسسون حتى يفرج الله عليكم ، فلما كان من الغد جاء البشير إليه ، قال : قدمت لعثمان ألف راحلة برأ وطعاماً ، فغدا التجرأ على عثمان فقرعوا عليه الباب ، فخرج إليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقيه ، فقال لهم : ما تريدون ؟ ، قالوا : قد بلغنا أنه قدم لك ألف راحلة برأ وطعاماً : بعنا حتى يوسع على فقراء المدينة .

فقال لهم عثمان : ادخلوا ، فدخلوا .. فإذا ألف وقر⁽¹⁾ قد صب في دار عثمان ، فقال لهم : كم تربحونني على شرايئ من الشام ؟ فقالوا : العشرة اثنا عشر .

فقال : زادوني .

قالوا : العشرة أربع عشرة .

قال : قد زادوني .

قالوا : العشرة خمسة عشر .

قال : قد زادوني .

قالوا : من زادك ونحن تجار المدينة ؟

(1) الوقر : الحمل الثقيل يحمل على البعير .

قال : زادوني بكلِّ درهمٍ عشرةً ، عندكم زيادة ؟

قالوا : لا .

قال : فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على الفقراء .

خلافته رضي الله عنه (٢٣-٢٥ هـ) ، وفتوحاته :

بُوع رضي الله عنه بالخِلافة بعد دفن سيدنا عمر بثلاث ليالٍ يوم الاثنين لليِّلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين من هجرته صلوات الله عليه .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد طعنه وقد قال له الصحابة :

أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف ، فقال رضي الله عنه (١) :

(أتحمل أمركم حياً وميتاً ، لوددت أني أحطى منها الكفاف لا علي ولا لي ، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني - يعني رسول الله صلوات الله عليه -) .

ثم قال رضي الله عنه : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء الرهط الذين توفى رسول الله صلوات الله عليه وهو عنهم راضٍ ؛ وسمى : علياً وعثمان والزبير وسعداً وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف .

❁ ويروى أن عبد الرحمن بن عوف ، قال لعثمان في خلوة : إن لم أبايعك فمن تشير علي ؟ قال : علي بن أبي طالب ، وقال لعلي : إن لم أبايعك فمن تشير علي ؟ قال : عثمان بن عفان ، ثم دعا الزبير بن العوام ، فقال : إن لم أبايعك فمن تشير علي ؟ قال : علي أو عثمان ، ثم دعا سعد بن أبي وقاص ، فقال : من تشير علي ؟ ، فقال : عثمان ؛ ثم استشار عبد الرحمن بن عوف أعيان الصحابة فرأى هوى أكثرهم في عثمان (٢) .

● وفي هذه السنة أعني سنة أربع وعشرين من خلافته رضي الله عنه فتحت الري ؛ وكانت فتحت وانتقضت ، وفيها أصاب الناس رُعافٌ كثيرٌ ، فقيل لها : سنة الرُعاف ،

(١) كما في رواية مسلم .

(٢) تاريخ الخلفاء : الحافظ جلال الدين السُّبُوطي .

وَأَصَابَ عُثْمَانَ رُعَافٌ حَتَّى تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ وَأَوْصَى ، وَفِيهَا فُتِحَ مِنَ الرُّومِ حُصُونٌ كَثِيرَةٌ ، وَفِيهَا وَلَّى عُثْمَانُ الْكُوفَةَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَزَلَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ؛ عَمَلًا بِوَصِيَّةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَوْصِيَ الْخَلِيفَةَ بَعْدِي أَنْ يَسْتَعْمِلَ سَعْدًا فَإِنِّي لَمْ أَعَزِلْهُ عَنْ سُوءٍ وَلَا خِيَانَةٍ .. فَكَانَ أَوَّلَ عَامِلٍ بَعَثَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

● وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ عَزَلَ عُثْمَانُ سَعْدًا عَنِ الْكُوفَةِ ، وَوَلَّى الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ (وَهُوَ صَحَابِيٌّ أَخُو عُثْمَانَ لِأُمِّهِ) ، وَعَزَلَ عُتْبَةَ بْنَ فَرْقَدٍ عَنْ أَدْرِيْجَانَ الَّتِي كَانَتْ تَابِعَةً لِبُلَايَةِ الْكُوفَةِ ، فَانْتَفَضَ أَهْلُهَا ، فَغَزَاهُمُ الْوَلِيدُ ، فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِ مَوْقَانَ وَالْبَيْرِ وَالطَّلِيَّاسَانِ ، فَفَتَحَ وَغَنِمَ ، ثُمَّ طَلَبَ أَهْلَ كُورِ أَدْرِيْجَانَ الصُّلْحَ فَصَالَحَهُمْ عَلَى صُلْحٍ حُدَيْفَةٍ وَهُوَ ثَمَانِمِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ سَيَّرَ سَلْمَانَ بْنَ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ إِلَى أَهْلِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ ، وَرَجَعَ إِلَى الْوَلِيدِ بِغَنَائِمِهِمْ .

● وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ زَادَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَوَسَّعَهُ وَاشْتَرَى أَمَاكِنَ لِلزِّيَادَةِ ، وَفِيهَا فُتِحَتْ سَابُورُ .

● وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ غَزَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قِتْسَرِينَ فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ وَرَجَعَ ، وَفِيهَا عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَنِ مِصْرَ وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فَغَزَا أَفْرِيْقِيَّةَ فَافْتَتَحَهَا سَهْلًا وَجَبَلًا فَأَصَابَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ الْجَيْشِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقِيلَ ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ فُتِحَتِ الْأَنْدَلُسُ فِي هَذَا الْعَامِ .

● وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ غَزَا مُعَاوِيَةَ قُبْرُسَ ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ أَنْ يَغْزُو فِي الْبَحْرِ ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ أَنْ صِفْ لِي الْبَحْرَ وَرَاكِبَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : (إِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا كَبِيرًا يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ ، إِنْ رَكَدَ خَرَقَ الْقُلُوبَ ، وَإِنْ تَحَرَّكَ أَرَاعَ الْعُقُولَ ، تَزْدَادُ فِيهِ الْعُقُولُ قَلَّةً وَالسَّيِّئَاتُ كَثْرَةً ، وَهُمْ فِيهِ كَدُودٌ عَلَى عُودٍ ، إِنْ مَالَ غَرَقَ ، وَإِنْ نَجَا فَفَرَقَ) ، فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الْكِتَابَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُ

فِيهِ مُسْلِمًا أَبَدًا .

فَلَمَّا كَانَتْ خِلاَفَةُ عُثْمَانَ رضي الله عنه اسْتَأْذَنَهُ مُعَاوِيَةُ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ : لَا تَتَّخِذِ النَّاسَ وَلَا تُقْرِعْ بَيْنَهُمْ بَلْ خَيْرُهُمْ ، فَمَنْ اخْتَارَ الْغَزْوَ طَائِعًا فَاحْمِلْهُ وَأَعِنَهُ ، فَفَعَلَ . وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّامِ إِلَى قُبْرُسَ ، وَسَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ مِنْ مِصْرَ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا عَلَى جِزْيَةٍ سَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ كُلِّ سَنَةٍ .

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ سَقَطَتْ أُمَّ حَرَامٍ عَنْ دَابَّتِهَا فَمَاتَتْ شَهِيدَةً هُنَاكَ تَصَدِيقًا لِلنَّبِيِّ صلوات الله عليه حَيْثُ أَخْبَرَهَا أَنَّهَا فِي أَوَّلِ مَنْ يَغْزُو فِي الْبَحْرِ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

● وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ فَتَحَتْ إِصْطَخْرُ ، وَفَسَا وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَفِيهَا زَادَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ رضي الله عنه فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَوَسَّعَهُ ، وَبَنَاهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ ، وَجَعَلَ عُمْدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ ، وَجَعَلَ طُولَهُ سِتِّينَ وَمِائَةَ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضُهُ خَمْسِينَ وَمِائَةَ ذِرَاعٍ .

● وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ فَتَحَتْ جُورَ وَبِلَادَ كَثِيرَةً مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ ، وَفُتِحَتْ نَيْسَابُورُ صَلْحًا وَقِيلَ عَنُوةً ، وَطُوسُ وَسَرْخُسُ كِلَاهُمَا صَلْحًا ، وَكَذَا مَرُوءِيَهَقُ ؛ وَلَمَّا فَتَحَتْ هَذِهِ الْبِلَادَ الْوَاسِعَةَ كَثُرَ الْخَرَاجُ عَلَى سَيِّدِنَا عُثْمَانَ وَأَتَاهُ الْمَالُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ حَتَّى اتَّخَذَ لَهُ الْخَزَائِنَ ، وَأَدْرَّ الْأَرْزَاقَ وَكَانَ يَأْمُرُ لِلرَّجُلِ بِمِائَةِ أَلْفِ بَدْرَةٍ فِي كُلِّ بَدْرَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافِ أُوقِيَّةٍ .

● وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ تُوفِّيَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَالِدُ مُعَاوِيَةَ ، وَفِيهَا تُوفِّيَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ عَمُّ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ .

● وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ تُوفِّيَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ ، وَفِيهَا تُوفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَمِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ (تَصَدَّقَ مَرَّةً بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَبِقَافِلَةٍ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ كَمَا هِيَ) ، وَفِيهَا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (أَحَدُ الْقُرَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَمِنْ أَهْلِ السَّوَابِقِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ الْمَشْهُورِينَ بِسَعَةِ الْعِلْمِ) ، وَفِيهَا تُوفِّيَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الْخَزْرَجِيُّ (الزَّاهِدُ الْحَكِيمُ) ، وَفِيهَا تُوفِّيَ أَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بْنُ جِنَادَةَ .

الغضاريُّ (صَادِقُ اللَّهْجَةِ) ، وفيها تُوفِّيَ زَيْدُ بْنُ عَيْدِ رَبِّهِ الْأَنْصَارِيُّ (الَّذِي أُرِيَ
الْأَذَانَ) .

● وفي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ تُوفِّيَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فِي أَرْضِهِ بِالْجُرْفِ وَحُمِلَ إِلَى
الْمَدِينَةِ ، وفيها غَزَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الْحَبَشَةَ .

● وفي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ أَخْرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَرَضُوا بِأَبِي
مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

● وفي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ كَانَ مَقْتَلُ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



مُقَدِّمَةٌ بَيْنَ يَدَيِ الْفِتْنَةِ

❁ مَرَّ بِنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَتَبَّأَ بِاسْتِشْهَادِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَمْرِهِ أَلَّا يَخْلَعَ الْقَمِيصَ الَّذِي يُلْبِسُهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْذَرُ الْفِتْنََ عَلَى أُمَّتِهِ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُحَذِّرُهُمْ مِنْهَا ، لِأَنَّ بَأْسَ الْأُمَّةِ مَتَى انْتَقَلَ مِنْ أَعْدَائِهَا إِلَى أَنْفُسِهَا سَاءَتْ حَالُهَا ، وَفَسَدَ نِظَامُهَا ، وَصَارَتِ الْفَوْضَى أَقْرَبَ مِنْهَا إِلَى الْإِصْلَاحِ ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهَا وَلَكِنْ قُدِّرَ فَكَانَ .

❁ وَلَمَّا سَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَاصِدًا فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيْنَ تَخْرُجُ بِنَفْسِكَ إِنَّكَ تُرِيدُ عَدُوًّا كَلْبًا ؟ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَبَادِرُ بِالْجِهَادِ قَبْلَ مَوْتِ الْعَبَّاسِ ، إِنَّكُمْ لَوْ فَقَدْتُمْ الْعَبَّاسَ لَانْتَفَضَ بِكُمْ الشَّرُّ كَمَا يَنْتَفِضُ الْحَبْلُ .

وَبِالْفِعْلِ بِمَوْتِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : انْتَفَضَ النَّاسُ .

اسْتِقْرَاءُ أَجْوَاءِ الْفِتْنَةِ الَّتِي آدَتْ لِمَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَقَدْ كَانَ مَقْتَلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرِّصَاصَةَ الْأُولَى الَّتِي أَطْلَقْتَهَا فِي الْمَعْرَكَةِ الْخَفِيَّةِ قُوَى الشَّرِّ الْمُتَحَالِفَةِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ .

وَمَا عَرَفَ النَّاسُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ خَطَأً وَاحِدًا ، فَضِلًّا عَنْ أَخْطَاءِ تَبَرُّرِ اغْتِيَالِهِ الْأَثِيمِ !!

وَلَسْنَا قَادِرِينَ - مَهْمَا نَتَسَامَحَ - عَلَى أَنْ نَعْتَبِرَ جَرِيمَةَ اغْتِيَالِهِ جَرِيمَةً فَرْدِيَّةً . وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ امْتِدَادَهَا لَمْ يَكُنْ عَمَلًا فَرْدِيًّا ، بَلْ صَارَ عَمَلًا جَمَاعِيًّا ، وَشَارَكَتْ فِيهِ جَمِيعُ الْقُوَى الَّتِي خَضَدَ الْإِسْلَامُ شَوْكَتَهَا ؛ فَالْيَهُودُ الَّذِينَ أُجْلَوْا عَنِ الْمَدِينَةِ وَشَتَّتَهُمْ عَدْرُهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَالْإِمْبِرَاطُورِيَّةُ الرُّومَانِيَّةُ الَّتِي فَرَطَ الْإِسْلَامُ عَقْدَهَا وَكَنَسَ نُفُوذَهَا بَعِيدًا عَنِ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَلُّهَا وَتَسْتَعْمَرُهَا وَدَفَعَهَا دَاخِلَ حُدُودِهَا الضَّيِّقَةِ ، وَالْإِمْبِرَاطُورِيَّةُ الْفَارِسِيَّةُ الَّتِي صَنَعَ بِهَا مِثْلَمَا صَنَعَ بِالرُّومِ ،

وَالَّتِي خَسِرَتْ كُلَّ مَصَالِحِهَا وَكُنُوزِهَا وَأَسَاطِينِ قَادَتِهَا الْعَسْكَرِيِّينَ :
كُلُّ هَؤُلَاءِ لَمْ تَجِفَّ دِمَاءُ أَحْقَادِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى دَوْلَتِهِ النَّاهِضَةِ فِي شُمُوحِ
عَظِيمٍ ، وَلَمْ يَهْدَأْ لَهَيْبِ النَّارِ فِي أَنْفُسِهِمْ إِلَّا رَيْثِمَا تَوَاتِيهِ الْفُرْصَةُ ، فِي يَوْمٍ رَاحُوا
يُعِدُّونَ لَهُ وَيَتَهَيَّئُونَ .

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ الْفُرْصَةُ فِي مَقْتَلِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ رَأَيْنَا التَّمَرُّدَ الْمُسَلَّحَ يَجْتَاكِ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ الْإِمْبِرَاطُورِيَّتَانِ
قَدْ خَسِرَتَاهَا فِي حُرُوبِهَا السَّابِقَةِ مَعَ الْإِسْلَامِ .

وَلَمْ يَكُنْ تَمَرُّدًا دَاخِلِيًّا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ فَرَحُوا بِمَقْدَمِ الْإِسْلَامِ
إِلَيْهِمْ فَرَحًا عَظِيمًا ، حَتَّى الَّذِينَ لَمْ يَعْتَقُوهُ مِنْهُمْ ؛ إِنَّمَا كَانَ تَحْرِيسًا مِنَ الرُّومِ
وَالْفُرسِ لِبَعْضِ الْعِنَاصِرِ الَّتِي أَفْقَدَهَا الْإِسْلَامُ نَفُوذَهَا وَسُلْطَانَهَا ، كَمَا كَانَ فِي
حَالَاتٍ أُخْرَى هُجُومًا مُبَاشِرًا مِنْ جُيُوشِ الرُّومِ وَالْفُرسِ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ .
وَكَمَا تَحَرَّكَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْخَارِجِ تَحَرَّكَ الْيَهُودُ مِنَ الدَّخْلِ .

نَعَمْ كَانَ يُوجَدُ الْمُخْتَصُّونَ بِصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ وَأَدَابِهِ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ ، وَمَنْ ظَفَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ،
وَأَمَّا سَائِرُ الْعَرَبِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَعَبْدِ الْقَيْسِ وَسَائِرِ رِبِيعَةَ وَالْأَزْدِ وَكِنْدَةَ وَتَمِيمٍ
وَقُضَاعَةَ وَغَيْرِهِمْ فَلَمْ يَكُونُوا مِنْ تِلْكَ الصُّحْبَةِ بِمَكَانٍ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ فِي
الْفَتْوحَاتِ قَدَمٌ فَكَانُوا يَرُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ ، مَعَ مَا يَدِينُ بِهِ فَضْلًاؤُهُمْ مِنْ تَقْضِيلِ
أَهْلِ السَّابِقَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ ، وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الذُّهُولِ وَالذَّهْشِ
لِأَمْرِ النُّبُوَّةِ وَنَزُولِ الْوَحْيِ وَتَنْزُلِ الْمَلَائِكَةِ ؛ فَلَمَّا انْحَسَرَ ذَلِكَ الْعِبَابُ وَتَوَسَّى الْحَالُ
بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَذَلَّ الْعَدُوُّ وَاسْتَفْعَلَ الْمُلُوكُ كَانَتْ عُرُوقُ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْضُ ، وَوَجَدُوا
الرِّيَاسَةَ عَلَيْهِمْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَسِوَاهُمْ ، فَأَنْفَتَ نَفْسُهُمْ ، وَوَافَقَ
ذَلِكَ أَيَّامَ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ ، فَكَانُوا يُظْهِرُونَ الطَّنَّ فِي وُلَاتِهِ بِالْأَمْصَارِ ، وَالْمُؤَاخَذَةِ
لَهُمْ بِاللَّحْظَاتِ وَالْخَطَرَاتِ ، وَالِاسْتِبْطَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الطَّاعَاتِ ، وَالتَّجَنِّيِ بِسُؤَالِ
الِاسْتِبْدَالِ مِنْهُمْ وَالْعَزْلِ ، وَيُفِيضُونَ فِي النِّكْرِ عَلَى الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ .

وَمَعَ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ لَمْ يَكُنْ عَبْتًا وَلَا مُصَادِفَةً أَنْ يَفِدَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَدِينَةِ يَهُودِيًّا ،
 يَقُولُ : إِنَّهُ دَرَسَ الْإِسْلَامَ وَأَحَبَّهُ وَيُرِيدُ أَنْ يُعْلِنَ إِسْلَامَهُ وَيَأْخُذَ مَكَانَهُ فِي صَفُوفِ
 الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ يَلْعَبُ هَذَا الْيَهُودِيُّ تَحْتَ قِتَاعِ إِسْلَامِهِ أخطر وأفدح دور في تمزيق
 وَحِدَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَجْهِيزِ الْفِتْنَةِ الْمُسْلِحَةِ الَّتِي أودت بحياة الخليفة الشهيد ؛
 ذَلِكُمْ الرَّجُلُ هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَبَأَ ، الَّذِي سَنَشْهَدُ طَرَفًا مِنْ نَشَاطِهِ الْمُخْرَبِ
 عَمَّا قَرِيبَ .

ابن سبأ وجذور الماسونية الضارب عبر قرون الإنسانية :

فِي ذَلِكَ الْحِينِ ، وَفِي ظُرُوفٍ مُرِيْبَةٍ ، بَدَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأَ وَكُنْيَتُهُ ابْنُ السُّودَاءِ
 تَنْفِيذَ مَا رُسِمَ لَهُ بِخَطِيءِ حَيْثِيَّةٍ ، فَبَعْدَ أَنْ انْتَحَلَ الْإِسْلَامَ انْتَحَلَ الْغَيْرَةَ الشَّدِيدَةَ
 عَلَى قِيَمِهِ وَحُرْمَاتِهِ .

وَفِي الْمَدِينَةِ أَلْقَى سَمْعَهُ الْمُرْهَفَ لِكُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ نَبَأٍ .

سَمِعَ ابْنُ السُّودَاءِ نَقْدًا بَرِيئًا يُوْجِّهُهُ الصَّحَابَةُ لِبَعْضِ الْأَخْطَاءِ فَرَّاحٍ يَتَّبِعُهُ ، لِيَجْمَعَ
 مِنْ شَتَاتِهِ صَحِيفَةً اتَّهَامَ !!

وَمَضَى ابْنُ السُّودَاءِ يَدْرُسُ فِي صَمْتٍ وَدِهَاءٍ كُلِّ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ فِي الْمَدِينَةِ ،
 وَيَفْحَصُ مَوَاطِنَ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ ، وَيَتَسَمَّعُ أَخْبَارَ الْأَقَالِيمِ وَالْأَمْصَارِ ، وَيَتَبَيَّنُ أَقْدَارَ
 الصَّحَابَةِ وَحَظَّ كُلِّ مِنْهُمْ مِنَ التَّفُؤُذِ وَالْمَكَانَةِ .

حَتَّى إِذَا جَمَعَ مَادَّتَهُ ، وَعَرَفَ طَرِيقَهُ ، وَأَتَمَّ رَسْمَ خُطَّتِهِ ، شَرَعَ عَلَى الْفُؤُورِ فِي الْعَمَلِ
 وَالْإِنْجَازِ .

وَأَدْرَكَ - ابْنُ سَبَأَ - أَنَّهُ لِكَي يَنْشُرَ الاضطرابَ فِي الدَّوْلَةِ وَالْأُمَّةِ ، عَلَيْهِ أَنْ يُوجِّهَ
 مُبَادَرَتَهُ الْأُولَى إِلَى الْخَلِيفَةِ ذَاتِهِ ، وَإِلَى شَرْعِيَّةِ مَنْصِبِهِ كَخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلِكَي
 يَتَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ ، لِأَبْدٍ مِنْ أَنْ يَرْفَعَ فِي وَجْهِ الْخَلِيفَةِ شَخْصِيَّةً مِنَ الصَّحَابَةِ تُضَاهِي
 الْخَلِيفَةَ فِي جَلَالِهِ وَأَسْبَقِيَّتِهِ .

هُنَالِكَ بَدَأَ نَفَثَاتِهِ الْمَسْمُومَةَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ :

(إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا ، وَإِنَّ عَلِيًّا وَصِيُّ الرَّسُولِ ﷺ ، وَلَقَدْ وَثَبَ عُثْمَانُ عَلَى أَمْرِ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ ، وَأَخَذَ الْحَقُّ مِنْ صَاحِبِهِ) !!

وراح يُزَكِّي دَعْوَتَهُ هَذِهِ ، بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَطْرَى بِهَا الْإِمَامَ عَلِيًّا وَزَكَاهُ ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) ، وَمِثْلَ دُعَائِهِ ﷺ لَهُ : (اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ) .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا ﷺ وَكَّرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لَمْ يَكَدْ يَسْمَعُ دَعْوَةَ ابْنِ سَبَأَ ؛ حَتَّى عَنَفَهُ وَسَفَّهَهُ وَحَذَّرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خُبْثِ طَوَيْبَتِهِ ، وَسُوءِ تَدْبِيرِهِ .
نَقُولُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ ابْنَ سَبَأَ ظَلَّ سَادِرًا فِي خُطْبَتِهِ ، وَانْطَلَقَ كَالرِّيْحِ السَّمُومِ يُشْعِلُ نِيرَانَ الْفِتْنَةِ فِي أَقْطَارِ الْإِسْلَامِ ، فَرَحَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ ..
ثُمَّ إِلَى الْكُوفَةِ .. ثُمَّ إِلَى الشَّامِ .. ثُمَّ إِلَى مِصْرَ الَّتِي اسْتَقَرَّ بِهَا طَوِيلًا وَعَشَّشَ فِيهَا وَبَاضَ وَفَرَّخَ .

وَخِلَالَ رَحَلَاتِهِ تِلْكَ ، اصْطَفَى مِنَ الْمَفْتُونِينَ بِهِ أَنْصَارًا وَحَوَارِيَّينَ ، أَطْلَقَهُمْ هُمْ الْآخِرِينَ لِيُطَوِّحُوا بِفِتْنَتِهِ فِي الْأَفَاقِ ، وَرَسَمَ لَهُمْ مِنْهَجَهُمْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ :
(تَظَاهَرُوا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ تَسْتَمِيلُوا النَّاسَ إِلَيْكُمْ ، وَابْدَأُوا بِالطَّعْنِ فِي أَمْرَائِكُمْ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ : إِنَّ عُثْمَانَ قَدْ أَخَذَ الْخِلَافَةَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَإِنَّ عَلِيًّا وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَانْهَضُوا وَرُدُّوا الْحَقَّ إِلَى صَاحِبِهِ) !! .

وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الْفِتْنَةَ الضَّارِيَةَ الَّتِي تَمَادَّتْ حَتَّى مَقَتَلَ عُثْمَانَ ﷺ ، سَارَتْ وَفَقَ هَذِهِ الْوَصَايَا الثَّلَاثُ :

فَأَوَّلًا : لَيْسَ الْمُحَرِّضُونَ عَلَيْهَا وَالْمُسْتَهْمُونَ فِيهَا مُسُوحَ الرَّهْبَانِ ، وَرَفَعُوا فِي آيْمَانِهِمْ شِعَارَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ..!!
وَتَانِيًا : رَاحُوا يَطْعَنُونَ فِي الْأُمَرَاءِ وَالْوَلَاةِ ، وَيُجَسِّمُونَ أَخْطَاءَهُمْ وَيَدْحَضُونَ وَجُودَهُمْ ..!!

وَتَالِثًا : رَفَعَتِ الْفِتْنَةُ رَأْسَهَا ، لِتُوَاجِهَ الْخَلِيفَةَ مُبَاشَرَةً ، وَتُطَالِبُهُ بِضَرُورَةِ التَّنْحِيِ وَالْإِعْتِزَالِ ..!!



إزالة شبهة .. بجواب حجة

فَمِنْ تِلْكَ الشُّبُهَةِ الَّتِي أَلْقَوْهَا فِي قُلُوبِ الضُّعَفَاءِ مَا وَقَعَ بَيْنَ عُثْمَانَ رضي الله عنه وَبَعْضِ الصَّحَابَةِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ مُجْتَهِدًا مَأْجُورًا فِي اجْتِهَادِهِ .

❁ فَمِنْهَا أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه كَانَ شَدِيدَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَكَانَ مَذْهَبُهُ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ أَكْثَرَ مِنْ قُوْتِ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ أَوْ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَأْخُذُ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) ، وَكَانَ يَقُومُ بِالشَّامِ وَيَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْأَغْنِيَاءِ وَأَسْوَا الْفُقَرَاءِ .. بَشِّرُوا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَكَوٍ مِنْ نَارٍ تُكْوِي بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، فَمَا زَالَ حَتَّى وَلِعَ الْفُقَرَاءُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَأَوْجَبُوهُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ ، وَصَارُوا يُطَالِبُونَهُمْ بِمُشَارَكَتِهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَشَكَا الْأَغْنِيَاءُ مَا يَقُونَهُ مِنْهُمْ ؛ فَكَانَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه بِالشَّامِ يَقُولُ لِأَبِي ذَرٍّ :

إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ الْآيَةُ :

الْمُرَادُ بِهِ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ ، فَلَا يَقْبَلُ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه مِنْهُ ذَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ بِالشَّامِ لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ : الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْتَجِزَهُ دُونَ النَّاسِ وَيَمْحُوَ اسْمَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه صَادِقَ اللَّهْجَةِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَآتَى أَبُو ذَرٍّ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه ، وَقَالَ لَهُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُسَمِّيَ مَالَ الْمُسْلِمِينَ مَالَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَلَسْنَا عِبَادَ اللَّهِ ، وَالْمَالُ مَالُهُ ؟ قَالَ : فَلَا تَقُلْهُ ، قَالَ : سَأَقُولُ مَالَ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَتَى ابْنَ سَبَأٍ أَيْضًا أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَظْنُكَ يَهُودِيًّا ... فَآتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٣٤ .

الدَّرْدَاءُ : فَتَعَلَّقَ بِهِ عِبَادَةٌ وَأَتَى بِهِ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَ عَلَيْكَ أَبَا ذَرٍّ .
ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا رَأَى كَثْرَةَ الْاِخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ وَشِكَايَةَ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ
الْفُقَرَاءِ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه أَنْ أَبَا ذَرٍّ قَدْ ضَيَّقَ عَلَيْنَا الْأَمْرَ ، وَيَقُولُ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ
كَانَ كَذَا وَكَذَا الَّذِي يَقُولُهُ الْفُقَرَاءُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ رضي الله عنه : إِنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ أَخْرَجَتْ
خَطْمَهَا وَعَيْنَيْهَا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَتَّبَ فَلَا تَتَّكَ الْقَرْحَ ، وَجَهِّزْ أَبَا ذَرٍّ إِلَى وَابِعْتْ مَعَهُ
دَلِيلًا ، وَكَفِّفِ النَّاسَ وَنَفْسَكَ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه : أَقْبِلْ
إِلَيْنَا فَنَحْنُ أَرْعَى لِحَقِّكَ ، وَأَحْسَنُ جَوَارًا مِنْ مُعَاوِيَةَ .

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : سَمِعًا وَطَاعَةً .. وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَرَأَى
الْبُنْيَانَ وَصَلَ إِلَى جَبَلِ سَلْعٍ ^(١) ، قَالَ : بَشِّرْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِفَارَةِ شِعْوَاءٍ وَحَرْبٍ مَذْكَارٍ ،
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه ، قَالَ لَهُ عُثْمَانُ : مَا لِأَهْلِ الشَّامِ يَشْكُونَ ذَرًّا لِلسَّانِكِ ؟ ،
فَأَخْبَرَهُ بِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ عَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ مَا عَلَيَّ وَأَنْ أَدْعُو الرَّعِيَّةَ إِلَى
الْاِقْتِصَادِ ، وَأُرْغِبُهُمْ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُجْبِرَهُمْ عَلَى الزُّهْدِ .

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : لَا تَرْضُوا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ حَتَّى يَبْذُلُوا الْمَعْرُوفَ وَيُحْسِنُوا إِلَى
الْجِيرَانِ وَالْإِخْوَانِ ، وَيَصِلُوا الْقَرَابَاتِ ، وَكَانَ حَاضِرًا كَعْبُ الْأَحْبَارِ ، فَقَالَ : مَنْ
أَدَّى الْفَرِيضَةَ فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، فَضْرِبُهُ أَبُو ذَرٍّ فَشَجَّهُ ، وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ الْيَهُودِيَّةِ
مَا أَنْتَ وَمَا هَهُنَا ، فَاسْتَوْهَبَ عُثْمَانُ رضي الله عنه شَجَّتَهُ فَوَهَبَهُ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه لِعُثْمَانَ
رضي الله عنه : تَأَذَّنْ لِي فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمَرَنِي بِالْخُرُوجِ مِنْهَا
إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءَ سَلْعًا ^(٢) .. فَأَذَّنَ لَهُ ، فَانزَلَ الرَّبِذَةَ ^(٣) وَبَنَى بِهَا مَسْجِدًا وَأَقْطَعَهُ عُثْمَانُ
صَرْمَةً ^(٤) مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَاهُ مَمْلُوكَيْنِ وَأَجْرَى عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ عَطَاءً ، وَكَانَ أَبُو
ذَرٍّ رضي الله عنه يَتَعَاهَدُ الْمَدِينَةَ مَخَافَةَ أَنْ يَعُودَ أَعْرَابِيًّا ، وَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ مِنْ

(١) سَلْعٌ : مَوْضِعٌ قُرْبَ الْمَدِينَةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ .

(٣) الرَّبِذَةُ : مِنْ قُرَى الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ قَرِيبَةٍ مِنْ ذَاتِ عِزْقٍ عَلَى طَرِيقِ الْحِجَازِ إِذَا رَحَلْتَ مِنْ هُنَا تُرِيدُ مَكَّةَ .

(٤) الصَّرْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ .

الشَّامِ ، وَمَكَثَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالرَّبِذَةِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ .

وَلَمَّا قَدِمَ الرَّبِذَةَ كَانَ بِهَا مَوْلَى لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْمُهُ مُجَاشِعٌ يَلِي الصَّدَقَةَ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، قَالَ : تَقَدَّمْ يَا أبا ذَرٍّ ، فَقَالَ : لَا ، تَقَدَّمْ أَنْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي : (اسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ عَبْدٌ مُجَدِّعٌ) ، فَأَنْتَ عَبْدٌ وَلَسْتَ بِأَجْدَعَ .

فَهَذِهِ قِصَّةُ أَبِي ذَرٍّ مَعَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي ثَبَتَتْ عِنْدَ أَيْمَّةِ الْحَدِيثِ ، وَلَا لَوْمَ فِيهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمَا بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا كَانَ عَلَى هُدًى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو ذَرٍّ مُلَازِمًا طَاعَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الرَّبِذَةِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَيْسَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْرَهُهُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الرَّبِذَةِ ، بَلْ هُوَ الَّذِي اخْتَارَ ذَلِكَ .

وَأَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ بِذَلِكَ إِذَا بَلَغَ الْبِنَاءَ سَلْعًا ، وَقَدْ بَلَغَ الرَّافِضَةُ وَالْخَوَارِجُ فِي حِكَايَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ تَمْجِّهَا الْأَسْمَاعُ وَلَا تَقْبَلُهَا عُقُولُ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، تَوَصَّلُوا بِذَلِكَ إِلَى الطَّعْنِ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ إِنَّ أبا ذَرٍّ يُفْسِدُ عَلَيْكَ النَّاسَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ : أَنْ أَشْخَصَهُ إِلَيَّ عَلَى مَرْكَبٍ وَعِرِّ وَسَائِقٍ عَنيفٍ ، فَأَشْخَصَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى عُثْمَانَ أَخْرَجَهُ إِلَى الرَّبِذَةِ .

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرُوهُ وَأَمْثَالُهُ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِهِمْ كُلُّهُ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ لَمْ يَثْبُتْ شَيْءٌ مِنْهُ عِنْدَ أَيْمَّةِ الْحَدِيثِ الْعَالَمِينَ بِصَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ ، فَلَا عِبْرَةَ بِمَا يُخَالِفُ مَا عَلِمُوهُ ، وَثَبَتَ عِنْدَهُمْ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ .

❁ وَمِنَ الشُّبْهِ الَّتِي أَوْفَعُوهَا فِي قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْإِيمَانِ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَزَلَ جَمْعًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ وِلَايَاتٍ وَوَلَّاهُمْ إِيَّاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ مِنْهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَزَلَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَّاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، وَمِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَزَلَهُ عَنِ مِصْرَ وَوَلَّاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْجٍ (وَكَانَ قَدْ ارْتَدَّ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَسْلَمَ وَأَهْدَرَ دَمَهُ عَامَ الْفَتْحِ فَأَخَذَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَمَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

ثُمَّ جَاءَ بِهِ وَأَسْلَمَ) ، وَمِنْهُمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه عَزَلَهُ عَنِ الْكُوفَةِ ، وَمِنْهُمْ الْمُغِيرَةُ
ابْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَزَلَهُ عَنِ الْكُوفَةِ وَأَشْخَصَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ
كُلُّهُ وَاضِحٌ :

● أَمَّا أَبُو مُوسَى فَكَانَ عُدْرُهُ فِي عَزَلِهِ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يُذَكَرَ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةَ
وَالْكُوفَةَ كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَشْكُو مِنْ أَبِي مُوسَى أَشْيَاءَ يَزْعُمُونَهَا ، فَلَوْلَمْ يَعَزَلْهُ اضْطَرَبَتْ
الْبَصْرَةُ حِينَئِذٍ وَالْكُوفَةُ وَأَعْمَالُهُمَا فَعَزَلَهُ وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْزٍ وَكَانَ
صَحَابِيًّا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي سَقَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رِيْقَهُ حِينَ حُمِلَ إِلَيْهِ
طِفْلًا فِي مَهْدِهِ .

● وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَإِنَّمَا عَزَلَهُ لِأَنَّ أَهْلَ مِصْرَ أَكْثَرُوا شِكَايَتَهُ ، وَالْعَجَبُ مِنْ
الرَّافِضَةِ يَنْقِمُونَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه عَزَلَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ وَهُمْ يَزْعُمُونَ
أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ كَانَ مُنَافِقًا فِي الْإِسْلَامِ ؛ فَعَلَى اعْتِقَادِهِمْ يَكُونُ عُثْمَانُ مُصِيبًا
فِي عَزَلِهِ ، فَكَيْفَ يَعْتَرِضُونَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ مُصِيبٌ فِيهِ فِي اعْتِقَادِهِمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا يَدْرُونَ مَا يَقُولُونَ .

● وَأَمَّا تَوَلِيَّتُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي سَرْحٍ رضي الله عنه فَمِنْ حُسْنِ النَّظَرِ عِنْدَهُ ، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ
وَإِنْ كَانَ قَدْ ارْتَدَّ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَابَ وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ ،
وَصَلَحَ عَمَلُهُ ، وَكَانَتْ لَهُ فِيْمَا تَوَلَّاهُ آثَارٌ مَحْمُودَةٌ فَإِنَّهُ فَتَحَ فِي مُدَّةٍ وَلَايَتِهِ فَتُوحَاتٍ
كَثِيرَةً حَتَّى انْتَهَى فِي فَتْحِهِ لِلْجَزَائِرِ إِلَى نَحْوِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَحَصَلَ فِي فَتُوْحِهِ أَلْفُ
أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ سِوَى مَا غَنِمَهُ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ ، وَبَعَثَ بِالْخُمْسِ
مِنْهَا إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه ، وَفَرَّقَ الْبَاقِي فِي جُنْدِهِ ، وَكَانَ فِي جُنْدِهِ جَمْعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ
رضي الله عنهم ، مِنْهُمْ : عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الزُّبَيْرِ ، وَغَيْرُهُمْ رضي الله عنهم قَاتَلُوا تَحْتَ رَايَتِهِ ، وَأَدَّوْا طَاعَتَهُ وَوَجَدُوهُ أَقْوَمَ سِيَّاسَةِ الْأَمْرِ
مِنْ غَيْرِهِ ، ثُمَّ أَبَانَ عَنْ حُسْنِ رَأْيِي فِي نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه وَوَقَعَتْ
الْفِتْنَةُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم اعْتَرَلَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَمْ يَشْهَدْ مَشْهَدًا ، وَلَمْ يُقَاتِلْ أَحَدًا بَعْدَ

قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ تَوَفَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاتِهِ ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ خَاتَمَتِهِ ﷺ .

● وَأَمَّا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ﷺ فَقَدْ كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ عُثْمَانَ عَزَلَهُ وَإِنَّمَا الَّذِي عَزَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ ؛ كَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ قَدْ شَكَّوهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِنْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ تَقِيًّا اسْتَضَعَفُوهُ ، وَإِنْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ قَوِيًّا فَجَرُّوهُ ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، فَلَمَّا وَلَّى عُثْمَانَ ﷺ شَكَّوهُ الْمُغِيرَةَ إِلَيْهِ وَذَكَرُوا أَنَّهُ ارْتَشَى فِي بَعْضِ أُمُورِهِ ، فَلَمَّا رَأَى مَا وَقَرَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ اسْتَصَوَّبَ عَزَلَهُ عَنْهُمْ وَلَوْ كَانُوا مُفْتَرِينَ عَلَيْهِ .

وَالعَجَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّافِضَةِ كَيْفَ يَنْقُمُونَ عَلَى عُثْمَانَ ﷺ عَزَلَ الْمُغِيرَةَ وَهُمْ يُكْفِرُونَ الْمُغِيرَةَ ؛ عَلَى أَنَّا نَقُولُ مَا زَالَ وُلَاةُ الْأَمْرِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ يَعْزِلُونَ مِنْ عَمَلِهِمْ مَنْ رَأَوْا عَزَلَهُ وَيُؤَلِّقُونَ مَنْ رَأَوْا تَوَلَّيْتَهُ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ أَنْظَارُهُمْ ؛ فَقَدْ عَزَلَ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَنِ الشَّامِ وَوَلَّى أَبَا عُبَيْدَةَ ، وَعَزَلَ عَمَّارًا عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّاهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، وَعَزَلَ عَلِيَّ ﷺ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ عَنِ مِصْرَ وَوَلَّاهَا الْأَشْتَرَ النَّخَعِي .

❁ وَمِنَ الشُّبْهِ الَّتِي أَلْقَوْهَا فِي قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْإِيمَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الطَّائِفِ لِأَنَّهُ كَانَ يُدَاخِلُ الْمُنَافِقِينَ ، وَكَانَ الْحَكَمُ عَمَّ عُثْمَانَ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ سَأَلَهُ عُثْمَانُ أَنْ يَرُدَّهُ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَرُدُّهُ إِلَيْهَا وَقَدْ نَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَعَدَنِي بِذَلِكَ وَأَذِنَ لِي فِي رَدِّهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ لَكَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ عُثْمَانَ بَيِّنَةً عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ سَأَلَهُ ذَلِكَ فَأَبَى ، فَلَمَّا وَلَّى عُثْمَانَ الْخِلَافَةَ رَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ عُثْمَانَ ﷺ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَعَدَهُ بِذَلِكَ وَأَذِنَ

لَهُ فِيهِ وَهُوَ صَادِقٌ مَأْمُونٌ فِيمَا سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا وَلِيَ قَضَى بَعْلِمِهِ (وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ وَهُوَ مَذْهَبُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَهُوَ مُجْتَهِدٌ ؛ فَقَضَى بِهِ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ تَابَ وَصَلَحَ حَالُهُ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ طَرُدُهُ لِأَجَلِهِ ، وَإِعَانَةُ النَّائِبِ مِمَّا تُحْمَدُ لِاسِيْمًا وَفِي ذَلِكَ صَلَةٌ لِلرَّحِمِ لِأَنَّهُ عَمَّهُ فَلَا عَتَبَ وَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ .

وَمِمَّا زَادَهُ الرَّافِضَةُ فِي حِكَايَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا رَدَّ الْحَكَمَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعْطَاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَقَالُوا : ذَلِكَ إِسْرَافٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، وَهَذَا كَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ ؛ وَإِنَّمَا الَّذِي صَحَّ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَوَّجَ ابْنَتَهُ أُمَّ أَبَانَ بِنْتَ الْحَكَمِ مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ؛ لِأَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ ذَا ثَرْوَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَهَذِهِ صَلَةُ الرَّحِمِ يُحْمَدُ عَلَيْهَا .

❁ وَمِنَ الشُّبْهِ الَّتِي أَلْقَوْهَا فِي قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْإِيمَانِ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَبَ مَرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ خُمْسَ إِفْرِيْقِيَّةَ :

قَالَ الْمُجِبُّ الطَّبْرِيُّ : وَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا الْمَشْهُورُ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ جَهَّزَ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ أَمِيرًا عَلَى آلَافٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَحَضَرَ الْقِتَالَ بِإِفْرِيْقِيَّةَ ، فَلَمَّا غَنِمَ الْمُسْلِمُونَ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ الْخُمْسَ مِنَ الذَّهَبِ وَهُوَ خُمْسُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَأَنْفَذَهَا إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبَقِيَ مِنَ الْخُمْسِ أَصْنَافٌ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْمَوَاشِي فَشَقَّ حَمَلُهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَاشْتَرَاهَا مَرْوَانُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَبَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ ، وَوَصَلَ مَرْوَانُ إِلَى عُثْمَانَ مُبَشِّرًا بِفَتْحِ إِفْرِيْقِيَّةَ (وَكَانَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ مَشْغُولَةً خَائِفَةً أَنْ يُصِيبَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْرِ إِفْرِيْقِيَّةِ نَكْبَةً) ، فَوَهَبَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ جَزَاءً بِبِشَارَتِهِ ؛ وَلِلْإِمَامِ أَنْ يَصِلَ الْمُبَشِّرِينَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا رَأَى عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِ الْبِشَارَةِ .

❁ وَمِمَّا اخْتَلَقَتْهُ الرَّافِضَةُ وَنَسَبُوهُ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ غَيَّرَ وَبَدَّلَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَفَ سُورًا وَأَيَاتٍ فِي الثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ وَزُورٌ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي نُسِخَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ

ﷺ ، وكان جمعه لذلك بمحض من الصحابة وإجماع ، وكان فيهم علي بن أبي طالب وغيره من أكابر الصحابة ، وما جمع من المصاحف إلا ما تواتر عن النبي ﷺ ، فقولهم : غير وبدل وحذف سوراً وآيات تكذيب منهم لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

❁ ومما اعترضوا به عليه : أنه كان يولي أقاربه الولايات ، ويُعطيهم كثيراً من العطايا .

والجواب عن ذلك : أنه إنما كان يولي من يرى فيه الكفاية منهم للولاية وقد كانوا أهل رياسة ومعرفة بالولايات في الجاهلية والإسلام ، واستعمل كثيراً منهم النبي ﷺ ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وأما العطايا فكثيراً ما كان يُعطيهم من ماله لأنه كان ذا مال كثير ، والذي يكون من بيت المال من عطاياهم كان باجتهاد منه يراه من الصلة للرحم التي أمر الله بها ، وكان يرى أن أبا بكر وعمر لو فعلا مثل ذلك لكان جائزاً لهما لكنهما تركاه .

❁ ومن جملة ما اختلقوه عليه أنه أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص ابن أمية ثلاثمائة ألف درهم وقد أجاب عثمان رضي الله عنه عن ذلك لما سئل عنه ، فقال : إني لم أعطه ذلك وإنما استقرضني ذلك فأقرضته ذلك من بيت المال ، وكان يحسب لبيت المال ذلك من نفسه حتى وفاه .

❁ ومما اختلقوه أيضاً عليه أنه جعل للحريث بن الحكم سوق المدينة يأخذ عشور ما يباع فيه ، وهذا كذبٌ وافتراءٌ ، وإنما جعل إليه سوق المدينة يراعي أمر المتأقيل والموازين ، فتسلط يومين أو ثلاثة على باعة النوى واشترأ لنفسه ، فلما رفع ذلك لعثمان رضي الله عنه أنكر عليه وعزله وقال لأهل المدينة : إني لم أمره بذلك ؛ ولا عتب على السلطان في جور بعض العمال إذا استدرك ذلك بعد علمه .

❁ واعترضوا عليه أيضاً بأنه عزل ابن الأرقم ومعيقيباً ولاية بيت المال ، وولاهما زيد بن ثابت ، وهذا لا اعتراض عليه به لأنهما كبرا وضعفا عن القيام بحفظ بيت

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

المال ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه لَمَّا عَزَلَهُمَا خَطَبَ النَّاسَ ، وَقَالَ : أَلَا إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْأَرْقَمِ لَمْ يَزَلْ عَلَى جَرَايَاتِكُمْ زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَى الْيَوْمِ وَأَنَّهُ كَبُرَ وَضَعْفٌ ، وَقَدْ وَلَّيْنَا عَمَلَهُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ .

وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه أَمِينٌ مَأْمُونٌ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى السُّلْطَانِ فِي عَزْلِ بَعْضِ الْعُمَّالِ وَتَوَلِيَةِ غَيْرِهِ إِذَا رَأَى مَصْلَحَةً فِي ذَلِكَ .

❁ وَأَمَّا مَا نَسَبَهُ الرَّافِضَةُ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه مِنْ أَنَّهُ يَصْرِفُ بَيْتَ الْمَالِ فِي عِمَارَةِ دُورِهِ وَضِعِيهِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَزُورٌ وَبُهْتَانٌ ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ مَا لَا ؟ وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَيْنَ أَظْهَرِ الصَّحَابَةِ مَعَ أَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِكَثْرَةِ الْحَيَاءِ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْحَبِي مِنْهُ لِفَرْطِ حَيَاتِهِ ، أَعَادَهُ اللَّهُ مِمَّا نَسَبُوهُ لَهُ وَأَعَادَنَا مِنْ فَرَطَاتِ الْجَهْلِ وَمُوبِقَاتِ الْهَوَى .

❁ وَقَالَتِ الرَّافِضَةُ : أَنَّهُ قَسَمَ مَا لَا عَلَى الصَّحَابَةِ فَفَضَلَ مِائَةَ أَلْفٍ فَأَعْطَاهَا زَيْدُ ابْنِ ثَابِتٍ ، وَهَذَا أَيْضًا زُورٌ وَبَاطِلٌ ، وَالثَّابِتُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَسَمَ مَا لَا فَفَضَلَ فِي بَيْتِ الْمَالِ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَأَمَرَ زَيْدًا أَنْ يُنْفِقَهَا فِيمَا يَرَاهُ أَصْلَحَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْفَقَهَا زَيْدٌ فِي عِمَارَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَمَا زَادَ عُثْمَانُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَذَلِكَ مَشْكُورٌ مَحْمُودٌ عَلَى فِعْلِهِ .

❁ وَاعْتَرَضُوا عَلَيْهِ أَيْضًا بِأَنَّهُ حَمَى حَمَى وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْهُ ؛ وَهَذَا إِنَّمَا فَعَلَهُ لِإِبْلِ الصَّدَقَةِ ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ أَجَابَ بِذَلِكَ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ قَدْ زِدْتَ عَمَّا حَمَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَجَابَ بِأَنَّ ذَلِكَ لِيَزِيدَةَ إِبْلِ الصَّدَقَةِ . وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ لَيْسَ مِمَّا يُنْقَمُ بِهِ عَلَى الْإِمَامِ .

❁ وَمِمَّا اعْتَرَضُوا عَلَيْهِ : أَنَّهُ أْتَمَّ الصَّلَاةَ فِي سَفَرِ الْحَجِّ فِي آخِرِ خِلَافَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما يَقْصُرَانِ وَكَذَلِكَ هُوَ فِي صَدْرِ خِلَافَتِهِ .

وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ لِلْحَجِّ فَيَرُونَ الْإِمَامَ يُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ رَكَعَتَيْنِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ فَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ ذَلِكَ ... وَهُنَاكَ أَجْوِبَةٌ كَثِيرَةٌ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ فِي شُرُوحِ الْحَدِيثِ وَكُتِبَ الْفِقْهُ عَلَى أَنَّ

الْقَصْرُ رُخْصَةٌ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، بَلْ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ وَإِنَّمَا أُوجِبَ الْقَصْرُ فُقَهَاءَ الْكُوفَةِ ؛ فَكَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه مِمَّنْ يَرَى عَدَمَ وُجُوبِ الْقَصْرِ ؛ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ اجْتِهَادِيَّةٌ .. فَقَوْلُهُ بِعَدَمِ وُجُوبِ الْقَصْرِ لَا يُوجِبُ كُفْرًا وَلَا فِسْقًا .

وَالْحَاصِلُ : أَنَّ الْمُلْحَدَةَ تَمَسَّكُوا بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَأَمْثَالِهَا ، وَكُلُّهَا لَا تُوجِبُ شَيْئًا مِمَّا فَعَلُوهُ ، بَلْ كَانَ رضي الله عنه فِيهَا مُجْتَهِدًا مَا جُورًا وَلَهَا وُجُوهٌ وَاضِحَةٌ ، وَإِنَّمَا غَلَبَ الْهَوَى عَلَى عُقُولِهِمْ حَتَّى ضَلَّتْ ، وَقَدْ شَهِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعُثْمَانَ رضي الله عنه بِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ (وَفِي رِوَايَةٍ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ عَلَى الْهُدَى) ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ظُلْمًا ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّهُ يُقْتَلُ ظُلْمًا ، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهِ .. كَيْفَ يَتَطَرَّقُ إِلَى الْوَهْمِ أَنَّهُ عَلَى الْبَاطِلِ !!؟

ثُمَّ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ يُقَمِّصُهُ بِقَمِيصٍ ، وَأَنَّ الْمُنَافِقِينَ يُرِيدُونَهُ عَلَى خَلْعِهِ ، وَأَكَّدَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ بِأَنْ لَا يَخْلَعُهُ ^(١) ، وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَنَّهُ تَوَعَّدَهُ عَلَى خَلْعِهِ وَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ فَاثْتَمَلَ أَمْرُهُ ، وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَى بِهِ ، وَهَذَا أَدْلُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْحَقِّ وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ؛ فَمَنْ خَالَفَهُ يَكُونُ عَلَى الْبَاطِلِ وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الَّذِينَ أَرَادُوا خَلْعَهُ بِالنِّفَاقِ .

فَعَلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ كُلَّ مَا رَوَى عَنْهُ مِمَّا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَيْهِ دَائِرٌ بَيْنَ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ وَمُخْتَلَقٍ ، وَبَيْنَ مَجْهُولٍ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ ، وَلَوْ فُرضَ صِحَّةُ شَيْءٍ فَإِنَّهُ يَجِبُ حَمْلُهُ عَلَى أَحْسَنِ التَّأْوِيلَاتِ لِيَكُونَ مَعَهُ عَلَى الْحَقِّ تَصَدِيقًا لِخَبَرِ النُّبُوَّةِ الْمُقَطَّوعِ بِصِدْقِهِ ، وَهَذَا مَعَ مَا عَلِمَ مِنْ سَابِقِيَّتِهِ وَكَثْرَةِ انِّفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ

بِالصَّهَارَةِ بِنْتِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَظَمَ مَكَانَتِهِ فِي الدِّينِ ، وَالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ ، وَالْمَأَثَرِ الْحَمِيدَةِ .. فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا ادَّعَاهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ !!؟ ، وَأَمَّا كَلْفُهُ بِأَقَارِبِهِ وَمَحَبَّتُهُ لَهُمْ وَصِلَتُهُ إِيَّاهُمْ وَحُبُّ الْخَيْرِ لَهُمْ ؛ فَتِلْكَ صِفَاتٌ جَبَلِيَّةٌ لَمْ يُودِعْهَا اللَّهُ إِلَّا فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وسلم عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي بَنِي هَاشِمٍ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ

(١) سَبَقَ تَخْرُجُ الْحَدِيثِ فِي فَضْلِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عُمَانَ رضي الله عنه .

مَحْمُودٌ مَا لَمْ يُؤَدِّ إِلَى مَعْصِيَةٍ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَتَاهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه مَعْصِيَةً
بَلْ لَهُ مِنَ الْمَحَامِلِ الْجَلِيلَةِ الظَّاهِرَةِ مَا يَمْنَعُ مِنَ الحُرْمَةِ ، بِلِ الكَرَاهَةِ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَالَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَلَا يَحِلُّ خِلَافُهُ أَنَّ سَيِّدَنَا عُثْمَانَ رضي الله عنه لَمْ يَخْرُجْ
عَنِ الحَقِّ وَالهُدَى فِي شَيْءٍ مِمَّا أَتَاهُ تَصَدِّيقًا لِشَهَادَةِ المُصْطَفَى صلى الله عليه وآله بِأَنَّهُ عَلَى
الحَقِّ وَأَنَّهُ مَظْلُومٌ وَأَنَّهُ خَلِيفَةٌ حَقًّا مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِهِ .

مَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ أَوْلِيَّاتُ عُثْمَانَ :

هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَقْطَعَ القَطَائِعَ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَمَى الحِمَى ، وَأَوَّلُ مَنْ خَفَضَ صَوْتَهُ
بِالتَّكْبِيرِ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَلَقَ المَسْجِدَ (١) ، وَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ بِأَهْلِهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ
جَمَعَ النَّاسَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ فِي القِرَاءَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَزَقَ المُوَدَّنِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَمَرَ
بِالأَذَانِ الأَوَّلِ فِي الجُمُعَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الخُطْبَةَ فِي العِيدِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ
فَوَّضَ إِلَى النَّاسِ إِخْرَاجَ زَكَاتِهِمْ ، وَأَوَّلُ مَنْ وَلِيَ الخِلَافَةَ فِي حَيَاةِ أُمَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ
اتَّخَذَ صَاحِبَ شُرْطَةٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ دَارًا لِلقَضَاءِ ، وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ المَقْصُورَةَ
فِي المَسْجِدِ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ عُمَرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ أُرْتِجَ عَلَيْهِ فِي الخُطْبَةِ ؛
فَقَالَ رضي الله عنه : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعَبَ ، وَإِنَّ بَعْدَ اليَوْمِ أَيَّامًا ، وَإِنْ أَعِشَ
تَأْتِكُمُ الخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ وَسَيَعْلَمُنَا اللَّهُ .

مَسِئَةُ القَهَّارِ أَنْ تَفْتَالَ يَدُ الأَشْرَارِ صَفْوَةَ الأَخْيَارِ :

لَمَّا اشْتَدَّ الحِصَارُ مِنَ الثُّورِ الأَشْرَارِ دَخَلَ عَلَى الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ عَلِيُّ الكَرَّارُ وَمَعَهُ
جَمَاعَةٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، فَقَالَ الإِمَامُ عَلِيٌّ لَهُ : مُرْنَا فَلْنَقَاتِلْ وَلْنَدْفَعْ
عَنكَ ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ رضي الله عنه : أَنشُدُ اللَّهَ رَجُلًا رَأَى لِلَّهِ حَقًّا وَأَقْرَأَ أَنَّ لِي عَلَيْهِ
حَقًّا أَنْ يُهْرِيقَ مِنْ سَبِيهِ مِلءَ مَحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ أَوْ يُهْرِيقَ فِي دَمِهِ ، فَأَعَادَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ
عَلَيْهِ القَوْلُ فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ مَا أَجَابَهُ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ
أَنَا بَدَلْنَا المَجْهُودَ .

(وَكَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ قَدْ أَمَرَ ابْنَاهُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ فَقَالَ : اذْهَبَا بِسَيِّفَيْكُمَا حَتَّى

(١) أَي طَيِّبُهُ بِطَيِّبِ الخَلُوقِ .

تَقُومًا عَلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَدْعَا أَحَدًا يَصِلُ إِلَيْهِ ، وَبِعَثَ سَيِّدُنَا الزُّبَيْرُ
بُنَ الْعَوَّامِ ابْنَهُ ، وَبِعَثَ سَيِّدُنَا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنَهُ ، وَبِعَثَ عِدَّةً مِنَ الصَّحَابَةِ
أَبْنَاءَهُمْ يَمْنَعُونَ مَنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ ؛
وَبِالْفِعْلِ رَمَى الْأَشْرَارُ الْبَابَ بِالسَّهَامِ ، حَتَّى خَضَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِالدِّمَاءِ عَلَى
بَابِهِ ، وَخَضَبَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ ، وَشُجَّ قَتَبَرُ مَوْلَى عَلِيٍّ .

وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْقِتَالِ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ ،
وَقَالَ ﷺ : لَا حَاجَةَ لِي فِي إِرَاقَةِ الدَّمِ ، وَفَعَلَ مِثْلَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ : عَزَمْتُ
عَلَيْكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِلَّا رَمَيْتَ سَيْفَكَ ؛ فَإِنَّمَا تُرَادُ نَفْسِي وَسَاقِي الْمُؤْمِنِينَ بِنَفْسِي ،
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَرَمَيْتُ بِسَيْفِي لَا أُدْرِي أَيْنَ هُوَ حَتَّى السَّاعَةِ .

وَأَشَارَ عَلَيْهِ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنْ يَخْرُقَ بَابًا سِوَى الْبَابِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ فَيَقْعُدَ عَلَى
رَاحِلَتِهِ ، ثُمَّ يَلْحَقَ بِمَكَّةَ أَوْ بِالشَّامِ ، فَقَالَ : لَا أَتْرُكُ دَارَ هِجْرَتِي وَمُجَاوِرَتِي رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْرِجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَاتِلْهُمْ فَإِنَّ مَعَكَ عَدَدًا وَقُوَّةً وَأَنْتَ عَلَى
الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ .

فَقَالَ عُثْمَانُ ﷺ : لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أُمَّتِهِ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ .
وَقَالَ لِعَبِيدِهِ : مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ حُرٌّ ، فَفَعَلُوا .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِمَّنْ لَزِمَ الْبَابَ مَعَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَبْنَاءِ
الصَّحَابَةِ ﷺ ، فَأَمَرَهُ عُثْمَانُ ﷺ أَنْ يَحْجَّ بِالنَّاسِ .

فَقَالَ : جِهَادُ هَؤُلَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَجِّ ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ ، فَاَنْطَلَقَ وَحَجَّ بِالنَّاسِ .
وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ﷺ يَنْهَى النَّاسَ ، فَقَالَ : يَا قَوْمَ لَا تَسْلُؤُوا سَيْفَ اللَّهِ
فِيكُمْ ؛ فَوَ اللَّهُ إِنْ سَلْتُمُوهُ لَا تَغْمِدُوهُ ، وَيَلِكُمْ إِنْ سُلْطَانَكُمْ الْيَوْمَ يَقُومُ بِالذَّرَّةِ فَإِنْ
قَتَلْتُمُوهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالسَّيْفِ ، وَيَلِكُمْ إِنْ مَدِينَتَكُمْ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ
لَتَتْرُكَنَّهَا ، وَمَا قَتَلَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا قَتِلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَلَا قَتِلَ خَلِيفَةٌ إِلَّا قَتِلَ بِهِ
خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا .

فَقَالُوا : يَا ابْنَ الْيَهُودِيَّةِ مَا أَنْتَ وَهَذَا ، فَرَجَعَ عَنْهُمْ .

وَقَاتِلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَخْرَجَ أَبُو الْخَيْرِ الْحَاكِمِي الْقَزْوِينِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَحْضُورٌ أَسْلَمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا يَا أَخِي ، أَفَلَا أُحَدِّثُكَ مَا رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ؟ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : حَصْرُوكَ ؟ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : عَطَشُوكَ ؟ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَدَلَّنِي إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلُّوا مِنْ مَاءٍ فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ ؛ فَإِنِّي لِأَجِدُ بَرْدًا بَيْنَ كَتِفَيْ وَثِدَيَّ ، قَالَ : إِنْ شِئْتَ نَصِرْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ شِئْتَ أَفْطَرْتُ عِنْدَنَا ، قَالَ : فَاخْتَرْتُ أَنْ أَفْطِرَ عِنْدَهُمْ ، فَأَصْبَحْتُ صَائِمًا ... فَمُقَاتِلٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَلَمَّا كَانَتْ الثَّلَاةُ الطَّاهِرَةُ بِإِمْرَةِ الْحَسَنِ ، وَالْحُسَيْنِ ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَابْنِ عُمَرَ أَبْلَتْ فِي صَدِّ الْكَثْرَةِ الْفَاجِرَةِ بِلَاءً مُعْجَزًا ؛ حَتَّى رَدَّتْهُمْ عَنِ الْأَبْوَابِ صَاغِرِينَ ، قَامَتْ مَجْمُوعَةٌ مِمَّنْ حَصَرَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسَوَّرُوا مِنْ دَارٍ مُلَاصِقَةٍ لِدَارِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَمَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ عَلَى بَابِ الدَّارِ وَلَا مِمَّنْ كَانَ فِي الدَّارِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ ، فَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ ، وَوَقَعَ قَطْرَاتٌ مِنْ دَمِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) ، وَأَكْبَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ ^(٢) لِتُدْفَعَ عَنْهُ ، وَاتَّقَتِ السَّيْفَ بِيَدِهَا فَتَفَحَّ أَصَابِعُهَا فَأَطْنَتْ أَصَابِعَ يَدِهَا ^(٣) .

وَكَانَ اسْتِشْهَادُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي حَشٍّ كَوَكَبٍ بِالْبَقِيعِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ فِيهِ (وَكَوَكَبٌ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَالْحَشُّ : الْبُسْتَانُ) ؛ كَانَ عُثْمَانُ اشْتَرَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَقِيعِ .

قَالَ مَالِكٌ : كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِحَشٍّ كَوَكَبٍ فَقَالَ : إِنَّهُ سَيُدْفَنُ هَهُنَا رَجُلٌ صَالِحٌ . وَحَسَبُ الْمُسْلِمِينَ عِزَاءً أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي قِتْلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحَابِيًّا ، وَلَا وَلَدٌ صَحَابِيًّا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا شَارَكَ الْبُعَاةَ الطُّغَاةَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ اسْتَحْيَا وَارْتَدَعَ .



(١) سُورَةُ الْبَقْرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٧ .

(٢) زَوْجَتُهُ : هِيَ نَائِلَةُ بِنْتُ الْفَرَاغِصَةِ .

(٣) أَطْنَتْ أَصَابِعَ يَدِهَا : قَطَعَتْ أَصَابِعَ يَدِهَا .

سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ

نَسَبٌ وَمَنَاقِبُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (وَأَسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ) ، ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (وَأَسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ) ، ابْنُ هَاشِمِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ ابْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ ابْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

وَهُوَ ﷺ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيُكْنَى أَبُو الْحَسَنِ ، وَأَبَا تُرَابٍ .

وُلِدَ ﷺ بِمَكَّةَ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِأَحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يُوَلَدْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مَوْلُودٌ فِي بَيْتِ اللَّهِ سِوَاهُ ؛ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ فِي ذَلِكَ :

- | | | |
|---|---|---|
| وَالْبَيْتِ حَيْثُ فَنَاءُوهُ وَالْمَسْجِدُ | ✽ | وَلِدَّتُهُ فِي حَرَمِ الْإِلَهِ وَأَمْنِهِ |
| طَابَتْ وَطَابَ وَلِيدُهَا وَالْمَوْلُودُ | ✽ | بِيَضَاءٍ طَاهِرَةٍ الثِّيَابِ كَرِيمَةٍ |
| وَأَضَاءَهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْأَسْعَدُ | ✽ | فِي لَيْلَةٍ غَابَتْ نُحُوسُ نُجُومِهَا |
| إِلَّا ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ | ✽ | لَا خَيْرَ مِنْهُ مَوْلُودًا وَنَحِيْزَةً (١) |

أَبُو الْحَسَنِ كَرِيمُ الْعُنْصَرَيْنِ :

فَأُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَهِيَ ابْنَةُ عَمَّةِ أَبِيهِ ؛ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَتُوفِّيَتْ فِيهَا وَدَفِنَتْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَقِيعِ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍ وَعِزُّهُ : وَهِيَ أَوْلُ هَاشِمِيَّةٍ وَلِدَتْ هَاشِمِيًّا .

وَذَكَرَ الطَّائِي فِي الْأَرْبَعِينَ : أَنَّهُ ﷺ نَزَعَ قَمِيصَهُ وَالْبَسَهَا إِيَّاهُ وَتَوَلَّى دَفْنَهَا ، وَاضْطَجَعَ

فِي قَبْرِهَا فَلَمَّا سَوَى عَلَيْهَا التُّرَابَ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ :

(الْبَسْتُهَا لِنَتَلَبَسَ مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَاضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِأُخَفَّ عَنْهَا مِنْ

ضَنْطَةِ الْقَبْرِ ، إِنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ صَنِيعًا إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ) ، وَبَكَى ﷺ

وَقَالَ : (جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أُمَّ خَيْرًا فَلَقَدْ كُنْتُ خَيْرَ أُمَّ) (٢) .

(٢) الْأَرْبَعِينَ لِلطَّائِي .

(١) النَّحِيْزَةُ : السَّجِيَّةُ وَالطَّبِيْعَةُ .

وَأَبُوهُ : أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَهُوَ عَمُّهُ ، وَكَافَلَهُ ، وَمُرِيْبِهِ ..
 إِنَّهُ يَعْرِفُهُ إِنْسَانًا كَامِلًا .. صَادِقًا ، لَمْ يَعْهَدْ عَلَيْهِ كَذِبٌ قَطُّ ، أَمِينًا ، لَمْ تَشُبْ
 أَمَانَتُهُ شَائِبَةً .. طَاهِرًا ، لَمْ تَعْلُقْ بِهِ شُبْهَةٌ .. وَلطالما رآه يَضْطَرُّ هَمًّا وَأَسَى
 عَلَى أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ أَلْفَوْا عُقُولَهُمْ وَوُجُودَهُمْ أَمَامَ حِجَارَةِ مَرْكُومَةٍ زَعَمُوهَا
 إِلَهَةً وَأَرْبَابًا...!!

لَقَدْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ عَظِيمًا بِشَخْصِيَّتِهِ ، وَبِمَوَاهِبِهِ ، وَبِسَجَايَاهُ ، وَلَقَدْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِ
 الرَّسُولِ ﷺ ، وَالْإِسْلَامِ النَّاشِئِ الْمَوْقِفِ الَّذِي تُمْلِيهِ عَلَيْهِ رُجُولَتُهُ وَعَظْمَةُ نَفْسِهِ .
 لَقَدْ صَمَدَ لِقُرَيْشٍ ، وَأَحْبَطَ كُلَّ مَكَائِدِهَا ، حَتَّى لَمْ تَجِدْ آخِرَ الْأَمْرِ بُدْأً مِنْ أَنْ تَلْجَأَ
 إِلَى عَمَلِ تَابَاهُ تَقَالِيدُ الْعَرَبِ وَأَخْلَاقُهُمْ ؛ بَلْ أَسْوِيَاءُ بَنِي الْإِنْسَانِ وَأَعْرَافُهُمْ ؛ وَذَلِكَ
 حِينَ يَبْسُتُ مِنْ ثَنِي الرَّسُولِ عَنْ دَعْوَتِهِ ، وَمِنْ ثَنِي أَبِي طَالِبٍ عَنْ مُنَاصَرَتِهِ ، فَفَرَّرَ
 زُعَمَاؤُهَا مُقَاطَعَةً بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ .

وَفِعْلًا انْحَاذَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقَامُوا مَعَهُ فِي شَعْبِهِ وَلَبِثُوا
 دَاخِلَ هَذَا الْحِصَارِ الرَّهِيْبِ قُرَابَةَ أَعْوَامٍ ثَلَاثَةَ ، حَتَّى أَكَلُوا وَرَقَّ الشَّجَرِ الْيَابِسِ
 لِيَدْرُؤُوا بِهِ غَوَائِلَ الْجُوعِ .

وَأَبُو طَالِبٍ كَالطُّوْدِ شُمُوخًا وَرُسُوخًا ، يَرْفُضُ كُلَّ مُسَاوَمَةٍ تُحَاوِلُهَا قُرَيْشٌ ، وَيُسَلِّطُ
 عَلَيْهِمْ مَوْهَبَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ فَيَلْفَحُهُمْ بِالْقَصِيدِ تَلْوِ الْقَصِيدِ :

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْضَرَ الثَّرَى * وَيُصْبِحُ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي ذَنْبٍ
 وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقَطَّعُوا * أَوَاصِرْنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
 فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسَلِّمُ أَحْمَدًا * لِيَضْرَأَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ
 وَلَمَّا تَبِنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ * وَأَيْدٍ أَتَرَّتْ بِالْقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ

إِنَّ أَبَا طَالِبٍ إِذَا آمَنَ بِشَيْءٍ كَانَ إِيمَانُهُ قَوِيًّا صَلْبًا ؛ نَفْسُ الصَّلَابَةِ وَالْقُوَّةِ اللَّتَيْنِ
 وَرَثَهُمَا عَنْهُ وَلَدَهُ عَلِيٌّ بَلْ بَنُوهُ أَجْمَعُونَ .

وَلَقَدْ آمَنَ أَبُو طَالِبٍ بِحَقِّ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ ، وَيُبَلِّغَ دَعْوَتَهُ ، فَإِنْ كَانَتْ
 حَقًّا فَمِنْ حَقِّ الْحَقِّ أَنْ يَنْتَصِرَ وَيَسُودَ ، وَإِنْ كَانَتْ بَاطِلًا فَإِنَّ الْبَاطِلَ سَيَذْهَبُ جُفَاءً .

مِنْ أَجْلِ هَذَا قَاوِمَ قُرَيْشًا عِنْدَمَا رَأَاهَا تَقْرِضُ الصَّمْتَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ، أَجَلٌ ، إِنَّهُ لَا يَقِفُ مَعَ (مُحَمَّدٍ) ابْنِ أَخِيهِ ، وَإِنَّمَا يَقِفُ مَعَ (مُحَمَّدٍ) الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الْخَيْرِ ، (مُحَمَّدٍ) الصَّادِقِ الْأَمِينِ .

وَلَوْ شَكَ أَبُو طَالِبٍ فِي صِدْقِ ابْنِ أَخِيهِ مَا نَاصَرَهُ وَلَا ظَاهَرَهُ ، فَهُوَ إِنَّمَا يُنَاصِرُ فِيهِ الْحَقَّ ، لَا الْقَرَابَةَ !!

وَلَا أَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَوْقِفِهِ يَوْمَ أَنْبَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ الْأَرْضَةَ عَلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ سَطَرَتْ فِيهَا عَهْدَهَا بِمُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، وَعَلَّقَتْهَا فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ .

أَنْبَأَهُ ﷺ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ عَلَيْهَا الْأَرْضَةَ فَأَكَلَتْهَا ، وَلَمْ تَبْقَ مِنْهَا إِلَّا اسْمُ اللَّهِ .. هُنَالِكَ ذَهَبَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى قُرَيْشٍ فِي نَادِيهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَابٍ وَكَذًا ، فَهَلُمَّ إِلَيَّ صَحِيفَتِكُمْ ، فَإِن تَكُ كَمَا قَالَ (مُحَمَّدٌ) فَانْتَهُوا عَن قَطِيعَتِنَا ، وَانزِلُوا عَمَّا فِيهَا ، وَإِن يَكُ كَاذِبًا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمْ) ، وَرَضِيَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ بِهَذَا .

وَقَامُوا عَلَى الْكَعْبَةِ ، وَجَاءُوا بِالصَّحِيفَةِ مِنْ مَكَانِهَا ، فَإِذَا الْأَمْرُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ عَهْدِ الْمُقَاطَعَةِ ، وَبَاءَتِ الْمُؤَامِرَةُ بِالْهَزِيمَةِ وَالْفِشْلِ .

إِنَّ أَبَا طَالِبٍ هُنَا يَحْتَكِمُ إِلَى حَقِّ الصِّدْقِ فِي أَنْ يُحْمَى .. لَا إِلَى حَقِّ الْقَرَابَةِ فِي أَنْ تُشَايِعَ !!

فَهُوَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ : إِذَا تَبَيَّنَ صِدْقُ (مُحَمَّدٍ) ﷺ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ التَّسَبُّتُ مِنْهَا فِي يُسْرِ ، فَلَهُ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ ، وَإِذَا تَبَيَّنَ كَذِبُهُ ، فَأَنَا لَا أَحْمِي الْكَاذِبِينَ .

وَحَاشَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلَّا يَكُونَ صَادِقًا .. !!

وَمِنْ قَبْلِ هَذَا ، عِنْدَمَا وَفَدَ وَفَدَ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ قَائِلِينَ لَهُ :

إِنَّ لَكَ فِيْنَا سِنًا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً ، وَإِنَّا قَدْ اسْتَهَيْتَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا ، وَإِنَّا لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا ؛ مَنْ شَتَمَ آبَائِنَا ، وَعَيْبَ آلَهُنَا ، وَتَسَفَّيَهُ أَحْلَامِنَا ؛ فَأِمَّا أَنْ تُكْفَهُ عَنَّا ، أَوْ نُنَازِلُهُ وَإِيَّاكَ حَتَّى يَهْلِكَ مِنَّا أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ ، حِينَ قَالُوا لَهُ ذَلِكَ ،

وَحِينَ جَاءَهُ رَدُّ الرَّسُولِ ﷺ :

(وَاللَّهُ لَوَوْضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا فَعَلْتُ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ) .

ازداد الطودُ شموخاً ، والعزمُ مضاءً ، وراح البطلُ أبو طالبٍ يلفحُ قريناً بصلابته وإصراره ، ويقولُ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ * مِنْ خَيْرِ أديانِ البريةِ دينا
واللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ * حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرابِ دَفِينا

مَرَّةً أُخْرَى : هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي مِنْ صُلْبِهِ جَاءَ عَلِيٌّ .

ورزق أبو طالبٍ مِنْ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ : طَالِباً ، وَعَقِيلاً ، وَجَعْفَراً ، وَعَلِيّاً ، وَأُمَّ هَانِئٍ (وَأَسْمُهَا فَاحِخَةُ) ، وَجُمَانَةَ .

قال ابنُ قَتَيْبَةَ وَأَبُو عَمْرٍ : وَكَانَ عَلِيٌّ أَصْغَرَ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ .

وَالإِمَامُ عَلِيٌّ ﷺ أَحَدُ العَشْرَةِ المَشْهُودِ لَهُمُ بِالْجَنَّةِ ، وَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بِالمُؤاخاةِ ، وَصَهْرُهُ عَلَى فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ ﷺ ، وَأَحَدُ السَّابِقِينَ

الأوائِلِ إِلى الإِسلامِ ، وَأَحَدُ العُلَماءِ الرِّبَّانِيِّينَ ، وَالشُّجْعانِ المَشْهُورِينَ ، وَالزُّهادِ

المَذْكَورِينَ ، وَالخُطباءِ المَعْرُوفِينَ ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ مِنْ بَنِي هاشِمٍ ، وَأَبُو السَّبْطِينِ

(الحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ) ، وَلَمَّا هاجرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلى المَدِينَةِ أَمَرَهُ أَنْ يُقيمَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ

حَتَّى يُؤدِّيَ عَنْهُ أمانَتَهُ وَالوَادِعَ وَالوَصاياَ الَّتِي كانَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَلْحَقَهُ ،

فَفَعَلَ ذَلِكَ وَشَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سائِرَ المَشاهِدِ إِلا تَبُوكَ فَإِنَّهُ ﷺ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى

المَدِينَةِ ، وَقَالَ لَهُ حِينَئِذٍ : (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى) ، وَتَقَدَّمَ بَيانُ

المُرادِ مِنْ ذَلِكَ فِي خِلافَةِ الصِّديقِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ .

ولهُ ﷺ فِي جَميعِ المَشاهِدِ الأثارُ المَشْهُورَةُ ، وَأصابَتْهُ يَوْمَ أُحُدٍ سِتُّ عَشْرَةَ ضَرْبَةً ،

وَأَعْطاهُ ﷺ اللِّواءَ فِي مَواطِنَ كَثيرَةٍ سَيِّما يَوْمَ خيبرٍ ؛ وَأخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ

الْفَتْحَ يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ لَهُ ، وَحَمَلَ يَوْمَئِذٍ بابَ حِصْنِها وَإِنَّ ذَلِكَ

البَابُ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وَنَابَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِرَاءَةِ أَوَائِلِ سُورَةِ التَّوْبَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ إِذَا نَأَى بِبِرَاءَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَرَوَى لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسُمِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَثَمَانُونَ حَدِيثًا .

رَوَى عَنْهُ بَنُوهُ الثَّلَاثَةُ (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبُو أَمَامَةَ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَخَلَائِقُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

ذَكَرَ أَوْلَادِهِ وَمَلَحَظَ تَسْمِيَتَهُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ تَيْمِنًا بِالْخُلَفَاءِ الْعِظَامِ :

كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْوَلَدِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ ذَكَرًا وَتِسْعَ عَشْرَةَ أُنْثَى : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَزَيْنَبُ الْكُبْرَى ، وَأُمُّ كَلْثُومِ الْكُبْرَى (أُمُّهُمُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَمُحَمَّدُ الْأَكْبَرُ وَهُوَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ (أُمُّهُ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ) ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ (أُمُّهُمَا لَيْلَى بِنْتُ مَسْعُودٍ) ، وَالْعَبَّاسُ الْأَكْبَرُ وَعُثْمَانُ وَجَعْفَرُ وَعَبْدُ اللَّهِ (أُمُّهُمُ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ حِزَامِ بْنِ خَالِدٍ) ، وَمُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ (أُمُّهُ أُمُّ وُلْدٍ) ، وَيَحْيَى ، وَعَوْنٌ (أُمُّهُمَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ) ، وَعُمَرُ الْأَكْبَرُ ، وَرُقِيَّةُ (أُمُّهُمَا الصَّهْبَاءُ) ، وَمُحَمَّدُ الْأَوْسَطُ (أُمُّهُ أَمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ) ، وَأُمُّ الْحَسَنِ ، وَرَمْلَةُ الْكُبْرَى (أُمُّهُمَا أُمُّ سَعِيدِ بِنْتُ عُرْوَةَ) ، وَأُمُّ هَانِئٍ ، وَمَيْمُونَةُ ، وَزَيْنَبُ الصُّغْرَى ، وَرَمْلَةُ الصُّغْرَى ، وَأُمُّ كَلْثُومِ الصُّغْرَى ، وَفَاطِمَةُ ، وَأَمَامَةُ ، وَخَدِيجَةُ ، وَأُمُّ الْكِرَامِ ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ ، وَجُمَانَةُ ، وَنَفِيْسَةُ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ ، وَهَنَّ الْأُمَّهَاتِ سِتِّي ، وَابْنَةُ أُخْرَى لَمْ يُذْكَرْ اسْمُهَا مَاتَتْ صَغِيرَةً . .
فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَفْنَا مِنْ أَوْلَادِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) .

إِيضاحُ مَا اسْتَبْهَمَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِصَاصِ عَلِيٍّ بِلِقَبِ الْإِمَامِ :

اخْتَصَّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِلِقَبِ الْإِمَامِ ، وَهَذَا اللَّقْبُ إِذَا أُطْلِقَ لَا يَنْصَرِفُ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ .

وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟ أَلَمْ يَكُنِ الصَّدِيقُ إِمَامًا كَعَلِيٍّ ، وَأَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ إِمَامًا كَعَلِيٍّ ، وَأَلَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ إِمَامًا كَعَلِيٍّ ، أَلَمْ يَكُونُوا خُلَفَاءَ رَاشِدِينَ إِذَا قُصِدَتِ الْخِلَافَةُ الرَّاشِدَةُ

(١) صِفَةُ الصَّفْوَةِ : أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَوْزِيِّ .

بَعْدَ النَّبُوَّةِ ؟ نَعَمْ .. كَانُوا أئِمَّةً مِثْلَهُ وَسَبَقُوهُ فِي الْإِمَامَةِ .

وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْإِمَامَةَ يَوْمئِذٍ كَانَتْ وَحْدَهَا فِي مَيْدَانِ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مُنَازِعٍ وَلَا شَرِيكِ ، وَلَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ﷺ أَنْ يَحْمِلَ عِلْمَ الْإِمَامَةِ لِيُنَاضِلَ بِهِ عِلْمَ الدَّوْلَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلَا أَنْ يَتَحَيَّرَ بِعَسْكَرٍ يُقَابِلُهُ عَسْكَرٌ وَصِفَةٌ تَنَاطَوَتْهَا صِفَةٌ ، وَلَا أَنْ يُصْبِحَ رَمْزًا لِلْخِلَافَةِ يَقْتَرِنُ بِهَا وَلَا يَقْتَرِنُ بِشَيْءٍ غَيْرِهَا ، وَكُلُّهُمْ إِمَامٌ حَيْثُ لَا اشْتِبَاهَ وَلَا التَّبَاسَ ، وَلَكِنَّ الْإِمَامَ بِغَيْرِ تَعْقِيْبٍ وَلَا تَذْيِيلٍ هُوَ الْإِمَامُ كُلَّمَا وَقَعَ الْاِشْتِبَاهُ وَالْاَلْتِبَاسُ ، وَذَلِكَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَمَا لَقَّبَهُ النَّاسُ ، وَجَرَى لِقَبُّهُ عَلَى الْأَسْنَةِ ؛ فَعَرَفَهُ بِهِ الطُّفْلُ وَهُوَ يَسْمَعُ أَمَادِيحَهُ الْمَنْعُومَةَ فِي الطَّرِيقَاتِ بِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَسْمِيَةِ أَوْ تَعْرِيفٍ .

الْقَوْلُ الْأَسْلَمُ فِي تَعْيِينِ أَوَّلٍ مَنْ أَسْلَمَ :

وَالْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مَشْهُورٌ فِي أَنَّ عَلِيًّا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ ، وَأَبَا بَكْرٍ ، أَوْ خَدِيجَةَ ﷺ ، وَاهْتَدَى مُدَقِّقُو الْمُحَقِّقِينَ لِأَقْوَالٍ تَحِلُّ الْإِشْكَالَ :

بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْبَالِغِينَ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ ، وَخَدِيجَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ ، وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي ، وَبِلَالَ بْنَ رَبَاحٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْعَبِيدِ .

وَسَابِقُ الْمُسْلِمِينَ : لَقَبٌ لَا يَسْتَحِقُّونَهُ لِمُجَرَّدِ سَبْقِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّونَهُ لِأَنَّهُمْ حَازُوا كِلْتَا الْحُسْنَيْنَيْنِ : السَّبْقَ ، وَالصَّدْقَ ، فَهُمْ ﷺ الَّذِينَ عَلَّمُوا النَّاسَ فِيمَا بَعْدُ ، أَنَّهُ : لَيْسَ الطَّرِيقُ لِمَنْ سَبَقَ .. إِنَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ صَدَقَ .

وَلِلَّهِ دَرُّ أَمِيرِ الشُّعْرَاءِ فِي نَظْمِهِ :

نَاجَاهُمْ بَيِّنَاتِ رَبِّهِ * فَآمَنْتُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بِهِ
فَقِيلَ فِيهَا أَسْبَقُ الْإِنَاثِ * وَفِي عَلِيٍّ أَسْبَقُ الْأَحْدَاثِ
وَفِي الرِّجَالِ لِأَبِي بَكْرٍ يَدٌ * بِالسَّبْقِ لَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا سَيِّدُ

ذَكَرَ بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ لِفَضْلِهِ مُبَيِّنَاتٌ :

* فَمِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ كانت معه أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهماً، وفي النهار درهماً، ودرهماً في السر، ودرهماً في العلانية؛ فنزلت الآية.

﴿ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (٢).

قال مجاهد: نزلت في علي، وحمزة رضي الله عنه وأبي جهل.

﴿ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٣).

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودٌ لعلي وأهل بيته.

﴿ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هَذَا نِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا

قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٦﴾ يُصْهَرُ

بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٧﴾ وَهُمْ مَّقْمَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٨﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا

أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ إِنَّ اللَّهَ

يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

يُكَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٠﴾

وَهُدُودًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُمْ فِيهَا مُقَامُونَ ﴿١١﴾ وَهُمْ فِيهَا كَاظِمُونَ ﴿١٢﴾

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يُقسم أن هذه الآيات نزلت في علي، وحمزة، وعبيدة

ابن الحارث؛ بارزوا عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة يوم

غزوة بدر.

﴿ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ

(٢) سورة القصص: الآية ٦١.

(٤) سورة الحج: الآيات ١٩-٢٤.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

(٣) سورة مزيم: الآية ٩٦.

مِّن رَّبِّهِ ﴿١﴾

قال الواحدي : نزلت في عليٍّ وحمزة رضي الله عنهما .

❁ ومنها قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْبِهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٢) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنها نزلت في عليٍّ بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما .

❁ ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٣) :

أخرج الواحدي : أن عليًّا رضي الله عنه جاءه سائلٌ وهو راكعٌ فنزع خاتمه وتصدق به عليه فنزلت الآية .

أفضاله الزاكيات بأحاديث متواترات :

❁ أخرج الإمام أحمد عن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و رضي الله عنهما ، قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إن السعيد حق السعيد من أحب عليًّا في حياته وبعد موته) (٤) .

❁ أخرج الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله أخى بين أصحابه فجاء عليًّا رضي الله عنه تدمع عيناه ،

فقال : يا رسول الله ، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحدٍ ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وآله : (أنت أخى في الدنيا والآخرة) (٥) .

❁ وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال :

(الناس من شجر شتى ، وأنا وعليٌّ من شجرة واحدة) (٦) .

❁ وأخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله

قال : (إن الله جعل ذرية كل نبيٍّ في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب عليٍّ بن أبي

طالب) (٧) .

❁ أخرج الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان أبي يسمر مع

(١) سورة الزمر : من الآية ٢٢ .

(٢) سورة الإنسان : الآية ٨ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

(٤) الفتح المبين : أحمد بن زيني دحلان .

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، والسيوطي في الدر المنثور ، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، والهندي في كنز العمال .

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية .

عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ عَلِيٌّ يَلْبَسُ ثِيَابَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَثِيَابَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ سَأَلْتَهُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيَّ وَأَنَا أَرْمُدُ الْعَيْنِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْمُدُ الْعَيْنِ ، فَتَقَلَّ فِي عَيْنِي ، فَقَالَ : (اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ الْحَرَ وَالْبَرْدَ) ^(١) ، فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا مُنْذُ يَوْمِئِذٍ .

وَقَالَ : (لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ، فَتَشَرَّفَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِيهَا .

❁ وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عَيْسَى أَبْغَضَهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وَأَحَبَّهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ بِهَا) ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ : (يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ بِمَا لَيْسَ فِيَّ ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَايَ عَلَيَّ أَنْ يَبْهَتَنِي) ^(٣) .

❁ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ مِنْهَا هِيَ زِينَةُ الْأَبْرَارِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، فَجَعَلَكَ لَا تَرْتَأَى مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَرْتَأَى الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ الْمَسَاكِينَ ، فَجَعَلَكَ تَرْضَى بِهِمْ أَتْبَاعًا ، وَيَرْضُونَ بِكَ إِمَامًا) ^(٤) .
وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَةٌ أُفْرِدَتْ بِالتَّأْلِيفِ ، وَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرَامَاتٌ وَمُكَاشَفَاتٌ كَثِيرَةٌ :

مِنْهَا : أَنَّهُ مَرَّ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : (هَهُنَا مَنَاخُ رِكَابِهِمْ ، وَهَهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ ، وَهَهُنَا مَهْرَاقُ دِمَائِهِمْ ، فَتِيَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْتَلُونَ بِهَذِهِ الْعَرِصَةِ) ^(٥) ، تَبْكِي عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي سُنَنِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَالتَّبْرِيذِيُّ فِي مُشَاكَاةِ الْمَصَابِيحِ .

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمُصَنَّفِ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزُّوَايِدِ .

(٥) الْعَرِصَةُ : الْبُقْعَةُ الْوَاسِعَةُ بَيْنَ الدُّوَرِ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ ، وَعَرِصَةُ الدَّارِ : سَاحَتُهَا ؛ الْجَمْعُ : عَرِصَاتٌ ، وَعِرَاصٌ .

خِلاَفَتُهُ ﷺ (٣٥-٤٠ هـ) :

لَمَّا حَلَّ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ وَاسْتَشْهَدَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ ﷺ ، ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ حَيَارَى بَعْدَ الْفِتْنَةِ الْكُبْرَى وَقَتْلِ الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ ، لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مَلْجَأً كَانَهُمْ فَوْضَى ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ مَنْ يَصْلُحُ لِلْخِلاَفَةِ بَعْدَ عُثْمَانَ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ مُعْظَمُهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ الْخِلاَفَةَ ، فَقَدَّرَ الْمُسْتَقْبَلَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَقْبَلُ فِتْنَةً سَائِرَةً لَا مَرَدَّ لَهَا ، فَقَالَ ﷺ لَهُمْ : (التَّمَسُّوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ ، وَلَهُ أَلْوَانٌ ، لَا تَقُومُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ) .

فَنَاشَدُوهُ اللَّهَ وَالِدِينَ : وَبَايَعُوهُ بِالْخِلاَفَةِ لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ هِجْرِيَّةً ، فَقَامَ بِهَا ﷺ مَا يُقَارِبُ خَمْسَ سِنِينَ ، لَمْ يَصِفْ لَهُ فِيهَا يَوْمٌ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا .

● قَالَ الْعَلَمَةُ ابْنُ حَجَرٍ ^(١) : إِنَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ عَلَى صِحَّةِ بَيْعَةِ عَلِيٍّ ﷺ ، وَوَجْهَةُ انْعِقَادِهَا فِي زَمَنِ الشُّوْرَى عَلَى أَنَّهَا لَهُ أَوْ لِعُثْمَانَ ، وَهَذَا إِجْمَاعٌ عَلَى أَنَّهُ لَوْلَا عُثْمَانُ لَكَانَتْ لِعَلِيٍّ ﷺ ، فَحِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ ﷺ بَقِيَتْ لِعَلِيٍّ ﷺ إِجْمَاعًا ، وَاتَّفَقَ عَلَى بَيْعَتِهِ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ .

● قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ عَبْدُ اللَّهِ الْجُوَيْنِي : وَلَا أَكْثَرُثُ بِقَوْلٍ مَنْ قَالَ لَا إِجْمَاعَ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ ﷺ ، فَإِنَّ الْإِمَامَةَ لَمْ تُجْعَدْ لَهُ وَإِنَّمَا هَاجَتِ الْفِتْنَةُ لِأُمُورٍ أُخْرَى .
وَلَمَّا تَمَّتِ الْبَيْعَةُ لِعَلِيٍّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ امْتَنَعَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْبَيْعَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَقَالُوا : لَا نُبَايِعُ حَتَّى يُفْتَصَّ مِنْ قِتْلَةِ عُثْمَانَ ، وَهُمْ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ عَلِيًّا ﷺ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْخِلاَفَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ ﷺ .

الْقَوْلُ الْفَصْلُ يُؤَيِّدُهُ النُّقْلُ وَالْعَقْلُ :

❁ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ ﷺ :

(١) الصَّوَاعِقُ : ابْنُ حَجَرٍ السَّقَلَانِي .

(أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي) (١) .
 وَسَبَبُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ غَزْوَةَ تَبُوكَ خَلَفَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَهْلِهِ
 بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ ، فَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالُوا : مَا
 خَلَفَهُ إِلَّا اسْتِغْثَالَ ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِلَاحَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُرْفِ (٢) ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، زَعِمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي لِأَنَّكَ
 اسْتَنْقَلْتَنِي وَتَخَفَّمْتَ مِنِّي .
 وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَ : أَتَخَلَفْنِي فِي النَّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَذَبُوا وَلَكِنِّي خَلَفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي
 فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ
 بَعْدِي) (٣) .

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : رَضِيْتُ رَضِيْتُ .
 فَالْخِلَافَةُ فِي الْأَهْلِ فِي الْحَيَاةِ لَا تَقْتَضِي الْخِلَافَةَ فِي الْأُمَّةِ بَعْدَ الْوَفَاةِ ، وَلَوْ كَانَ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَاحْتَجَّ بِهِ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ مِنْهُ قَطُّ ، مَعَ أَنَّ الْقِيَاسَ
 يَنْتَقِضُ بِمَوْتِ هَارُونَ الْمَقْبُوسِ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَإِنَّمَا كَانَ
 خَلِيفَتُهُ عَلَى قَوْمِهِ فِي أَمْرٍ خَاصٍّ ؛ لَمَّا ذَهَبَ لِلْمُنَاجَاةِ تَرَكَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةً
 عَلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ لَهُ : ﴿ أَحْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ (٤) ، فَكَذَلِكَ هَهُنَا وَأَمَّا خَلِيفَةُ مُوسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَإِنَّمَا هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، فَلَمَّا كَانَ هَارُونَ الْمُشَبَّهُ بِهِ إِذَا كَانَ
 خَلِيفَةً فِي حَيَاةِ مُوسَى دَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَخْصِيصِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحَيَاتِهِ
 فِي مُدَّةِ غَيْبَتِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ؛ فَالْحَدِيثُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ الصَّادِقِ يَدُلُّ لِمَذْهَبِ أَهْلِ
 السُّنَّةِ لَا كَمَا تَقُولُ الشَّيْعَةُ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرِكِ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى ،
 وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرِكِ .

(٢) الْجُرْفُ : مُؤَضَّبٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ .

(٣) أَوْرَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَهْدِيبِ
 تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٤) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : مِنَ الْآيَةِ ١٤٢ .

وَمِمَّا يُعِينُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَهُ خَلِيفَةً عَلَى أَهْلِهِ أَنَّهُ ﷺ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ﷺ ، وَلَئِنْ سُلِّمَ أَنَّهُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَلْزِمُ أَوْلِيَّتَهُ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَهُ مِنْ كُلِّ مُعَاصِرِيهِ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ مِرَاراً كَثِيراً مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَلَمْ يَلْزَمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَنَّهُ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ .

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ سِيَاقَ هَذَا الْقَوْلِ خَبَرٌ ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْإِخْبَارَ بِمَا سَيَقَعُ بَعْدَ الْوَفَاةِ لَوَقَعَ لَا مَحَالَةَ كَمَا وَقَعَ كُلُّ مَا أَخْبَرَ ﷺ عَنْ وَقُوعِهِ ؛ فَإِنَّ خَبْرَهُ ﷺ حَقٌّ وَصِدْقٌ :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا لَمْ يَقَعْ ، عَلِمَ قَطْعاً أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ حُصُولُ ذَلِكَ بَعْدَ الْوَفَاةِ .

❁ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغَضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ، وَأَنْصُرْ مَنْ أَنْصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الْحَقَّ حَيْثُ دَارَ) ^(٢) .

قَالَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ : إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَدِيثِ التَّنْصِيفُ عَلَى مَوْلَاةِ عَلِيٍّ ﷺ ، وَاجْتِنَابُ بَعْضِهِ ؛ لِأَنَّ التَّنْصِيفَ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَى بِمَزِيدِ شَرَفِهِ ، فَالْمَوْلَاةُ تَكُونُ بِالْمَحَبَّةِ وَالِاتِّبَاعِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ ^(٣) .

وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي فَهَمَهُ مِنَ الْحَدِيثِ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ ﷺ ، مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ ، وَنَاهِيكَ بِهِمَا فَإِنَّهُمَا لَمَّا سَمِعَاهُ قَالَا لَهُ : أَمْسَيْتَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ كَمَا رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ .

وَرَوَى أَيْضاً أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ ﷺ : إِنَّكَ تَصْنَعُ بَعْلِيَّ شَيْئاً (يَعْنِي مِنَ التَّعْظِيمِ) لَا

(١) سُورَةُ النَّجْمِ : الْآيَاتَانِ ٢ ، ٤ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَائِعِ وَالنَّهَائِعِ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ٦٨ .

تَصْنَعُهُ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مَوْلَايَ .
 فَلَيْسَ قَوْلُهُ ﷺ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) نَصًّا عَلَى الْإِمَامَةِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ نَصًّا
 وَلَمْ يَحْتَجَّ بِهِ عَلِيٌّ وَلَا الْعَبَّاسُ ﷺ ، وَلَا غَيْرُهُمَا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ
 ﷺ لِانْتِقَادِ الْجَمَاعِ حَتَّى مِنْ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى حَقِّيَّةِ خِلَافَتِهِمْ ؟ فَسَكُوتُ عَلِيٍّ ﷺ
 عَنِ الْاِحْتِجَاجِ بِهِ قَاضٍ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ اَدْنَى فَهَمٍ وَعَقْلٍ بِأَنَّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ لَيْسَ
 نَصًّا عَلَى تَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْخِلَافَةِ ، وَقَاضٍ بِحَقِّيَّةِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ مَعَ مَا
 تَوَاتَرَ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ مِنَ الْاِعْتِرَافِ بِذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ الْحَسَنِ الْمُتَنِيِّ بْنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ ﷺ أَنَّهُ
 قِيلَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) نَصٌّ فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ ﷺ ؟
 فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ لِأَفْصَحَ لَهُمْ بِهِ ؛ فَإِنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَنْصَحَ النَّاسِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَالَ لَهُمْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا وَليُّ
 أَمْرِي وَالقَائِمُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَلَكِنْ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ ،
 فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اخْتَارَا عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَالْقِيَامِ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ،
 ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ أَوْ يَعْذِرَ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ لَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ
 خَطِيئَةً إِذَا تَرَكَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَحَاشَاؤُهُ مِنْ ذَلِكَ .

● وَقَدْ اخْتَلَقَ الرَّافِضَةُ أَحَادِيثُ كُلُّهَا كَذَبٌ وَزُورٌ لِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ ،
 مِنْهَا أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ ﷺ : (أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي) (١)
 وَأَنَّهُ قَالَ لِلصَّحَابَةِ : (سَلِّمُوا عَلَيَّ بِأَمْرَةِ النَّاسِ) (٢) ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَكُلُّهَا
 كَذِبٌ بَاطِلَةٌ مَوْضُوعَةٌ مُفْتَرَاةٌ عَلَيْهِ ﷺ ؛

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .

وَأَيْمَةُ الْحَدِيثِ كُلُّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّهَا مَحْضُ كَذِبٍ وَافْتِرَاءٍ ، فَإِنَّ زَعْمَ هَؤُلَاءِ
 الْكُذْبَةَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ صَحَّتْ عِنْدَهُمْ ، قُلْنَا لَهُمْ : هَذَا مُحَالٌ فِي الْعَادَةِ إِذْ كَيْفَ

(١) حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعِلَلِ الْمُتَضَاهِيَةِ .

(٢) حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ وَهُوَ فِي إِتْحَافِ الْمَأْدَةِ الْمُتَعِينِ .

تَتَفَرِّدُونَ بَعْلَمَ صِحَّةِ ذَلِكَ مَعَ أَنَّكُمْ لَمْ تَتَّصِفُوا قَطُّ بِرَوَايَةِ وَلَا صُحْبَةِ مُحَدِّثٍ ؟
فَكَيْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَجْهَلُهُ مَهْرَةُ الْحَدِيثِ وَسُبَّاقُهُ الَّذِينَ أَفْتَنُوا أَعْمَارَهُمْ فِي الْأَسْفَارِ
الْبَعِيدَةِ لِتَحْصِيلِهِ ، وَبَدَلُوا جُهِدَهُمْ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جَمَعُوا الْأَحَادِيثَ ، وَنَقَبُوا عَنْهَا ،
وَعَلَّمُوا صَحِيحَهَا مِنْ سَقِيمِهَا ، وَدَوَّنُوهَا فِي كُتُبِهِمْ عَلَى غَايَةِ الْأَسْتِيعَابِ وَنَهَايَةِ
التَّحْرِيرِ ، وَعَرَفُوا الْأَحَادِيثَ الْمَوْضُوعَةَ وَوَضَعَ كُلُّ حَدِيثٍ ، وَسَبَبَ وَضَعِهِ الْحَامِلَ
لِوَضْعِهِ عَلَى الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَكْمَلَهُ ؛
إِذْ لَوْلَا حُسْنُ صَنِيعِهِمْ هَذَا لَأَسْتَوْلَى الْمُبْطِلُونَ وَالْمُتَمَرِّدَةُ الْمُفْسِدُونَ عَلَى الدِّينِ
وَعَيَّرُوا مَعَالِمَهُ ، وَخَلَطُوا الْحَقَّ بِكَذِبِهِمْ حَتَّى لَمْ يَتَمَيَّزْ عَنْهُ فَضْلُوهَا وَأَضَلُّوهَا ضَلَالًا
مُبِينًا ، لَكِنْ لَمَّا حَفِظَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ شَرِيعَتَهُ مِنَ الزَّيْغِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ ،
جَعَلَ مِنْ أَكْبَرِ أُمَّتِهِ فِي كُلِّ عَصْرِ طَائِفَةٌ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلْتَهُمْ ، فَلَمْ
يُبَالِ الدِّينُ بِهَؤُلَاءِ الْكُذْبَةِ الْبَطَلَةِ الْجَهْلَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ ﷺ : (تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ
الْبَيِّنَةِ لِيَلْهَى كُنْهَارَهَا وَنَهَارَهَا كَلِيلَهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ)^(١) .

الْحَقُّ الصَّرِيحُ بِلِسَانِ صِدْقٍ فَصِيحٌ :

أَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ وَالدَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ بِالْبَصْرَةِ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالَا لَهُ :
أَخْبَرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا الَّذِي سَرَتْ فِيهِ لِنَتَوَلَّى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَوْ عَلَى الْأُمَّةِ
تَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، أَعَهْدُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدُهُ إِلَيْكَ ؟ ، فَحَدَّثْنَا فَأَنْتَ
الْمَوْثُوقُ بِهِ ، وَالْمَأْمُونُ عَلَى مَا سَمِعْتَ .

فَقَالَ ﷺ : أَمَا أَنْ يَكُونَ عِنْدِي عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدُهُ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ فَلَا ، وَاللَّهِ
لَنْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي مِنْ عَهْدٍ
فِي ذَلِكَ مَا تَرَكَتُ أَخَا بَنِي تَيْمٍ بِنِ مِرَّةَ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَثْبَانِ عَلَى مَنْبَرِهِ ،
وَلَقَاتَلْتُهُمَا بِيَدَيَّ وَلَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا بُرْدَتِي هَذِهِ ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُقْتَلْ قَتْلًا ،
وَلَمْ يَمُتْ فِجَاءً ؛ مَكَثَ فِي مَرَضِهِ أَيَّامًا وَلِيَالِي يَأْتِيهِ الْمُؤَذِّنُ (أَوْ قَالَ بِلَالٌ) يُؤَذِّنُهُ

(١) أَخْرَجَهُ الزَّيْدِيُّ فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ .

بِالصَّلَاةِ فَيَأْمُرُ أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ وَهُوَ يَرَى مَكَانِي ، وَلَقَدْ أَرَادَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ تَصْرِفَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَبَى وَغَضِبَ ، وَقَالَ : (أَنْتَنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) (١) ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرْنَا فِي أُمُورِنَا فَاخْتَرْنَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا ، وَكَانَتِ الصَّلَاةُ أَعْظَمَ الْإِسْلَامِ وَقَوَامَ الدِّينِ فَبَايَعْنَا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ لِدَيْكَ أَهْلًا ، لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ مِنْنا اثْنَانِ ؛ فَأَدَيْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ حَقَّهُ وَعَرَفْتُ طَاعَتَهُ وَغَزَوْتُ مَعَهُ فِي جُنُودِهِ ، وَكُنْتُ أَخْذُ إِذَا أَعْطَانِي ، وَأَغْزُو إِذَا أَعْرَانِي ، وَأَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْحُدُودِ بِسَوْطِي ، فَلَمَّا قُبِضَ وَلَاهَا عُمَرَ فَأَخَذَهَا بِسُنَّةِ صَاحِبِهِ ، وَمَا يَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ ، فَبَايَعْنَا عُمَرَ لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ مِنْنا اثْنَانِ فَأَدَيْتُ لَهُ حَقَّهُ ، وَعَرَفْتُ لَهُ طَاعَتَهُ ، وَكُنْتُ أَخْذُ إِذَا أَعْطَانِي ، وَأَغْزُو إِذَا أَعْرَانِي ، وَأَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْحُدُودِ بِسَوْطِي ، فَلَمَّا قُبِضَ تَذَكَّرْتُ فِي نَفْسِي قَرَابَتِي وَفَضْلِي وَأَنَا أَظُنُّ أَنْ لَا يُعْدِلَ بِي ، وَلَكِنْ خَشِيْتُ أَنْ لَا يَعْمَلَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ شَيْئًا إِلَّا لِحَقِّهِ فِي قَبْرِهِ فَأَخْرَجَ مِنْهَا نَفْسَهُ وَوَلَدَهُ ، وَلَوْ كَانَتْ مُحَابَاةً لَأَثَرَ وَلَدُهُ بِهَا وَبَرِيٍّ مِنْهَا لِرَهْطِ أَنَا أَحَدُهُمْ ، وَظَنَنْتُ أَنْ لَا يُعْدِلَ بِي ، فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مَوَاقِفَنَا عَلَى أَنْ نَسْمَعَ وَنُطِيعَ لِمَنْ وَلَاهُ اللَّهُ أَمَرْنَا ثُمَّ بَايَعَ عُثْمَانَ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا مِيثَاقِي قَدْ أُخِذَ لِعَيْرِي ، فَبَايَعْنَا عُثْمَانَ فَأَدَيْتُ لَهُ حَقَّهُ ، وَعَرَفْتُ لَهُ طَاعَتَهُ ؛ وَكُنْتُ أَخْذُ إِذَا أَعْطَانِي ، وَأَغْزُو إِذَا أَعْرَانِي ، وَأَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْحُدُودِ بِسَوْطِي ، فَلَمَّا أُصِيبَ عُثْمَانُ نَظَرْتُ فَإِذَا الْخَلِيفَتَانِ اللَّذَانِ أَخَذَا بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمَا بِالصَّلَاةِ قَدْ مَضَى وَهَذَا الَّذِي أُخِذَ لَهُ مِيثَاقِي قَدْ أُصِيبَ ، فَبَايَعَنِي أَهْلُ الْحَرَمَيْنِ وَأَهْلُ هَذَيْنِ الْمِصْرَيْنِ (يَعْنِي الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ) ، فَوُثِّبَ فِيهَا مَنْ لَيْسَ مِنِّي ، وَلَا قَرَابَتَهُ كَقَرَابَتِي ، وَلَا عِلْمَهُ كَعِلْمِي ، وَلَا سَابِقَتَهُ كَسَابِقَتِي ، وَكُنْتُ أَحَقَّ بِهَا مِنْهُ (يَعْنِي مُعَاوِيَةَ) .

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ :

✽ أَخْرَجَ الْبَزَّارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ

(١) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ .

والحاكِمُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :
(أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا) .

أَطَابِبُ الْكَلَامِ مَعَ حِكْمِ الْإِمَامِ عليه السلام :

✽ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ : (لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عَمَلُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ أَذَنْبٌ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُ ذَلِكَ بِتَوْبَةٍ ، أَوْ رَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَلَا يَقِلُّ عَمَلُهُ فِي تَقْوَى وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ) ^(١) .

✽ وَعَنْ مُهَاجِرِ بْنِ عُمَيْرٍ ، قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
(إِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ : فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً ، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ) ^(٢) .

✽ وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه :
(أَلَا إِنَّ الْفَقِيهَ الَّذِي لَا يَقْنَطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا يُؤْمِنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي مَعْاصِي اللَّهِ ، وَلَا يَدْعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا ، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبَّرَ فِيهَا) ^(٣) .

✽ وَعَنْ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه ، قَالَ :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوا عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، فَلَوْ رَكِبْتُمُ الْمَطِيَّ حَتَّى تَنْضَوْهَا مَا أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا : لَا يَرْجُونَ عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَلَا يَسْتَحْيِي إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمْ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ لَهُ) .

✽ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامٍ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ .

(٣) صِفَةُ الصَّفْوَةِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَوْزِيِّ .

كَانْتَفَاعِي بِكِتَابِ كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ :
 (أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسُوؤُهُ قَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ ، وَيَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ
 لِيَفُوتَهُ ، فَلْيَكُنْ سُرُورَكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا ،
 وَمَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْتَرَنَّ بِهِ فَرِحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ حُزْنًا ،
 وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ) .

✽ وَعَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ
 الْجَبَانِ فَلَمَّا أَسْحَرْنَا جَلَسَ ، ثُمَّ تَنَفَّسَ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ :

(يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاها لِلْعِلْمِ ، أَحْفَظُ مَا أَقُولُ لَكَ ،
 النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : عَالِمٌ رَبَّانِي ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ ، وَهَمَّجٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ،
 يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجِئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .. الْعِلْمُ خَيْرٌ
 مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، الْعِلْمُ يَزُكُّو عَلَى الْعَمَلِ ، وَالْمَالُ
 تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، الْعِلْمُ حَاكِمٌ ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ ،
 وَمَحَبَّةُ الْعَالِمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهَا ، الْعِلْمُ يُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ
 بَعْدَ مَمَاتِهِ ، مَاتَ خُزَانُ الْمَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَعْيَانُهُمْ
 مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ .. إِنْ هُنَا ، وَأَوْمًا بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ، عِلْمًا
 لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى أَصْبَتْهُ لَقِنَا ، غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا ،
 يَسْتَظْهَرُ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى كِتَابِهِ ، أَوْ مُعَانِدًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا
 بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ ، يَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ ، عَارِضٌ مِنْ شُبُهَةٍ ، لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ،
 أَوْ مِنْهُومًا بِاللَّذَاتِ سَلَسَ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ ، أَوْ مُغْرَى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالْأَدْحَارِ ، لَيْسَا
 مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِمُ الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ .

كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ ، اللَّهُمَّ بَلَى ، لَنْ تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ
 لِكِي لَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ ، أَوْلَيْكَ هُمُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا ،
 بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ حَتَّى يُؤَدُّوهُا إِلَى نُظْرَائِهِمْ ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ،
 هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ الْمُتْرَفُونَ ، وَأَنْسُوا بِمَا
 اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاهَا مُعَلَّقَةٌ فِي الْمَحَلِّ الْأَعْلَى ،

أَهْ آه ، شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ ، وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكَ ، إِذَا شِئْتَ فَتُمْ) .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنَ عَسَاكِرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ ، قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

(يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ اَعْمَلُوا بِهِ ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ ثُمَّ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ ، وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَافِيهِمْ ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتَهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ ، وَيُخَالِفُ عَمَلَهُمْ عِلْمَهُمْ ، يَجْلِسُونَ حَلَقًا فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَّعُهُ ، أَوْلَيْكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ) .

❖ وَأَخْرَجَ عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ :

(التَّوْفِيقُ خَيْرٌ قَائِدٍ ، وَحُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ قَرِينٍ ، وَالْعَقْلُ خَيْرٌ صَاحِبٍ ، وَالْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَلَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ) .

❖ وَأَخْرَجَ عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ :

(إِنَّ لِلنَّكَبَاتِ نِهَايَاتٍ ، وَلَا بُدَّ لِأَحَدٍ إِذَا نَكَبَ مِنْ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا ، فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَصَابَتْهُ نَكَبَةٌ أَنْ يَنَامَ لَهَا حَتَّى تَنْقُضِي مَدَّتَهَا ، فَإِنَّ فِي دَفْعِهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّتِهَا ، زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِهَا) .

❖ وَأَخْرَجَ عَنْ عَلِيٍّ : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَا السَّخَاءُ ؟ قَالَ : مَا كَانَ مِنْهُ ابْتِدَاءٌ ، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةِ فَحِيَاءٍ وَتَكْرُمٍ .

❖ وَأَخْرَجَ عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ :

(جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ الْوَهْنُ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالضُّيْقُ فِي الْمَعِيشَةِ ، وَالنَّقْصُ فِي اللَّذَّةِ ، قِيلَ : وَمَا النَّقْصُ فِي اللَّذَّةِ ؟ قَالَ : لَا يَنَالُ شَهْوَةَ حَلَالٍ إِلَّا جَاءَهُ مَا يُنْغِصُهُ إِيَّاهَا) .

❖ وَأَخْرَجَ عَنْ نَبِيطِ الْأَشْجَعِيِّ ، قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :

إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ ❖ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتِ ❖ وَأَرْسَتِ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ يَرِ لَانْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهَهُ ❖ وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِينُ
أَتَاكَ عَلَى قَنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ❖ يَجِيءُ بِهِ الْقَرِيبُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ❖ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ

❁ عَنِ الْجَاهِظِ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ : قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ؟ ، قَالَ : دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ .. فَقَالُوا : كَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ؟ ، قَالَ مَسِيرَةٌ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

❁ وَيَقُولُ رضي الله عنه فِي وَصْفٍ دَقِيقٍ لِأَحْوَالِ الْإِنْسَانِ :

الْمَرْءُ فِي زَمَنِ الْإِقْبَالِ كَالشَّجَرِ ❁ وَحَوْلَهَا النَّاسُ مَا دَامَتْ بِهَا الثَّمَرَةُ
 حَتَّى إِذَا مَا عَرَّتْ مِنْ حَمْلِهَا أَنْصَرَفُوا ❁ عَنْهَا عُقُوقًا وَقَدْ كَانُوا بِهَا بَرَرَهُ
 وَحَاوَلُوا قَطْعَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَفَقُوا ❁ دَهْرًا عَلَيْهَا مِنَ الْأَرْيَاحِ وَالغَبَرَةِ
 قَلَّتْ مُرُوءَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ ❁ إِلَّا الْأَقْلَّ فَلَيْسَ الْعُشْرُ مِنْ عَشْرِهِ
 لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ ❁ فَرُبَّمَا لَمْ يُوَافِقْ خُبْرُهُ خَبْرَهُ
 ❁ وَأَخْرَجَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي الصَّهْبَاءِ ، قَالَ لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمِ الْإِمَامَ عَلِيًّا ،
 دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ الْحَسَنُ وَهُوَ بَاكِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَأَرْبَعًا ،
 قَالَ : وَمَا هُنَّ يَا أَبَتِي ؟ ، قَالَ رضي الله عنه :

(أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ ، وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ ، وَأَكْرَمُ الْكِرَامِ
 حُسْنُ الْخُلُقِ) ، قَالَ : فَالْأَرْبَعُ الْآخَرُ ؟ ، قَالَ : (إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ
 أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ
 الْقَرِيبَ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ
 وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ) .

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ أَنَاهُ يَهُودِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ : مَتَى كَانَ رَبُّنَا ؟ فَتَمَعَّرَ
 وَجْهَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ، وَقَالَ :

(لَمْ يَكُنْ فَكَانَ ، هُوَ كَانَ وَلَا كَيْتُونَةَ ؛ كَانَ بِلَا كَيْفٍ ، كَانَ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ وَلَا غَايَةَ ،
 انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ دُونَهُ ، فَهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ) ، فَاسْلَمَ الْيَهُودِيُّ .

الفهم الصحيح : الواقفي من التجريح :

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَفَاذَ أَمْرٍ هَيَّا لَهُ أَسْبَابَهُ .. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَفَاذَ أَمْرٍ سَلَبَ مِنْ ذَوِي

العُقُولِ عُقُولَهُمْ ، ثُمَّ بَعْدَ نَفَازِ قَضَائِهِ سُبْحَانَهُ ، أَنَابُوا إِلَى الْحَقِّ ؛ فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ
أَرَادُوا الْحَقَّ وَأَخْطَأُوا طَرِيقَهُ .

وهذا ما حَدَّثَ مَعَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةَ رضي الله عنها ؛ فَقَدْ اسْتَطَاعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ
رضي الله عنهما (وَقَدْ خَرَجَا مِنْ مَكَّةَ بِجَيْشٍ إِلَى الْبَصْرَةِ) إِقْنَاعَهَا بِالْخُرُوجِ مَعَهُمَا لِيَتَمَّ
الصُّلْحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى يَدَيْهَا وَهِيَ أُمُّ الْجَمِيعِ .. وَحَاوَلَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ
سَلْمَةَ أَنْ تُثْنِيَهَا عَنِ الْخُرُوجِ ، وَلَكِنَّهَا خَرَجَتْ وَكَانَ مَعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ
ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءُ ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي الطَّرِيقِ عَلَى الْإِمَامَةِ قَدِمَتْ هِيَ
عَبْدُ اللَّهِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ .

وفى الطَّرِيقِ إِلَى الْبَصْرَةِ تَحَقَّقَتْ مُعْجَزَةٌ نَبَوِيَّةٌ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ مَرَّةً
لِأَزْوَاجِهِ : (أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَحْدَبِ تَتَّبِعُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ ۙ) ، ثُمَّ نَظَرَ صلى الله عليه وسلم
إِلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَقَالَ لَهَا : (أَخْشَى أَنْ تَكُونِيهَا يَا حُمَيْرَاءُ) ، وَفِعْلًا نَبَحَتْهَا كِلَابُ
الْحَوَابِ ، وَهَمَّتْ رضي الله عنها بِالْعُودَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَتَوْا إِلَيْهَا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْبَدْوِ فَشَهِدُوا لَهَا أَنَّ
تِلْكَ الْجَهَّةَ لَيْسَتْ الْحَوَابِ ، (وَكَانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ شَهَادَةِ زُورٍ وَقَعَتْ فِي الْإِسْلَامِ) ، فَسَارَتْ
أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ مَعَ الْجَيْشِ مَكْذُوبَةً مَخْذُوعَةً ، وَكَانَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَلْتَقِيَ
الْجَيْشَانِ بِالْبَصْرَةِ جَيْشُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَجَيْشُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ فِي الْمَعْرَكَةِ الَّتِي
عُرِفَتْ بِمَعْرَكَةِ الْجَمَلِ نِسْبَةً إِلَى الْجَمَلِ الَّذِي كَانَتْ تَرْكَبُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ، وَكَانَ
مِنْ عَادَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْدَأَ بِإِقْنَاعِ خُصُومِهِ قَبْلَ أَنْ يُحَارِبَهُمْ تَفَادِيًا لِإِرَاقَةِ دِمَاءِ
الْمُسْلِمِينَ ؛ فَعَلَّ ذَلِكَ حَتَّى مَعَ الْخَوَارِجِ كَمَا يَشْهَدُ التَّارِيخُ ، فَإِذَا اسْتَنْفَدَ النَّصِيحَةَ
وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْقِتَالِ قَاتَلَ صِيَانَةَ لِحَقِّهِ وَسُلْطَانِهِ .

وَلَمَّا لَقِيَ الْجَيْشَانِ نَادَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ عَمَّتِهِ الزُّبَيْرَ ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ صُفُوفِهِمْ
يَسْمَعُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَذْكُرِيَا زُبَيْرًا أَنْكَ صَافَحْتَنِي فِي حَضْرَةِ
رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَانَقْتَنِي ، فَقَالَ لَكَ صلى الله عليه وسلم : (أَتُحِبُّهُ) ، فَقُلْتِ : كَيْفَ لَا أُحِبُّهُ وَهُوَ أُخِي
وَابْنُ خَالِي ، فَقَالَ لَكَ صلى الله عليه وسلم : (أَمَا إِنَّكَ سَتُقَاتِلُهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ) ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَسْتَعْفِرُ
اللَّهَ ، لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي مَا أُنْسَانِيهِ الدَّهْرُ ، لَوْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ مَا خَرَجْتُ ، وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُكَ

أَبَدًا ، وَأَنْسَحَبَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : يَا أَبَتِ تُعَيِّرُنَا نِسَاءَ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي مَا أَنْسَانِيهِ الدَّهْرُ : الْعَارُ وَلَا النَّارُ ، ثُمَّ مَضَى الزُّبَيْرُ مُنْسَحِبًا مِنَ الْمَعْرَكَةِ فَقَتَلَهُ غَدْرًا ابْنُ جَرْمُوزٍ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ وَأَخَذَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ وَخَاتَمَهُ وَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ بِالْخَبَرِ ، فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا الْخَبَرَ ، حَزَنَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (قَاتِلْ ابْنَ صَفِيَّةَ فِي النَّارِ) ، أَيِ قَاتِلِ الزُّبَيْرِ لِأَنَّ أُمَّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَطَلَبَ إِحْضَارَ سَيْفِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ، قَالَ : طَالَمَا جَلَا بِهِ الْكَرْبُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَأَمَّا طَلْحَةُ فَعِنْدَمَا رَجَعَ الزُّبَيْرُ ، نَادَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَاتِلًا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ ؟ ، قَالَ طَلْحَةُ : الطَّلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ ، قَالَ عَلِيٌّ : قَاتِلِ اللَّهَ أَوْلَانَا بِدَمِ عُثْمَانَ ، أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (أَيُّ فِي حَقِّ الْإِمَامِ عَلِيٍّ) : (اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ) ، وَأَنْتَ أَوْلُ مَنْ بَايَعَنِي ثُمَّ نَكَتَ ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (١) .

فَقَالَ طَلْحَةُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ أَحَدُ السَّبْيِيِّ رَجَعَ الزُّبَيْرُ وَيَرْجِعُ طَلْحَةُ ، مَا أَبَالِي رَمَيْتُ هَاهُنَا أَوْ هَاهُنَا فَرَمَاهُ فِي أَكْحَلِهِ فَقَتَلَهُ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ فَوَجَدَهُ مَقْتُولًا ، فَنَفَضَ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ وَقَالَ : أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَتَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (٢) .

وَأَمَّا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَأَحَاطَ الشُّجْعَانُ مِنَ الْعَرَبِ بِجَمَلِهَا أَثْنَاءَ الْقِتَالِ يَحْمُونَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَهَا شَيْءٌ ، وَالْإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ : احْذَرُوا أَنْ يُصِيبَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ ، وَقَطَعَتْ أَيْدٍ كَثِيرَةً عِنْدَ خِطَامِ الْجَمَلِ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ ، ثُمَّ نَادَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اعْقِرُوا الْجَمَلَ قَبْلَ أَنْ تُصَابَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ عَقِرَ تَقَرَّفُوا عَنْهُ ، فَضْرَبَهُ رَجُلٌ فَسَقَطَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّاسِ : أَنْتُمْ آمِنُونَ ، وَاجْتَمَعَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو هُوَ وَمَنْ يَلِيهِ ثُمَّ

(٢) سُورَةُ الْحَجَرِ : الْآيَةُ ٤٧ .

(١) سُورَةُ الْفَتْحِ : مِنَ الْآيَةِ ١٠ .

حَمَلُوا الْهُودَجَ فَوَضَعُوهُ وَإِنَّهُ كَالْقَنْفُودِ لِمَا فِيهِ مِنَ السَّهَامِ وَأَطَافُوا بِهِ ، وَفَرَ مَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَنهَزَمُوا أَمَرَ عَلِيٌّ مُنَادِيًا فَنَادَى : أَلَا لَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَيَّ جَرِيحٍ ، وَلَا تَدْخُلُوا الدُّورَ .. وَأَمَرَ أَخَاهَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنْ يَضْرِبَ لَهَا قُبَّةً ؛ وَكَانَ أَخُوهَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه لِأَنَّهُ كَانَ رَيْبِيًّا لَهُ ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه تَزَوَّجَ أُمَّهُ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ رضي الله عنها بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ مُتَزَوِّجَةً بِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه .

ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : انظُرْ هَلْ وَصَلَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِرَاحَةٍ ؟ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي هُودَجِهَا ، فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا الَّذِي يُدْخِلُ يَدَهُ عَلَيَّ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ .

فَقَالَ : يَا أُخْتَاهُ قُولِي نَارُ الدُّنْيَا ، فَقَالَتْ : نَارُ الدُّنْيَا .

(فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهَا ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قُتِلَ بِمِصْرَ ، وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ) ، ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا قَالَ لَهَا : يَا أُخْتَاهُ هَلْ أَصَابَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : لَا .

ثُمَّ لَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَدْخَلَهَا أَخُوهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه الْبَصْرَةَ ، فَأَنْزَلَهَا فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخُزَاعِيِّ عِنْدَ صَفِيَّةَ بِنْتِ الْحَرثِ الْعَبْدَرِيَّةِ .

وَلَمَّا دَخَلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه الْبَصْرَةَ بَايَعَهُ أَهْلُهَا حَتَّى الْجَرْحَى وَالْمُتَأَمِّنَةَ ، وَجَعَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَزِيَادًا عَلَى الْخِرَاجِ وَبَيْتِ الْمَالِ ، وَأَتَاهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُعْتَزِلِينَ فَبَايَعُوهُ وَكَانُوا عَشْرَةَ آلَافٍ وَاحْتَفَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه بَدَارَ رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ ، فَعَلِمَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَخَاهَا مُحَمَّدًا وَقَالَتْ : ائْتِنِي بِابْنِ أُخْتِكَ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَبَايَعَ

عَلِيًّا رضي الله عنه ، وَاحْتَفَى كَثِيرٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَاسْتَجَارُوا بِبَعْضِ الْعَرَبِ ثُمَّ لَحِقُوا بِالشَّامِ ، ثُمَّ جَهَّزَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رضي الله عنها إِلَى مَكَّةَ بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ مَرْكَبٍ وَزَادٍ وَمَتَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَبَعَثَ مَعَهَا كُلَّ مَنْ نَجَا مِنْ خُرْجِ مَعَهَا إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمُقَامَ ، وَاخْتَارَ لَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْبَصْرَةِ ، وَسَيَّرَ مَعَهَا أَخَاهَا مُحَمَّدًا

ابن أبي بكر رضي الله عنه ، فلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي ارْتَحَلَتْ فِيهِ أَتَاهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ رضي الله عنه فَوَقَفَ لَهَا وَحَضَرَ النَّاسُ فَوَدَّعْتَهُمْ وَوَدَّعُوهَا رضي الله عنه ، وَقَالَتْ لَهُمْ : يَا بَنِيَّ لَا يَعْتَبِ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ .

وَقَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه لَهُمْ : إِنَّهَا لَزَوْجَةٌ نَبِيِّكُمْ صلوات الله على سيدنا محمد وآله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَخَرَجَتْ رضي الله عنه يَوْمَ السَّبْتِ غُرَّةَ سَنَةٍ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَشِيعَهَا عَلِيُّ رضي الله عنه أَمْيَالًا ، وَسَرَّحَ بَنِيَهُ مَعَهَا يَوْمًا ، فَكَانَ وَجْهَهَا إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَتْ بِمَكَّةَ إِلَى الْحَجِّ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ .

ثُمَّ إِنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رضي الله عنها نَدِمَتْ عَلَى مَسِيرِهَا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ رضي الله عنه ، وَعَرَفَتْ أَنَّ الْحَقَّ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وَأَنَّ الصَّوَابَ تَأْخِيرُ الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ رضي الله عنه .

نَوِيهِ وَنَسِيهِ :

● كَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ رضي الله عنهما مِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَكَمْ اسْتَمَاتُوا فِي الْقِتَالِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله على سيدنا محمد وآله وَفِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رضي الله عنهم ، وَكَمْ فَتَحُوا مِنْ أَمْصَارٍ ، وَكَمْ لَهُمْ مِنْ دِينٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

● اسْتَشْكَلَ عَلَى الْكَثِيرِ مَا وَقَعَ مِنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه فِي مُخَالَفَتِهِ لِمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه وَمَكْرِهِ بِهِ فِي قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ ، فَقَالُوا : كَيْفَ يَتَخَرَّجُ هَذَا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ ثُبُوتِ الْاجْتِهَادِ لِكُلِّ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ مَكْرٌ وَخَدِيْعَةٌ .

وَالْجَوَابُ : كَمَا أَجَابَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَنْ ذَلِكَ دَفْعًا لِلطُّغْنِ عَلَى الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بِمَا حَاصِلُهُ : إِنَّ كُلًّا مِنْهُمْ كَانَ يَرَى أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ وَأَنَّ مُخَالَفَتَهُ مُخْطِئٌ ، فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَسْعَى وَيَجْتَهِدُ فِي إِمْضَاءِ مَا كَانَ يَرَاهُ وَتَنْفِيذِهِ بِكُلِّ مَا أَمَكَّنَهُ ، وَيَرَى أَنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَهَذَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ ذَلِكَ ، فَفَعَلَ عَمْرٍو ذَلِكَ تَوْصُلًا إِلَى تَنْفِيذِ مَا كَانَ يَرَى أَنَّهُ الصَّوَابُ .

وَقَدْ صَرَّحَ أَكْبَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نُؤَوَّلَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ بِأَحْسَنِ التَّأْوِيلَاتِ وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ ، وَالْمُصِيبُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْرَانِ وَالْمُخْطِئُ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَلَا نَسِيءُ الظَّنِّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ صِيَانَةٌ لِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي نَقَلُوهَا لَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيُقَاسُ عَلَى هَذَا كُلُّ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ ... وَبَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفْرَضِينَ يَنْقَلُونَ أَشْيَاءَ لَمْ تَثْبُتْ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ فِيهَا مُبَالَغَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي حِكَايَاتِ تِلْكَ الْوَقَائِعِ ، فَلَا يَنْبَغِي الْإِنْتِفَاتُ إِلَى تِلْكَ الْمُبَالَغَاتِ وَلَا الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا ، بَلْ مَا ثَبَتَ نَقْلُهُ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ يُحْمَلُ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ وَيُطَلَّبُ لَهُ أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِمْ .

وقال الإمام اللقاني في شرح جوهرة التوحيد عند قول صاحب الجوهرة :

وَأَوَّلُ التَّشَاوُجَرِ الَّذِي وَرَدَ ❁ إِنْ حُضَّتْ فِيهِ وَاجْتَنِبَ دَاءَ الْحَسَدِ إِنَّ الْبَحْثَ عَمَّا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُوَافَقَةِ وَالْمُخَالَفَةِ لَيْسَ مِنَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَا مِنَ الْقَوَاعِدِ الْكَلَامِيَّةِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الدِّينِ ، بَلْ رُبَّمَا أَضُرَّ بِالْيَقِينِ ، لَا يُبَاحُ الْخَوْضُ فِيهِ إِلَّا لِلتَّلْعِيمِ أَوْ الرَّدِّ عَلَى الْمُتَعَصِّبِينَ أَوْ فِي تَدْرِيسِ كُتُبٍ تَشْتَمِلُ عَلَى تِلْكَ الْآثَارِ ، وَأَمَّا الْعَوَامُّ فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ الْخَوْضُ فِيهِ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالتَّأْوِيلِ (١) .

● وَيَقُولُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ الْجَوِينِي : إِنَّ مُعَاوِيَةَ وَإِنْ قَاتَلَ عَلِيًّا ؛ فَإِنَّهُ لَا يُنْكَرُ إِمَامَتَهُ (أَي : لَا يُنْكَرُ مُعَاوِيَةَ إِمَامَةً عَلِيٍّ وَلَا يَدَّعِيهَا لِنَفْسِهِ) ، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ قِتْلَةَ عَثْمَانَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ مُصِيبٌ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ مُخْطِئًا (٢) .

شَرَفَ الْمُقَاتِلِ سَجِيَّةً لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ :

بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَ لَهُ النَّصْرُ فِي مَوْقِعَةِ الْجَمَلِ ، وَقَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ مَوْقِعَةَ صِفِّينَ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَرْجُو أَنْ يَفِيءَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْحَقِّ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الشَّوَاهِدِ الَّتِي كَانَتْ تُثَبِّتُ بِإِصْرَارِهِ عَلَى مَوْقِفِهِ ، وَإِعْدَادِهِ الْعَرِيضَ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ؛ يَوْمَئِذٍ عَلِمَ الْإِمَامُ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنْ كِبَارِ أَنْصَارِهِ يَجْهَرَانِ بِشْتَمِ مُعَاوِيَةَ وَلَعْنِ أَهْلِ الشَّامِ ، هُمَا : حُجْرُ بْنُ

(٢) لَمَحُ الْأَدِلَّةِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : الْجَوِينِي .

(١) إِنْحِافُ الْمُرِيدِ شَرْحُ تَحْفَةِ التَّوْحِيدِ : اللَّقَانِي .

عَدِيّ ، وَعُمَرُ بْنُ الْحَمَقِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا أَمْرًا أَنْ يُكْفَا عَنْ هَذَا الشَّتْمِ وَهَذَا اللَّعْنِ
فَقَدِمَا عَلَيْهِ وَسْأَلَاهُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟
أَجَابَهُمَا الْإِمَامُ : بَلَى وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، قَالَا : فَلِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ شَتْمِهِمْ وَلَعْنِهِمْ ؟
قَالَ الْإِمَامُ : كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونَا شَتَّامِينَ لِعَانِينَ ؛ وَلَكِنْ قُولَا : (اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا
وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ
جَهْلِهِ ، وَيَرْعَوْيَ عَنِ الْغِيِّ مَنْ لَجَّ بِهِ) (١) .

وَوَصِيَّتُهُ وَوَفَاتُهُ ﷺ :

لَمَّا خَرَجَ الْإِمَامُ عَلَيَّ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ بِالْكُوفَةِ لَقِيَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ وَكَانَ مُتْرَصِّدًا لَهُ ،
فَضْرِبَهُ عَلَى قَرْنِهِ بِالسَّيْفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَمَضَانَ
(١٧ رَمَضَانَ) سَنَةَ ٤٠ هـ ، فَبَقِيَ ﷺ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتِ ، وَقُبِضَ الْأَحَدَ ، وَغَسَلَهُ
ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمَعَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ
الْإِمَامُ الْحَسَنُ ، وَدُفِنَ فِي السَّحَرِ .

ولا عَجَبًا لِلأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا ❀ كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرَبَةٌ وَحَشِيٌّ سَفَتْ حَمْزَةَ الرَّدَى ❀ وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

● قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ ﷺ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ :

أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمَا ، وَلَا تَبْكِيَا عَلَى شَيْءٍ زُوِيَ عَنْكُمَا ،
وَقُولَا الْحَقَّ وَارْحَمَا الْيَتِيمَ ، وَأَعِينَا الضَّائِعَ وَاصْنَعَا لِلْآخِرَةِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصِيمًا ،
وَلِلْمَظْلُومِ نَاصِرًا ، وَاعْمَلَا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا تَأْخُذْكُمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ،
ثُمَّ نَظَرَ ﷺ إِلَى أُخِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَقَالَ : هَلْ حَفِظْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ
أَخَوَيْكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِمِثْلِهِ ، وَأَوْصِيكَ بِتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ لِعَظِيمِ
حَقِّهِمَا عَلَيْكَ ، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : أَوْصِيكُمَا بِهِ فَإِنَّهُ ابْنُ أَبِيكُمْ
وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُحِبُّهُ ، وَقَالَ لِلْحَسَنِ : أَوْصِيكَ أَيُّ بَنِيَّ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِقَامِ
الصَّلَاةِ لَوْفَتِهَا ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ عِنْدَ مَجْلِعِهَا ، وَحُسْنِ الوُضُوءِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ إِلَّا بِطَهُورٍ

وأوصيك بِغُفْرِ الذَّنْبِ ، وَكَظْمِ الغَيْظِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَالْحِلْمِ عَنِ الجَاهِلِ ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَالتَّثْبُتِ فِي الأَمْرِ ، وَالتَّعَاهُدِ لِلْقُرْآنِ ، وَحُسْنِ الجَوَارِ ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وَاجْتِنَابِ الفَوَاحِشِ ، ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِكُتُبِ وَصِيَّتِهِ وَلَمْ يَنْطِقْ إِلاَّ بِإِلَهِ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ حَتَّى قُبِضَ ﷺ .

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ عَلِيٍّ ﷺ بَايَعُوا ابْنَهُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ ﷺ .



● العيون الأربعة محبتهم نور العيون الأربعة :

مِنْ مُوَافَقَاتِ الحَقِّ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ فِي خُلَفَاءِ رَسُولِ اللهِ الأَرْبَعَةِ أَنْ تَبْدَأَ أَسْمَاؤُهُمْ بِحَرْفِ العَيْنِ ؛ وَكَأَنَّهَا إِشَارَةٌ وَبِشَارَةٌ بِأَنَّ مَحَبَّتَهُمْ تَفْتَحُ العُيُونَ الأَرْبَعَةَ ؛ لِتَقُومَ بِوُضَائِفِهَا ؛ فَيَنْعَمَ الإِنْسَانُ بِلَطَائِفِهَا ، وَهِيَ :

عَيْنُ البَصْرِ ، وَعَيْنُ البَصِيرَةِ ، وَعَيْنُ الطَّرِيقَةِ ، وَعَيْنُ الحَقِيقَةِ .
فَعَيْنُ البَصْرِ : كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ .

وَعَيْنُ البَصِيرَةِ : كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصُرُ وَلَكِن تَعْمَى الأَلْقُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وَعَيْنُ الطَّرِيقَةِ : كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَالْوَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ .

وَعَيْنُ الحَقِيقَةِ : كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَتُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ .



سَيِّدُنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

نَسَبُهُ الشَّرِيفُ وَفَضْلُهُ الْمُنِيفُ :

خَامِسُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَسَبْتُ^(١) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْإِمَامُ الْحَسَنُ ، وَأَبُوهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأُمُّهُ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِمَا .
وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُذُنِهِ .

وَبَلَغَ مِنْ مَزِيدِ حُبِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِشْفَاقِهِ عَلَيَّ سَبْطِيهِ (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ) أَنَّهُ كَانَ يُعَوِّدُهُمَا خَوْفًا عَلَيْهِمَا مِنَ الْحَسَدِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ مَرَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَهُمَا صَبِيَّانِ ، فَقَالَ : (هَاتِ ابْنِيَّ أُعَوِّدُهُمَا بِمَا عَوَّذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أُعِيدُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لِأُمَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ) ،
وَلَيْسَ فِي سِجْلِ الْمَوَدَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَجْمَلُ مِنْ هَذَا الْحَنَانِ .

نَشَأَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَيْتِ الْوَحْيِ وَتَرَبَّى فِي مَدْرَسَةِ التَّوْحِيدِ الْحَقِّ ، وَشَاهَدَ جَدَّهُ الرَّسُولَ الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ إِنْسَانٍ ضَمَّهُ هَذَا الْوَجُودُ ؛ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ ؛ فَتَأَثَّرَ السَّبْتُ بِذَلِكَ وَأَنْطَلَقَ يَسْلُكُ خُطَى جَدِّهِ فِي نُصْحِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ ؛ فَقَدِ اجْتَازَ مَعَ أَخِيهِ مَوْلَانَا الْحُسَيْنِ وَهُمَا فِي دَوْرِ الطُّفُولَةِ عَلَى شَيْخٍ لَا يُحْسِنُ الْوُضُوءَ ، فَلَمْ يَدْعُهُمَا السُّمُوءُ فِي النَّفْسِ وَحُبِّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ أَنْ يَتْرُكََا الشَّيْخَ عَلَى حَالِهِ لَا يُحْسِنُ وَضُوءَهُ فَأَحْدَثَا نِزَاعًا صُورِيًّا أَمَامَهُ ، وَجَعَلَ كُلُّ مِنْهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ : أَنْتَ لَا تُحْسِنُ الْوُضُوءَ ، وَالتَّفْتَا إِلَى الشَّيْخِ بِأَسْلُوبٍ هَادِيٍّ وَجَعَلَاهُ حَكَمًا بَيْنَهُمَا قَائِلِينَ لَهُ : (يَا شَيْخُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَتَوَضَّأُ أَمَامَكَ وَأَنْظُرْ أَيُّ الْوُضُوءَيْنِ أَحْسَنُ ؟) ، فَتَوَضَّأَ أَمَامَهُ ، وَجَعَلَ الشَّيْخُ يُعْمِنُ فِي ذَلِكَ فَتَتَبَّهُ إِلَى قُصُورِهِ وَالتَّفْتَا إِلَى تَقْصِيرِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يَأْنَفَ ، وَقَالَ لَهُمَا : (كَلَاكُمَا يَا سَيِّدِي تَحْسِنَانِ الْوُضُوءَ ، وَلَكِنْ

(١) السَّبْتُ فِي اللَّغَةِ : وَلدُ الْوَلَدِ ، وَالْأَسْبَابُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تَقَابُلُ الْقِبَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ .

هَذَا الشَّيْخُ الْجَاهِلُ هُوَ الَّذِي لَا يُحْسِنُ ، وَقَدْ تَعَلَّمَ الْآنَ مِنْكُمْ وَتَابَ عَلَيَّ يَدَيْكُمْ) .
 وَتَدُلُّ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ عَلَى اتِّجَاهِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْهِدَايَةِ بِالطَّرِيقِ السَّلِيمَةِ وَالْأَخْلَاقِ
 الرَّفِيعَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَقَدْ انْطَبَعَتْ فِي ذَهْنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ ﷺ وَهُوَ فِي دَوْرِ الصَّبَا
 حَتَّى صَارَتْ مِنْ خَصَائِصِهِ وَمِنْ طِبَائِعِهِ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِمَامُ قَدْ تَأَثَّرَ بِالْبَيْئَةِ
 الصَّالِحَةِ الَّتِي تَكُونَتْ مِنْ أَسْرَتِهِ وَمِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَصَلْحَائِهِمْ .

وَكَانَ ﷺ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ، وَالسَّبِطَ ، وَالسَّيِّدَ .

إِنَّهُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَحَدُ الْاِثْنَيْنِ اللَّذَيْنِ انْحَصَرَتْ ذُرِّيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 فِيهِمَا ، وَأَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ بَاهَلَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ نَصَارَى نَجْرَانَ ، وَأَحَدُ الْخَمْسَةِ
 (أَصْحَابِ الْكِسَاءِ) ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الرَّجْسِ فِي الْكِتَابِ ، وَأَحَدُ الَّذِينَ
 جَعَلَ اللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ أَجْرًا لِلرِّسَالَةِ ، وَجَعَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَدَ الثَّقَلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا
 يَضِلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا ، وَهُوَ رِيحَانَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَبِيبُهُ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَدْعُو
 اللَّهَ أَنْ يُحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ .

وَكَانَتْ مَلَامِحُهُ ﷺ تُحَاكِي جَدَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَوَصَفَهُ وَاصِفُوهُ ، فَقَالُوا :

(لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ خَلْقًا وَخُلُقًا وَهَيَاةً
 وَهَدْيًا وَسُؤْدَادًا) .

وَعَنِ الْغَزَالِيِّ فِي الْإِحْيَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ لِلْحَسَنِ : (أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي) ،
 وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : (لَمْ يَكُنْ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ) .
 وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ بَعْدَ وِفَاةِ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ بِلِيَالٍ ، وَعَلِيٌّ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ ، فَمَرَّ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَلْعَبُ مَعَ غِلْمَانٍ ،
 فَاحْتَمَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : (بَابِي شَبِيهُهُ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ) ، قَالَ :
 وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ (١) .

أَمَّا عَنْ شَرَفِ النَّسَبِ فَيَكْفِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ أَنَّ جَدَّهُمَا مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ سَيِّدُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

وَلِدِ آدَمَ ، وَأَبُوهُمَا عَلِيُّ الْكَرَّارُ ، وَأُمُّهُمَا فَاطِمَةُ الْبِضْعَةُ الزَّهْرَاءُ سَيِّدَةُ النِّسَاءِ ،
 وَجَدَّتُهُمَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَعَمَّهُمَا جَعْفَرُ الطَّيَّارُ ، وَعَمُّ أَبِيهِمَا
 حَمَزَةُ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ ، وَجَدَّهُمَا أَبُو طَالِبٍ نَاصِرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُدَافِعُ
 عَنْهُ وَالْمُتَحَمِّلُ الْأَذَى فِي سَبِيلِهِ ، وَجَدُّ أَبِيهِمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ وَسَيِّدُ
 الْبَطْحَاءِ ، وَجَدُّ جَدِّهِمَا هَاشِمٌ مُطْعِمُ الْحَجِيجِ وَهَاشِمُ الثَّرِيدِ وَسَيِّدُ قُرَيْشٍ :

شَرَفُ تَوَرَّثَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ * كَالرَّمْحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ
 خَيْرِ الْفُرُوعِ فُرُوعُهُمْ * وَأُصُولُهُمْ خَيْرُ الْأُصُولِ

وَالآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِهِ وَفَضْلِ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ وَفَضْلِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ كَثِيرَةٌ سَنَذْكُرُ بَعْضَهَا لَاحِقًا ، وَيَكْفِي قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
 تَطْهِيرًا ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٢) .

وكان الحسن رضي الله عنه سيِّداً ، كريماً ، حليماً ، زاهداً ، ذا سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَحِشْمَةٍ ،
 جواداً ، ممدوحاً .

ولما فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه العطاء أدخل الحسن في أهل
 بدر لِمَكَانِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : وَلَمْ يَحْضُرْ غَزَاوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِصِغَرِ سِنِّهِ ،
 فَقَدْ تُوْفِيَ ﷺ وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعَ سِنِينَ .

وَلَقَدْ كَانَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ ﷺ كَجَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَعَةِ حِلْمِهِ وَعَظِيمِ أَخْلَاقِهِ
 وَصَفْحِهِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ قَابَلَ جَمِيعَ مَا لَقَاهُ مِنْ سُوءٍ أَوْ أَذَى أَوْ مَكْرُوهٍ مِنْ
 الْعَاقِدِينَ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ حَتَّى اعْتَرَفَ أَلَدُ حُصُومِهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ
 بِسُمُوِّ حِلْمِهِ وَعَظِيمِ خُلُقِهِ : وَذَلِكَ حِينَمَا انْتَقَلَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ،

(٢) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الْآيَةِ ٢٣ .

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٣ .

فَبَادَرَ مَرَوَانَ إِلَى حَمَلِ جُثْمَانِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ : (تَحْمِلُ سَرِيرَهُ وَقَدْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ تُجَرِّعُهُ الْغَيْظَ) ، فَقَالَ : (إِنِّي كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَنْ يُوزِنُ حِلْمُهُ الْجِبَالَ) .
 الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قِمَّةُ الْإِنْسَانِ السَّخِيِّ :

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (خُلِقَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَهُمَا حُسْنُ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ) ،
 وَقَالَ ﷺ : (السَّخَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ) .

وَالسَّخَاءُ يَنْبَغُ عَنْ طَيْبِ الْقَلْبِ ، وَيُكْشَفُ عَنِ الْفَضَائِلِ النَّفْسِيَّةِ ، وَيَحْكِي عَنْ رَحْمَةِ الْإِنْسَانِ وَرَأْفَتِهِ ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ فِيمَا إِذَا كَانَ بَدْلُهُ بَدَاعِي الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ لَا بَدَاعِي السُّمْعَةِ وَالْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاعِي الَّتِي لَا تَمْتُّ إِلَى الْإِحْسَانِ بِصِلَةٍ ، وَقَدْ حَدَّثَ التَّارِيخُ عَنْ أَنَسٍ كَانُوا يَهْبُونَ الْأُفُوفَ لِلْوَافِدِينَ ، وَيَبْذُلُونَ الْقَرَى لِلأَضْيَافِ ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا انْكَشَفَ أَنَّهُ تَصْنَعُ لَا اتِّصَالَ لَهُ بِحَقِيقَةِ الْكَرَمِ وَالْمَعْرُوفِ : إِنْ السَّخَاءُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ بَدْلُ الْخَيْرِ بَدَاعِي الْخَيْرِ ، وَبَدْلُ الْإِحْسَانِ بَدَاعِي الْإِحْسَانِ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الصِّفَةُ الرَّفِيعَةُ بِأَجْلَى مَظَاهِرِهَا وَأَسْمَى مَعَانِيهَا فِي الْإِمَامِ الْحَسَنِ ﷺ حَتَّى لُقِبَ بِكَرِيمِ أَهْلِ الْبَيْتِ .

نَعَمْ .. كَانَ الْحَسَنُ ﷺ لَا يَعْرِفُ لِلْمَالِ قِيَمَةً وَلَا يَرَى لَهُ أَهْمِيَّةً سِوَى مَا يَرُدُّ بِهِ جُوعَ جَائِعٍ ، أَوْ يَكْسُو بِهِ عَارِيًّا ، أَوْ يُغِيثُ بِهِ مَلْهُوفًا ، أَوْ يَفِي بِهِ دَيْنَ غَارِمٍ ، وَمَنْ كَانَ نَدِيَّ الْكَفِّ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ بِالْعَطَاءِ مُتَمَسِّكًا بِأَهْدَافِ السَّخَاءِ بَعِيدًا عَنِ الْبُخْلِ وَضُرُوبِهِ ، فَأَعْظَمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ عَمِيمٍ : قَدْ كَانَ السَّخَاءُ عُنْصُرًا مِنْ عُنَاصِرِ ذَاتِ الْحَسَنِ وَمُقَوْمًا مِنْ مُقَوْمَاتِ مَزَاجِهِ ، وَقَدْ أَثَرَ عَنْهُ أَنَّهُ مَا قَالَ لِسَائِلٍ لَا قَطُّ ، وَقِيلَ لَهُ :
 لَأَيِّ شَيْءٍ لَا نَرَاكَ تَرُدُّ سَائِلًا ؟

فَأَجَابَ : (إِنِّي لِلَّهِ سَائِلٌ ، وَفِيهِ رَاغِبٌ ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي أَنْ أَكُونَ سَائِلًا وَأَرُدُّ سَائِلًا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَوَدَنِي عَادَةً أَنْ يُفِيضَ نِعْمَهُ عَلَيَّ ، وَعَوَدْتُهُ أَنْ أُفِيضَ نِعْمَهُ عَلَى النَّاسِ ، فَأَخْشَى إِنْ قَطَعْتَ الْعَادَةَ أَنْ يَمْنَعَنِي الْعَادَةُ ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ :

إِذَا مَا أَتَانِي سَائِلٌ قُلْتُ مَرْحَبًا ❁ بِمَنْ فَضَلَهُ فَرَضْتُ عَلَيَّ مُعْجَلٌ
 وَمَنْ فَضَلَهُ فَضَلْتُ عَلَى كُلِّ فَاضِلٍ ❁ وَأَفْضَلُ أَيَّامِ الْغَنِيِّ حِينَ يُسْأَلُ

وَيَقُولُ ﷺ فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ :

إِنَّ السَّخَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَرِيضَةٌ ❁ لِلَّهِ يُقْرَأُ فِي كِتَابِ مُحْكَمٍ
وَعَدَ الْعِبَادَ الْأَسْخِيَاءَ جِنَانَهُ ❁ وَأَعَدَّ لِلْبُخْلَاءِ نَارَ جَهَنَّمَ
مَنْ كَانَ لَا تَنْدَى يَدَاهُ بِنَائِلٍ ❁ لِلرَّاعِبِينَ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْلِمٍ

خِلَافَتُهُ ﷺ :

وَلِيَ الْخِلَافَةَ ﷺ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ ﷺ ، وَبَايَعَهُ بِالْكُوفَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا كَانُوا
قَدْ بَايَعُوا أَبَاهُ عَلَى الْمَوْتِ ؛ فَأَقَامَ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا خَلِيفَةً حَقٌّ وَإِمَامًا عَدْلٌ
وَصِدْقٌ تَحْقِيقًا لِمَا أَخْبَرَ بِهِ جَدُّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ بِقَوْلِهِ :
(الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً) ^(١) ؛ فَإِنَّ تِلْكَ السِّتَّةَ الْأَشْهُرَ هِيَ الْمُكَمَّلَةُ لِتِلْكَ الثَّلَاثِينَ ،
فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهَا وَقَامَ عَلَيْهَا الْإِجْمَاعُ .

❁ أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الْمُبَرِّدِ ، قَالَ : قِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، إِنَّ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ :
(الْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغَنَى ، وَالسَّقَمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ) ، فَقَالَ :
(رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، أَمَا أَنَا فَأَقُولُ : مَنْ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُ لَمْ يَتَمَنَّ
أَنَّهُ فِي غَيْرِ الْحَالَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ لَهُ وَهَذَا حَدُّ الْوُقُوفِ عَلَى الرِّضَا بِمَا تَصَرَّفَ
بِهِ الْقَضَاءُ) ^(٢) .

الْوَقَايَةُ مِنَ الْهَائِيَةِ بِإِيضَاحِ مَا كَانَ بَيْنَ الْحَسَنِ وَمُعَاوِيَةَ ﷺ :
نَزَلَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عَنِ الْخِلَافَةِ وَسَلَّمَهَا لِمُعَاوِيَةَ وَبَايَعَهُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ
مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِمُعْجَزَةٍ مِنْ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ مَا
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ
إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً ، وَيَقُولُ : (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهُ
أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَوَارِدِ الظُّمَّانِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي . وَالزَّيْدِيُّ فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَالطَّحَاوِيُّ فِي مُشْكَلِ الْأَثَارِ .

(٢) تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ : السُّبُوْطِيُّ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَالسُّبُوْطِيُّ فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ ، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي
الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي ، وَالتَّبْرِيزِيُّ فِي مِشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ .

وفى رواية : (بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (١) .

وقد ذكر العلامة ابن حجر في الصواعق ههنا كلاماً طويلاً ، فلنذكره بتمامه
تتميماً للفائدة :

قال رحمه الله تعالى : (فانظر إلى ترجيه ﷺ للإصلاح به وهو ﷺ لا يرجو إلا
الأمر الحق الموافق للواقع ؛ فترجيه للإصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله
لمعاوية عن الخلافة ، وإلا لو كان الحسن باقياً على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع
بنزوله إصلاح ، ولم يُحمد الحسن على ذلك ولم يترجَّ ﷺ مجرد النزول من غير
أن يترتب عليه فائدته الشرعية ؛ وهو استقلال المنزول له بالأمر ، وصحة خلافته
ونفاذ تصرفه ، ووجوب طاعته على الكافة ، وقيامه بأمر المسلمين ؛ فكان ترجيه
ﷺ لوقوع الإصلاح بين تينك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن فيه دلالة
أي دلالة على صحة ما فعله الحسن ، وعلى أنه مختار فيه وعلى أن تلك الفوائد
الشرعية وهي صحة خلافة معاوية وقيامه بأمر المسلمين وتصرفه فيها بسائر
ما تقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح ، فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من
حينئذ وأنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق .

كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي رضي الله عنه
عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية : (اللهم اجعله هادياً مهدياً) (٢) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : (اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب) (٣) .

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير ،
قال : قال معاوية : ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ : (يا معاوية

(١) المرجع السابق .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، وأحمد في المسند ، والطبراني في المعجم الكبير ، والطحاوي في مشكل الآثار ، والبخاري في التاريخ
الكبير ، وأبو نعيم في الحلية .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، والطبراني في المعجم الكبير ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، والسيوطي في جمع الجوامع ، والهندي
في كنز العمال والبخاري في صحيحه ، والترمذي في سننه .

إِذَا مَلَكَتْ فَأَحْسِنُ) (١).

فَتَأْمَلُ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ بِأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ هَادِيًا مَهْدِيًا ،
وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ كَمَا عَلِمْتَ فَهُوَ مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى فَضْلِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ لَا
ذَمَّ يَلْحَقُهُ بِتِلْكَ الْحُرُوبِ لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى اجْتِهَادٍ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا
أَجْرٌ وَاحِدٌ ، لِأَنَّ الْمُجْتَهِدَ إِذَا أَخْطَأَ لِامْلَامِ عَلَيْهِ وَلَا ذَمَّ يَلْحَقُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ
مَعْدُورٌ وَلِذَا كُتِبَ لَهُ أَجْرٌ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ الدُّعَاءُ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي بِأَنَّهُ يُعَلِّمُ ذَلِكَ وَيُوقِي الْعَذَابَ ،
وَلَا شَكَّ أَنَّ دُعَاءَهُ ﷺ مُسْتَجَابٌ ؛ فَعَلِمْنَا مِنْهُ أَنَّهُ لَا عِقَابَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فِيمَا فَعَلَ مِنْ
تِلْكَ الْحُرُوبِ ، وَقَدْ سَمِيَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَنَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَسَاوَاهُمْ بِفِتْنَةِ الْحَسَنِ فِي وَصْفِ
الْإِسْلَامِ ، فَدَلَّ عَلَى بَقَاءِ حُرْمَةِ الْإِسْلَامِ لِلْفَرِيقَيْنِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا بِتِلْكَ الْحُرُوبِ
عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنَّهُمْ فِيهِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ ، فَلَا فَسْقَ ، وَلَا نَقْصَ يَلْحَقُ أَحَدَهُمَا لِمَا
فَرَرْنَا مِنْ أَنْ كُلًّا مِنْهُمَا مُتَأَوَّلٌ تَأْوِيلًا غَيْرَ قَطْعِيٍّ الْبُطْلَانِ ، وَفِتْنَةُ مُعَاوِيَةَ وَإِنْ كَانَتْ
هِيَ الْبَاغِيَّةُ لَكِنَّهُ بَغِيٌّ لَا فَسْقَ بِهِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ تَأْوِيلٍ يُعْذَرُ بِهِ أَصْحَابُهُ .

وَتَأْمَلُ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ مُعَاوِيَةَ بِأَنَّهُ يَمْلِكُ ، وَأَمْرُهُ بِالْإِحْسَانِ ؛ تَجِدُ فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةً
إِلَى صِحَّةِ خِلَافَتِهِ ، وَأَنَّهَا حَقٌّ بَعْدَ نَزُولِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ لَهُ عَنْهَا ، فَإِنَّ أَمْرَهُ بِالْإِحْسَانِ
الْمُرْتَبِّ عَلَى الْمَلِكِ يَدُلُّ عَلَى حَقِّيَّةِ مُلْكِهِ وَخِلَافَتِهِ ، وَصِحَّةِ تَصَرُّفِهِ وَنُفُوذِ أَعْمَالِهِ
مِنْ حَيْثُ صِحَّةِ الْخِلَافَةِ لَا مِنْ حَيْثُ التَّغْلِبِ ، لِأَنَّ الْمَتَغَلَّبَ فَاسِقٌ مُعَاقَبٌ لَا يَسْتَحِقُّ
أَنْ يُبَشَّرَ وَلَا أَنْ يُؤَمَّرَ بِالْإِحْسَانِ فِيمَا تَغَلَّبَ عَلَيْهِ بَلْ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ الزَّجْرَ وَالْمَقْتِ
وَالْإِعْلَامَ بِقَبِيحِ أَعْمَالِهِ ، وَفَسَادِ أَحْوَالِهِ ، فَلَوْ كَانَ مُعَاوِيَةُ مُتَغَلَّبًا لِأَشَارَ لَهُ ﷺ إِلَى
ذَلِكَ أَوْ صَرَّحَ لَهُ بِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يُبَشَّرْ لَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُصْرَّحَ إِلَّا بِمَا يَدُلُّ عَلَى حَقِّيَّةِ
مَا هُوَ عَلَيْهِ ؛ عَلِمْنَا أَنَّهُ بَعْدَ نَزُولِ الْحَسَنِ لَهُ خَلِيفَةٌ حَقٌّ وَإِمَامٌ صِدْقٌ .

وَلَقَدْ اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ سَيِّدَنَا عُمَرُ وَسَيِّدَنَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَكَفَاهُ ذَلِكَ شَرَفًا ، وَذَلِكَ أَنَّ
سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَ الْجِيُوشَ إِلَى الشَّامِ سَارَ مُعَاوِيَةَ مَعَ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالِ الْنُبُوَّةِ ، وَابْنُ حَجْرٍ فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ ، وَالْهَيْدِي فِي كَنْزِ الْعَمَالِ .

سُفْيَان ، فَلَمَّا مَاتَ أَخُوهُ يَزِيدُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى دِمَشْقَ ، فَأَقْرَهُ عُمَرُ ثَمَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه ،
 وَجَمَعَ لَهُ الشَّامَ كُلَّهَا ، فَأَقَامَ أَمِيرًا عِشْرِينَ سَنَةً وَخَلِيفَةً عِشْرِينَ سَنَةً .
 قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ : لَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَا مَلَكَ مُعَاوِيَةَ .

قَالَ الذَّهَبِيُّ : تُوَفِّيَ كَعْبٌ قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ مُعَاوِيَةَ ، وَصَدَّقَ كَعْبٌ فِيمَا قَالَهُ ؛ فَإِنَّ
 مُعَاوِيَةَ بَقِيَ خَلِيفَةً عِشْرِينَ سَنَةً لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ الْأَمْرَ فِي الْأَرْضِ بِخِلَافٍ غَيْرِهِ مِمَّنْ
 بَعْدَهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ مُخَالِفٌ ، وَخَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ بَعْضُ الْمَمَالِكِ .

وَفِي إِخْبَارِ كَعْبٍ بِذَلِكَ قَبْلَ اسْتِخْلَافِ مُعَاوِيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ خِلَافَتَهُ مَنْصُوصٌ عَلَيْهَا
 فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ ، فَإِنَّ كَعْبًا كَانَ حَبْرًا ، فَلَهُ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهَا
 وَالْإِحَاطَةِ بِأَحْكَامِهَا مَا فَاقَ سَائِرَ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي هَذَا مِنَ التَّقْوِيَةِ لِمُعَاوِيَةَ
 وَحَقِيَّةِ خِلَافَتِهِ بَعْدَ نَزُولِ الْحَسَنِ لَهُ مَا لَا يَخْفَى ، وَكَانَ نَزُولُهُ لَهُ عَنْهَا وَاسْتِقْرَارُهُ
 فِيهَا مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ أَوْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ؛ فَسُمِّيَ هَذَا الْعَامُ
 عَامَ الْجَمَاعَةِ لِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِيهِ عَلَى خَلِيفَةٍ وَاحِدٍ .

وَالْحَاصِلُ : إِنَّ نَزُولَ الْحَسَنِ عَنِ الْخِلَافَةِ كَانَ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْاجْتِهَادُ
 مُظْهِرًا لِمُعْجَزَةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي قَوْلِهِ : (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ
 فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ^(١) ، وَقَوْلُهُ صلوات الله عليه : (الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً) ^(٢) ؛
 فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَطَأً يَلْزُمُهُ أَنْ يُخْطِئَ الْحَسَنَ وَجَمِيعَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ
 كَانُوا فِي زَمَانِهِ ، بَلْ يَلْزُمُهُ تَخْطِئَةُ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ وَافَقُوهُ وَبَايَعُوا مُعَاوِيَةَ ،
 وَتَخْطِئَتُهُمْ أَجْمَعِينَ لَا تَجُوزُ ؛ إِذْ لَا تَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ عَلَى ضَلَالَةٍ .



(٢) سَبَقُ تَخْرِيجُهُ .

(١) سَبَقُ تَخْرِيجُهُ .

النَّصِيحَةُ الْقِيَمَةُ

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ

والعَجَبُ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّا حَصَلَ لَهُمْ ، ثُمَّ هُوَ يَتَشَيَّعُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَيُبْغِضُ الْآخَرَ ! وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ؛ فَأُولَئِكَ قَوْمٌ اخْتَلَفُوا فِي الرَّأْيِ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْهَوَى ، بَلْ أَرَادُوا اللَّهَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ تَلَقَّوْا عَنْهُ الدِّينَ مُبَاشَرَةً ، وَنَقَلُوهُ إِلَيْنَا ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَوْثِيْقِهِمْ وَعَدَّتِهِمْ ، فَالْخَوْضُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَضْلِيلِ بَعْضِهِمْ مِمَّا لَا يَرْضَى بِهِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَالْأَوْلَى لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّ مَا حَصَلَ فِي زَمَنِهِمْ مِنَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ أَمْرَانِ لَا يَنْبَغِي عَمَلُهُمَا فَيَتَجَنَّبُوهُمَا ، وَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ دَرْسًا فِي أَحْوَالِهِمْ وَسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ بَدَلِ أَنْ يَشْغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ مِنْ تَفْضِيلِ أَحَدٍ الْأَخْوَيْنِ عَلَى الْآخَرِ وَتَضْلِيلِ الثَّانِي مِنْهُمَا .

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ يَا قَوْمٌ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيْفَهُ بِشَهَادَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، وَإِيَّاكُمْ وَدَجَّالِينَ وَكَذَّابِينَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ قَضَتْ عَلَيْهِمْ ظُرُوفُ زَمَنِهِمْ أَنْ يَقْلُبُوا الْحَقَائِقَ وَيَكْذِبُوا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ فَيَنْسِبُوا الْقَبَائِحَ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِتَخْسِينِ حَالِكُمْ وَطَاعَةِ رَبِّكُمْ ، وَهَذَا أَنَا قَدْ نَقَلْتُ لَكُمْ هَذَا التَّارِيخَ الصَّغِيرَ مِنْ أَوْثُقِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَعْتَقِدُونَ بِصِحَّتِهَا ، فَلَيْسَ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كِتَابِ أَوْثُقِ مِنْ صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمِ الَّذِينَ نَقَلْنَا عَنْهُمَا كَثِيرًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمَسَائِلِ وَبَعْضًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدْخُلُ تَحْتَهَا مُعْظَمُ الْأُمُورِ الَّتِي مُنِيَتْ الْأُمَّةُ بِهَا (١)

فَائِدَةٌ بِكُلِّ خَيْرٍ عَائِدَةٌ :

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْمُنْذِرِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :

أَضَاقَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفٍ ، فَحَبَسَهَا عَنْهُ مُعَاوِيَةُ

(١) إِيْمَامُ الْوَفَاءِ فِي سِيْرَةِ الْخُلَفَاءِ : مُحَمَّدُ الْخَضْرِيُّ .

فِي إِحْدَى السَّنِينَ ، فَأَضَاقَ إِضَاقَةً شَدِيدَةً ، قَالَ : فَدَعَوْتُ بِدَوَاةٍ لِأَكْتُبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِأَذْكُرَهُ نَفْسِي ، ثُمَّ أَمْسَكْتُ ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ : (كَيْفَ أَنْتَ يَا حَسَنَ ۖ) ، فَقُلْتُ : بِخَيْرٍ يَا أَبَتِ ، وَشَكَوْتُ إِلَيْهِ تَأْخُرَ الْمَالِ عَنِّي ، فَقَالَ : (أَدَعَوْتَ بِدَوَاةٍ لِتَكْتُبَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلَكَ تُذَكِّرُهُ ذَلِكَ) ، فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ ۖ ، فَقَالَ ﷺ : (قُلْ : اللَّهُمَّ اقْذِفْ فِي قَلْبِي رَجَاءَكَ ، واقطع رجائي عمن سواك ، حتى لا أرجو أحداً غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتي ، وقصر عنه عملي ، ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا رب العالمين) ، قَالَ ﷺ :

فَوَاللَّهِ مَا أَلْحَحْتُ بِهِ أُسْبُوعاً حَتَّى بَعَثَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ بِالْأَلْفِ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ ، وَلَا يَخِيبُ مَنْ دَعَاهُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ : (يَا حَسَنُ كَيْفَ أَنْتَ ۖ) ، فَقُلْتُ : بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِي ، فَقَالَ ﷺ : (يَا بُنَيَّ هَكَذَا مَنْ رَجَا الْخَالِقَ وَلَمْ يَرْجُ الْمَخْلُوقِينَ) (١) .

قَوْلُ الْإِنصَافِ الْحَسَنِ .. فِي زَوْجَاتِ الْحَسَنِ :

عُرِفَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ ﷺ بِحُسْنِ عِشْرَتِهِ لِأَزْوَاجِهِ : فَكَانَ يُمَسِّكُهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَيُسَرِّحُهُنَّ بِإِحْسَانٍ ، وَكَانَ النَّاسُ يَرْغَبُونَ فِي مُصَاهَرَتِهِ .

رَوَى أَبُو الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي بِسَنَدِهِ عَنْ عَوْفِ بْنِ خَارِجَةَ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فِي خِلَافَتِهِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيَّ عُمَرَ فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَنْ أَنْتَ ۖ قَالَ : أَنَا أَمْرُؤُ نَصْرَانِيٌّ ، أَنَا أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ عَدِي الْكَلْبِيُّ ، قَالَ : فَمَا تُرِيدُ ۖ قَالَ : أُرِيدُ الْإِسْلَامَ ، فَعَرَضَهُ عَلَيْهِ عُمَرُ ﷺ ، فَقَبِلَهُ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ عُمَرُ بِرُمَحٍ فَعَقَدَ لَهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ بِالشَّامِ مِنْ قُضَاعَةَ فَأَذْبَرَ الشَّيْخُ وَاللَّوَاءُ يَهْتَرُّ عَلَى رَأْسِهِ .

قَالَ عَوْفٌ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَمْ يُصَلِّ لِلَّهِ رُكْعَةً قَطُّ أَمَرَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ

(١) تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ : جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ .

قَبْلَهُ ، وَنَهَضَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَتَّى أَدْرَكَهُ فَأَخَذَ بِثِيَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ :

يَا عَمُّ أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : وَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِهْرُهُ ، وَهَذَا ابْنَايَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنْ ابْنَتِهِ ، وَقَدْ رَغَبْنَا فِي صِهْرِكَ فَأَنْكَحْنَا ، فَقَالَ : قَدْ أَنْكَحْتُكَ يَا عَلِيُّ الْمُحْيَاةَ بِنْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَأَنْكَحْتُكَ يَا حَسَنُ سَلْمَى بِنْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَأَنْكَحْتُكَ يَا حُسَيْنُ الرَّبَابَ بِنْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ (أُمُّ السَّيِّدَةِ سَكِينَةَ) .

وَقَالَ هِشَامُ الْكَلْبِيُّ : كَانَتْ الرَّبَابُ مِنْ خِيَارِ النِّسَاءِ وَأَفْضَلِهِنَّ ؛ فَلَقَدْ خُطِبَتْ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَتْ : (مَا كُنْتُ لِأَتَّخِذَ حَمًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

وَقَدْ تَزَوَّجَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَوْلَةَ بِنْتَ مَنْظُورِ الْفِرْزَارِيَّةِ ، وَأُمُّ كُلْثُومِ بِنْتَ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَأُمُّ إِسْحَاقِ بِنْتَ طَلْحَةَ (وَوَلَدَتْ مِنْهُ وَلَدًا سَمَّاهُ طَلْحَةَ) ، وَأُمُّ بَشِيرِ بِنْتَ

أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ (وَلَدَتْ مِنْهُ زَيْدًا) ، وَهِنْدُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَفْصَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَجَعْدَةُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ ، وَغَيْرُهُنَّ ، وَمَجْمُوعُ

مَا تَزَوَّجَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَتَجَاوَزْ خَمْسَ عَشْرَةَ ، وَهُوَ رَقْمٌ لَا يَمُتُّ إِلَى الْكَثْرَةِ الْمَرْعُومَةِ بِصِلَةٍ ، وَلَا يَمُتُّ إِلَى مَا زَعَمَهُ بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِينَ مِنْ أَنَّ عَدَدَ زَوَاجَاتِهِ وَصَلَ إِلَى

الْمِائَةِ ، وَيَعِيبُ بَعْضُ قُصَّارِ الْإِدْرَاكِ كَثْرَةَ زَوَاجِهِ وَطَلَّاقِهِ ؛ مَعَ أَنَّ الْمُنْصِفَ كَمَا مَرَّ مَعْنَا يَعْتَبِرُ عَدَدَ مَرَّاتِ زَوَاجِهِ عَادِيًّا مِثْلَ الَّذِي يَحْدُثُ فِي زَمَانِهِ ، وَلَسْتُ أَدْرِي

مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْكَثْرَةُ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَخَذَهَا عَنْهُمْ بَعْضُ كُتُبِ التَّارِيخِ دُونَ تَثْبُتِ وَرَوِيَّةِ ، وَيُنْسَى هَؤُلَاءِ جَمِيعًا أَنَّ الزَّوْاجَ فِي زَمَانِهِمْ

كَانَ يَرْبُطُ الْعَصَبِيَّاتِ وَيَزِيدُ فِي قُوَّةِ الْقَبَائِلِ ، وَكَانَ تَعَدُّ الزَّوْاجَ أَمْرًا مَأْلُوفًا بَلْ وَمُسْتَحَبًّا وَهُوَ فِي بَيْتِ النَّبُوَّةِ أَكْثَرَ اسْتِحْبَابًا ، وَلَيْسَ مَعَ الْحَلَالِ تُهْمَةٌ ، وَمَا أُحْوَجُ

الْمُجْتَمَعِ لِأَنَّمَا الْهُدَى الَّذِينَ يَمْشُونَ بَيْنَ النَّاسِ بِنُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُرْقُونَهُ مِنْ عَرَقِهِمُ الطَّاهِرِ الْمُطَهَّرِ ، وَيُنْمُونَهُ فِي بَيْتِهِمُ النَّقِيَّةِ الصَّالِحَةِ .

وَصَدَقَ الْفَرَزْدَقُ حِينَ قَالَ :

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَثْمَتَهُمْ * أَوْ قِيلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ

عَقِيدَةُ الْحَسَنِ النَّقِيَّةِ

وَدَحْضُ آرَاءِ الْجَبْرِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ

مِنْ عَظِيمِ الْفَائِدَةِ الَّتِي تُؤَخَذُ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ فِي الْعَقِيدَةِ : أَنَّهُ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ مَسْئُولِيَّةِ الْعَبْدِ وَقَدْرِ اللَّهِ السَّابِقِ ، فَأَثَبَتْ قَدْرَ اللَّهِ وَنَفَى الْجَبْرَ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ أَرْسَلَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، قَالَ فِيهِ : (مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ حَمَلَ ذَنْبَهُ عَلَى رَبِّهِ فَقَدْ فَجَرَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُطَاعُ اسْتِكْرَاهًا وَلَا يُعْصَى لِعَلْبَةٍ ؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَمِلُوا بِالطَّاعَةِ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا فَعَلُوا ، وَإِنْ عَمِلُوا بِالْمَعْصِيَةِ فَلَوْ شَاءَ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا فَعَلُوا ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَجْبَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَوْ أَجْبَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى الطَّاعَاتِ لَأَسْقَطَ عَنْهُمْ الثَّوَابَ ، وَلَوْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي لَأَسْقَطَ عَنْهُمْ الْعِقَابَ ، وَلَوْ أَهْمَلَهُمْ لَكَانَ عَجْزًا فِي الْقُدْرَةِ) (١) .

وَهَذَا الْقَوْلُ الْجَامِعُ دَحْضُ آرَاءِ الْجَبْرِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ وَتَوَسُّطَ بَيْنَهُمْ ، فَهُوَ يَنْفِي الْجَبْرَ ؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُجْبِرْ خَلْقَهُ عَلَى الْمَعَاصِي وَلَمْ يُجْبِرْهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَذَا أَوْ ذَلِكَ ، وَلَوْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى الطَّاعَاتِ لَجَعَلَهُمْ كَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَاسْقَطَ عَنْهُمْ الثَّوَابَ ، وَلَوْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي لَأَسْقَطَ عَنْهُمْ الْعِقَابَ ، كَمَا أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَنْفِي الْاِحْتِجَاجَ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَعَاصِي ، وَثَبَّتُ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَيْضًا يَنْفِي أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ فِيهِمْ ، وَهُوَ يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُمَا فَيُؤَكِّدُ أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلَهُ حَقِيقَةً ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُهُ وَخَالِقُ مَا فَعَلَ بِهِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ، وَخَالِقُ فَاعِلِيَّتِهِ ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَاعِلٌ غَيْرُ مُنْفَعِلٍ ، وَالْعَبْدُ فَاعِلٌ مُنْفَعِلٌ ، وَهُوَ فِي فَاعِلِيَّتِهِ مُنْفَعِلٌ لِلْفِعْلِ الَّذِي لَا يَنْفَعِلُ بِوَجْهِهِ) (٢) .

وَفَاتِهِ ﷺ :

تُوفِّي سَيِّدُنَا الْحَسَنُ ﷺ بِالْمَدِينَةِ مَسْمُومًا لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَدُفِنَ ﷺ بِالْبَقِيعِ .

(٢) الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : د . مُصْطَفَى مُرَاد .

(١) الْمُنْبِيَّةُ وَالْأَمَلُ : الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ .

وَقَدْ ذَكَرَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ جَعْدَةَ بِنْتَ الْأَشْعَثِ كَانَتْ تَحْتَ الْحَسَنِ
ابْنِ عَلِيٍّ فَزَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي سَمَّتهُ .

❁ وَجَهَدَ بِهِ أَخُوهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِمَنْ سَقَاهُ الشُّمَّ ، فَلَمْ يُخْبِرْهُ ، وَقَالَ :
اللَّهُ أَشَدُّ نِقْمَةً إِنْ كَانَ الَّذِي أَظُنُّ ، وَإِلَّا فَلَا يُقْتَلُ بِي وَاللَّهِ بَرِيءٌ .



وَمِنْ أَحْسَنِ الْحَسَنِ

تَذَكُّرُ فَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ مَعَ سِيرَةِ الْحَسَنِ

إِنَّ فَضَائِلَ وَمَنَاقِبَ آلِ الْبَيْتِ عَظِيمَةً مُقْتَرَنَةً بِصُلْبِ الْإِسْلَامِ وَأَسَاسِهِ ، فَعَلَى قَدْرِ التَّعْظِيمِ ؛ يَظْهَرُ حُسْنُ الْإِيمَانِ وَقُوَّتُهُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ ، كَيْفَ لَا ؟ ، وَهُمْ بَيْتُ النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْقُدْوَةِ ، خَصَّهُمُ اللَّهُ بِالذِّكْرِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ بِالْمُودَةِ ، وَعَدَمِ الْإِيذَاءِ ، وَالطَّهَارَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى .

فَعَلَى هَذَا ؛ يَجِبُ عَلَيَّ مِنْ عَرَفَ مَنَاقِبَ هَذَا الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ وَفَضَائِلَهُ ، أَنْ يُعْظَمَ قَدْرُهُمْ قَدْرَ تَعْظِيمِ سَيِّدِ هَذَا الْبَيْتِ ، فَهُوَ مِنْهُمْ وَهُمْ مِنْهُ ﷺ ، فَقَدْ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي (الشفا) عَقِبَ ذِكْرِهِ لِلْأَثَرِ : (مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ) ، قَالَ : مَعْرِفَتُهُمْ هِيَ مَعْرِفَةُ مَكَانِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِذَا عَرَفْتَهُمْ بِذَلِكَ ، عَرَفَ وَجُوبَ حَقِّهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ بِسَبَبِهِ .

❁ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :
(أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي) (١) .

❁ وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَالِدَيْمِيُّ أَنَّهُ ﷺ ، قَالَ : (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَتَكُونَ عِزَّتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَكُونَ أَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ) (٢) .

❁ وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : (أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ) (٣) .

❁ وَأَخْرَجَ الْحَافِظُ السُّلَفِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٤) :
لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا وَفَى قَلْبِهِ وَدٌّ لِعَلِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ ، وَالخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي مَجْمَعِ الزُّوَائِدِ ، وَالْمُنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْعَجْلُونِيُّ فِي كَثْفِ الْإِطَاءِ ، وَالْهَنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ . (٤) سُورَةُ مَرْيَمَ : آيَةٌ ٩٦ .

❖ وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ أَرَادَ التَّوَسُّلَ إِلَيَّ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدِي يَدٌ أَشْفَعُ لَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيَصِلْ أَهْلَ بَيْتِي وَيُدْخِلِ السُّرُورَ عَلَيْهِمْ) (١) .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ صَنَعَ إِلَيَّ أَهْلَ بَيْتِي يَدًا كَأَفَاتِهِ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢) .

❖ وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَرْبَعَةٌ أَنَا لَهُمْ شَفِيعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْمُكْرِمُ لِذُرِّيَّتِي ، وَالْقَاضِي لَهُمْ حَوَائِجَهُمْ ، وَالسَّاعِي لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ عِنْدَمَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ) (٣) .

❖ وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي) (٤) .

❖ وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (وَعَدَنِي رَبِّي فِي أَهْلِ بَيْتِي مَنْ أَقَرَّ مِنْهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ وَلِي بِالْبَلَاغِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ) (٥) .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّهُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي) (٦) .

❖ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ) (٧) .

❖ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَبَعَثَ إِلَيَّ ثَلَاثًا : أَنْ يُثَبَّتَ قُلُوبُكُمْ ، وَأَنْ يَعْلَمَ جَاهِلُكُمْ ، وَيَهْدِيَ ضَالَّكُمْ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُجْعَلَ جُودَاءَ ، نُجْدَاءَ ، رُحَمَاءَ ، فَلَوْ أَنَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْمُتَّقِي الْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ ، وَالْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ ، وَالْمَعْلُونِيُّ فِي كَنْزِ الْخَفَاءِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْمُتَّقِي الْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ ، وَالزُّبَيْدِيُّ فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ .

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وَابْنُ خُرَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ .

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَالْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَهْدِيدِ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٧) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ .

رَجُلًا صَفَنَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، فَصَلَّى وَصَامَ ، ثُمَّ مَاتَ وَهُوَ مُبْغِضٌ لِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ، دَخَلَ النَّارَ (١) .

✽ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ :
(مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤْذُونَنِي فِي نَسَبِي وَذَوِي رَحْمِي ، أَلَا وَمَنْ آذَى نَسَبِي وَذَوِي رَحْمِي فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَعَالَى) (٢) .

✽ وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : (مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ أَصْحَابِي وَقَرَابَتِي) (٣) .

✽ وَأَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ فِي تَارِيخِهِ بِسَنَدِهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (رضي الله عنه) ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(لِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ ، وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّ أَصْحَابِي وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي) (٤) .
✽ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا) (٥) .

✽ وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبُهُ ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخُذُوا بِهِ) وَحَثَّ وَرَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : (وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٦) .

وَسَمَّى ﷺ الْقُرْآنَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ثَقَلَيْنِ لِأَنَّ الثَّقَلَ كُلُّهُ نَفِيسٌ خَطِيرٌ مَصُونٌ ؛ وَهُمَا كَذَلِكَ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَالْعَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

(٢) وَأَخْرَجَهُ الدَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الْأَعْتَدَالِ ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ .

(٣) وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَرَابٍ فِي تَنْزِيهِ الشَّرِيفَةِ .

(٤) وَأَخْرَجَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَالْمُسَيْطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ، وَالْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ .

(٦) وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَهْذِيبِ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

إِذْ كُلُّ مِنْهُمَا مَعْدِنُ الْعُلُومِ الدُّنْيِيَّةِ ، وَالْحِكْمِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَلِذَا حَثَّ ﷺ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِمَا .

❁ وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

(غَضِبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ آذَانِي فِي عِثْرَتِي) ^(١) ، وَصَحَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ :
(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ - أَيْ يُؤَخَّرَ فِي أَجَلِهِ - وَأَنْ يُمْتَعَ بِمَا خَوْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَلْيُخْلِفْنِي فِي عِثْرَتِي خِلَافَةً حَسَنَةً) ^(٢) .

❁ وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مِنْ بَعْدِي) ^(٣) ، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :
(إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكِبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ) ^(٤) ، وَ (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ) ^(٥) .

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهُ رضي الله عنه قَالَ : (أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيَّ رَبِّهِ سَبِيلًا) ^(٦) .

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو يَعْلَى عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي) ^(٧) .

❁ وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ ^(٨) ، قَالَ : الْحَسَنَةُ مَوَدَّةُ آلِ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه .

(١) أَخْرَجَ بَنُوهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ . وَابْنُ عَصِمٍ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُتَّقِي الْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ . وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ . وَالْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ .

(٤) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ .

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ . وَالْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزُّوَائِدِ . وَالدُّوَلَابِيُّ فِي الْكُنَى وَالْأَسْمَاءِ . وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ .

(٦) أَخْرَجَ بَنُوهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ .

(٧) وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ . وَالْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي نَوَادِرِ الْأُصُولِ .

(٨) سُورَةُ الشُّورَى : مِنْ الْآيَةِ ٢٣ .

❖ وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(١) ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ ؟ ، قَالَ صلى الله عليه وسلم : (عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا) .

❖ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) ^(٢) .

❖ وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُفْضِبُنِي مَا يُفْضِبُهَا ، وَيَسْطُنِي مَا يَسْطُنُهَا وَإِنَّ الْأَنْسَابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَ نَسَبِي وَصِهْرِي) ^(٣) .

❖ وَأَخْرَجَ أَبُو الْخَيْرِ الْقَزْوِينِي عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا زَوَّجَ عَلِيًّا بِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما دَعَا لَهُمَا ، فَقَالَ : (جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمَا ، وَأَعَزَّ جَدَّكُمَا ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا ، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيرًا طَيِّبًا) ^(٤) ، قَالَ أَنَسٌ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهُمَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ .

❖ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قَالَ : أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَسَأَلَهُ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ ، فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : انظروا إلى هذا يسألتني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي حَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ : (هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا) ^(٥) .

❖ وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ وَأَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ

(١) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الْآيَةِ ٢٢ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ .

(٣) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى ، وَالْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي .

(٤) وَأَخْرَجَ بَنَحُوهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ : بَابُ رَحْمَةِ الْوَالِدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ .

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَهَا اللَّهُ وَذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ) (١).

❁ وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(أَثْبَتَكُمْ عَلَى الصَّرَاطِ ، أَشَدُّكُمْ حُبًّا لِأَهْلِ بَيْتِي وَأَصْحَابِي) (٢).

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ عِتْرَتِي وَالْأَنْصَارِ ، فَهُوَ لِإِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا مُنَافِقٌ ، وَإِمَّا لَزِينِيَّةٌ ،

وَإِمَّا لِعَبْرٍ طُهورٍ) (٣) ؛ يَعْنِي : حَمَلَتْهُ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ طُهرٍ .

❁ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي) (٤).

● وَاعْلَمْ أَنَّ شَرْطَ مَحَبَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّافِعَةَ مَحَبَّةَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَعَدَمُ الطَّعْنِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ ؛ فَمَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ مُقْتَرِنَتَانِ لَا يُنْتَفَعُ بِإِحْدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرَى .

فَاخْذَرِ أَيُّهَا الْمُسْتَفِقُ عَلَى سَلَامَةِ دِينِهِ وَالْحَرِيصُ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، أَنْ تَصْغَى إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَخْتَلِقُهُ الرَّافِضَةُ وَالْخَوَارِجُ فِي أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنَ الْإِفْكِ وَالتَّقْصِيسِ ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ هُمُ الْعَارِفُونَ بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ لَا أَوْلِيكَ الْمَارِقُونَ الطَّاعِنُونَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ .

فَاللَّهُ نَسَأَلُ أَنْ يَحْفَظَنَا مِمَّا وَقَعُوا فِيهِ ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا وَيُمِيتَنَا عَلَى مَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي عُقْبِنَا ظِلَامَةً نَطَالِبُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُغْفَرُ .

رَحِمَ اللَّهُ هَذِهِ النُّفُوسَ الْكَبِيرَةَ ، فَمَا عَرَفَ التَّارِيخُ أَعْظَمَ وَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَنْبَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ .



(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُتَّقِي الْهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ ، وَالدَّيْلَمِيُّ فِي الْفَرْدُوسِ .

(٤) وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَابْنُ بَيْهَقِيٍّ فِي الْمُسْنَنِ الْكَبِيرِ .

الْبَيَانُ الَّذِي ثَمَرْتُهُ الْإِيْقَانُ

مِنَ الطَّبِيعِيِّ لِلْقَارِي وَقَدْ صَدَمْتُهُ الْأَنْبَاءُ ؛ وَهُوَ يُطَالِعُ مَا حَدَثَ لِسُلَالَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ
مِنَ الْكَرْبِ وَالْبِلَاءِ فِي أَحْدَاثِ كَرْبَلَاءَ ؛ أَنْ تَرْتَسِمَ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتَفْهَامِ
مَا يَنْبَغُ عَنْ حُزْنٍ عَمِيقٍ وَحَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ وَدَهْشَةٍ بِالْفِعْلِ ، تُثِيرُ فِي خَاطِرِهِ سَيْلًا مِنْ
الْأَسْئَلَةِ عَنْ هَذَا الَّذِي حَدَثَ لِبَيْتِ النَّبُوَّةِ ، كَيْفَ حَدَثَ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَشَادَ
اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِمْ وَأَثْنَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِفَضْلِهِمْ ، فَكَيْفَ تَعَرَّضُوا لِلْقَتْلِ الَّذِي
أَوْشَكَ عَلَى حُدِّ الْإِبَادَةِ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْبَشَعَةِ الَّتِي تَقْشَعُرُّ الْأَبْدَانُ مِنْ هَوْلِهَا ، وَأَيَّنَ
مَا تَكْفَّلَ اللَّهُ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ رِعَايَتِهِمْ وَحِمَايَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ ، وَمَنْ أَوْلَى مِنَ الْحُسَيْنِ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ بِتِلْكَ الرَّعَايَةِ وَتِلْكَ الْحِمَايَةِ وَتِلْكَ النُّصْرَةِ ۱۱۹ .

أَلَا هُوْنَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِي الْكَرِيمُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ بِالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِهِ
الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ إِلَّا خَيْرًا ، إِنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ فِي مُسْتَوَى مَعَ أَنْبِيَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَرُسُلِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ طَعَى الظُّلْمَةُ الْجَبَّارُونَ مِنْ أُمَّهَمُ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَعُنُوا
فِيهِمْ قَتْلًا وَتَمْزِيقًا وَتَحْرِيقًا وَإِبَادَةً ؛ فَقَتَلُوا زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَأَشْعِيَاءَ وَأَرْمِيَاءَ وَعَدَدًا
كَبِيرًا مِنْ كِرَامِ الْأَنْبِيَاءِ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَازِمًا مِنْ قَاتِلِيهِ بِشَجَرَةٍ ، فَانْفَتَحَتْ لَهُ وَدَخَلَ فِي
جَوْفِهَا ، وَلَكِنَّ الطُّغَاةَ الْبُغَاةَ أَعْمَلُوا فِيهَا بِمَنَاشِيرِهِمْ حَتَّى نَشَرُوهُ وَهُوَ فِي دَاخِلِهَا
وَشَطَرُوا جِسْمَهُ شَطَرَيْنِ ، فَلَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ قَدْرِهِ ، وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لَا يُبَالِي بِهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاهُ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ إِلَى جَانِبِ مَرْتَبَةِ النَّبُوَّةِ ، فَكَانَ
نَبِيًّا ، وَكَانَ شَهِيدًا ، وَحَاقَ بِالظُّلْمَةِ مَا بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الَّذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ الَّتِي بَعَثَ فِيهِمُ الرَّحْمَنُ مِنْ قَبْلِهِمْ كَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (١) .

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ مَا تَعَرَّضَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قَبْلِ ؛ وَذَلِكَ حِينَ جَاءَ حَبَابُ
ابْنِ الْأَرْثِ ﷺ يَشْكُو إِلَيْهِ مَا كَانَ يُعَانِيهِ هُوَ وَرِفَاقُهُ مِنْ تَكْوِيلِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِهِمْ

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٦١ .

فَقَالَ ﷺ : (اصْبِرُوا فَقَدْ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ فَيُنْشَرُ بِمَنْشَارٍ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ إِلَى أُخْمَصِ ^(١) قَدَمِهِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِ اللَّهِ) . ^(٢)

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِشَارَةٌ إِلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَغَى عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ ؛ فَحَفَرُوا لَهُمْ أَخَادِيدَ فِي الْأَرْضِ مَلَأُوهَا نَارًا ثُمَّ أَخَذُوا يَعْرِضُونَ عَلَيْهِمُ الْارْتِدَادَ عَنِ الْإِسْلَامِ فَيَأْبُونَ ، فَيَقْدِفُونَ بِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَخَادِيدِ ، وَيَجْلِسُونَ لِلتَّقْرِجِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَحْتَرِقُونَ ، وَجَاءَ دُورُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تُرْضِعُ وَلِيدَهَا فَتَبَاطَأَتْ إِشْفَاقًا عَلَى الرَّضِيعِ ، فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى لِسَانَهُ وَقَالَ لَهَا : تَقَدَّمِي يَا أُمِّي وَلَا تَتَّقَاعْسِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ ، فَتَقَدَّمَتْ وَاحْتَرَقَتْ وَلَمْ تَسْتَغْرِقْ عَمَلِيَّةً احْتِرَاقِهَا إِلَّا لِحِظَاتٍ قَصِيرَةً ، مِنْ بَعْدِهَا تَمَتَّحَتْ لَهَا وَلرَضِيعِهَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَنْعَمَانِ بِقُصُورِهَا وَأَنْهَارِهَا وَأَشْجَارِهَا وَثَمَارِهَا وَكُلِّ مَا فِيهَا .

فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ﷺ قَدْ لَاقُوا مَا لَاقُوا مِنْ بَغْيِ الْبَاغِينَ وَظُلْمِ الظَّالِمِينَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِهَوَانٍ لَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَاللَّهُ رَفَعَهُمْ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ وَجَعَلَ أَعْدَاءَهُمْ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ .

وَالَّذِي أَعْتَقَدُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ بِالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا لِأُمُورِ الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّاهَا لَكَانَ وَاحِدًا مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَلِحِكْمَةِ أَرَادَهَا اللَّهُ ؛ اقْتَضَتْ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْأَلَّا يَتَجَاوَزَ عَهْدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا ^(٣) ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَلَوْ أَصْبَحَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ خَلِيفَةً لَجَاءَ فِي عَهْدٍ غَيْرِ عَهْدِهِ وَأَوَانَ غَيْرِ أَوَانِهِ ، وَكَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ ؛ الْقَدَرُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

عَلَى أَنَّ مَا صَنَعَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ كَانَ لَهُ نُورًا فِي الْأَرْضِ وَذُخْرًا فِي السَّمَاءِ ،

(١) أُخْمَصُ قَدَمِهِ : أَسْفَلُ قَدَمِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

(٣) وَهِيَ مُدَّةُ حُكْمِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةِ وَمَعَهُمُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ ؛ فَقَدْ بَقِيَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي الْحُكْمِ سِتِّينَ وَثَلَاثَةَ شُهُورٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَبَقِيَ سَيِّدُنَا عُمَرُ عَشْرَ سِنَوَاتٍ وَسِتَّةَ شُهُورٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، وَبَقِيَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشْرَ شَهْرًا وَدَعْمَانِيَةَ عَشْرَ يَوْمًا ، وَبَقِيَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ أَرْبَعَ سِنَوَاتٍ وَتِسْعَةَ شُهُورٍ ، أَمَا سَيِّدُنَا الْحَسَنُ فَقَدْ بَقِيَ سِتَّةَ شُهُورٍ وَهِيَ الْمُدَّةُ الْمُكْمَلَةُ لِلثَّلَاثِينَ عَامًا - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا .

فَمَا زَالَ يُذَكَّرُ ﷺ بِكُلِّ إِجْلَالٍ وَإِكْرَامٍ ، فِي حِينٍ أَنْ خُصِمَهُ لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْخِسَّةِ
وَالهَوَانِ ؛ وَقَدْ أَصَابَ مَنْ قَالَ :

لَذَكَرَكَ فِينَا يَا حُسَيْنَ خُلُودٌ ❁ بَقِيَتْ بِهِ حَيًّا وَمَاتَ يَزِيدُ
نَعْمَ مَاتَ حَتَّى ضَلَّ فِي الْأَرْضِ قَبْرُهُ ❁ وَلَيْسَ لَهُ بَيْنَ الْقُبُورِ وَجُودُ
وَمَنْ رُجِمَتْ ذِكْرَاهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ❁ هُوَ الْمَيِّتُ لَكِنَّ الْحُسَيْنَ شَهِيدُ

وَقَدْ يَسْأَلُ الْقَارِئُ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَعْدَ قَتْلِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ، لِمَاذَا لَمْ تَغْضَبْ
غَضَبَتَهَا وَلَمْ تُثَرِّ نُورَتَهَا ؟

وَأَقُولُ : إِنَّ الْأُمَّةَ قَدْ حَزَنَتْ أَشَدَّ الْحُزْنَ لِمَا أَصَابَ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ وَرِفَاقَهُ ، وَلَكِنَّهَا
إِذْ ذَاكَ كَانَتْ ذَاخِرَةً بِالْعُقَلَاءِ مِنَ الرِّجَالِ مَا بَيْنَ صَحَابِيَّةٍ وَتَابِعِينَ ، وَهَؤُلَاءِ رَأَوْا
أَنَّ الثَّوْرَةَ أَنْذَاكَ لَيْسَتْ فِي صَالِحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ سَتُعْطِي فُرْصَةَ
كَبِيرَةً لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ الْمُتْرَبِّصِينَ ، فَيُسْرِعُونَ بِالتَّدْخُلِ وَيَعْمَلُونَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ
قُوَّةٍ خَفِيَّةٍ وَظَاهِرَةٍ عَلَى وَقْفِ تَقَدُّمِ الدَّعْوَةِ وَانْطِلَاقِهَا لِهَدَايَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ،
فَفَضَّلُوا أَنْ تَسْكُنَ الْفِتْنَةُ لِيَتَّحَ لِدَّعْوَةِ الْحَقِّ أَنْ تَشُقَّ طَرِيقَهَا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ ، فَذَلِكَ
أَجْدَى بِكَثِيرٍ مِنْ ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى مَدَاهَا .

وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ الْقَضَاءَ عَلَى
الذُّرِّيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْبَطَ كَيْدَهُمْ ؛ فَقَدْ عَاشَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ
ابْنُ الْحُسَيْنِ وَكَثُرَ نَسْلُهُ ، وَانْتَشَرَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَلَا يَزَالُونَ حَتَّى الْآنَ يَعِيشُونَ فِي أَقْطَارِ
شَتَى مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَتَمَّ نُورَهُ
عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُمْ ... وَأَمَّا سَيِّدَاتُ بَنِي هَاشِمٍ اللَّاتِي شَهِدْنَ الْمَأْسَاةَ ، فَإِنَّ الْأَحْدَاثَ
الْمُرَوِّعَةَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَطْفِئَ عَلَى إِيمَانِهِنَّ وَصَبْرِهِنَّ ، فَقَدْ بَقِينَ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ
الْمَمَاتِ يَمْلَأْنَ حَيَاةَ الْمُسْلِمِينَ نُورًا وَهَدًى وَخَيْرًا وَبِرَكَّةً ، وَفِي طَلِيعَتِهِنَّ سَيِّدَتُنَا
الطَّاهِرَةُ الْعَقِيلَةُ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .

أَمَّا أَبْنَاءُ عَلِيٍّ فَقَدْ كَسَبُوا كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَهَذِهِ مَزَارَتُهُمْ مَقْصِدُ النَّاسِ
فِي كُلِّ حَدَبٍ : تَهْفُو قُلُوبُهُمْ إِلَيْهَا وَتَحْنُو أَفْئِدَتُهُمْ عَلَيْهَا ، وَتِلْكَ سُلَالَتُهُمْ مُسَوِّمَةٌ

مَعْرُوفَةٌ يُشَارُ إِلَيْهَا بِالْبِنَانِ ، وَيَعْرِفُهُمُ النَّاسُ أَيْنَمَا سَارُوا بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ ، وَهَذَا خَيْرٌ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَأَبْقَى ذِكْرًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَلِكِ الرَّقَابِ ؛ فَقَدْ أَصَفَى اللَّهُ ذُرِّيَّةَ عَلِيٍّ وَخَصَّهُمُ بِالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَأَتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .
 وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

أَحَبُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنِ عَمِّهِ * عَلِيًّا وَسِبْطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَا
 هُمْ أَهْلُ بَيْتِ أَذْهَبِ الرَّجْسِ عَنْهُمْ * وَأَطْلَعَهُمْ أَفَقَ الْهُدَى أَنْجُمًا زُهْرَا
 مُوَالَاتَهُمْ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ * وَوَدَّهُمْ أَسْنَى ذَخَائِرِ الْأَخْرَى
 وَمَا أَنَا لِلصَّحْبِ الْكِرَامِ بِمُبْغِضٍ * فَإِنِّي أَرَى الْبَغْضَاءَ فِي حَقِّهِمْ كُفْرَا
 هُمْ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ * وَهُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِالطُّبَا نَصْرَا
 عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَامَ ذِكْرُهُمْ * لَدَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَكْرَمَ بِهِ ذِكْرَا

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْإِمَامِ الْبُوصَيْرِيِّ فِيهِمْ :

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ * شَمْسُ النَّهَارِ وَمَا قَدْ شَعَشَعَ الْقَمَرُ
 ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ * مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدِّينِ يَنْتَصِرُ
 وَعَنْ أَبِي حَفْصِ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ * مَنْ قَوْلُهُ الْفَضْلُ فِي أَحْكَامِهِ عُمُرُ
 وَجَدَ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمَلَتْ * لَهُ الْمَحَاسِنُ فِي الدَّارَيْنِ وَالظَّفَرُ
 كَذَا عَلِيٌّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمَّهُمَا * أَهْلُ الْعِبَاءِ كَمَا قَدْ جَاءَنَا الْخَبَرُ
 سَعْدُ سَعِيدِ ابْنِ عَوْفٍ طَلْحَةَ وَأَبُو * عُبَيْدَةَ وَزُبَيْرٌ سَادَةٌ غُرُرُ
 وَحَمْزَةٌ وَكَذَا الْعَبَّاسُ سَيِّدُنَا * وَنَجْلُهُ الْحَبْرُ مَنْ زَالَتْ بِهِ الْغَيْرُ
 وَالْأَلُّ وَالصَّحْبُ وَالْأَتْبَاعُ قَاطِبَةً * مَا جَنَّ لَيْلُ الدِّيَاجِيِّ أَوْ بَدَا السَّحَرُ



عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ

فِي تَذَكُّرِ فِضَائِلِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ

وَلِنُتْمَمِ الْكَلَامِ عَلَى فِضَائِلِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ تَتَمِيمًا لِلْفَائِدَةِ ؛ وَالْبَاقُونَ مِنْهُمْ هُمْ سَادَتُنَا : طَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ .
وَرَحِمَ اللَّهُ الْقَائِلَ فِي فِضَائِلِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ :

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي إِيْمَانِهِ ❀ وَالتَّالِي الْفَارُوقُ خَيْرُ بَنِي عَدِي
وَالثَّالِثُ الْقَوَّامُ عُثْمَانُ الَّذِي ❀ نَاحَتْ عَلَيْهِ الْجِنَّ وَسَطَ الْمَسْجِدِ
وَأَهْتَفَ لِمَوْلَانَا عَلِيٍّ فَإِنَّهُ ❀ حَازَ الْمَنَاقِبَ وَالْمَفَاخِرَ عَنْ يَدِ
وَأَكْرَمَ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَبَعْدَهُمْ ❀ فَاذْكُرْ كَرَامَاتِ ابْنِ عَوْفٍ السَّيِّدِ
وَكَذَا ابْنَ مَالِكٍ سَعْدُ خَالَ الْمُصْطَفَى ❀ نَالَ الْفِضِيلَةَ مِنْ حَوْوَلَةِ أَحْمَدِ
وَسَعِيدُ ثُمَّ سُلَالَةُ الْجَرَّاحِ لَا ❀ تَعْدِلُ بِهِ وَالْمُؤْمُ بِذَلِكَ تَسْعَدِ
فَأَوْلَيْكَ الْقَوْمُ الَّذِي لَا يُبْتَلَى ❀ بِالْبُغْضِ فِيهِمْ غَيْرُ بَاغٍ مُلْجِدِ
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ فِيهِمْ :

وَبِالرِّضَا خَصَّ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ زُهْرٌ ❀ يَاوَيْحَ مَنْ فِي مُوَالَاةٍ لَهُمْ وَقَفَا
سَعْدُ سَعِيدُ زُبَيْرٌ طَلْحَةُ وَأَبُو ❀ عُبَيْدَةَ وَابْنُ عَوْفٍ قَبْلَهُ الْخُلَفَا

سَيِّدُنَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه

أَمَّا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ ابْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ :

فِيَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فِي عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ .
وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه مِنَ السَّابِقِينَ لِلْإِسْلَامِ ، وَمِنَ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَمِنَ السُّنَّةِ أَصْحَابِ الشُّورَى الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ عُمَرُ رضي الله عنه وَتُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ .

❖ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانٍ فَذَهَبَ يَنْهَضُ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، فَبَرَكَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ تَحْتَهُ وَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى صَعِدَ عَلَى الصَّخْرَةِ ، قَالَ الزُّبَيْرُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ :

(أَوْجَبَ طَلْحَةُ) ^(١) ، يَعْنِي : أَوْجَبَ الْجَنَّةَ لِنَفْسِهِ بِفِعْلِهِ هَذَا .

❖ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءً ، وَقَى بِهَا النَّبِيَّ صلوات الله عليه يَوْمَ أُحُدٍ فَشَلَّتْ يَوْمئِذٍ ^(٢) . طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّهِيدُ الْحَيُّ :

أَمَّا مُنَاسِبَةُ تَلْقِيهِ بِالشَّهِيدِ الْحَيِّ فَكَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ أَحَدٍ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَطَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ .

وَكَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه يَصْعَدُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ ، فَالْحَقَّتْ بِهِ عُصْبَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

(مَنْ يَرُدُّ عَنَّا هَؤُلَاءِ ، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟) .

فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : (لَا ، مَكَانَكَ) ^(٣) .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : (نَعَمْ ، أَنْتَ) .

فَقَاتَلَ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ صَعِدَ الرَّسُولُ صلوات الله عليه بِمَنْ مَعَهُ فَالْحَقَهُ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : (أَلَا رَجُلٌ لِهَؤُلَاءِ ؟) .

فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : (لَا ، مَكَانَكَ) .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : (نَعَمْ ، أَنْتَ) .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَالتَّبَهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَابْنُ حَجْرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ ، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ .

(٣) مَكَانَكَ : الرِّزْمُ مَكَانَكَ .

ثُمَّ قَاتَلَ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى قُتِلَ أَيْضًا ، وَتَابَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُغُودَهُ ، فَلَحِقَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ﷺ مِثْلَ قَوْلِهِ ، وَيَقُولُ طَلْحَةُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَيَمْنَعُهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَيَأْذَنُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى اسْتَشْهَدُوا جَمِيعًا ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا طَلْحَةُ ، فَلَحِقَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ ﷺ لَطَلْحَةَ : (الْآنَ ، نَعَمْ) .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ^(١) وَشَجَّ جَبِينُهُ ، وَجُرِحَتْ شَفْتُهُ ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَأَصَابَهُ الْإِعْيَاءُ ^(٢) ، فَجَعَلَ طَلْحَةُ ﷺ يَكُرُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَدْفَعَهُمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ يَنْقَلِبُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُرْقَى بِهِ قَلِيلًا فِي الْجَبَلِ ، ثُمَّ يُسِنِدُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَيَكُرُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى صَدَّهُمْ عَنْهُ ﷺ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : وَكُنْتُ أَنْتَذِرُ أَنَا وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بَعِيدَيْنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ نُرِيدُ إِسْعَافَهُ ، قَالَ ﷺ : (أَتْرَكَانِي وَأَنْصَرِفَا إِلَى صَاحِبِكُمَا) ، يُرِيدُ طَلْحَةَ .

فَإِذَا طَلْحَةُ تَنَزَّفُ دِمَاؤَهُ ، وَفِيهِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَتْ كَفَّهُ ، وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ) .

وَكَانَ الصَّدِيقُ ﷺ إِذَا ذُكِرَ أَحَدٌ ، يَقُولُ : ذَلِكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لَطَلْحَةَ .

هَذِهِ هِيَ قِصَّةُ نَعْتِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بِالشَّهِيدِ الْحَيِّ ، أَمَّا تَلْقِيْبُهُ بِطَلْحَةَ الْخَيْرِ ، وَطَلْحَةَ الْجُودِ ؛ فَلِأَنَّهُ كَانَ تَاجِرًا وَاسِعَ التِّجَارَةِ عَظِيمِ الثَّرَاءِ ، فَكَانَ يُنْفِقُ أَمْوَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنْفَاقَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ .

(٢) الْإِعْيَاءُ : التَّعَبُ .

(١) رَبَاعِيَّتُهُ : سُنَّةُ النَّبِيِّ بَيْنَ النَّابِ وَالشَّيْبَةِ .

(٣) يَكُرُّ : يَهْجُمُ .

❖ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ أُذُنِي مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ : (طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ) ^(٢) .

❖ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ) ^(٣) .

❖ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه لَمَّا رَجَعَ مِنْ أَحَدِ صَعْدِ الْمَنْبَرِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ حُبَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ ^(٤) .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
فَأَقْبَلَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه :
(أَيُّهَا السَّائِلُ هَذَا مِنْهُمْ) ^(٥) .

❖ وَأَخْرَجَ الْحَافِظُ الدِّمَشْقِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ لَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ : (أَنْتُمَا حَوَارِيٌّ كَحَوَارِيِّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام) ، وَالْحَوَارِيُّ : النَّاصِرُ ، وَالْحَوَارِيُّونَ : الْأَنْصَارُ ، وَالْحَوَارِيُّ : الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

❖ وَأَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ^(٦) .

سَيِّدُنَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه

وَأَمَّا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، يَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي قُصَيٍّ ، وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ لِلْإِسْلَامِ وَمِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ

(١) مِنْ فِي : مِنْ فَم .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

(٣) سُوْرَةُ الْأَحْزَابِ : الْآيَةُ ٢٣ .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَهْذِيبِ تَارِيخِ دِمَشْقَ ، وَالسُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ . (٦) سُوْرَةُ الْحَجْرِ : الْآيَةُ ٤٧ .

بِالْجَنَّةِ ، وَمِنَ السَّنَةِ أَصْحَابِ الشُّورَى الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، وَأُمُّهُ عَمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَعَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَهَاجَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهَجْرَتَيْنِ جَمِيعًا ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزَاةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَلَ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

❖ رَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ أَوَّلُ مَنْ سَلَ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَهُ : (إِنَّ جَبْرِيْلَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُقْرُئُكَ السَّلَامَ ، وَيُبَشِّرُهُ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مِثْلَ ثَوَابِ كُلِّ مَنْ سَلَ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا) ^(١) .

❖ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيٍّ مِنْ أُمَّتِي) ^(٢) .

❖ وَأَخْرَجَ أَبُو الْفَرَجِ عَنْ عِبَادِ بْنِ حَمْرَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : كَانَ عَلَى الزُّبَيْرِ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ مُعْتَجِرًا بِهَا يَوْمَ بَدْرٍ فَنَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا عِمَائِمٌ صُفْرًا ^(٣) .

قال المُحِبُّ الطَّبْرِيُّ : يُحْتَمَلُ أَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى سِيْمَاهُ لِأَنَّهَا أَوَّلُ حَرْبِهَا ؛ فَنَزَلَتْ عَلَى سِيْمَا أَوَّلِ مُحَارِبٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
قال عامرُ بنُ صالحِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ :

جَدِّي ابْنُ عَمَّةٍ أَحْمَدٍ وَوَزِيرُهُ ❖ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَفَارِسُ الشَّقْرَاءِ
وَغَدَاةَ بَدْرٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ ❖ شَهِدَ الْوَعْيَ فِي اللَّامَةِ الصَّفْرَاءِ
نَزَلَتْ بِسِيْمَاهُ الْمَلَائِكُ نُصْرَةً ❖ بِالْحَوْضِ يَوْمَ تَأَلَّبِ الْأَعْدَاءِ

❖ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : (فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي) ^(٤) ، يَوْمَ الْأَحْزَابِ لَمَّا جَاءَهُ بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ .

(١) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ .

(٢) وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ ، وَالْهَنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْمُعَالِمِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَالْهَنْدِيُّ فِي كَنْزِ الْمُعَالِمِ .

(٤) وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ .

﴿ وَمَا قَتَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ خُبَيْبًا ﷺ وَصَلَبُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ عِنْدَ التَّعِيمِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

(أَيْكُمْ يَحْتَمِلُ خُبَيْبًا مِنْ خَشْبَتِهِ وَلَهُ الْجَنَّةُ) ^(١) ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ :

أَنَا وَصَاحِبِي الْمِقْدَادُ : فَخَرَجَا يَسِيرَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ حَتَّى أَنْزَلَاهُ مِنْ خَشْبَتِهِ وَحَوْلَ
الْخَشَبَةِ أَرْبَعُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَحْرُسُونَهُ ، وَنَزَلَ فِيهِ وَفِي الْمِقْدَادِ : ﴿ وَمَنْ
الَّذِينَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ^(٢) ،

وَهَذَا أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَنَزَلَ فِيهِ وَفِي مَنْ خَلْفَ قُرَيْشٍ
مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ عِنْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنْ قِتَالِ أُحُدٍ : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٣) .

● حِكْمَةٌ مَا أَحْكَمَهَا وَعِبْرَةٌ مَا أَعْبَرَهَا :

عِنْدَمَا مَضَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ﷺ إِلَى (مِصْرَ) فَاتِحًا ، (وَكَانَتْ خَاضِعَةً لِحُكْمِ الرُّومِ) ؛
فَأَخَذَ يُحَرِّرُ مَدَنَهَا وَقَرَاهَا إِلَى أَنْ اسْتَعَصَى عَلَيْهِ حِصْنُ (بَابِلْيُون) ؛ الْوَاقِعُ عَلَى
ضَفَّةِ النَّيْلِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْيَوْمَ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي اسْتِعْصَاءِ الْحِصْنِ عَلَيْهِ ؛ أَنَّ الرُّومَ حَفَرُوا حَوْلَهُ خَنْدَقًا عَظِيمًا ،
وَتَبَتُوا فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهِ حَسَكَ الْحَدِيدِ لِيَعُوقَ الرِّجَالَ وَالخَيْلَ عَنِ التَّقَدُّمِ
نَحْوَهُ ، وَشَحَنُوهُ بِالْجُنُودِ وَالْعِتَادِ ، وَنَقَلُوا إِلَيْهِ رِجَالَ دَوْلَتِهِمْ وَعُظْمَاءَ الْقِبْطِ مِنْ أَهْلِ
مِصْرَ ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمُتَّقَوْسُ ؛ بِطَرِيرِكِ مِصْرَ وَحَاكِمَهَا .

حَاصِرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْحِصْنَ أَمْلًا فِي أَنْ يَضِيقَ حُمَاتُهُ ذَرْعًا بِالْحِصَارِ فَيَسْتَسْلِمُوا
لَهُ ، غَيْرَ أَنَّ النَّيْلَ مَا لَبِثَ أَنْ فَاضَ فَتَسَفَّ الرُّومُ السُّدُودَ وَقَطَعُوا الْجُسُورَ ؛ فَأَحَاطَ
الْمَاءُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَكَادُوا يَهْلِكُونَ غَرَقًا ، عِنْدَ ذَلِكَ ؛ كَتَبَ عَمْرُو بْنُ

الْعَاصِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنْ يُعِينَهُ بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِهِ .

فَبَادَرَ سَيِّدُنَا عُمَرُ إِلَى إِمْدَادِهِ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ أَلْفٍ
قَائِدًا يَقُومُ مَقَامَ أَلْفٍ ؛ هُمْ : عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَالْمِقْدَادُ

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢٠٧ .

(١) سِيَرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ : الذَّهَبِيُّ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الْآيَةُ ١٧٢ .

ابن الأسود ، ومسلمة بن مخلد رضي الله عنهما .

علم المقوقس بالمدد الذي وصل إلى جيش المسلمين ؛ فأرسل إلى عمرو بن العاص ، وفداً من خيرة رجاله ليفاوضوه ، وأوصاهم بأن يقفوا له على أحوال المسلمين ، وأن ينقلوا له صورة دقيقة واضحة عن حياتهم ؛ كما لو كان يراها هو بنفسه .
فقضى رجال الوفد في ضيافة المسلمين ثلاث ليالٍ ؛ فلما عادوا سألهم المقوقس عما رأوا وما سمعوا ؛ فقالوا :

لقد رأينا - والله - قوماً الموت أشهى إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ؛ جلوسهم على التراب ، وأكلهم على الركب ^(١) .

أميرهم كواحد منهم ؛ فما يعرف سيدهم من مسودهم ، ولا رفيعهم ^(٢) من وضيعهم ^(٣) ، وإذا أقيمت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم ، يغسلون أطرافهم ووجوههم بالماء ، ويخشعون لربهم في الصلاة .

فقال المقوقس : والله ! لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولو نازلوا الجن ^(٤) لأبادوها .

وكانما أراد المقوقس أن يرى بأمر عينيه ما حدثه به رجاله ؛ فكتب إلى عمرو بن العاص يقول : أرسلوا إلينا رسلاً من عندكم لتفاوضهم ونعاهدهم .
فأرسل إليه عشرة من رجاله ، وأمر عليهم عبادة بن الصامت .
كان عبادة بن الصامت طويل القامة عظيم الهامة ؛ كث الشعر شديد الهيبة ، يملأ عين رائيهِ رهبة وروعة ؛ فلما تقدم من المقوقس هابه أشد الهيبة ، ودخل في نفسه منه خوف عظيم .

فقال المقوقس لرجال الوفد : نحوا عني هذا الرجل وقدموا غيره ليكلمني .
فقالوا : هذا أميرنا ، وقد عهد إلينا عمرو بن العاص بالأنتقام عليه ، والأنتقام له أمراً .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم إلي أيها الرجل ، وكلمني برفق ؛ فإنني أهاب منظرَكَ .

(٢) رفيعهم : كبيرهم وصاحب القدر فيهم .

(٤) لو نازلوا الجن : أي لو حاربوهم .

(١) وأكلهم على الركب : أي يجلسون على الأرض أثناء الأكل .

(٣) وضيعهم : صغير القدر أو المنصب بينهم .

فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ رضي الله عنه : أَرَاكَ خِفْتَنِي ؛ فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ أَصْحَابِي ، وَفِيهِمْ أَلْفُ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَشَدُّ مِنِّي قُوَّةً وَهَوَلًا .

فَقَالَ لَهُ الْمُقَوْسُ : مَا الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ؟ وَمَا الَّذِي تُرِيدُونَهُ مِنَّا ؟ .
فَقَالَ سَيِّدُنَا عُبَادَةُ : إِنَّا وَاللَّهِ .. مَا خَرَجْنَا إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنا صلوات الله عليه أَلَّا تَكُونَ بُغْيَةٌ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا ؛ إِلَّا مَا يَسُدُّ جَوْعَتَهُ ، وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ ؛ لِأَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَيْسَ بِنَعِيمٍ ، وَإِنَّمَا النِّعِيمُ نَعِيمُ الْآخِرَةِ .

فَقَالَ لَهُ الْمُقَوْسُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ ، وَلِعَمْرِي مَا بَلَغْتُمْ الَّذِي بَلَغْتُمُوهُ إِلَّا بِمَا ذَكَرْتَ ، وَمَا انْتَصَرْتُمْ عَلَى الَّذِينَ انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ إِلَّا لِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَكُرْهِكُمْ لَهَا ؛ غَيْرَ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَنْ تَقْوُوا عَلَيْهِمْ ؛ لِقِلَّتْكُمْ وَضِيقَ ذَاتِ يَدِكُمْ ، وَنَحْنُ تَطِيبُ أَنْفُسِنَا بِأَنْ نَعْطِيَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ دِينَارَيْنِ ، وَلِأَمِيرِكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ ، وَلِخَلِيفَتِكُمْ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَتَتَصَرَّفُوا عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ .

فَقَالَ لَهُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ : إِنَّ مَا تُخَوِّفُنَا بِهِ مِنْ كَثْرَةِ الرُّومِ ؛ لَا يَصُدُّنَا عَنْ غَايَتِنَا ، وَإِنَّا مُوقِنُونَ بِأَنَّنا سَنَفُوزُ بِإِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ؛
فَإِنْ ظَفَرْنَا بِكُمْ عَظُمْتَ لَنَا غَنِيمَةُ الدُّنْيَا ، وَإِنْ ظَفَرْتُمْ بِنَا عَظُمْتَ لَنَا غَنِيمَةُ الْآخِرَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ؛ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ وَالْأُيُودَ إِلَى أَهْلِهِ خَائِبًا ، وَقَدْ اسْتَوَدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ عِنْدَ اللَّهِ .

ثُمَّ عَرَضَ رضي الله عنه عَلَى الْمُقَوْسِ : الْإِسْلَامَ ، أَوْ الْجِزْيَةَ ^(١) ، أَوْ الْقِتَالَ .
فَأَبَى قَوْمُ الْمُقَوْسِ الْإِسْلَامَ ، وَأَنْفُوا ^(٢) مِنْ دَفْعِ الْجِزْيَةِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِتَالُ .
عِنْدَ ذَلِكَ ؛ عَزَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى افْتِحَامِ الْحِصْنِ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ غَالِيًا .
فَقَامَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه وَقَالَ : إِنِّي أَهْبُ نَفْسِي لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَخَذَ سُلْمًا عَالِيًا لِيَرْقِيَ بِهِ جِدَارَ الْحِصْنِ ، وَطَلَبَ مِنْ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُكْبِرُوا وَرَاءَهُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ إِذَا سَمِعُوا تَكْبِيرَهُ .

(١) الْجِزْيَةُ : مَا يَدْفَعُهُ أَهْلُ الدِّمَّةِ مُقَابِلَ حِمَايَتِهِمْ .

(٢) أَنْفُوا : اسْتَكْبَرُوا .

وما هي إلا لحظات ؛ حتى كان الفارس المغوار يمتطي أسوار الحصن وهو مشهر سيفه ، وصيحة (الله أكبر) تتطلق مدوية من فمه ، فانطلقت وراءه آلاف الحناجر تردد (الله أكبر) ، فزلزل دويها القلوب ودك العزائم .

والتقى سيدنا الزبير بنفسه داخل الحصن ، وتبعه طائفة من جند المسلمين ؛ فأعملوا السيوف في رقاب الروم الذين أذهلتهم المفاجأة ، وفتحوا باب الحصن في وجوه المسلمين ، فتدفق عليه صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم عبادة بن الصامت ، ودارت بين الفريقين رحى معركة ضروس ؛ كتب الله فيها لجنده النصر ، وضمت إلى دولة القرآن لؤلؤة الدنيا مصر .

سيدنا عبد الرحمن بن عوف

وأما عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ فهو ﷺ يلتقي نسبه مع نسب النبي ﷺ في كلاب بن مرة ، وهو من السابقين للإسلام أسلم على يد أبي بكر ﷺ قبل أن يدخل الرسول الكريم ﷺ دار الأرقم ^(١) ، وذلك بعد إسلام الصديق بيومين ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر ﷺ ، وقال : توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، فلما أسلم دعاه الرسول الكريم ﷺ : عبد الرحمن .

ولقي من العذاب في سبيل الله ما لقيه المسلمون الأولون فصبر وصبروا ، وثبت وثبتوا ، وصدق وصدقوا ، وفر بدينه إلى الحبشة كما فر كثير منهم بدينه .

ولما أذن للرسول ﷺ وأصحابه بالهجرة إلى المدينة كان في طليعة المهاجرين الذين هاجروا لله ورسوله ، ولما أخذ الرسول ﷺ يواخي بين المهاجرين والأنصار

(١) دار الأرقم : دار في مكة كان رسول الله ﷺ يدعو فيها إلى الإسلام . وهي للأرقم بن عبد مناف المخزومي ، وكانت تسمى دار الإسلام .

أَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ سَعْدٌ لِأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ : أَيُّ أَخِي ، أَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَالاً ، وَعِنْدِي بُسْتَانَانِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَيُّ بُسْتَانِي أَحَبُّ إِلَيْكَ حَتَّى أَخْرُجَ لَكَ عَنْهُ ، وَأَيُّ امْرَأَتِي أَرْضَى عِنْدَكَ حَتَّى أُطْلِقَهَا لَكَ ، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِأَخِيهِ الْأَنْصَارِيِّ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَلَكِنْ دُلْنِي عَلَى السُّوقِ ، فَدَلَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَتَجَرُّ ، وَطَفِقَ يَشْتَرِي وَيَبِيعُ ، وَيَرْبُحُ وَيَدْخُرُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مَهْرُ امْرَأَةٍ فَتَزَوَّجَ ، وَجَاءَ الرَّسُولُ ﷺ وَعَلَيْهِ طَيْبٌ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَهِيمٌ ^(٢) يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ) .
فَقَالَ : تَزَوَّجْتُ ، فَقَالَ ﷺ : (وَمَا أُعْطِيتَ زَوْجَتَكَ مِنَ الْمَهْرِ ١٩) .
قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ .

قَالَ ﷺ : (أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ) .
قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَأَقْبَلْتُ الدُّنْيَا عَلَيَّ حَتَّى رَأَيْتُنِي لَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَتَوَقَّعْتُ أَنْ أَجِدَ تَحْتَهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً .

وَفِي يَوْمٍ (بَدْرٍ) جَاهَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ : فَأَرْدَى عَدُوَّ اللَّهِ عُمَيْرَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ كَعْبِ التَّمِيمِيِّ .
وَفِي يَوْمٍ (أُحُدٍ) ثَبَتَ حِينَ زُلْزَلَتِ الْأَقْدَامُ ، وَصَمَدَ حِينَ فَرَّ الْمُنْهَزِمُونَ ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَفِيهِ بِضْعَةٌ ^(٣) وَعِشْرُونَ جُرْحًا ، بَعْضُهَا عَمِيقٌ تَدْخُلُ فِيهِ يَدُ الرَّجُلِ .
وَلَكِنَّ جِهَادَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِنَفْسِهِ أَصْبَحَ يُعَدُّ قَلِيلًا إِذَا قِيسَ بِجِهَادِهِ بِمَالِهِ ، فَهَا هُوَ ذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُجَهِّزَ سَرِيَّةً ، فَوَقَفَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : (تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْثًا) .

فَبَادَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِلَى مَنْزِلِهِ وَعَادَ مُسْرِعًا ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي أَرْبَعَةُ آلَافٍ : أَلْفَانِ مِنْهَا أَقْرَضْتُهُمَا رَبِّي ، وَأَلْفَانِ تَرَكْتُهُمَا لِعِيَالِي ، فَقَالَ الرَّسُولُ

(١) هُوَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي زُهَيْرِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَزْرَجِيُّ ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ ، أَخَذَ النُّقْبَاءَ اسْتَشْهَدَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ .
(٢) مَهِيمٌ : كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ تُقْبَلُ الْاسْتِنْسَارَ وَالْتَمَجُّبَ .
(٣) بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ جُرْحًا : الْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّمَعِ ، وَهُوَ يُؤْتَى مَعَ الْمُدَّكَرِ وَيُذَكَّرُ مَعَ الْمُؤَنَّثِ .

ﷺ : (بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أُعْطِيتَ ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكَتَ) (١) .

وَلَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى غَزْوَةِ (تَبُوكَ) (٢) - وَهِيَ آخِرُ غَزْوَةِ غَزَاهَا ﷺ فِي حَيَاتِهِ - كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْمَالِ لَا تَقِلُّ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الرَّجَالِ ؛ فَجَيْشُ الرُّومِ وَافِرُ الْعَدَدِ كَثِيرُ الْعُدَدِ ، وَالسَّنَةُ فِي الْمَدِينَةِ سَنَةٌ جَدْبٍ ، وَالسَّفَرُ طَوِيلٌ ، وَالْمَوْئِنَةُ قَلِيلَةٌ ، وَالرَّوَاهِلُ أَقَلُّ حَتَّى إِنْ نَصَرْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَاؤُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ فِي حُرْقَةٍ أَنْ يَأْخُذَهُمْ مَعَهُ فَرَدَّهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، فَتَوَلَّوْا وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ، فَسَمُّوا بِالْبَكَاثِينِ ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْجَيْشِ اسْمُ (جَيْشِ الْعُسْرَةِ) .

عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاحْتِسَابِ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، فَهَبَّ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ الْمُتَصَدِّقِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ؛ فَقَدْ تَصَدَّقَ بِمِائَتِي أَوْقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ .

وَمَضَى الْجَيْشُ إِلَى (تَبُوكَ) ، وَهُنَاكَ أَكْرَمَ اللَّهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بِفَضِيلَةٍ عَلَتْ جَمِيعَ فَضَائِلِهِ ؛ فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَائِبٌ ؛ فَأَمَّ الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَمَا كَادَتْ تَتِمُّ الرَّكْعَةُ الْأُولَى حَتَّى لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُصَلِّينَ ، وَاقْتَدَى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَصَلَّى خَلْفَهُ .
فَهَلْ هُنَاكَ أَكْرَمُ كَرَامَةٍ وَأَفْضَلُ فَضْلًا مِنْ أَنْ يَغْدُوَ أَحَدٌ إِمَامًا لِسَيِّدِ الْخَلْقِ ، وَإِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ۝۶ .

✽ أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
(مَا قُبِضَ نَبِيٌّ حَتَّى يُصَلِّيَ خَلْفَ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ أُمَّتِهِ) .

وَلَمَّا لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، أَصْبَحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُقَوْمُ بِمِصَالِحِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَانَ يَنْهَضُ بِحَاجَاتِهِنَّ ، فَيَخْرُجُ مَعَهُنَّ إِذَا خَرَجْنَ ،

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَجَرٍ الْمَسْقَلَانِي فِي فَتْحِ الْبَارِي .

(٢) تَبُوكَ : مَدِينَةٌ عَلَى حُدُودِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَانَتْ بِأَيْدِي الرُّومِ ، وَهِيَ الْآنَ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ .

وَيَحُجُّ مَعَهُنَّ إِذَا حَجَّجْنَ وَيَجْعَلُ عَلَى هَوَادِجِهِنَّ^(١) الطَّيَالِسَةَ^(٢) ، وَيَنْزِلُ بِهِنَّ فِي
الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَسْرَهُنَّ ، وَتِلْكَ مَنَقِبَةٌ^(٣) مِنْ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَثِقَةٌ مِنْ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَعْتَزَّ بِهَا وَيَفْخَرَ .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ بَرِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْمُسْلِمِينَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ بَاعَ أَرْضًا
لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَسَمَهَا كُلَّهَا فِي بَنِي (زُهْرَةَ)^(٤) ، وَفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَعَثَ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ
بِهَا خَصَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ ، قَالَتْ : مَنْ بَعَثَ هَذَا الْمَالَ ؟ ، فَقِيلَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ عَوْفٍ ، فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(لَا يَحْنُو عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ)^(٥) .

وَقَدْ اسْتَجِيبَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَبُورِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي مَالِهِ ، فَقَدْ أَخَذَتْ
تِجَارَتُهُ تَمَوُّوتًا وَتَزَادًا ، وَطَفِقَتْ عَيْرُهُ^(٦) تَتَرَدَّدُ ذَاهِبَةً مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ آيِيَةً^(٧) إِلَيْهَا تَحْمِلُ
لِأَهْلِهَا الْبُرَّ^(٨) ، وَالذَّقِيقَ ، وَالذُّهْنَ ، وَالثِّيَابَ ، وَالْأَنْيَةَ ، وَالطَّيِّبَ ، وَكُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ
إِلَيْهِ ، وَتَنْقُلُ مَا يَفْضَلُ عَنْ حَاجَتِهِمْ مِمَّا يُنْتَجُونَ .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ قَدِمَتْ عَيْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ مُؤَلَّفَةً مِنْ
سَبْعِمِائَةِ رَاحِلَةٍ وَهِيَ تَحْمِلُ عَلَى ظُهُورِهَا الْمِيرَةَ^(٩) ، وَالْمَتَاعَ ، وَكُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
النَّاسُ .

فَمَا إِنْ دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ حَتَّى رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ، وَسُمِعَ لَهَا دَوِيُّ وَضَجَّةٍ ، فَقَالَتْ
السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا هَذِهِ الرَّجَّةُ ؟ ، فَقِيلَ لَهَا ، عَيْرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ،
سَبْعِمِائَةِ نَاقَةٍ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَالذَّقِيقَ وَالطَّعَامَ .

فَقَالَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيمَا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَلِثَوَابِ الْآخِرَةِ
أَعْظَمُ) .

(١) الهَوَادِجُ : جَمْعُ هَوْدَجٍ : وَهُوَ مَحْمَلٌ لَهُ قَبَّةٌ يُوَضَّعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِتَرْكَبَ فِيهِ النَّسَاءُ .

(٢) الطَّيَالِسَةُ : أَكْبِشَةٌ خَضْرَاءُ يَسْتَعْمِلُهَا الْخَوَاصُّ .

(٣) مَنَقِبَةٌ : صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ : دَعَبَدَ الرَّحْمَنِ رَأْفَتِ الْبَاشَا .

(٤) بَنُو زُهْرَةَ : قَوْمُ السَّيِّدَةِ أَمِينَةَ بِنْتِ وَهْبِ أُمِّ الرَّسُولِ ﷺ .

(٥) الْمِيرُ : الْقَاطِلَةُ .

(٦) آيِيَةٌ : عَائِدَةٌ .

(٧) الْبُرُّ : الْقَمْحُ .

(٨) الْمِيرَةُ : الطَّعَامُ .

وَقَبْلَ أَنْ تَبْرُكَ النُّوقُ ، كَانَ الْخَبْرُ قَدْ نُقِلَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه ، فَمَا
 إِنْ لَامَسَتْ مَقَالَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعَهُ حَتَّى طَارَ مُسْرِعاً إِلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها ،
 وَقَالَ : أَشْهَدُكَ يَا أُمَّهُ أَنَّ هَذِهِ الْعِيرَ جَمِيعَهَا بِأَحْمَالِهَا وَأَقْتَابِهَا ^(١) وَأَحْلَاسِهَا ^(٢) فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ .

تُوَفِّيَ رضي الله عنه فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه سَنَةً إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَعُمُرُهُ
 خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ذُو النُّورَيْنِ ، وَدُفِنَ رضي الله عنه بِالْبَقِيعِ ، وَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ
 السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها حِينَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ أَنْ هَلُمَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَإِلَى إِخْوَانِكَ
 (تُرِيدُ أَنَّهُ يَدْفِنُ فِي حُجْرَتِهَا) ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ مُضِيقاً عَلَيْكَ بَيْتِكَ ، إِنْ كُنْتُ عَاهَدْتُ
 عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ أَنَا مَاتَ دُفِنَ إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ ؛ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا عُثْمَانُ بْنُ
 مَطْعُونٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مَعَ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .

سَيِّدُنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه

وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَهُوَ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ
 كِلَابٍ ؛ يَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ ، وَهُوَ أَيْضاً مِنَ السَّابِقِينَ
 لِلْإِسْلَامِ ، وَمِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَمِنَ السِّتَّةِ أَصْحَابِ الشُّورَى الَّذِينَ
 اخْتَارَهُمْ عُمَرُ رضي الله عنه وَأَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تُوَفِّيَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ .

اعْتِنَاقُ سَعْدِ الْإِسْلَامِ زَادَ وَطَاقَةً لِمُعْتَبَرٍ عَلَى الدَّوَامِ :

كَانَ سَعْدٌ حِينَ أَشْرَقَ نُورُ النُّبُوَّةِ فِي مَكَّةَ شَابًّا رِيَّانَ الشَّبَابِ ^(٢) غَضَّ الْإِهَابِ ^(٤) رَقِيقَ
 الْعَاطِفَةِ كَثِيرَ الْبِرِّ بِوَالِدَيْهِ شَدِيدَ الْحُبِّ لِأُمَّهُ خَاصَّةً .

وَقِصَّةُ إِسْلَامِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ لَمْ تَمَرَّ سَهْلَةً هَيِّنَةً ، وَإِنَّمَا عَرَّضَتْ الْفَتَى
 الْمُؤْمِنَ لِتَجْرِبَةٍ مِنْ أَقْسَى التَّجَارِبِ قَسْوَةً وَأَعْنَفِهَا عُنْفًا ؛ حَتَّى إِنَّهُ بَلَغَ مِنْ قَسَوَاتِهَا
 وَعُنْفِهَا أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِهَا فُرْزَانًا ... يَسْرُدُ هُوَ رضي الله عنه خَبَرَ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ
 الْفُذَّةَ ، فَيَقُولُ :

(٢) الأَحْلَاسُ ، كُلُّ مَا يُضَعُّ عَلَى ظَهْرِ الدَّائِيَّةِ تَحْتَ الرَّحَالِ وَالْمَسْرُوحِ .

(١) الْأَقْتَابُ : الرَّحَالُ الَّتِي تُوضَعُّ عَلَى ظُهُورِ الْجِمَالِ .

(٤) غَضَّ الْإِهَابِ : غَضَّ الْجِلْدِ ، كِتَابَةٌ مِنْ أَنَّهُ فِي مُقْتَبَلِ الْعُمُرِ وَرَوَيْتِهِ .

(٣) رِيَّانَ الشَّبَابِ : طَرِيَّ الشَّبَابِ مُؤَنَّفَةٌ .

رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ أَنْ أُسَلِّمَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ كَأَنِّي غَارِقٌ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَتَخَبَّطُ فِي لُجَجِهَا ^(١) إِذْ أَضَاءَ لِي قَمَرٌ فَاتَّبَعْتُهُ فَرَأَيْتُ نَفْرًا أَمَامِي قَدْ سَبَقُونِي إِلَى ذَلِكَ الْقَمَرِ ؛ رَأَيْتُ : زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقِ ... فَقُلْتُ لَهُمْ : مُنْذُ مَتَى أَنْتُمْ هَاهُنَا ۖ ، فَقَالُوا : السَّاعَةَ .

ثُمَّ إِنِّي لَمَّا طَلَعَ عَلَيَّ النَّهَارُ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ مُسْتَخْفِيًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِي خَيْرًا ، وَشَاءَ أَنْ يُخْرِجَنِي بِسَبَبِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا ، حَتَّى لَقَيْتُهُ فِي شِعْبِ (جِيَادِ) ^(٢) ، وَقَدْ صَلَّى الْعَصْرَ ، فَأَسْلَمْتُ فَمَا تَقَدَّمَ نِي أَحَدٌ سِوَى النَّفَرِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فِي الْحُلْمِ .

ثُمَّ تَابَعَ سَيِّدُنَا سَعْدٌ رِوَايَةَ قِصَّةِ إِسْلَامِهِ ، فَقَالَ :

وَمَا إِنْ سَمِعْتُ أُمَّي بِخَبَرِ إِسْلَامِي حَتَّى ثَارَتْ نَائِرَتُهَا ^(٣) ، وَكُنْتُ فَتَنِي بَرًّا بِهَا مُجِبًّا لَهَا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ تَقُولُ : (يَا سَعْدُ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي اعْتَقَقْتَهُ فَصَرَفَكَ عَنْ دِينِ أُمَّكَ وَأَبِيكَ ، وَاللَّهِ لَتَدْعَنَ دِينَكَ الْجَدِيدَ أَوْ لَا أَكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ ؛ فَيَتَفَطَّرُ فُؤَادُكَ حُزْنًا عَلَيَّ ، وَيَأْكُلُكَ النَّدَمُ عَلَى فِعْلِكَ الَّتِي فَعَلْتَ ، وَتُعَيِّرُكَ النَّاسُ بِهَا أَبَدَ الدَّهْرِ .

فَقُلْتُ : لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّهُ ، فَأَنَا لَا أَدْعُ دِينِي لِأَيِّ شَيْءٍ .

لَكِنِّهَا مَضَتْ فِي وَعِيدِهَا ، فَاجْتَنَبْتُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، وَمَكَّثْتُ أَيَّامًا عَلَى ذَلِكَ لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ ، فَهَزَلَ جِسْمُهَا وَوَهَنَ عَظْمُهَا وَخَارَتْ قُوَاهَا .

فَجَعَلْتُ آتِيهَا سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ أَسْأَلُهَا أَنْ تَتَبَّلَّغَ ^(٤) بِشَيْءٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ قَلِيلٍ مِنْ شَرَابٍ ، فَتَأْبِي ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِبَاءِ ، وَتَقْسِمُ أَلَّا تَأْكُلَ أَوْ تَشْرَبَ حَتَّى تَمُوتَ أَوْ أَدْعُ دِينِي ، عِنْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّهُ إِنِّي عَلَى شَدِيدِ حُبِّي لَكَ لِأَشَدِّ حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أَلْفُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ مِنْكَ نَفْسًا بَعْدَ نَفْسٍ مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ .

فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنِّي أَدْعَنْتُ لِلْأَمْرِ ، وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ عَلَى كُرْهِ مِنْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيْنَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ :

(٢) شِعْبُ جِيَادٍ : أَحَدُ شِعَابِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ .

(١) اللُّجُجُ : جَمْعُ لُجَّةٍ وَهِيَ مُنْظَمٌ الْمَاءِ وَأَعْمَقُهُ .

(٤) تَبَّلَّغَ : تَنَاوَلُ الْقَلِيلَ الَّذِي يَحْفَظُ حَيَاتَهَا .

(٣) ثَارَتْ نَائِرَتُهَا : اسْتَعْلَتْ نَارَ غَضَبِهَا .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَةٌ فِي عَامِيْنِ أَنْ
 أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
 لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
 أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .
 الْمَزِيدُ مِنْ فَضَائِلِهِ ﷺ :

﴿هُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَىٰ بِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) .

﴿وَصَحَّ قَوْلُهُ ﷺ لِسَعْدٍ : (اللَّهُمَّ سَدِّدْ سَهْمَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ)﴾ (٣) .

● وَظَهَرَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْقَضَايَا إِجَابَةُ دَعْوَتِهِ فَكَانَ ﷺ مَشْهُورًا بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ .

﴿أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ يَقُولُ لِسَعْدٍ يَوْمَ
 أُحُدٍ : (أَرِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)﴾ (٤) .

● قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : لَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي) فِيمَا بَلَّغْنَا إِلَّا
 لِسَعْدٍ وَالزُّبَيْرِ ، فَإِنَّهُ قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ذَلِكَ .

﴿وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : أَقْبَلَ سَعْدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ ، فَقَالَ : (هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي أَمْرًا خَالَهُ)﴾ (٥) .

● وَإِنَّمَا كَانَ خَالَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ ،
 وَأُمُّ النَّبِيِّ ﷺ أَمَةٌ ابْنَةُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ ؛ فَوَهَّبَ أَبُوهَا وَمَالِكُ أَبُو
 سَعْدٍ أَخَوَانِ ؛ فَمَالِكُ أَبُو سَعْدٍ هُوَ خَالَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَسَعْدُ ابْنُ خَالِهِ ؛ وَإِنَّمَا أُطْلِقَ
 عَلَيْهِ خَالًا عَلَىٰ عَادَةِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يُسَمُّونَ أَقْرَابَ الْأُمَّمِ أَخْوَالًا .

﴿وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ
 يَوْمًا : (أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)﴾ (٦) ، فَدَخَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي

(٢) أَخْرَجَهُ الْعَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

(١) سُورَةُ ثَقَمَانَ : الْآيَاتَانِ ١٤ ، ١٥ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْعَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ . وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمُصَنَّفِ ، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَائَةِ ، وَالْهَنْدِيُّ فِي كُنْزِ الْعَمَالِ .

(٤) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَابْنُ أَبِي عَسَاكِرٍ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَالْعَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ . (٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَهْدِيبِ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

وقاص رضي الله عنه .

✽ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(سعد بن أبي وقاص يعد بألف فارس) ^(١) .

✽ وكان رضي الله عنه أحد الفرسان والشجعان المشهورين ، وتولى قتال فارس ، وكان على يديه فتح القادسية وغيرها .

● وإنما عزله عمر رضي الله عنه عن الكوفة صيانة له عن طعن من طعن فيه وقطما للنزاع والفتنة ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه للستة أصحاب الشورى : إن أصاب الأمر سعداً فذاك وإلا فليستعن به أيكم أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة .

✽ عن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن جده ، قال : دعا سعد فقال : يارب إن لي بين صفاراً فأخر عني الموت حتى يبلغوا ، فأخر عنه الموت عشرين سنة ^(٢) .

وفاته رضي الله عنه : توفى رضي الله عنه بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، وحمل على أعناق الرجال ودفن بالبقيع ، وصلى عليه مروان بن الحكم (وهو يومئذ والي المدينة) ، وكانت وفاته سنة خمس وخمسين وقيل أربع وخمسين ، وقيل ثمان وخمسين ، وعمره بضع وسبعون ، وقيل : بضع وثمانون ، وقيل بضع وتسعون ، ومروا بجنازته على حجر أمهات المؤمنين رضى الله عنهم فصلين عليه .

سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه

وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر العدوي القرشي ؛ فهو يلتقي نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ، ومع عمر بن الخطاب في نفيل ؛ فهو ابن عمه ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، وبعته النبي صلى الله عليه وسلم هو وطلحة بن عبيد الله إلى الشام قبل غزوة بدر يتجسسان أخبار عير قريش ، ولم يحضرا القتال يوم بدر ، وقديما المدينة يوم وقعة بدر ، فضرب لهما

(٢) صفة الصفوة : ابن الجوزي .

(١) سيرة أعلام النبلاء : الدمبي .

النَّبِيِّ ﷺ بِسَهْمٍ وَأَجْرٍ ، فَهُمَا مَعْدُودَانِ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ .

● كَانَ أَبُو سَعِيدٍ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو يَطْلُبُ دِينَ الْحَنِيفِيَّةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ لَا يَذْبَحُ لِلْأَنْصَابِ ، وَلَا يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَلَا الدَّمَ ، وَكَانَ يَقُولُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي ، وَكَانَ يُحِبُّ الْمَوْؤَدَةَ وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ : لَا تَقْتُلْهَا وَأَنَا أَكْفِيكَ مَوْوِنَتَهَا فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ ، قَالَ لِأَبِيهَا : إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتَكَ مَوْوِنَتَهَا^(١) .

وَخَرَجَ زَيْدٌ إِلَى الشَّامِ لِيَطْلُبَ الدِّينَ الْحَقَّ ، فَلَقِيَهُ رَاهِبٌ فَقَالَ لَهُ : إِنْ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ ، فَتَوَفَّى عَلَى التَّوْحِيدِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ ابْنُهُ سَعِيدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنْ زَيْدًا كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ ، أَسْتَفْرُ لَهُ ؟ ، قَالَ ﷺ : (نَعَمْ) ، فَاسْتَفْرَ لَهُ ﷺ ، وَقَالَ : (إِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ)^(٢) ، وَلَمْ يُنْقَلْ فِي فَضْلِ أَحَدٍ مِنْ آبَاءِ الْعَشْرَةِ مَا نُقِلَ فِي فَضْلِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو .

● وَفِيمَا كَانَ زَيْدٌ يَلْفُظُ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ حَرَمْتَنِي مِنْ هَذَا الْخَيْرِ فَلَا تَحْرِمْ مِنْهُ ابْنِي سَعِيدًا . وَشَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ دَعْوَةَ زَيْدٍ ؛ وَلَمْ يُسَلِّمْ سَعِيدٌ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَتْ مَعَهُ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ أُخْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

وَقَدْ لَقِيَ الْفَتَى الْقُرَشِيُّ مِنْ أَدَى قَوْمِهِ مَا كَانَ خَلِيقًا^(٣) أَنْ يَفْتَنَهُ عَنْ دِينِهِ ؛ وَلَكِنَّ قُرَيْشًا بَدَلًا مِنْ أَنْ تَصْرِفَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ اسْتَطَاعَ هُوَ وَزَوْجُهُ أَنْ يَنْتَزِعَا مِنْهَا رَجُلًا مِنْ أَثْقَلِ رِجَالِهَا وَزَنَا ، وَأَجَلَّهُمْ حَطْرًا :

حَيْثُ كَانَا سَبَبًا فِي إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

● شَهِدَ سَعِيدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا بَدْرًا ؛ فَقَدْ غَابَ عَنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي مُهِمَّةٍ كَلَّفَهُ إِيَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ .

وَأَسْهَمَ ﷺ فِي اسْتِلَالِ عَرْشِ كِسْرَى ، وَتَقْوِيضِ مُلْكِ قَيْصَرَ ، وَكَانَتْ لَهُ فِي كُلِّ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

(٢) سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ : الذَّهَبِيُّ .

(٣) خَلِيقًا : جَدِيرًا .

مَوْقِعَةٍ خَاضَ غِمَارَهَا الْمُسْلِمُونَ مَوَاقِفُ غُرِّ مَشْهُودَةٍ ، وَأَيَادٍ بِيضٌ مَحْمُودَةٌ وَلَعَلَّ
أَرْوَغَ بَطُولَاتِهِ ، تِلْكَ الَّتِي سَجَّلَهَا يَوْمَ الْيَرْمُوكِ .

شَهِدَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَحَ (دِمَشْقَ) ، فَلَمَّا دَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ بِالطَّاعَةِ ، جَعَلَهُ
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه وَالْيَا عَلِيَّهَا ، فَكَانَ رضي الله عنه أَوَّلَ مَنْ وَلِيَ إِمْرَةَ دِمَشْقَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ .

● وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه مُجَابَ الدَّعْوَةِ ؛ تَجَلَّى ذَلِكَ عِنْدَمَا وَقَعَتْ لَهُ حَادِثَةٌ ظَلَّ
أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا زَمَانًا طَوِيلًا :

ذَلِكَ أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ زَعَمَتْ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ قَدْ غَضِبَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا وَضَمَّهَا
إِلَى أَرْضِهِ ، وَجَعَلَتْ تَلُوكُ^(١) ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَتَحَدَّثُ بِهِ ، ثُمَّ رَفَعَتْ أَمْرَهَا إِلَى
مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْيَا الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ أَنَا سَأُكَلِّمُونَهُ فِي
ذَلِكَ ، فَصَعِبَ الْأَمْرُ عَلَى صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَقَالَ :

يَرُونَنِي أَظْلَمُهَا !! كَيْفَ أَظْلَمُهَا ؟! وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ :
(مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ) ^(٢) ، اللَّهُمَّ إِنَّهَا
قَدْ زَعَمَتْ أَنِّي ظَلَمْتُهَا ، فَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً ، فَأَعْمِ بَصَرَهَا ، وَأَلْقِهَا فِي بَيْرِهَا الَّذِي
تُتَارَعُنِي فِيهِ ، وَأَظْهِرْ مِنْ حَقِّي نُورًا يُبَيِّنُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنِّي لَمْ أَظْلَمُهَا .
لَمْ يَمُضْ عَلَى ذَلِكَ غَيْرٌ قَلِيلٍ ، حَتَّى سَأَلَ الْعَقِيقُ ^(٣) بِسَيْلٍ لَمْ يَسِلْ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَكَشَفَ
عَنِ الْحَدِّ الَّذِي كَانَا يَخْتَلِفَانِ فِيهِ ، وَظَهَرَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنَّ سَعِيدًا كَانَ صَادِقًا .
وَلَمْ تَلْبَثِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى عَمِيَتْ ، وَبَيْنَا ^(٤) هِيَ تَطُوفُ فِي أَرْضِهَا تِلْكَ ،
سَقَطَتْ فِي بَيْرِهَا .

وَفَاتَهُ رضي الله عنه : كَانَتْ وَفَاتُهُ رضي الله عنه سَنَةَ خَمْسِينَ أَوْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ مِنْ هِجْرَتِهِ صلوات الله عليه
وَعُمُرُهُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ ،
وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه .

(١) تَلُوكُ ذَلِكَ : تَرَدَّدَهُ . (٢) أَخْرَجَهُ مُعَلِّمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي كِتَابِ النُّمَالِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيبَةِ .

(٣) الْعَقِيقُ : وَادٍ فِي الْمَدِينَةِ يَجْرِي فِيهِ السَّبِيلُ . (٤) بَيْنَنَا : عِنْدَمَا .

سَيِّدُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ بْنِ هِلَالِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَرْثِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ : فَهُوَ يَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله فِي فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ : الْقَرَشِيُّ الْفِهْرِيُّ ، وَهُوَ رضي الله عنه مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله .

● نَعَتُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رضي الله عنه ، فَقَالَ : ثَلَاثَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَصْبَحَ النَّاسُ وُجُوهاً ، وَأَحْسَنُهَا أَخْلَاقاً ، وَأَثْبَتُهَا حَيَاءً ، إِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذُبُوكَ ^(١) ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ لَمْ يُكْذِبُوكَ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ .

✽ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله ، قَالَ : (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) ^(٢) ، فَكَانَ يُدْعَى الْقَوِيَّ الْأَمِينَ .

● وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ كَانِ أَبُوهُ مَعَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَجَعَلَ يَتَّصِدِي لِابْنِهِ أَبِي عُبَيْدَةَ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَجَّ الْأَبُ فِي الْهَجُومِ ، وَأَكْثَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنَ التَّحْيِي ، وَسَدَّ الرَّجُلُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ الْمَسَالِكَ ، وَوَقَفَ حَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ : فَقَتَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ .

لَمْ يَقْتُلْ أَبُو عُبَيْدَةَ أَبَاهُ ، وَإِنَّمَا قَتَلَ الشَّرْكَ فِي شَخْصِ أَبِيهِ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَشَأْنِ أَبِيهِ قُرْآنًا ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي

(١) لَمْ يَكْذِبُوا عَلَيْكَ .

(٢) وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ ، وَابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ .

قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴿١﴾ .

● وفي يوم (أحد) حين هزم المسلمون وطفق صائح المشركين ينادي : دُلُونِي
عَلَى مُحَمَّدٍ ... دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَحَدَ النَّفَرِ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ أَحَاطُوا
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَذُودُوا عَنْهُ بِصُدُورِهِمْ رِمَاحَ الْمُشْرِكِينَ .

فَلَمَّا أَنْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ كَسِرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ ^(٢) وَشَجَّ جَبِينُهُ ، وَغَارَتْ
فِي وَجْنَتِهِ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلْقِ دِرْعِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الصَّدِيقُ يُرِيدُ انْتِزَاعَهُمَا مِنْ وَجْنَتِهِ
ﷺ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ :

أَفْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَ ذَلِكَ لِي ، فَخَشِيَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ أَقْتَلَهُمَا بِيَدِهِ أَنْ
يُؤَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَعَضَّ عَلَى أَوْلَاهُمَا بِثَنِيَّتِهِ ^(٣) عَضًّا قَوِيًّا مُحْكَمًا فَاسْتَخْرَجَهَا
وَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ ﷺ .

ثُمَّ عَضَّ عَلَى الْأُخْرَى بِثَنِيَّتِهِ الثَّانِيَةِ فَاقْتَلَعَهَا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ الثَّانِيَةُ ﷺ .
قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : (فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتْمًا) ^(٤) .

● عَنْ نَمْرَانَ بْنِ مَخْمَرٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ فِي الْعَسْكَرِ ،
فَيَقُولُ : أَلَا رَبُّ مَبِيضٍ لِيثَابِهِ مُدْنَسٌ لِدِينِهِ ، أَلَا رَبُّ مُكْرَمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهَيِّنٌ ،
بَادِرُوا السَّيِّئَاتِ الْقَدِيمَاتِ بِالْحَسَنَاتِ الْحَدِيثَاتِ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ عَمِلَ مِنَ السَّيِّئَاتِ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً لَعَلَّتْ فَوْقَ سَيِّئَاتِهِ حَتَّى تَغْمُرَهُنَّ ^(٥) .

● لَمَّا أُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي طَاعُونِ عَمَّوَسَ ، أَوْصَى جُنْدَهُ فَقَالَ :
إِنِّي مُوَصِّيكُمْ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبِلْتُمُوهَا لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ : أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ ،
وَصُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَتَصَدَّقُوا ، وَحُجُّوا ، وَاعْتَمِرُوا ، وَتَوَاصَوْا ، وَانصَحُوا

(٢) لِيَذُودُوا عَنْهُ : لِيَذُوعُوا عَنْهُ .

(٤) الثَّنِيَّةُ : وَجْمَتُهَا ثَنَايَا ، وَهِيَ أَسْنَانٌ مُقَدَّمُ الْقَمِ .

(٦) حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ : أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْفَهَانِي .

(١) سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ : آيَةُ ٢٢ .

(٣) الرِّبَاعِيَّةُ : السِّنُّ الَّتِي بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَالنَّابِ .

(٥) الْأَقْتَمُ : مَنِ انْكَسَرَتْ ثَنِيَّتَاهُ .

لَأْمْرَائِكُمْ وَلَا تَفْشُوهُمْ ، وَلَا تُلْهِكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَوْ عَمَّرَ أَلْفَ حَوْلٍ مَا كَانَ لَهُ
بُدٌّ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَصْرَعِي هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ .

إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى بَنِي آدَمَ فَهُمْ مَيِّتُونَ ، وَأَكْبَسَهُمْ ^(١) أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَأَعْمَلُهُمْ
لِيَوْمِ مَعَادِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَقَالَ : يَا مُعَاذُ ، صَلِّ بِالنَّاسِ ^(٢) .

وَفَاتَهُ ^(٣) : تُوَفِّي ^(٤) فِي طَاعُونَ عَمَّاسٍ بِالْأَزْدِ ، وَقُبْرَ بَيْسَانَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ^(٥) ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ^(٦) ، وَهُوَ ابْنُ
ثَمَانَ وَخَمْسِينَ سَنَةً ^(٧) .



(٢) صَلِّ بِالنَّاسِ : كُنْ إِمَاماً لَهُمْ .

(١) أَكْبَسَهُمْ : أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً وَفَهَمًا لِلْأُمُورِ .

(٣) سَيَرُ أَعْلَامَ النَّبَلَاءِ : الدَّهَبِي .

أُمَّةٌ فِيهَا ذِكْرُ الْعِبَادَةِ

بِالْخَيْرِ أَهْلَةٌ

خَرَجَتْ مَدْرَسَةُ الْإِسْلَامِ الْأُولَى مِنْ صَفْوَةِ بَنِي الْإِنْسَانِ قَادَةً انْتَزَعُوا بِقِيَّةِ الْإِنْسَانِ مِنْ بَرَاثِنِ الشَّيْطَانِ ، وَقَامُوا بِتَزْكِيَّتِهِ ، وَأَزَالُوا عَنْ قَلْبِهِ الرَّانَ فَأَصْبَحَ نَمُودَجًا لِمَا يَجِبُ أَنْ تَتَّصِبَ بِهِ الْإِنْسَانِيَّةُ السَّامِيَّةُ مِنْ أَلْوَانِ الرَّحْمَةِ وَالْعِرْفَانِ .
وَتَوَلَّدَتْ مِنْ هَذِهِ الصَّفْوَةِ كَثْرَةٌ لَا تُعْرَفُ فِي التَّارِيخِ لِمَدْرَسَةِ أُخْرَى فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَبَقَتْ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَوْ عَاصَرَتْهَا ، وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْكَثْرَةُ مُتَفَاوِتَةً فِيمَا بَيْنَهَا تَفَاوُتَ قُوَاهَا الْمُدْرَكَةِ وَاسْتِعْدَادِهَا الْفِطْرِيِّ ؛ وَقَدْ اشتهرت مِنْهُمْ جَمَاعَاتٌ فِي جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْمُتَوَعَّعَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ هَؤُلَاءِ عِبَادِلَةَ الْإِسْلَامِ ، الَّذِينَ بَرَزُوا فِي الْعِلْمِ وَتَمَيَّزُوا بِالنُّبْلِ ، وَكَانُوا فَتَهَاءَ عُلَمَاءَ وَبِأَقْوَالِ وَأَفْعَالِ وَأَحْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ عُرَفَاءَ :

سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

وَيَكْنَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ عَبْدِ ؛ كَانَ النَّاسُ يُدْأُونَهُ : ابْنَ أُمِّ عَبْدِ .
أَسْلَمَ رضي الله عنه قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَتَيْنِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا ، وَكَانَ صَاحِبَ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَسَادِهِ ، وَسِوَاكَه ، وَنَعْلَيْهِ ، وَطُهُورِهِ فِي السَّفَرِ ، وَكَانَ يُشَبِّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ ، وَكَانَ خَفِيفَ اللَّحْمِ قَصِيرًا شَدِيدَ الْأَدَمَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ ثَوْبًا وَمِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ رِيحًا ، وَوَلِيَ قِضَاءَ الْكُوفَةِ وَبَيْتَ الْمَالِ لِعُمَرَ رضي الله عنه ، وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه .
عَنْ زَيْدِ بْنِ حَبِيشٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا أَرَعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَقَدْ نَفَرَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَا : يَا غُلَامُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا ؟ ، فَقُلْتُ : إِنِّي مُؤْتَمِنٌ وَلَسْتُ سَاقِيكُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَدْعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ ^(١) ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَتَيْتُهُمَا

(١) جَدْعَةٌ : شَاةٌ . الْفَحْلُ : الذَّكَرُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا ذِكْرُ الْغَنَمِ .

بِهَا فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا ، فَحَفَلَ الضَّرْعُ ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ (١) فَاحْتَلَبَ فِيهَا ، فَشَرِبَ مِنْهَا وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ : أَقْلُصْ ، فَقَلَّصَ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، قَالَ : إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ ، فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ (٢) .

● نَعَمْ .. لَمْ يَمُضْ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَوَضَعَهُ ﷺ فِي خِدْمَتِهِ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ انْتَقَلَ الْغُلَامُ الْمَحْظُوظُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مِنْ رِعَايَةِ الْغَنَمِ إِلَى خِدْمَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَالْأُمَّمِ .

لَزِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُلَازِمَةً الظَّلِّ لِصَاحِبِهِ ؛ فَكَانَ يُرَافِقُهُ فِي حِلِّهِ وَتَرَحُّالِهِ ، وَيُصَاحِبُهُ دَاخِلَ بَيْتِهِ وَخَارِجَهُ .

✽ قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا أَرَى إِلَّا ابْنَ مَسْعُودٍ مِنْ أَهْلِهِ ، وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُلْبِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعْلَيْهِ ثُمَّ يَمْشِي أَمَامَهُ بِالْعَصَا ، حَتَّى إِذَا أَتَى مَجْلِسَهُ نَزَعَ نَعْلَيْهِ فَأَدْخَلَهُمَا فِي ذِرَاعِيهِ وَأَعْطَاهُ الْعَصَا ، فَإِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُومَ أَلْبَسَهُ نَعْلَيْهِ ، ثُمَّ مَشَى بِالْعَصَا أَمَامَهُ حَتَّى يَدْخُلَ الْحُجْرَةَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يُوقِفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَامَ ، وَيَسْتُرُهُ إِذَا اغْتَسَلَ ، وَيَمْشِي مَعَهُ فِي الْأَرْضِ إِذَا مَشَى .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ صَاحِبَ الْوَسَادِ وَالسَّوَالِكِ وَالنَّعْلَيْنِ (٣) .

● ابْنُ أُمِّ عَبْدِ .. وَفَضَائِلُ لَا تُعَدُّ :

وَتَعَلَّمَ ابْنَ مَسْعُودٍ فِي مَدْرَسَةِ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ﷺ ؛ فَكَانَ مِنْ أَقْرَأِ الصَّحَابَةِ لِلْقُرْآنِ ،

(١) مُنْقَعِرَةٌ : مُجَوَّفَةٌ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُسْنَفِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ . وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ .

(٣) صِفَةُ الصَّفْوَةِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَوْزِيِّ .

وَأَفْهَمَهُمْ لِمَعَانِيهِ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِشَرْعِ اللَّهِ .
 وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حِكَايَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ
 الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ واقِفٌ بـ (عَرْفَةَ) ، فَقَالَ لَهُ :

جِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ (الْكُوفَةِ) وَتَرَكْتُ بِهَا رَجُلًا يُمْلِي الْمَصَاحِفَ عَنْ
 ظَهْرِ قَلْبِهِ ؛ فَغَضِبَ عُمَرُ غَضَبًا قَلَمًا غَضِبَ مِثْلُهُ ، وَانْتَفَخَ حَتَّى كَادَ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ
 شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ ^(١) ، وَقَالَ : مَنْ هُوَ وَيَحْكُ ١٥ ، قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .

فَمَا زَالَ يَنْطَفِئُ وَيُسْرَى عَنْهُ حَتَّى عَادَ إِلَى حَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 وَيَحْكُ ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ ، وَسَأُحَدِّثُكَ
 عَنْ ذَلِكَ ؛ وَاسْتَأْنَفَ عُمَرُ كَلَامَهُ فَقَالَ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمُرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَيَتَفَاوَضَانِ ^(٢) فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَكُنْتُ مَعَهُمَا ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي
 بِالْمَسْجِدِ لَمْ نَتَّبِعْهُ ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ :
 (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا نَزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ) .

ثُمَّ جَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَدْعُو فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ : (سَلْ تَعْطَهُ ،
 سَلْ تَعْطَهُ) .

ثُمَّ اتَّبَعَ عُمَرُ يَقُولُ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لِأَعْدُونَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
 وَلَا بُشْرَانَهُ بِتَأْمِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى دُعَائِهِ ، فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ فَبَشَّرْتُهُ ، فَوَجَدْتُ أَبَا
 بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا سَابَقْتُ أَبَا بَكْرٍ فِي خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي
 إِلَيْهِ ^(٣) .

❁ وَرَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ حَبِيشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ
 وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) شُعْبَتَا الرَّحْلِ : مُقَدِّمَتُهُ وَمُؤَخَّرَتُهُ .

(٢) يَتَفَاوَضَانِ : يَتَدَاكِرَانِ وَيَتَحَدَّثَانِ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُؤْتَبَرِ ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مِمَّ تَضَحُّكُونَ ؟) ، قالوا : يا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ ، فَقَالَ ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ)^(١) .

● وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِلْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ بِكِتَابِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ وَأَعْلَمُ فِيهَا نَزَلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَتَالَهُ الْمَطِيُّ^(٢) لَأَتَيْتُهُ .

● لَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ مُبَالِغًا فِيمَا قَالَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يَقِي رَكْبًا^(٣) فِي سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ ، وَاللَّيْلُ مُخَيِّمٌ يَحْجُبُ الرَّكْبَ بِظِلَامِهِ ، وَكَانَ فِي الرَّكْبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَأَمَرَ عُمَرُ ﷺ رَجُلًا أَنْ يُنَادِيَهُمْ : مِنْ أَيْنَ الْقَوْمُ ؟ فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ : مِنَ الْفَجِّ الْعَمِيقِ^(٤) .

فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : الْبَيْتَ الْعَتِيقَ .
فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ فِيهِمْ عَالِمًا ؛ وَأَمَرَ رَجُلًا فَنَادَاهُمْ : أَيُّ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ ؟
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٥) .
قَالَ : نَادِهِمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَحْكَمُ ؟ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾^(٦) ، فَقَالَ عُمَرُ : نَادِهِمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَجْمَعُ ؟
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٧) .

فَقَالَ عُمَرُ : نَادِهِمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَخَوْفُ^(٨) ؟ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا تَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾^(٩) .

فَقَالَ عُمَرُ : نَادِهِمْ أَيُّ الْقُرْآنِ أَرْجَى^(١٠) ؟ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ

(٢) تَتَالَهُ الْمَطِيُّ : أَي يُمَكِّنُ الْوَسْوَءُ إِلَيْهِ .

(٤) الْفَجُّ الْعَمِيقُ : الْوَادِي الْعَمِيقُ .

(٦) سُورَةُ النَّحْلِ : مِنَ الْآيَةِ ٩٠ .

(٨) أَخَوْفُ : يَعْني ما الْآيَةُ الَّتِي تَبَعَتْ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .

(١٠) أَرْجَى : يَعْني ما الْآيَةُ الَّتِي تَبَعَتْ فِي الْقُلُوبِ الرَّجَاءَ فِي الرَّحْمَةِ وَالْمَنْفَرَةِ .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ .

(٣) رَكْبًا : قاطِلَةٌ .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٥٥ .

(٧) سُورَةُ الرَّؤُوفَةِ : الْآيَتَانِ ٨٠ ، ٧٧ .

(٩) سُورَةُ النَّسَاءِ : الْآيَةُ ١٢٣ .

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ .

فَقَالَ عُمَرُ : نَادِهِمْ ، أَفِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ؟
قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

● وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَارِئًا عَالِمًا عَابِدًا زَاهِدًا فَحَسِبُ ، وَإِنَّمَا كَانَ
مَعَ ذَلِكَ قَوِيًّا حَازِمًا مُجَاهِدًا مِقْدَامًا إِذَا جَدَّ الْجَدُّ ؛ فَحَسِبُهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مُسْلِمٍ عَلَى
ظَهْرِ الْأَرْضِ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه :

فَقَدِ اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي مَكَّةَ ، وَكَانُوا قَلَّةً مُسْتَضْعَفِينَ ، فَقَالُوا :
وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجَهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ ؟
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : أَنَا أُسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ .

فَقَالُوا : إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ ، تَحْمِيهِ وَتَمْنَعُهُ مِنْهُمْ إِذَا
أَرَادُوهُ بِشَرٍّ ، فَقَالَ : دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي وَيَحْمِينِي .
ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى أَتَى مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ فِي الضُّحَى ، وَقُرَيْشٌ جُلُوسٌ حَوْلَ
الْكَعْبَةِ فَوَقَفَ عِنْدَ الْمَقَامِ وَقَرَأَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ الرَّحْمَنُ ● عَلَّمَ الْقُرْآنَ ● خَلَقَ
الْإِنْسَانَ ● عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(٢) ، رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ .

وَمَضَى يَقْرَؤُهَا ، فَتَأَمَّلَتْهُ قُرَيْشٌ وَقَالَتْ : مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ؟

تَبَّأَ لَهُ ^(٣) .. إِنَّهُ يَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ؛ وَقَامُوا إِلَيْهِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَهُوَ
يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَالِدَمُّ يَسِيلُ مِنْهُ
فَقَالُوا لَهُ : هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ فِي عَيْنِي مِنْهُمْ الْآنَ ، وَإِنْ شِئْتُمْ لِأَعَادِيْنَهُمْ ^(٤)
بِمِثْلِهَا غَدَاً ، قَالُوا : لَا ، حَسْبُكَ لَقَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ .

(٢) سُورَةُ الرَّحْمَنِ : الْآيَاتُ ١-٤ .

(١) سُورَةُ الزُّمَرِ : الْآيَةُ ٥٣ .

(٤) لِأَعَادِيْنَهُمْ : لِأَخْرُجَنَّ لَهُمْ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي .

(٣) تَبَّأَ لَهُ : هَلَكَ لَهُ .

● عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : مَرَرْتُ بِابْنِ مَسْعُودٍ بِسَحَرٍ وَهُوَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ دَعَوْتِي فَأَجِبْتُكَ ، وَأَمْرَتِي فَأَطَعْتُكَ ، وَهَذَا سَحَرٌ فَأَغْفِرْ لِي) ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَقَالَ : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَالَ لِبَنِيهِ : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ ^(١) أَخْرَهُمْ إِلَى السَّحَرِ .

● وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حُجَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَعَدَ يُذَكِّرُ : (إِنَّكُمْ فِي مَمَرٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي آجَالٍ مَنْقُوضَةٍ وَأَعْمَالٍ مَحْفُوظَةٍ وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً ، فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا فَيُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ رَغَبَةً ، وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً ، وَلِكُلِّ زَارِعٍ مِثْلَ مَا زَرَعَ ، لَا يَسْبِقُ بَطِيءٌ بِحِظِّهِ ، وَلَا يُدْرِكُ حَرِيصٌ مَالِمٌ يُقَدِّرُ لَهُ ، فَإِنْ أُعْطِيَ خَيْرًا فَاللَّهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ وُقِيَ شَرًّا فَاللَّهُ وَقَاهُ ، الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ ، وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ ، وَمَجَالِسُهُمْ زِيَادَةٌ) ^(٢) .

● وَعَنْ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : (يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيغَهُ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ فَرِحُونَ ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلُطُونَ ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا ، حَلِيمًا ، سَكِينًا ، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا ، وَلَا غَافِلًا ، وَلَا سَخَابًا ، وَلَا صَيَّاحًا ، وَلَا حَدِيدًا) ^(٣) .

● وَعَنْ الْأَعْمَشِ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِإِخْوَانِهِ : (أَنْتُمْ جِلَاءُ قَلْبِي) .
● وَعَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : (لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشِيَّةَ) .

● وَعَنْ مُنْذِرٍ ، قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنَ الدَّهَاقِينِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ غَلْظِ رِقَابِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : (إِنَّكُمْ تَرَوْنَ الْكَافِرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ جِسْمًا وَأَمْرَضَهُ قَلْبًا ، وَتَلْقَوْنَ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ قَلْبًا وَأَمْرَضَهُ جِسْمًا ،

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

(١) سُورَةُ يُوسُفَ : مِنَ الْآيَةِ ٩٨ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

وأيُّمُ اللهُ ، لَوْ مَرِضَتْ قُلُوبُكُمْ وَصَحَّتْ أَجْسَامُكُمْ لَكُنْتُمْ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجَعْلَانِ .

● وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ جَوَامِعَ نَوَافِعَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ : (لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، وَزُلْ مَعَ الْقُرْآنِ حَيْثُ زَالَ ، وَمَنْ جَاءَ بِالْحَقِّ فَاقْبَلْ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ بَعِيداً بَغِيضاً ، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْبَاطِلِ فَارْذُدْهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ حَبِيباً قَرِيباً) (١) .

وَفَاتَهُ ﷺ : تُوَفِّيَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، فِي خِلافةِ عُثْمَانَ ﷺ .

سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو أَسْبَقَ إِلَى هِدَايَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَبِيهِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، وَأَصْحَابُ الطَّبَقَاتِ يَذْكُرُونَ أَنَّ أَبَاهُ أَسْلَمَ سَنَةَ ثَمَانٍ لِلْهِجْرَةِ ؛ قَدِمَ هُوَ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ﷺ الْمَدِينَةَ مُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : (قَدْ رَمَتُكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَاحٍ كَبِيدِهَا) .

✽ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ الشَّعْبِيِّ : (أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مَوْلِدِ عَبْدِ اللهِ وَمَوْلِدِ أَبِيهِ إِلَّا اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً) ، وَهَذَا مِنْ نَوَادِرِ التَّارِيخِ .

● أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو فِي اسْتِواءِ رُجُولَتِهِ وَاكْتِمَالِ عَقْلِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ مِنَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ تَخَطَّوْا حُدُودَ بَيْتِهِمْ ، فَعَمُّوا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَارِفِ الْفِكْرِيَّةِ ، وَكَتَبُوا وَفَرَّوْا ؛ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو فِي مَعَارِفِهِ الْبَدَائِيَّةِ عَلَى لُغَةِ قَوْمِهِ ، بَلْ تَعَلَّمَ غَيْرَهَا مِنْ لُغَاتِ الْجَالِيَّاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُعَايِشُ الْعَرَبَ فِي جَزِيرَتِهِمْ ، فَابْنُ قُتَيْبَةَ يُحَدِّثُنَا فِي كِتَابِ الْمَعَارِفِ : (أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ) .

وَكَانَ يَقْرَأُ التَّوْرَةَ ، عَارِفاً بِمَا فِيهَا ؛ فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، قَالَ : (لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ ، فَقَالَ : أَجَلٌ ، وَاللهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ :

(١) صِفَةُ الصَّفْوَةِ : ابْنُ الْجَوْزِيِّ .

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وجزأً للآميين ، أنت عبدي
ورسولي ، سميتك المتوكّل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحاب في الأسواق ، ولا
يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة
العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً ، وأذناً صماً ، وقلوباً
غُلُفاً) ، قال عطاءٌ : ثمّ لقيتُ كعباً فسألته عن ذلك فما اختلفنا حرفاً .

وقد كانت لهذه الميزة التي كان لها خطرُها في ذلك العهد ، أكبر الأثر في توجيه
حياة عبد الله بن عمرو ، وتكييفها تكييفاً يتفق مع استعدادِه الفطريّ ، فقد اتجه
عبدُ الله ﷺ إلى حياة العلم ، وصرف نفسه إليها دون غيرها من جوانب الحياة
الإسلامية المتكاثرة ؛ لازم رسول الله ﷺ ، واستأذنه أن يكتب حديثه فأذن له ، قال
عبدُ الله : يارسول الله أكتبُ كلَّ ما أسمعُ منك في الرضا والغضب ، قال ﷺ :
(نعم ، فإنّي لا أقولُ إلا حقاً) .

❁ وفي حديث أبي هريرة ﷺ : (ما كان أحدٌ أحفظ لحديث رسول الله ﷺ
مَنّي إلا عبدُ الله بن عمرو فإنه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي ، وكان يكتبُ وأنا لا
أكتبُ) (١) .

وأبو هريرة ﷺ يقولُ فيه عبدُ الله بن عمرو بن الخطاب ﷺ : (أنت أعلمنا يا
أبا هريرة برسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه) (٢) .

❁ وأخرج ابن سعدٍ في طبقاته عن مُجاهدٍ ، قال : رأيتُ عند عبدِ الله بن عمرو
صحيفةً فسألْتُ عنها ، فقال : هذه الصادقةُ فيها ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ
ليس بيني وبينه فيها أحدٌ .

❁ عن مُجاهدٍ عن عبدِ الله بن عمرو ، قال : أنكحني أبي امرأة ذاتِ حسبٍ ،
فكان يتعهدُ كنته (٣) فيسألُها عن بعلها ، فتقولُ : نعم الرجلُ من رجلٍ لم يطأ لنا
فراشاً ، ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناها !

(٢) طبقات ابن سعد .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه .

(٢) كنته : زوجة أبيه .

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبِي ، فَعَدَلَنِي وَعَضَّنِي بِلسَانِهِ ، وَقَالَ : أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ذَاتَ حَسَبٍ فَعَضَلْتُهَا وَفَعَلْتُ ؟ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَانِي ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ لِي : أَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ ﷺ : (وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَنَا مُ ، وَأَمْسُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) ، وَقَالَ ﷺ : أَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، قُلْتُ : إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، قُلْتُ : إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ ﷺ : صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، قُلْتُ : إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ يَرْفُقُنِي حَتَّى قَالَ ﷺ : صُمْ يَوْمًا وَأُفْطِرْ يَوْمًا ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ ، وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُودَ .^(١)

قَالَ مُجَاهِدٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو حِينَ ضَعُفَ وَكَبُرَ ، يَقُولُ : فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

● هَذَا الْأَدَبُ النَّبَوِيُّ الْكَرِيمُ رَفَعَ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ غِشَاوَةَ الرَّهْبَةِ ، وَأَدْرَكَهُمْ رَحْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَفَقَهُوا أَنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَنْزَلْ لِتَعَذِّبِهِمْ وَإِنَّمَا جَاءَتْ لِتَهْدِيَهُمْ ، فَتَوَاصَلُوا بِهَذَا الْأَدَبِ الرَّحِيمِ .

● وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ضُرُوبٌ مِنَ الْفِقْهِ وَأَسْرَارُ التَّشْرِيعِ الْمُرْتَكِزِ عَلَى رِعَايَةِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ ، وَالْأَخْذِ مِنَ الْحَيَاةِ بِحِطِّ الْأَسْتِقَامَةِ الْقَوِيَّةِ ، فَهُوَ :
 أَوَّلًا (يُصَوِّرُ لَنَا صِلَةَ الْفَرْدِ بِالْمُجْتَمَعِ ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ هَذَا الْفَرْدَ لَيْسَ مَلَكًا مُطْلَقًا لِنَفْسِهِ يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ ، حَتَّى لَوْ كَانَ هَذَا التَّصَرُّفُ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ الْخَاصِّ ، وَيُشْرَحُ لَنَا حَقَّ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْفَرْدِ بِاعْتِبَارِهِ عُضْوًا فِيهَا وَأَحَدُ مَقُومَاتِهَا ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي نَفْسِهِ تَصَرُّفًا يُؤَدِّي إِلَى نَقْصِ حَيَوِيَّةِ الْأُمَّةِ ، وَإِضْعَافِ نَشَاطِطِهَا ؛ وَهَذَا كُلُّهُ وَاضِحٌ مِنْ إِبَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مُوَاصَلَةَ الصَّوْمِ ، وَلَمْ يُبَالِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ : إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، بَلْ قَالَ لَهُ : لَا تَفْعَلْ ،

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

وَقَدْ جَاءَ صَرِيحاً فِي طَرِيقِ آخِرِ حِكْمَةِ هَذَا النَّهْيِ : أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : إِنَّكَ لَتَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ ﷺ : (إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَجَمْتَ لَهُ الْعَيْنُ ، وَنَفَهْتَ لَهُ النَّفْسُ ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ) ، وَمَعْنَى هَجَمْتَ لَهُ الْعَيْنُ : غَارَتْ وَدَخَلَتْ وَضَعْفَ إِبْصَارُهَا مِنْ قِلَّةِ الْغِذَاءِ ، وَمَعْنَى نَفَهْتَ لَهُ النَّفْسُ : تَعَبَتْ وَكَلَّتْ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِوَاجِبِهَا فِي الْحَيَاةِ ، وَأَدَاءَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْحُقُوقِ .

ثَانِيًا) فِيهِ تَصْوِيرُ مَقَامِ رَأْفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَحْمَتِهِ بِأُمَّتِهِ ، وَحِرْصِهِ عَلَى بَرِّهَا وَخَيْرِهَا ، تَصَدِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

ثَالِثًا) فِيهِ بَيَانٌ حَقُّ أَهْلِ الرَّجُلِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ الْأَنْصِرَافَ عَنْهُمْ إِلَى مُدَاوِمَةِ الْعِبَادَةِ يُوحِشُهُمْ ، وَرُبَّمَا كَانَ سَبَبًا لِقَطْعِ صَلَاتِهِمْ بِهِ ، وَلَا يَخْفَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ هَدْمِ بِنَاءِ الْأُسْرَةِ وَتَعْطِيلِ النَّسْلِ : (فَالْإِنْسَانُ بُنْيَانُ الرَّبِّ) ، كَذَلِكَ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِهْمَالِ الذُّرِّيَّةِ إِذَا وُجِدَتْ ، فَلَا تَتَوَافَرُ لَهَا عَوَامِلُ الْمُرَاقَبَةِ وَالتَّرْيِيبَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَجْعَلُهَا عَضْوًا عَامِلًا فِي الْأُمَّةِ ، فَوْقَ مَا يَكْتَنِفُ ذَلِكَ مِنْ إِشَاعَةِ رُوحِ الْجَفْوَةِ وَالتَّزَمُّتِ فِي أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ مِمَّا يَكْبِتُ فِيهَا رُوحَ التَّوَهُّبِ وَالْعَمَلِ النَّشِيطِ . رَابِعًا) فِيهِ بَيَانٌ حَقُّ الضَّيْفِ ، وَالتَّرغِيبُ فِي مُشَارَكَتِهِ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، لِتُدْفَعَ عَنْهُ طَبِيعَةُ الْحَيَاءِ الَّتِي تَكُونُ عَادَةً عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ إِذَا كَانُوا فِي بُيُوتِ غَيْرِهِمْ ، فَإِذَا أَحْجَمَ صَاحِبُ الْبَيْتِ عَنْ مُوَآكَلَةِ ضَيْفِهِ انْخَذَلَتْ نَفْسُ الضَّيْفِ وَانْقَمَعَتْ ، وَحُرِمَتْ قَسْطُهَا مِنْ ضِيَافَتِهَا .

خَامِسًا) فِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، تَحْقِيقُ لِمُعْجَزَةِ نَبَوِيَّةِ ، وَتَبْيِينُ لِقَوْلِهِ ﷺ : (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغُلْ فِيهِ بِرَفْقٍ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ) .

● كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مُلَازِمًا لِأَبِيهِ فِي وِلَايَتِهِ عَلَى مِصْرَ ، فَكَانَ مُؤَسَّسَ مَدْرَسَةِ الْفِقْهِ

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ : آيَةُ ١٢٨ .

والمعارف الإسلامية وصاحب الفتيا فيها ، ولما حصر أباه الموت قام بأمره وأوصى إليه ؛ قال ابن عبد البر في الاستيعاب :

لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى ، فقال له ابنه عبد الله : لم تبكي ؟ أجزعا من الموت ؟ قال : لا والله ، ولكن لما بعده ، فقال له : قد كنت على خير ؛ فجعل

يذكره صحبة رسول الله ﷺ ، وفنوحه الشام ، فقال له عمرو : تركت أفضل من ذلك ، شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاث حالات عرفت نفسي فيها :

كنت أول شيء كافراً ؛ فلو مت حينئذ لوجبت لي النار .

فلما بايعت الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ كنت أشد الناس حياءً منه حتى إني ما ملأت عيني منه قط ؛ فلو مت حينئذ لقال الناس : هنيئاً لعمرو أسلم على خير

ومات على خير .

ثم تلبست بعد ذلك بأشياء ؛ فلا أدري أعلي أم لي ؟

ثم أدار وجهه إلى الجدار وهو يقول :

اللهم أمرتنا ففصينا ونهيتنا فما انتهينا ، ولا يسعنا إلا عفوك يا أرحم الراحمين .

وحرري بنا ونحن في رحاب هذا الصحابي عليه من الله شايب الرحمة والرضوان ؛

أن نذكر بعضاً من فضاله على أمة الإسلام ، ففي ذلك طاعة للرحمن ، وكما أدبنا

القرآن ألا نبخس الناس أشياءهم ، وما أوفى ما قاله في هذا المقام الإمام محمد

ماضي أبو العزائم :

أيا فاتح الأمصار للإسلام ❁ عليك أيا عمرو الكريم سلامي

لقد كنت للدين الحنيفي مخلصاً ❁ فأيدك الرحمن في الإقدام

محوت ظلام الكفر من مضر سيدي ❁ فأشرق الأمصار بعد ظلام

المعارج الفرشية العرشية ونفحاتها القدسية :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال :

(الأرواح تفرج في منامها إلى السماء فتؤمر بالسجود عند العرش ؛ فمن كان طاهراً

سجد عند العرش ، ومن ليس بطاهر سجد بعيداً عن العرش) ^(١)

(١) أخرجه البخاري .

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

(مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا) (١).

سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَثَانِيِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَأُمُّهُ زَيْنَبُ بِنْتُ مَطْعُونِ الْجُمَحِيَّةِ ، وَأُخْتُهُ السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَزَوْجُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ ، وَكَانَ الْمَنْزِلُ الَّذِي
تَرَبَّى فِيهِ بِمَكَّةَ فِي مَنْطِقَةٍ يُقَالُ لَهَا جَبَلُ الْعَاقِرِ الَّذِي تَغَيَّرَ اسْمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى
(جَبَلِ عُمَرَ) ، وَبِهِ كَانَتْ مَنَازِلُ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ تَحْتَ أَنْظَارِ خَيْرِ الْبَشَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْإِسْلَامِ فَأُرْسِلَتْ بِأَشْعَثِهَا إِلَى بِيُوتَاتِ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا انْفَرَجَ
لَهَا سَقْفُ آلِ الْخَطَّابِ ، فَأَضَاءَتْ قَلْبَ الْمُلْهِمِ لِلصَّوَابِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَصْبَحَ
فَارُوقَ الْإِسْلَامِ ، وَسَرَتْ مِنْهُ سَرِيَانُ الْكَهْرِبَاءِ إِلَى قَلْبِ نَاشِئِهِ وَفَلَذَهُ كَبِدِهِ وَأَكْرَمَ
أَهْلَهُ عَلَيْهِ : ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، فَأَمَّنَ مَعَهُ وَلَمَّا يَشِبُّ عَنِ الطَّوْقِ ؛ وَقَدْ
اشْتَدَّتْ قَنَاءَةُ الْإِسْلَامِ ، وَعَزَّتْ شَوْكَتُهُ بِهَذِهِ الْعُنَاصِرِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي دَلَفَتْ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ
الْفَارُوقِ وَحِمَايَتِهِ ، وَضَاقَتْ قُرَيْشٌ بِهَذِهِ الْعِزَّةِ وَتِلْكَ الْحِمَايَةِ ، فَتَسَعَّرَ حَقْدُهَا وَازْدَادَ
بِالْمُؤْمِنِينَ أَذَاهَا ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ ، فَكَانَتْ فَتْحًا مُبِينًا ؛
وَهَاجَرَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَبِعَهُ مِنْ أَهْلِهِ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَسِنَّهُ لَا تَعْدُو الْعِشْرَ سِنِينَ .

وَيَخْرُجُ جُنُودَ الْحَقِّ يَقُودُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَخْدُوهُمْ الْإِيمَانُ إِلَى غَزْوَةِ النَّصْرِ ؛
إِلَى بَدْرِ الْكُبْرَى ، وَيَتَقَدَّمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فِي أَسْنَانِ أُمَّتَالِهِ يَعْرضُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى
الْقَائِدِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرُدُّهُمْ لِصِغَرِهِمْ ، فَيَرْجِعُ عَبْدُ اللَّهِ وَنَفْسُهُ (عَلَى طُفُولَتِهِ)
تَضْطَرُّ شَوْقًا إِلَى الْجِهَادِ ، فَيَرْتَقِبُ الْفُرْصَ ، وَسُرْعَانَ مَا تُقْبَلُ غَزْوَةُ الْمِحْنَةِ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ .

(أحد) : التي صهر الله بها نفوس المؤمنين ، واستخلص رجولتهم ، وطهر قلوبهم ، ومحص بطولتهم ، وأدبهم أكمل الأدب ، فينهض عبد الله في غضارة شبابه ، وحماسة طفولته (وهو ابن ثلاث عشرة سنة) ، يعرض نفسه جندياً يجود بروحه في سبيل دينه وعقيدته التي وُلد في أحضانها ، ونهد في مهدها ، فيأبى رسول الله إلا الصبر ، لطراءة إهابه وصغر سنه ، فيعود عبد الله وفي نفسه ما فيها متربصاً النهز ، وكأنما هو في تشوقه إلى وقفة في صفوف المجاهدين يدفع بالزمن دفعا ليتقدم به إلى سنّ الجهاد حتى وقف به على سلم الخامسة عشرة من عمره ، وأقبلت على المجاهدين غزوة الخندق ، فتقدم إليها عبد الله يعرض نفسه على رسول الله ﷺ وهو يتوجس خيفة من الرد ، ولكنه في هذه المرة أجزى وفاز برضاء الحبيب الأعظم ﷺ أن يسلكه في عقد الرجولة ، وينظمه في سلك المجاهدين . ومن يومئذ لم يعرف أنه ﷺ تخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ ؛ ومن ثم كان من أحرص الصحابة على ملازمة النبي ﷺ ، وتعرف أحواله في حركاته وسكناته ، ونطقه وصمته ، وإقامته وسفره ، وإلى جانبه أكابر أصحابه ؛ روى ابن القاسم عن الإمام مالك بن أنس ﷺ قال : (أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يقدم عليه وفود الناس ، فلم يخف عليه شيء من أمر رسول الله ﷺ ولا أصحابه ؛ وكان ابن عمر من أئمة الدين) .

● ولقد كان بعض أئمة التابعين يميل بينه وبين أبيه ؛ وهذه منزلة رفيعة جداً ، حتى كان سلمة بن عبد الرحمن ، يقول : (توفي ابن عمر وهو مثل عمر في الفضل ، كان عمر في زمان له فيه نظراء ، وكان ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير) .

● أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟) ، فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة ، قال عبد الله : فاستحييت ، وفي رواية : فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم ، ورأيت أبا بكر وعمر

لَا يَتَكَلَّمَانِ فَكَرِهَتْ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (هِيَ النَّخْلَةُ) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : لَأَنْ تَكُونَ قَلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي حُمْرُ النَّعَمِ .

● وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مِثَالاً فَرِيداً لِلشَّبَابِ الَّذِي نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ؛ حَتَّى قِيلَ : إِنَّ أَمْلَكَ^(١) شَبَابٍ قُرَيْشٍ لِنَفْسِهِ ؛ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ .
وَلَا عَجَبَ ؛ فَقَدْ كَانَ شَاباً مُعَلِّقَ الْقَلْبِ بِالْمَسَاجِدِ ، فَالْمَسْجِدُ دَارُ إِقَامَتِهِ إِذَا أَرَادَ الرَّاحَةَ ، وَالْمَسْجِدُ مَحَلُّ عِبَادَتِهِ إِذَا رَامَ الْعِبَادَةَ .

حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكُنْتُ أَنْتِذِ غُلَاماً شَاباً عَزَباً^(٢) ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي وَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ ، وَإِذَا لِلنَّارِ قَرْنَانِ^(٣) ، وَإِذَا بِي أَرَى فِيهَا نَاساً قَدْ عَرَفْتُهُمْ ؛ فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ .. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ .

فَلَقِينِي مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُرَاعَ^(٤) .

فَقَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى أُخْتِي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ ؛ فَقَصَّتْهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ ؛ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ) .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَنْ لَقِيَ رَبَّهُ لَمْ يَدْعُ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي حِلِّهِ (إِقَامَتِهِ) ، وَلَا فِي تَرْحَالِهِ (سَفَرِهِ) .

● وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْدُنْيَا جَوَاداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يُؤَثِّرُ الْإِنْفَاقَ بِأَحَبِّ شَيْءٍ لَدَيْهِ ؛ رُويَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ^(٥) أَعْطَاهُ فِي مَوْلَاهُ نَافِعَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقِيلَ لَهُ : مَاذَا تَنْظُرُ ؟ قَالَ : فَهَلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ ، هُوَ حُرٌّ !!

وَكَانَ نَافِعٌ مِنَ الشُّبُوحِ الَّذِينَ تَأَثَّرَ بِهِمُ الْإِمَامُ مَالِكٌ ، وَكَانَ نَافِعٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ

(٢) عَزَباً : غَيْرُ مُتَزَوِّجٍ .

(٤) التُّرَاعُ : الْفَرْعُ .

(١) أَمْلَكَ لِنَفْسِهِ : أَقْدَرَ عَلَى التَّحَكُّمِ فِيهَا .

(٣) لِلنَّارِ قَرْنَانِ : لِسَانَانِ مِنَ اللَّهَبِ .

الثَّقَاتِ ؛ وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ مَالِكٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ؛
 وَيُسَمَّى هَذَا الْإِسْنَادُ بِ (السَّلْسِلَةِ الذَّهَبِيَّةِ) ، وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ يَقُولُ : كُنْتُ إِذَا
 سَمِعْتُ نَافِعًا يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ لَا أَبَالِي أَلَا أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِهِ .
 ابْنُ عُمَرَ يَسْتَجْمَعُ الطَّاقَةَ مِنَ الْأَثَرِ :

كَانَ ﷺ فِي فَهْمِهِ يُمَثِّلُ الْمُحَافِظِينَ الْمُتَّبِعِينَ أَكْمَلَ تَمَثِيلٍ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ جَمِيعَ
 حَرَكَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَكَنَاتِهِ مَكْفُولَةٌ بِالْعِصْمَةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ حَرَصَ كُلَّ الْحَرَصِ عَلَى
 مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي كُلِّ خُطَاهُ ؛ فَهُوَ يَنْظُرُ مَاذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَفْعَلُ فِي كُلِّ
 أَمْرٍ ، فَيُحَاكِيهِ فِي دِقَّةٍ وَإِخْبَاتٍ وَوَرَعٍ ؛ هُنَا مَثَلًا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُصَلِّي ، فَيُصَلِّي
 ابْنُ عُمَرَ فِي ذَاتِ الْمَكَانِ ، وَهُنَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُو قَائِمًا ، فَيَدْعُو ابْنُ عُمَرَ
 قَائِمًا ، وَهُنَا وَعَلَى هَذَا الطَّرِيقِ نَزَلَ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمًا مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ نَاقَتِهِ ، وَصَلَّى
 رَكَعَتَيْنِ ، فَيُصْنَعُ ابْنُ عُمَرَ ذَلِكَ إِذَا جَمَعَهُ سَفَرٌ بِنَفْسِ الْبُقْعَةِ وَالْمَكَانِ .
 بَلْ إِنَّهُ لَيَذْكُرُ أَنَّ نَاقَةَ الرَّسُولِ دَارَتْ بِهِ دَوْرَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَكَانِ بِمَكَّةَ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ
 الرَّسُولُ ﷺ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهَا ، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، وَمَا يَكَادُ عَبْدُ اللَّهِ يَبْلُغُ هَذَا الْمَكَانَ يَوْمًا
 حَتَّى يَدُورَ بِنَاقَتِهِ ثُمَّ يَبِيحُهَا ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ لِلَّهِ ؛ تَمَامًا كَمَا رَأَى الْمَشْهُدَ مِنْ
 قَبْلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلَقَدْ أَثَارَ شِدَّةَ اتِّبَاعِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَتْ :
 (مَا كَانَ أَحَدٌ يَتَّبِعُ أَثَارَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَنَازِلِهِ ، كَمَا كَانَ يَتَّبِعُهُ ابْنُ عُمَرَ) .
 مَوَاعِظٌ وَعِبَرٌ .. فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَاهَا ابْنُ عُمَرَ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ^(١) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
 (انْطَلِقْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمْ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ
 صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنَجِّيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ
 إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ .

قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَعْبُقُ قَبْلَهُمَا ^(١) أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا ، فَلَمْ أَرْجِعْ حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا (لَبَنَ الْعِشَاءِ) فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، فَكْرَهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَعْبُقَ قَبْلَهُمَا ، فَلَبِثْتُ (وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ) أَنْتَظِرُ اسْتِيقَازَهُمَا حَتَّى بَرِقَ الْفَجْرُ ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمِي (أَي : يَصِيحُونَ مِنَ الْجُوعِ) ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ .. فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ .

قَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَرَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي ، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ فَجَاءَتْني فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةً دِينَارًا عَلَى أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ؛ فَفَعَلَتْ ، حَتَّى إِذَا قَدِرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقْضِ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ^(٢) ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَتَرَكْتُ لَهَا مَا أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .

وَقَالَ الثَّلَاثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَتَمَرَّتْ لَهُ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي .

فَقُلْتُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ (مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالغَنَمِ ، وَالرَّقِيقِ) ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي ! ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ؛ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، فَاسْتَأْفَقَهُ فَلَمْ يَبْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ .. فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) .

وَهَذَا الْحَدِيثُ يُدَلُّنَا عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَفَضْلَ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ وَخِدْمَتِهِمَا ، وَفَضْلَ الْعَفَافِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالسَّمَاخَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ ؛ كُلُّ ذَلِكَ أَعْمَالٌ يُفَرِّجُ بِهَا اللَّهُ الْكُرُوبَ ، وَأَنَّهَا تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَهِيَ فِضَائِلٌ يَحْتَسِبُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

(٢) أَي : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَزَلْ عَفَافِي إِلَّا بِالزَّوْجِ .

(١) الْغَبُوقُ : الشَّرْبُ بِالْعِشَاءِ ؛ أَي : لَا أَقْدِمُ قَبْلَهُمَا فِي الشَّرْبِ أَحَدًا .

وَكَذَلِكَ فِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى انْتِفَاعِ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِ غَيْرِهِ ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ لَمْ يَكْفِهِ عَمَلُهُ لِلتَّفْرِيجِ عَنْهُ ، وَمَا فُرِّجَ عَنْهُ إِلَّا بِعَمَلِ غَيْرِهِ .

بِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنَّصْرِ وَفَتْحِ مِصْرَ :

كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُقَوْسِ (عَظِيمِ الْقِبْطِ بِمِصْرَ) يَدْعُوهُ إِلَى الدِّينِ الْجَدِيدِ قَائِلًا : أَسْلِمْ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبْطِ ..

﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

وَقَدْ تَلَقَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَابَ الْمُقَوْسِ مُؤَذِّنًا بِالْأَمَلِ ، غَيْرَ قَاطِعٍ بِالْإِبَاءِ ، يَقُولُ فِي بَعْضِ نُصُوصِهِ : (... فَهَمَّتْ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ ...) ، ثُمَّ يَقُولُ : (وَقَدْ أَكْرَمْتُ رُسُلَكَ ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِنَجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَقَامٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٌ ، وَبِكِسْوَةٍ ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَعْلَةً لِتَرْكَبَهَا ... وَالسَّلَامُ) .
وَتَعَلَّقَتِ الْحَوَادِثُ بِأَجْلِهَا الْمَوْعُودُ .

وَإِذَا الْأُمُورُ تَقَارَبَتْ لِأَوَانِهَا ❁ حُلَّتْ عُرَى الْأَقْدَارِ بِالْأَقْدَارِ

نَعَمْ .. فَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ جَازِمًا لِصَحَابَتِهِ الْأَقْرَبِينَ : (سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، فَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) .

وَعَلِمَ ﷺ أَنَّهُ فَتَحَ لَا يَنَامُ عَنْهُ الْغَالِبُ وَلَا الْمَغْلُوبُ ؛ فَقَالَ لِصَحَابَتِهِ :
(إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ) .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَلِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ ﷺ : (لَأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ (٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ يَشْهَدُ هَذَا اللَّقَاءَ ، وَكَمْ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ لِيُكُونَ مَعَ ظَلَّائِعِ الْمُسْلِمِينَ الزَّاحِفَةِ إِلَى مِصْرَ ؛ فَطَالَمَا كَانَ يُرَدُّدُ مَعَ الْجُنُودِ بَعْدَ فَتْحِ الشَّامِ حَدِيثَ

(٢) رِبَاطُ : جِهَادُ .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : آيَةُ ٦٤ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (سَتَقْتَحُونَ مِصْرَ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً^(١) وَرَحْمًا^(٢)) .

وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ لِعَبْدِ اللَّهِ هَذَا الْعِزَّ وَالْجَاهَ ؛ فَقَدْ كَانَ جُنْدِيًّا بَيْنَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ مِصْرَ بِقِيَادَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ .
وَفِي مِصْرَ ، وَعِنْدَمَا بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ تَخْطِيطَ مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ وَبِنَاءَ مَسْجِدِهَا الْعَتِيقِ ؛
الَّذِي يُعَدُّ مِنْ أَوَّلِ الْمَسَاجِدِ فِي أُفْرِيْقِيَا ، وَخَامِسُ خَمْسَةِ مَسَاجِدِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَا
يَزَالُ قَائِمًا شَامِخًا إِلَى الْيَوْمِ ، وَيُعْرَفُ بِمَسْجِدِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فِي مِصْرَ الْقَدِيمَةِ
(إِحْدَى ضَوَاحِي الْقَاهِرَةِ الْحَالِيَةِ) .

وَبِالْقُرْبِ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ بَنَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ دَارَهُ ، حَيْثُ عَاشَ فِتْرَةَ إِقَامَتِهِ
بِمِصْرَ ، وَكَانَتْ دَارُهُ مَقْصِدَ الْمُسْلِمِينَ ، يَنْهَلُونَ مِنْ عِلْمِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَيَسْتَمْعُونَ إِلَى
أَحَادِيثِهِ وَفَتَاوَاهُ فِي أُمُورِ الدِّينِ الْمُتَشَعَّبَةِ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ مُحَدِّثًا مِنْ
أَهْلِ مِصْرَ قَدْ رَوَوْا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ .

عَبْدُ اللَّهِ وَغَزْوَةُ الْعِبَادَةِ :

بَعْدَ وَفَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ وَمُبَايَعَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ
بِالْخِلَافَةِ ؛ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ﷺ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ مِصْرَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَدْ كَانَ
فِي طَلِيعَةِ الْقَوَاتِ الَّتِي أَمَدَّ بِهَا الْخَلِيفَةُ وَالِيَ مِصْرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ (الَّذِي
تَوَلَّى إِمَارَتَهَا خَلْفًا لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ) لِعَزْوِ الشَّمَالِ الْأَفْرِيْقِيِّ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّرْحِ ﷺ قَدْ تَعَرَّفَ عَلَى أُفْرِيْقِيَا وَعَلَى أَحْوَالِ أَهْلِهَا
وَمَدَاخِلِهَا عِنْدَمَا خَرَجَ أَثْنَاءَ وِلَايَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ لِمِصْرَ عَلَى قِيَادَةِ جَيْشٍ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى بَلَغَ أُفْرِيْقِيَا ، فَقَاتَلَ وَانْتَصَرَ ، وَغَنِمَ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ وَهُوَ يَتَمَنَّى
أَنْ يَنْشُرَ الْإِسْلَامَ فِي أُفْرِيْقِيَا ، وَاعْتَبَرَ خُرُوجَهُ هَذَا وَانْتِصَارَهُ ، بِمِثَابَةِ اسْتِطْلَاعِ
أَوَّلِيِّ الْأَفْرِيْقِيَا .

(١) ذِمَّةٌ : أَي أَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ لَهُمْ حَقٌّ فِي ذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

(٢) رَحْمًا : صِلَةٌ قَرَابَةٌ ؛ فَهَاجَرَ الْمِصْرِيَّةُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ أَبِي الْعَرَبِ .

وفى عام ٢٦ هجرية استأذن عبد الله بن أبي السرح في غزو أفريقية ، فشجعه سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له : (إن فتح الله عليك غداً أفريقية فلك خمس الخمس من الغنائم نفلًا) .

وسار عبد الله بن أبي السرح مرّة ثانية بالجيش ، وكان قد هيأ جيشين آخرين وأمرهما بالخروج معه ، فتوغّلوا جميعاً في أفريقية ولقوا جموعاً فيها فاقتتلوا ، وصبر المسلمون حتى فتح الله عليهم سهولها وجبالها ، ودخل كثير من أهلها في الإسلام ، وحسنت طاعتهم ، وكان عبد الله بن أبي السرح قد وصل في فتحه إلى مدينة (سبيطلة) جنوبي تونس .

وكان الروم قد اجتمعوا بقيادة جرجير ، فالتقى المسلمون والروم واقتتلوا ، فلم يتغلب فريق على فريق ، وطال الوقت ، وطال القتال ؛ فطلب عبد الله بن أبي السرح المدد من الخليفة عثمان ، فأرسل سيّدنا عثمان المدد وفي مقدمته عدد كبير من أعلام الصحابة ، فيهم : عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ؛ لهذا سُميت هذه الواقعة بغزوة العبادة .

وفاته رضي الله عنه : توفى رضي الله عنه في نهاية العام الثالث والسبعين للهجرة (وقيل في سنة أربع وسبعين) ، ودُفن بذي طوى (موضع عند مكة) ؛ وقد بلغ رضي الله عنه من العمر خمسة وثمانين عاماً .

سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه

حبر الأمة وبحرها عبد الله بن عباس بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وآله .

وُلد رضي الله عنه قبل الهجرة بثلاث سنين ؛ وبنو هاشم محاصرون في شعب أبي طالب أيام المحنة العظمى للدعوة الإسلامية ؛ بما تضافر عليها من اجتماع أنصار الباطل وحلفاء الوثنية ، حتى كانوا إلباً على رسول الله وقومه ؛ لا يباعدونهم ولا يناكحونهم . وكانت هذه الحادثة أشد ما لقي الهاشميون من أذى قريش في سبيل دفاعهم عن

النَّبِيِّ ﷺ عَصِيَّةً لَهُ ، وَكَانَتْ أَيْضاً أَوَّلَ بَدْءٍ لِلنُّضَالِ الْقَوِيِّ الصَّارِمِ فِي سَبِيلِ تَوْطِيدِ
 أَرْكَانِ الْإِيمَانِ بِالْعَقِيدَةِ الْعَتِيدَةِ ، وَمُنَاهِضَةِ مَوْرُوثَاتِ الْوَثِيئَةِ الْبَالِيَةِ عَنْ طَرِيقِ إِيقَاطِ
 الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَخْلِيصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الْأَسْرِ فِي أَغْلَالِ التَّقْلِيدِ الْبَلِيدِ ؛ فَإِنَّهَا كَشَفَتْ عَنْ
 رُوحِ التَّحَكُّمِ الْاسْتِبْدَادِيِّ وَالتَّعَسُّفِ الْأَثِمِ فِي مَسَلِكِ قُرَيْشٍ مَعَ إِخْوَتِهَا وَأَبْنَاءِ عُمُومَتِهَا ،
 حَتَّى نَهَضَ بَعْضُ الْأَبَاءِ مِنْ أَمْثَالِ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو وَزَمَعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ وَزُهَيْرِ بْنِ أَبِي
 أُمِيَّةَ وَأَبِي الْبَحْتَرِيِّ بْنِ هِشَامِ وَالْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ ؛ يُنْكِرُونَ عَلَى قُرَيْشٍ شَنْعَتِهَا ،
 وَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ الْهَاشِمِيُّونَ مَعَ النَّاسِ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ ، وَيَحْيُونَ حَيَاتَهُمُ الْأَوَّلَى
 فِي غَيْرِ حَرَجٍ وَلَا إِعْنَاتٍ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكَادُوا يَخْرُجُونَ إِلَى طَبِيعَةِ الْحَيَاةِ حَتَّى نُكْبُوا
 بِمَوْتِ زَعِيمِهِمْ شَيْخِ قُرَيْشٍ وَنَبِيلِهَا أَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالْقَائِمِ دُونَهُ يَحْمِيهِ
 وَيَذُودُ عَنْ دَعْوَتِهِ ، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ مِنْ أَشَدِّ مَا آلَمَ نَفْسَ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً ، وَنَفُوسَ
 الْهَاشِمِيِّينَ عَامَّةً ، لِمَكَانَةِ أَبِي طَالِبٍ فِيهِمْ وَفِي عَامَّةِ الْعَرَبِ .

كَانَ طَبِيعِيًّا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنْحِيَازِ أَبِي لَهَبٍ إِلَى جَانِبِ قُرَيْشٍ ، أَنْ يَقُومَ
 الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَقَامَ أَخِيهِ أَبِي طَالِبٍ فِي زَعَامَةِ الْهَاشِمِيِّينَ ، وَكَانَ مَظْهَرُ
 الزَّعَامَةِ وَقَتْبُ الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ قُرَيْشٍ دِفَاعاً عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَدَعْوَتِهِ ،
 فَعَضَّدَ الْعَبَّاسُ الدَّعْوَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ كَمَا كَانَ يُعَضِّدُهَا أَبُو طَالِبٍ ؛ وَكُتِبَ السِّيَرَةُ مُجْمَعَةً
 عَلَى رِوَايَةِ حُضُورِهِ بَيْعَةَ الْعَقْبَةِ الْكُبْرَى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُسْتَوْثِقاً لَهُ مِنْ وَفْدِ الْأَنْصَارِ
 السَّبْعِينَ ؛ وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ إِنْ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ
 عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأِينَا فِيهِ ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ
 وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، وَقَدْ أَبَى إِلَّا الْأَنْحِيَازَ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ
 وَأَفُونَ لَهُ فِيمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ
 كُنْتُمْ مُسْلِمِيهِ وَخَاذِلِيهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلَيْكُمْ فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ) ، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ بِمَحْضَرٍ
 مِنَ الْعَبَّاسِ ، وَفُتِحَ بِهَا بَابُ الْهَجْرَةِ الَّذِي نَفَذَ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ
 وَنَشَرَ دَعْوَتِهِمْ ؛ وَعَبَّدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا يَشَبُّ عَنِ الطُّوقِ وَلَكِنَّهُ يَرَى وَيَسْمَعُ ،
 وَالْحَوَادِثُ تَتَوَالَى فِي شِدَّةٍ وَسُرْعَةٍ ، وَالآيَاتُ تَتْرَى ، وَالْوَحْيُ يَتَّبَعُ ، وَشَوْكَةُ الْإِسْلَامِ
 تَقْوَى ، وَكَلِمَتُهُ تَعْلُو ، وَسَاعِدُهُ يَشْتَدُّ ، وَأَنْصَارُهُ يَكْثُرُونَ ، وَمَكَّةُ الْعَصِيَّةُ تَفْتَحُ ، وَقُرَيْشٌ

الجامحة تؤمن ، وسادتها تطيع وتسلم ، والعباس رضي الله عنه يؤمن ويهاجر ، والحجاج العقلي يتماظم ، والعرب قاصيها ودانيها تقبل في وفود رؤوسها مسلمة لله مبايعة لرَسُولِهِ صلوات الله عليه .

ولما توفى رسول الله صلوات الله عليه ، كان ابن عباس له ثلاث عشرة سنة فقط ، ومع ذلك فقد حفظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وستمائة وستين حديثاً أثبتتها البخاري ومسلم في صحيحهما .

من اتصل بالواصل موصول .. فكيف بمن حاز رضى الرسول ١٩ :

ما إن دخل عبد الله رضي الله عنه سن التمييز ^(١) حتى لازم رسول الله صلوات الله عليه ملازمة العين لأختها ؛ فكان يعد له ماء وضوئه إذا هم أن يتوضأ ، ويصلي خلفه إذا وقف للصلاة ، ويكون رديفه ^(٢) إذا عزم على السفر .

حتى غدا رضي الله عنه له صلوات الله عليه كظله يسير معه أنى سار ، ويدور في فلكه كيفما دار ؛ وهو في كل ذلك يحمل بين جنبيه قلباً واعياً ، وذهنًا صافياً ، وحافظةً دونها كل آلات التسجيل التي عرفها العصر الحديث ؛ حدث عن نفسه قال :

هم رسول الله صلوات الله عليه بالوضوء ذات مرة ؛ فما أسرع أن أعددت له الماء ، فسرر بما صنعت ، ولما هم بالصلاة أشار إليّ : أن أقف بإزائه ^(٣) ، فوقف خلفه ، فلما انتهت الصلاة مال عليّ وقال صلوات الله عليه : (ما منعك أن تكون بإزائي يا عبد الله ١٩) .

فقلت : أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازيك يا رسول الله .

فرفع يديه إلى السماء وقال صلوات الله عليه : (اللهم آتِه الحكمة) ^(٤) .

وفي رواية : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ^(٥) .

وقد استجاب الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام فأتى الغلام الهاشمي من الحكمة ما فاق به أساطين ^(٦) الحكماء ؛ وهاك البيان :

● لما اعتزل بعض أصحاب الإمام عليّ وخذلوه في نزاعه مع معاوية ، قال عبد الله

(١) سن التمييز : هو سن السابعة ، وقيل غير ذلك .

(٢) بإزائه : بجانبه .

(٣) رديف الرجل : من يركب خلفه .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد في مسنده .

(٥) أساطين الحكماء : أكابر الحكماء والمؤنفرون منهم .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

ابن عباسٍ لعليٍّ رضي الله عنه : ائذن لي يا أمير المؤمنين ، أن آتي القوم وأكلمهم .
 فقال : إني أخوف عليك منهم ، فقال : كلاً إن شاء الله .
 ثم دخل عليهم فلم ير قوماً قط أشدَّ اجتهاداً منهم في العبادة .
 فقالوا : مرحباً بك يا ابن عباسٍ .. ما جاء بك ؟
 فقال : جئت أحدثكم .

فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم : قل نسمع منك .
 فقال : أخبروني ما تتقون ^(١) على ابن عم رسول الله ، وزوج ابنته ، وأول من آمن به ؟
 قالوا : ننقم عليه ثلاثة أمور .
 قال : وما هي ؟

قالوا : أولها : أنه حكّم الرجال في دين الله (يشيرون بذلك إلى قبول الإمام عليٍّ بأن يحكم بينه وبين معاوية كلاً من أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص) .
 وثانيها : أنه قاتل عائشة ومعاوية ولم يأخذ غنائم ولا سبايا .
 وثالثها : أنه محا عن نفسه لقب أمير المؤمنين مع أن المسلمين قد باعوه وأمروه .
 فقال : أرايتم إن سمعتم من كتاب الله ، وحدتكم من حديث رسول الله ما لا تذكرونه ، أفرجعون عما أنتم فيه ؟
 قالوا : نعم .

قال : أما قولكم : إنه حكّم الرجال في دين الله ، فالله سبحانه وتعالى يقول :
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ^(٢) .
 أنشدكم الله ^(٣) ، أفحكّم الرجال في حقن ^(٤) دمايتهم وأنفسيهم ، وصلاح ذات بينهم
 أحق ، أم حكّمهم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟
 فقالوا : بل في حقن دماء المسلمين وصلاح ذات بينهم .
 فقال : أخرجنا من هذه ؟

(١) ما تتقون على ابن عم رسول الله : ما تأخذون عليه ، وما تذكرون من فعله ؟

(٢) سورة المائدة : من الآية ٩٥ .

(٣) أنشدكم الله : استخلفكم بالله .

(٤) حقن دمايتهم : صون دمايتهم .

قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ : وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنَّ عَلِيًّا قَاتِلٌ وَلَمْ يَسْبِ (١) كَمَا سَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ أَفَكُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسُبُّوا أُمَّكُمْ عَائِشَةَ وَتَسْتَحِلُّونَهَا كَمَا تُسْتَحِلُّ السَّبَايَا ؟ ، فَإِنْ قُلْتُمْ : نَعَمْ ؛ فَقَدْ كَفَرْتُمْ .. وَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّهَا لَيْسَتْ بِأُمَّكُمْ كَفَرْتُمْ أَيْضًا ؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿الَّذِينَ أُوتُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (٢) .

فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ أَيْضًا ؟ .

قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ : وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنَّ عَلِيًّا قَدْ مَحَا عَنْ نَفْسِهِ لَقَبَ إِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ طَلَبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ (الْحُدَيْبِيَّةِ) أَنْ يَكْتُبُوا فِي الصُّلْحِ الَّذِي عَقَدَهُ مَعَهُمْ (هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) ، قَالُوا : لَوْ كُنَّا نُوْمِنُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ، فَزَلَّ عِنْدَ طَلْبِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ : (وَاللَّهِ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي) .. فَهَلْ خَرَجْنَا مِنْ هَذِهِ ؟ .

فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

وَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ هَذَا اللَّقَاءِ : وَمَا أَظْهَرَهُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ حِكْمَةٍ بِالِغَةِ وَحُجَّةٍ دَامِغَةٍ أَنْ عَادَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا إِلَى صُفُوفِ عَلِيٍّ ، وَأَصْرًا أَرْبَعَةَ أَلْفٍ عَلَى خُصُومَتِهِمْ لَهُ عِنَادًا وَإِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ .

● عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَأْذُنُ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَيَأْذُنُ لِي مَعَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَتَأْذُنُ لِهَذَا الْفَتَى وَمِنْ أَبْنَائِنَا مَنْ هُوَ مِثْلُهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ .

فَأَذِنَ لَهُمْ يَوْمًا وَأَذِنَ لِي مَعَهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

وَالْفَتْحُ ● وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ :

فَقَالُوا : أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَأَنْ يَتُوبَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ ، فَقَالَ : لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِحُضُورِ

(١) لَمْ يَسْبِ : لَمْ يَأْخُذْ سَبَايَا ، وَالسَّبَايَا : النِّسَاءُ اللَّوَاتِي يُؤَسِّرْنَ فِي الْحَرْبِ . (٢) سُورَةُ الْأَنْزَابِ : مِنَ الْآيَةِ ٦ .

أَجَلِهِ فَقَالَ :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فَتَحَ مَكَّةَ ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ أَي : فَعِنْدَ ذَلِكَ عَلَامَةٌ مَوْتِكَ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ^(١) .

وَلَا يُدْرِكُ الْفَضْلَ إِلَّا ذُووه :

● وَكَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُذِلُّ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ : فَقَدْ كَانَ يُعْلِي مِنْ قَدْرِ الْعُلَمَاءِ ؛ فَهَا هُوَ ذَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه كَاتِبُ الْوَحْيِ وَرَأْسُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي الْقَضَاءِ وَالْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْفَرَائِضِ ^(٢) يَهُمُّ بِرُكُوبِ دَابَّتِهِ فَيَقِفُ الْفَتَى الْهَاشِمِيَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفَقَّةَ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ ، وَيُمْسِكُ لَهُ رِكَابَهُ ، وَيَأْخُذُ بِزِمَامِ دَابَّتِهِ .

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : دَعْ عَنْكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا .

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : أَرْنِي يَدَكَ .. فَأَخْرَجَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَدَهُ ، فَمَالَ عَلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَقَالَ :

هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا .

● وَقَدْ دَابَّ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى بَلَغَ فِيهِ مَبْلَغًا أَذْهَشَ الْفُحُولَ ؛ فَقَالَ فِيهِ مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ أَحَدُ كِبَارِ التَّابِعِينَ :

كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قُلْتُ : أَجْمَلُ النَّاسِ ، فَإِذَا نَطَقَ قُلْتُ : أَفْصَحُ النَّاسِ ، فَإِذَا تَحَدَّثَ قُلْتُ : أَعْلَمُ النَّاسِ .

● وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَجْلِسًا لَوْ أَنَّ جَمِيعَ قُرَيْشٍ افْتَخَرَتْ بِهِ لَكَانَ لَهَا مَفْخَرَةً ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمْ ، وَسَدُّوْهَا فِي وُجُوهِ النَّاسِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَحْتِشَادِ النَّاسِ عَلَى بَابِهِ ، فَقَالَ : ضَعْ لِي وَضُوءًا ^(٣) ، فَتَوَضَّأَ وَجَلَسَ وَقَالَ :

أَخْرُجْ وَقُلْ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ وَحُرُوفِهِ فَلْيَدْخُلْ .

فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ

(٢) الْفَرَائِضُ : عِلْمٌ قَسَمَتِ التَّرَكَّةُ عَلَى مُسْتَحِقِّهَا .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَنَازِي : بَابُ مَنْزِلِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه يَوْمَ الْفَتْحِ .

(٣) الْوَضُوءُ (بِفَتْحِ الْوَاوِ) : الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ .

إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ ، وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ وَأَكْثَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَفْسِحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ ، فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ لِي : أَخْرُجْ فَقُلْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَن تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَتَأْوِيلِهِ فَلْيَدْخُلْ ، فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ .

فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَن شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ ، وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْهُ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَفْسِحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ لِي : أَخْرُجْ فَقُلْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفِقْهِ فَلْيَدْخُلْ ، فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَن شَيْءٍ إِلَّا

أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَفْسِحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ ، فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ لِي : أَخْرُجْ فَقُلْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الضَّرَائِضِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَلْيَدْخُلْ ، فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَن شَيْءٍ إِلَّا

أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَفْسِحُوا الطَّرِيقَ لِإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ لِي : أَخْرُجْ فَقُلْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشُّعْرِ وَغَرِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَلْيَدْخُلْ ، فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الْبَيْتَ وَالْحُجْرَةَ ، فَمَا سَأَلُوهُ عَن شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ ، وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ .

قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَلَوْ أَنَّ قُرَيْشًا فَخَرَتْ بِذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ فَخْرًا ، فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

● وَقَدْ عَدَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ؛ بِفَضْلِ عِلْمِهِ وَفِقْهِهِ مُسْتَشَارًا لِلْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَدَاثَةِ سِنِّهِ :

فَكَانَ إِذَا عَرَضَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَمْرٌ أَوْ وَاجَهْتُهُ مُعْضَلَةٌ ^(١) دَعَا جِلَّةَ ^(٢) الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَدَعَا مَعَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، فَإِذَا حَضَرَ رَفَعَ مَنْزِلَتَهُ وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَعْضَلَ عَلَيْنَا أَمْرٌ أَنْتَ لَهُ وَالْأَمْثَالُ .

وَقَدْ عُوْتِبَ مَرَّةً فِي تَقْدِيمِهِ لَهُ وَجَعَلِهِ مَعَ الشُّيُوخِ ، وَهُوَ مَازَالَ فَتًى ، فَقَالَ رضي الله عنه : إِنَّهُ

(١) الْمُعْضَلَةُ : الْمُشْكَلَةُ الصُّبِيَّةُ .

فَتَى الْكُهُولِ ، لَهُ لِسَانٌ سَوُولٌ وَقَلْبٌ عَمُولٌ .

● وَلَمَّا تُوَفِّيَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : مَاتَ حَبْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ خَلْفًا .

● وَقَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : نَعَمْ تَرَجَّمَانِ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ .

● وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بِمُنْتَظِمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ * لِدِي إِرْيَةَ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
سَمَوْتَ إِلَى الْعُلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ * فَنِلْتَ ذُرَاهَا لَا دَنْبِيًّا وَلَا غِلًّا

تَقْبِيلُ أَيِّدِي ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلِ الْحَقِّ سُنَّةٌ عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ صلوات الله عليه :

✽ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ عَنْ أُمِّ أَبَانَ ابْنَةِ الْوَازِعِ عَنْ جَدِّهَا أَنَّ جَدَّهَا الْوَازِعَ بْنَ

عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَدِمْنَا ، فَقِيلَ : ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه فَأَخَذْنَا بِيَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ نُقْبَلُهَا .

✽ وَأَخْرَجَ أَيْضًا فِي الْأَدَبِ عَنْ مَزِيدَةَ الْعَبْدِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : جَاءَ الْأَشْجُ رضي الله عنه يَمْشِي

حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه فَقَبَّلَهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه : (أَمَا إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ

يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ، قَالَ : جَبَلًا جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ خُلِقًا مَعِيَ ؟ ، قَالَ صلوات الله عليه : (لَا ، بَلْ

جَبَلًا جُبِلْتُ عَلَيْهِ) ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

✽ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ الذَّمَارِيِّ ، قَالَ : لَقِيتُ واثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ

رضي الله عنه فَقُلْتُ : بَايَعْتَ بِيَدِكَ هَذِهِ رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : أَعْطِنِي يَدَكَ أُقْبِلُهَا ،

فَأَعْطَانِيهَا فَقَبَّلْتُهَا .

✽ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُضَرَّدِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَزِينٍ ، قَالَ : مَرَرْنَا

بِالرَّبِذَةِ فَقِيلَ لَنَا : هَهُنَا سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه ، فَأَتَيْتُهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَأَخْرَجَ يَدَيْهِ

فَقَالَ : بَايَعْتُ بِهِاتَيْنِ نَبِيِّ اللَّهِ صلوات الله عليه ، فَأَخْرَجَ كَفًّا لَهُ ضَخْمَةً كَأَنَّهَا كَفُّ بَعِيرٍ ، فَقُمْنَا

إِلَيْهِ فَقَبَّلْنَاهَا .

❁ وَأَخْرَجَ أَيْضاً فِي الْأَدَبِ عَنْ صُهَيْبٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْبَلُ يَدَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَجَلَيْهِ .

مَوْعِظَةٌ مَا أَحْوَجَ أَهْلَ زَمَانِنَا إِلَى تَدْبِيرِهَا :

عَلَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَنْصَرَفَ إِلَى الْخَاصَّةِ لِيُعَلِّمَهُمْ وَيُفَقِّهَهُمْ ، لَمْ يَنْسَ حَقَّ الْعَامَّةِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ يَعْقِدُ لَهُمْ مَجَالِسَ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ ، فَمِنْ مَوَاعِظِهِ قَوْلُهُ مُخَاطِباً أَصْحَابَ الذُّنُوبِ :

يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ عَاقِبَةَ ذَنْبِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا يَتَّبِعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّ عَدَمَ اسْتِحْيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى يَمِينِكَ وَعَلَى شِمَالِكَ وَأَنْتَ تَقْتَرِفُ ^(١) الذَّنْبَ لَا يَقِلُّ عَنِ الذَّنْبِ ، وَإِنَّ ضِحْكَكَ عِنْدَ الذَّنْبِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ ، وَإِنَّ فَرْحَكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ ، وَإِنَّ حُزْنَكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ ، وَإِنَّ خَوْفَكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَكَ وَأَنْتَ تَرْتَكِبُ الذَّنْبَ مَعَ كَوْنِكَ لَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ .

وِغَايَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ :

وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَنْهَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَنْتَهُونَ ، وَإِنَّمَا كَانَ صَوَامَ نَهَارٍ قَوَامَ لَيْلٍ ؛ أَخْبَرَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلاً قَامَ شَطْرَ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَقْرَأُ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ^(٢) ، فَظَلَّ يَكْرُرُهَا وَيَنْشِجُ ^(٣) حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِ الْفَجْرُ . وَفَاتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تُوَفِّيَ بِالطَّائِفِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً مَلَأَ فِيهَا الدُّنْيَا عِلْماً وَفَهْماً وَحِكْمَةً وَتَقَى .

● عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ ، قَالَ : شَهِدْتُ جَنَازَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ ، فَلَمَّا وُضِعَ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ جَاءَ طَائِرٌ أَبْيَضٌ حَتَّى دَخَلَ فِي أَكْفَانِهِ فَالْتَمَسَ فَلَمْ يُوجَدْ ، فَلَمَّا

(٢) سُورَةُ ق : الْآيَةُ ١٩ .

(١) تَقْتَرِفُ الذَّنْبَ : تَرْتَكِبُ الذَّنْبَ .

(٣) يَنْشِجُ : يَبْكِي بِصَوْتٍ عَالٍ .

سُوِّيَ عَلَيْهِ سَمْعَنَا صَوْتًا نَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا نَرَى شَخْصَهُ : ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
 ﴿١﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٣﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٤﴾ .

● وَلَمَّا بَلَغَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَفَاةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ صَفَّقَ بِإِحْدَىٰ يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَىٰ وَقَالَ : مَاتَ أَعْلَمُ النَّاسِ وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَلَقَدْ أُصِيبَتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُصِيبَةً لَا تُرْتَقُ .

● وَعَنْ مُنْذِرٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ : الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِي هَذِهِ الْأُمَّةُ (٢) .

سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّ الْقُرَشِيُّ .

وَأَبُوهُ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ،
 وَأُمُّهُ : أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ذَاتُ النُّطَاقَيْنِ ، وَجَدُّهُ لِأُمِّهِ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ؛
 خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَخَالَتُهُ : السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَدَّتُهُ لِأَبِيهِ : صَفِيَّةُ
 بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعَمَّةُ أَبِيهِ : أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ
 بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ﷺ .

أَفْطَلُنْ أَنْ بَعْدَ هَذَا الْحَسَبِ حَسَبًا ، وَأَنْ فَوْقَ هَذَا الشَّرَفِ شَرَفًا غَيْرَ شَرَفِ الْإِيمَانِ
 وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ ؟

وُلِدَ ﷺ فِي قُبَاءَ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ : وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ
 مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِوِلَادَتِهِ فَرَحًا شَدِيدًا ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ
 كَانُوا يَقُولُونَ : سَحَرْنَا هُمْ فَلَا يُوَلَّدُ لَهُمْ وَلَدٌ ، فَحَنَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَمْرَةٍ مَضْفَأًا ،
 وَسَمَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَنَاهُ أَبَا بَكْرٍ .

● وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، أَمَرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ وَأَنْ يُبَايِعَهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ ؛ فَمَضَىٰ وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ

(٢) الزُّبَيَانِي : الْعَالِمُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ .

(١) سُورَةُ الْفَجْرِ : الْآيَاتُ ٢٧-٣٠ .

ابن جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (وكانَ غُلاماً في مِثْلِ سِنِّهِ) فَلَمَّا رَأَها النَّبِيُّ ﷺ مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ لِمُبَايَعَتِهِ : كَمَا يَفْعَلُ كَمَلَةُ الرَّجَالِ ، تَبَسَّمَ سُروراً مِنْ صَنِيعِهما وَمَدَّ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَيْهما وبِايِعَهُما ، وَظَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ما اَمْتَدَّتْ بِهِ الحِياةُ يَذْكَرُ هَذِهِ البِيعَةَ .

● أثرُ النَّبِيِّ قُوَّةٌ وَطَاقَةٌ :

✽ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ ، عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اِحْتَجَمَ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ : (يا عَبْدَ اللَّهِ ، اذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لا يَرَاكَ أَحَدٌ) ، فَلَمَّا ذَهَبَ شَرِبَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ ، قَالَ ﷺ : (ما صَنَعْتَ بِالدَّمِ ؟) ، قَالَ : عَمِدْتُ إِلَى أَحْفَى مَوْضِعٍ فَجَعَلْتُهُ فِيهِ ، قَالَ ﷺ : (لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ) ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ ﷺ : (وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ، وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ) : فَكانُوا يَرَوْنَ أَنَّ القُوَّةَ الَّتِي بِهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ .

وفي روايةٍ أُخْرَى قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ، لا تَمْسُكُ النَّارُ إِلَّا قَسَمَ اليَمِينِ) : وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتَمًا مَقْضِيًّا ﴾ (١)

✽ قالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيزِ يَوماً لابنِ أَبِي مُليْكةَ : صِفْ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ ، ما رَأَيْتُ نَفْساً رُكِبَتْ بَيْنَ جَنبَيْنِ مِثْلَ نَفْسِهِ ، وَلَقَدْ كانَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْها ، وكانَ يَرُكِعُ أو يَسْجُدُ فَتَقْفُ العِصافِيرُ فَوْقَ ظاهِرِهِ وَكاهِلِهِ ، لا تَحْسِبُهُ مِنْ طُولِ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ إِلاَّ جَداراً أو ثوباً مَطْرُوحاً ، وَلَقَدْ مَرَّتْ قَدِيفَةٌ مُنْجَنِيقٌ ^(٢) بَيْنَ لِحْيَتِهِ وَصَدْرِهِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَوَاللَّهِ ما أَحَسَّ بِها ولا اهْتَزَّتْ لَها ، ولا قَطَعَ مِنْ أَجْلِها قِراءَتَهُ ولا تَعَجَّلَ رُكُوعَهُ) .

✽ وقالَ مُجاهِدٌ : (ما كانَ بابٌ مِنَ العِبادَةِ يَعْجُزُ النَّاسُ عَنْهُ إِلاَّ تَكَلَّفَهُ ابنُ الزُّبَيْرِ ، وَلَقَدْ جاءَ سَيْلٌ طَبَقَ البَيْتَ فَجَعَلَ يَطُوفُ سِباحَةً) .

● الخِلافُ بَيْنَ أَهْلِ الاجْتِهَادِ لا يُفْسِدُ الوِدادَ :

سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ (عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا بَيْنَهُما مِنَ خِلافٍ) فَقَالَ : (كانَ قارِئاً لِكِتابِ اللَّهِ ، مُتَّبِعاً سُنَّةَ رَسُولِهِ ، قانِئاً لِلَّهِ ، صائِماً فِي

(٢) المُنْجَنِيقُ : آلةٌ حَرْبِيَّةٌ تُرْمَى بِها القَدائِفُ .

(١) سُورَةُ مَرْيَمَ : الآيةُ ٧١ .

الهُوَاجِرِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ ، ابْنِ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ،
وخالته عائشة زوجة رسول الله ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله .

● شجاعته وفتح أفريقية :

لَمَّا اسْتَبَطَّ النَّصْرُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ عِنْدَ غَزْوِهِ أَفْرِيْقِيَّةَ ؛ أَرْسَلَ إِلَى خَلِيفَةِ
المُسْلِمِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه طالِباً مِنْهُ سُرْعَةَ الإِمْدَادِ ، فَبَعَثَ رضي الله عنه عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
الزُّبَيْرِ عَلَى رَأْسِ جَمَاعَةٍ مِنْ فُرْسَانَ المُسْلِمِينَ ؛ لِإِمْدَادِ الجَيْشِ وَمُؤَاوَزَتِهِ .
التَقَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِالْجَيْشِ الْغَزَايِ ، وَأَطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِهِ ، فَوَجَدَ أَنَّ قَائِدَهُ
كَانَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الظُّهْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، ثُمَّ يَرْكُنُ جَيْشَهُ إِلَى
الرَّاحَةِ مِنْ قَسْوَةِ الْجَوِّ وَشِدَّةِ الْحَرِّ ، فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُقَسِّمَ جَيْشَهُ
إِلَى قِسْمَيْنِ ؛ قِسْمٌ يُحَارِبُ نِصْفَ النَّهَارِ الأوَّلِ ، وَقِسْمٌ يُحَارِبُ نِصْفَ النَّهَارِ الثَّانِيِ ،
فِيَتَبَادَلُ الْفَرِيقَانِ الرَّاحَةَ ، وَيَسْتَمِرُّ الْقِتَالُ ؛ وَبِذَلِكَ لَا نُعْطِي الْعَدُوَّ الْفُرْصَةَ لِالتِّقَاطِ
أَنْفَاسِهِ ، فَسَرَّ قَائِدُ الجَيْشِ بِالْخُطَّةِ الْمُقْتَرَحَةِ ، وَأَمَرَ بِتَنْفِيذِهَا ، وَتَخَلَّى عَنِ
الْقِيَادَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ طَائِعاً مُخْتاراً .

أَقْتَتَلَ الجَيْشَانِ فِي اليَوْمِ التَّالِيِ كَمَا كَانَا يُقْتَتِلَانِ كُلُّ يَوْمٍ ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ ؛
شَرَعَ الأَعْدَاءُ يَنْصَرِفُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَمَا رَاعَهُمْ إِلاَّ أَنْ فُوجِئُوا بِالمُسْلِمِينَ وَهُمْ
يُؤَاصِلُونَ الْقِتَالَ بِجَيْشٍ مَشْبُوبِ القُوَّةِ ، مَشْحُودِ العَزِيمَةِ ، مَوْفُورِ النِّشَاطِ ؛ فَدَبَّ
فِي قُلُوبِهِمُ الدُّعْرُ ، وَحَلَّ فِي صُفُوفِهِمُ الخَلَلُ ، وَبَدَتْ عَلَيْهِمْ بَوَادِرُ الهَزِيمَةِ ؛ عِنْدَ
ذَلِكَ رَأَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْفُرْصَةَ سَانِحَةً ؛ فَاخْتَارَ ثَلَاثِينَ مِنْ رِجَالِهِ الأَشْدَّاءِ ، وَقَالَ
لَهُمْ : صُونُوا ظَهْرِي ، وَسَتَرُونَ مَا أَنَا فَاعِلٌ .

كَانَ (جَرْجِيرٌ) مَلِكُ الأَعْدَاءِ ، وَقَائِدُ جَيْشِهِمْ يَسْتَقِرُّ فِي وَسَطِ عَسْكَرِهِ رَاكِباً
بِرْدُونِهِ ^(١) الأَشْهَبِ ^(٢) ، وَكَانَتْ مَعَهُ جَارِيَتَانِ تُظَلِّلَانِ عَلَيْهِ بِرَيْشِ الطَّوَاوَيْسِ ، فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ لِرِجَالِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ ؛ إِنِّي مَاضٍ إِلَيْهِ فَاتَّبِعُونِي وَرُدُّوا عَنِّي
كَيْدَ مَنْ يَعْتَرِضُنِي .

(٢) الأَشْهَبُ : الَّذِي خَالَطَ بِيَاضَهُ سَوَادُهُ .

(١) البَرْدُونُ : دَابَّةٌ فَوْقَ الْجِمَارِ وَدُونَ الْحِصَانِ .

ثُمَّ مَضَى نَحْوَ (جَرْجِيرٍ) رَابِطَ الْجَاشِ (١) ثَابِتَ الْعَزْمِ ، رَصِينَ الْخَطَا ، وَجَعَلَ يَشُقُّ الصُّفُوفَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ فِي هُدُوءٍ ، فَظَنَّهُ الْقَوْمُ رَسُولًا جَاءَ مِنْ لَدُنِ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُفَاوِضَةِ ، فَلَمَّا غَدَا فِي وَسْطِ الْعَسْكَرِ : عَرَفَ الْمَلِكُ قَصْدَهُ ، وَخَشِيَ بَطْشَهُ ، فَوَلَّى هَارِبًا ، فَأَذْرَكَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَطَعَنَهُ طَعْنَةً طَرَحَتْهُ أَرْضًا ، ثُمَّ أَكَبَّ فَوْقَهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ (٢) ، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ لِتَكْبِيرِهِ : فَهَزَّتِ الْحَمِيَّةُ نَفُوسَ الْمُسْلِمِينَ ، وَدَبَّ الذُّعْرُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ : فَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ، وَمَنَحُوا ظُهُورَهُمْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَجُنْدِهِ الْمُقَاتِلِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
عِلْمُهُ وَفَصَاحَتُهُ :

● رُوِيَ لَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا ؛ رَوَى عَنْهُ أَخُوهُ عُرْوَةُ ، وَابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ ، وَعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ ، وَثَابِتُ الْبُنَانِيُّ ، وَعَطَاءٌ ، وَعُبَيْدَةُ السَّلْمَانِيُّ ، وَخَلَاتِقُ آخَرُونَ .

● لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ أَخِيهِ مُصْعَبٍ بِالْعِرَاقِ ؛ صَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَعِزَّ مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ وَلَوْ كَانَ مَعَهُ الْأَنْامُ طُرًّا ، وَلَمْ يَذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَلَوْ كَانَ فَرْدًا ، أَلَا وَإِنَّ خَبْرًا مِنْ الْعِرَاقِ أَتَانَا فَأَحْزَنَنَا وَأَفْرَحَنَا ؛ فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَوْعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ ثُمَّ يَرْعَوِي ذُؤُ الْأَلْبَابِ إِلَى الصَّبْرِ وَكَرِيمِ الْأَجْرِ ، وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا فَإِنَّ قَتْلَ مُصْعَبٍ لَهُ شَهَادَةٌ ، وَلَنَا ذَخِيرَةٌ ، أَسْلَمَهُ الطَّغَامُ الصَّمُّ الْأَذَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَبَاعُوهُ بِأَقْلٍ مِنَ الثَّمَنِ الَّذِي كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهُ ، فَإِنْ يُقْتَلُ فَقَدْ قُتِلَ أَخُوهُ وَأَبُوهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَكَانُوا الْخِيَارَ الصَّالِحِينَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا نَمُوتُ حَتَّى كَمَا يَمُوتُ بَنُو مَرْوَانَ ، وَلَكِنْ قَصْعًا بِالرِّمَاحِ وَمَوْتًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَبِيدُ ذِكْرُهُ ، وَلَا يَذِلُّ سُلْطَانُهُ ، فَإِنْ تَقَبَّلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ لَمْ أَخْذَهَا مَأْخَذَ الْأَشْرِ الْبَطْرِ ، وَإِنْ تَذَبَّرَ عَنِّي لَمْ أَبْكِ عَلَيْهَا بُكَاءَ الْخَرَقِ الْمَهِينِ) .

● وَلَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَوَاقِفُ فِي الْمَوَاسِمِ تَهْزُ أَفْتِدَةَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا ، وَتُثِيرُ فِي قُلُوبِهِمْ كَوَامِنَ الْإِيمَانِ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا

(٢) أَجْهَزَ عَلَيْهِ : قَتَلَهُ .

(١) رَابِطُ الْجَاشِ : هَوِيَ الْإِرَادَةَ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ^(١) يَوْمَ (وَهُوَ مُحْرَمٌ) ، فَلَبَّى تَلْبِيَةً مَا سَمِعْتُ
بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا بِمِثْلِهَا قَطُّ ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ أَوْفَرَ الْحَمْدِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ أَجْزَلَ الثَّنَاءِ ،
ثُمَّ قَالَ : (أَمَّا بَعْدُ ... فَإِنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ آفَاقِ شَتَى وَفُوداً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛
فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ ، فَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ يَطْلُبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ طَالِبَ اللَّهِ
لَا يَخِيبُ ، وَصَدَّقُوا قَوْلَكُمْ بِالْفِعْلِ ؛ فَإِنَّ مَلَكَ الْقَوْلِ الْعَمَلُ ، وَالنِّيَّةَ النَّيَّةُ ؛ فَإِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَيَّامِكُمْ هَذِهِ ؛ فَإِنَّهَا أَيَّامٌ تُغْفَرُ فِيهَا الذُّنُوبُ) ، ثُمَّ
لَبَّى وَلَبَّى النَّاسُ بِتَلْبِيَتِهِ ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ أَكْثَرَ بَأِكِيَاءٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

إِمَارَتُهُ : بُويعَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ؛ عَقِبَ
مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ (وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِمَّنْ أَبِي الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ) ، وَظَلَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ
أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مُتَّخِذًا مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ عَاصِمَةً لِخِلَافَتِهِ ، بِاسِطًا حُكْمَهُ عَلَى
الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْبَصْرَةَ وَخُرَاسَانَ وَالشَّامَ كُلَّهَا عِدَا دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُ أَهْلُ هَذِهِ
الْأَمْصَارِ جَمِيعًا ، حَتَّى جَاءَ عَهْدُ (عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ) حِينَ نَدَبَ لِمُهَاجَمَةِ
عَبْدِ اللَّهِ فِي مَكَّةَ وَاحِدًا مِنْ أَشْقَى بَنِي آدَمَ وَأَكْثَرِهِمْ قَسْوَةً وَإِجْرَامًا ، ذَلِكَ هُوَ
(الْحَجَّاجُ الثَّقَفِيُّ) الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : (لَوْ جَاءَتْ
كُلُّ أُمَّةٍ بِخَطَايَاهَا ، وَجِئْنَا نَحْنُ بِالْحَجَّاجِ وَحْدَهُ ، لَرَجَحْنَاهُمْ جَمِيعًا) .

● وَفِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ كَانَ خُرُوجُ الْمُخْتَارِ الْكَذَّابِ الَّذِي ادَّعَى النَّبُوَّةَ ، فَجَهَّزَ ابْنُ
الزُّبَيْرِ لِقِتَالِهِ ، إِلَى أَنْ ظَفَرَ بِهِ فِي سَنَةِ ٦٧ هـ ، وَقَتَلَهُ .
عَبْدُ اللَّهِ وَنَيْلُ مَا تَمَنَّاهُ :

بِالْقُرْبِ مِنَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ^(٢) جَلَسَ أَرْبَعَةَ فُتَيَانَ صَبَاحِ الْوُجُوهِ ، كِرَامِ الْأَحْسَابِ ؛ كَانَهُمْ
بَعْضُ حَمَامَاتِ الْمَسْجِدِ نَصَاعَةَ أَثْوَابِ ، وَأَلْفَةَ قُلُوبِ ؛ هُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَأَخُوهُ
مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَأَخُوهُمَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ .
وَدَارَ الْحَدِيثُ رَهْوَ^(٣) بَيْنَ الْفِتْيَةِ الْأَبْرَارِ ، ثُمَّ مَالَيْتُ أَنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ :
لَيْتَمَنَّ كُلُّ مَنْ عَلَى اللَّهِ مَا يُحِبُّ ؛ فَاِنطَلَقَتْ أَخِيلَتُهُمْ تُحَلِّقُ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ الرَّحْبِ ،

(١) يَوْمَ التَّرْوِيَةِ : هُوَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ . وَسُمِّيَ التَّرْوِيَةَ لِأَنَّ الْحَجَّاجَ يَتَرَوَّى فِيهِ بِالْمَاءِ قَبْلَ التَّهَوُّصِ إِلَى مَنَى ؛ أَيْ يَتَزَوَّدُونَ بِالْمَاءِ .

(٢) الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ : أَحَدُ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ .

(٣) رَهْوَ : لَيْتَنَا هَادِتًا .

وَمَضَتْ أَحْلَامُهُمْ تَطُوفُ فِي رِيَاضِ الْأَمَانِيِّ الْخُضْرِ ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ
 أُمْنِيَّتِي أَنْ أَمْلِكَ (الْحِجَازَ) ، وَأَنْ أَنْالَ الْخِلَافَةَ ، وَقَالَ أَخُوهُ مُضْعَبٌ : أَمَا أَنَا فَاتَمَنَّى
 أَنْ أَمْلِكَ (الْعِرَاقِينَ) ^(١) ، فَلَا يُنَازِعُنِي فِيهِمَا مُنَازِعٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
 إِذَا كُنْتُمَا تَقْنَعَانِ بِذَلِكَ ، فَأَنَا لَا أَقْنَعُ إِلَّا بِأَنْ أَمْلِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ، وَأَنْ أَنْالَ الْخِلَافَةَ
 بَعْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَسَكَتَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهِ
 وَقَالُوا : وَأَنْتَ مَاذَا تَتَمَنَّى يَا عُرْوَةُ ؟

فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا تَمَنَيْتُمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ ؛ أَمَا أَنَا فَاتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ عَالِمًا
 عَامِلًا ؛ يَأْخُذُ النَّاسُ عَنِّي كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَأَحْكَامَ دِينِهِمْ ، وَأَنْ أَفُونَ
 فِي الْآخِرَةِ بِرِضَى اللَّهِ ، وَأَحْظَى بِجَنَّتِهِ .

ثُمَّ دَارَتْ الْأَيَّامُ دَوْرَتَهَا ؛ فَإِذَا بَعْبُدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يُبَايِعُ لَهُ بِالْخِلَافَةِ عَقَبَ مَوْتَ
 يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ^(٢) ، فَيَحْكُمُ الْحِجَازَ ، وَمِصْرَ ، وَالْيَمْنَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَالْعِرَاقَ ، ثُمَّ
 يُقْتَلُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي تَمَنَّى فِيهِ مَا تَمَنَّى .
 وَإِذَا بِمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَتَوَلَّى إِمْرَةَ الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُقْتَلُ هُوَ الْآخِرُ
 دُونَ ^(٣) وَلَايَتِهِ أَيْضًا .

وَإِذَا بَعْبُدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ تَوَوَّلُ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، وَتَجْتَمِعُ عَلَيْهِ كَلِمَةُ
 الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَخِيهِ مُضْعَبِ عَلَى أَيْدِي جُنُودِهِ ؛ ثُمَّ يُصْبِحُ
 أَعْظَمَ مُلُوكِ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ .

وَإِذَا بَعْرُورَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَغْدُو عَالِمًا عَامِلًا صَابِرًا مُحْتَسِبًا .

● قَالَ مُضْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ : رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ بَالَ فِي الْمَحْرَابِ
 أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فَسَأَلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَمْلِكُ مِنْ وَلَدِهِ لُصْبُهُ
 أَرْبَعَةٌ (وَقَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْنَائِهِ لُصْبُهُ أَرْبَعَةٌ خُلَفَاءٍ وَهُمْ : الْوَلِيدُ بْنُ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ٨٦ - ٩٦ هـ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ٩٦ - ٩٩ هـ ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ
 الْمَلِكِ ١٠١ - ١٠٥ هـ ، وَهَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ١٠٥ - ١٢٥ هـ) ^(٤) .

(١) العيراقين : الكوفة والبصرة .
 (٢) يزيد بن معاوية : ثاني خلفاء بني أمية .
 (٣) دون ولايته : دفاعاً عن ولايته .
 (٤) تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي ، والأرقام تشير إلى مدة خلافة كل منهم .

وَفَاةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ :

رَوَى أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْأَسْتِيعَابِ وَجَمَهَرَةُ الْمُؤَرِّخِينَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ ، قَالَ : (لَمَّا كَانَ قَبْلَ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ وَهِيَ شَاكِيَةٌ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ تَجِدِينَكَ يَا أُمَّهُ ؟ قَالَتْ : مَا أُجِدُنِي إِلَّا شَاكِيَةً ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ فِي الْمَوْتِ لِرَاحَةً ، فَقَالَتْ : لَعَلَّكَ تَمَنِّيْتَهُ لِي ، مَا أُحِبُّ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ أَحَدٌ طَرَفِيكَ ، إِمَّا قُتِلْتَ فَأَحْسِبُكَ ، وَإِمَّا ظَفِرْتَ بَعْدُوكَ فَتَقَرُّ عَيْنِي ،) قَالَ عُرْوَةُ : فَانْتَقَمْتُ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ فَضَحِكَ : فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ ، دَخَلَ عَلَيْهَا فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ لَا تَقْبَلَنَّ مِنْهُمْ خُطَّةً تَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِكَ الذَّلَّ مَخَافَةَ الْقَتْلِ ، فَوَاللَّهِ لَضَرْبَةِ سَيْفٍ فِي عِزِّ خَيْرٍ مِنْ ضَرْبَةِ سَوْطٍ فِي الذَّلِّ !! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أُمَّهُ أَمَا تَرِينَ ؟ خَذَلَنِي النَّاسُ ، وَخَذَلَنِي أَهْلُ بَيْتِي ، فَقَالَتْ : لَا يَلْعَبَنَّ بِكَ صِبْيَانُ بَنِي أُمِّيَّةَ ، عِشْ كَرِيمًا ، وَمُتْ كَرِيمًا !! ثُمَّ قَبَّلَ رَأْسَهَا وَوَدَّعَهَا .

قُتِلَ ﷺ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِنْ الْهَجْرَةِ ؛ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

لَقَدْ ظَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ طَوَالَ عُمُرِهِ يُنَاضِلُ عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ .
حَتَّى قُتِلَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ بِحَجَرٍ مِنْ مَنْجَنِيْقِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ ، فَلَمَّا سَقَطَ صَرِيحًا ؛ كَبَّرَ الْحَجَّاجُ وَجُنُودُهُ ، فَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ تَكْبِيرَهُمْ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ ! إِنْ الَّذِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ وِلَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، أَكْثَرُ وَأَبْرُّ مِنَ الَّذِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ مَوْتِهِ) .

سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ﷺ

كَانَ اسْمُهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ الْحُصَيْنَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ ؛ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامِ بْنِ الْحَارِثِ الْإِسْرَائِيلِي ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو يُوسُفَ ، وَهُوَ مِنْ وَدِّ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَكَانَ حَلِيفًا لِلْأَنْصَارِ .

وَكَانَ ﷺ حَبْرًا ⁽¹⁾ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فِي (يَثْرِبَ) ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى اخْتِلَافٍ

(1) الْحَبْرُ: رَقِيسُ الْكَهَنَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ ، وَالْحَبْرُ: الْعَالِمُ الْمُتَبَعِّرُ فِي الْعِلْمِ أَيْضًا .

أَدْيَانِهِمْ يُجْلُونَهُ وَيُعْظَمُونَهُ ؛ فَقَدْ كَانَ مَعْرُوفًا بَيْنَ النَّاسِ بِالتَّقَى وَالصَّلَاحِ مَوْصُوفًا
 بِالِاسْتِقَامَةِ وَالصِّدْقِ ، وَكَانَ يَحْيَا حَيَاةً هَادِيَةً وَادِعَةً ؛ وَلَكِنَّا كَانَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ
 جَادَّةً نَافِعَةً ، فَقَدْ قَسَمَ وَقْتَهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً ؛ قَسَمَ فِي الْكَيْسِ ^(١) لِلْوَعْظِ وَالْعِبَادَةِ ،
 وَقَسَمَ فِي بُسْتَانٍ لَهُ يَتَعَهَّدُ نَحْلَهُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّأْيِيرِ ^(٢) ، وَقَسَمَ مَعَ التَّوْرَةِ ^(٣) لِلتَّفَقُّهِ
 فِي الدِّينِ .

ابْنُ سَلَامٍ ، وَقِصَّةُ دُخُولِهِ الْإِسْلَامَ :

يَرْوِيهَا لَنَا ؛ فَيَقُولُ : لَمَّا سَمِعْتُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذْتُ اتَّحَرَّى عَنْ اسْمِهِ
 وَنَسَبِهِ وَصِفَاتِهِ وَزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ ، وَأَطَابِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا هُوَ مَسْتُورٌ عِنْدَنَا فِي الْكُتُبِ
 حَتَّى اسْتَيْقَنْتُ مِنْ نُبُوَّتِهِ ، وَتَثَبَّتُ مِنْ صِدْقِ دَعْوَتِهِ ، ثُمَّ كَتَمْتُ ذَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ ،
 وَعَقَلْتُ لِسَانِي عَنِ التَّكَلُّمِ فِيهِ ؛ إِلَى أَنْ كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ قَاصِدًا الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ (الْمَدِينَةَ) وَنَزَلَ بِ(قُبَاءِ)
 أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْنَا وَجَعَلَ يُنَادِي فِي النَّاسِ مُعَلِّنًا قُدُومَهُ ، وَكُنْتُ سَاعَتِي فِي رَأْسِ
 نَخْلَةٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا ، وَكَانَتْ عَمَّتِي خَالِدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ جَالِسَةً تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَمَا
 إِنْ سَمِعَتْ الْخَبَرَ حَتَّى هَتَفَتْ : اللَّهُ أَكْبَرُ ... اللَّهُ أَكْبَرُ .

فَقَالَتْ لِي عَمَّتِي حِينَ سَمِعَتْ تَكْبِيرِي : حَبِيبُكَ اللَّهُ ، وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِمُوسَى بْنِ
 عِمْرَانَ قَادِمًا مَا فَعَلْتُ شَيْئًا فَوْقَ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَهَا : أَيُّ عَمَّةٍ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ أَخُو مُوسَى
 ابْنِ عِمْرَانَ ، وَعَلَى دِينِهِ ، وَقَدْ بُعِثَ بِمَا بُعِثَ بِهِ ، فَسَكَتَتْ وَقَالَتْ : أَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي
 كُنْتُمْ تُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ يَبْعَثُ مُصَدِّقًا لِمَنْ قَبْلَهُ ، وَمُتَمِّمًا لِرِسَالَاتِ رَبِّهِ ۖ
 فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَذَلِكَ إِذَنْ .

ثُمَّ مَضَيْتُ مِنْ تَوَيٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَزْدَحْمُونَ بِبَابِهِ ، فَزَاخَمْتُهُمْ
 حَتَّى صِرْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ قَوْلُهُ : (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ،
 وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) ^(٤) .
 فَجَعَلْتُ أَتَفَرَّسُ فِيهِ ، وَأَتَمَلَّى مِنْهُ ؛ فَأَيَقَنْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَقُلْتُ إِنِّي

(٢) التَّأْيِيرُ : تَفْقِيحُ النَّخْلِ وَإِصْلَاحُهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَهَ .

(١) الْكَيْسُ : مَعْبَدُ الْيَهُودِ .

(٣) التَّوْرَةُ : الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى ﷺ .

سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيِّ؛ فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ ، وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ ؟ .

قَالَ ﷺ : أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ مِنْهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ ، وَأَمَّا شَبَهُ الْوَلَدِ أَبَاهُ وَأُمَّهُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ إِلَيْهِ الْوَلَدُ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ ، وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَالْتَفَتَ إِلَيَّ ﷺ وَقَالَ : (مَا اسْمُكَ ؟) .

فَقُلْتُ : الْحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ ، فَقَالَ ﷺ : (بَلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ) .

فَقُلْتُ : نَعَمْ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهِ اسْمًا آخَرَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ انصرفتُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِي وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي وَأَهْلِي إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ فَأَسْلَمُوا جَمِيعًا وَأَسْلَمَتْ مَعَهُمْ عَمَّتِي خَالِدَةُ ، وَكَانَتْ شَيْخَةً كَبِيرَةً ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُ لَهُمْ : اكْتُمُوا إِسْلَامِي وَإِسْلَامَكُمْ عَنِ الْيَهُودِ حَتَّى آذَنَ لَكُمْ !! فَقَالُوا : نَعَمْ .

ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتَ ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي يَبْهَتُونِي^(١) عِنْدَكَ ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّهِمْ عَن مَنزِلَتِي عِنْدَهُمْ . فَادْخَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ حُجْرَاتِهِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَأَخَذَ يَحُضُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَا عَرَفُوهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : (مَا مَنزِلَةُ الْحُصَيْنِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ ؟) .

فَقَالُوا : سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَحَبْرُنَا وَعَالِمُنَا وَابْنُ حَبْرِنَا وَعَالِمِنَا .

فَقَالَ ﷺ : (أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ أَقْتَسَلِمُونَ ؟) .

قَالُوا : أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ .

فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَاقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ،

(١) الْبُهْتَانُ : أَفْتِرَاءُ الْكَذِبِ .

فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَتَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ بِاسْمِهِ
وَصِفَتِهِ ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأُصَدِّقُهُ ، وَأَعْرِفُهُ .

فَقَالُوا : كَذَّبْتَ ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا ، وَجَاهِلُنَا وَابْنُ جَاهِلِنَا ، فَقُلْتُ : هَذَا
الَّذِي كُنْتُ أَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ .

ذِكْرُ مَا نَزَلَ فِي حَقِّهِ مِنَ الْآيَاتِ :

نَزَلَ فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ
الْكِتَابِ ﴾ (٢) .

ابْنُ سَلَامٍ وَبِشَارَةُ النَّبِيِّ لَهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ :

وَكَانَ لِهَذِهِ الْبِشَارَةِ قِصَّةٌ أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ ، قَالَ :
كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلْقَةٍ مِنْ حَلَقَاتِ الْعِلْمِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ ،
وَكَانَ فِي الْحَلْقَةِ شَيْخٌ تَأَسُّسُ بِهِ النَّفْسُ ، وَيَسْتَرْوِحُ بِهِ الْقَلْبُ ؛ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ النَّاسَ
حَدِيثًا حُلُومًا مُؤَثِّرًا ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ الْقَوْمُ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ
فَلْيَنْظُرَ إِلَى هَذَا .

فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ ... فَقَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لِأَتَّبِعَنَّهُ ؛ فَتَبِعْتُهُ ... فَاَنْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ،
ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَاسْتَأْذِنْتُ عَلَيْهِ ؛ فَأَذِنَ لِي ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي ؟
فَقُلْتُ لَهُ : سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ عَنْكَ لَمَّا خَرَجْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرَ إِلَى هَذَا ؛ فَمَضَيْتُ فِي إِثْرِكَ ، لِأَقِفَ عَلَى خَبْرِكَ ،
وَلَأَعْلَمَ كَيْفَ عَرَفَ النَّاسُ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قَالَ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ ؟

رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ : رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ وَفِي
وَسَطِ الرِّوْضَةِ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ ، فِي أَعْلَاهُ

(٢) سُورَةُ الرَّعْدِ : مِنَ الْآيَةِ ٤٣ .

(١) سُورَةُ الْأَحْقَافِ : مِنَ الْآيَةِ ١٠ .

عُرْوَةٌ^(١) ، فَقِيلَ لِي : ارْقَ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : لَا أُسْتَطِيعُ ، فَجَاءَنِي وَصِيفٌ^(٢) فَرَفَعَنِي ؛ فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : تِلْكَ الرُّوْضَةُ الْإِسْلَامُ ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ .

وَكَانَتْ وَفَاتَهُ ﷺ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

سَيِّدُنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ

مُضِيفٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْمُهُ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلَيْبٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ . وَكُنْيَتُهُ : أَبُو أَيُّوبَ ، وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْأَنْصَارِ .

وَكَانَ ﷺ مَعَ وَفْدِ الْمَدِينَةِ الَّذِي خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ لِمُبَايَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ تِلْكَ الْبَيْعَةُ الَّتِي حَفَظَهَا تَارِيخُ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّقِيَّةِ بِ(بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ) ؛ فَكَانَ بَيْنَ السَّبْعِينَ مُؤْمِنًا الَّذِينَ شَدُّوا أَيْمَانَهُمْ عَلَى يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ مُبَايَعِينَ مُنَاصِرِينَ . وَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ^(٣) لَمَّا آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ .. وَدَارُ أَبِي أَيُّوبَ الْمَبْرُورَةُ :

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُبَاءَ رَاكِبًا نَاقَتَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهُنَا حَدَّثَ وَلَا حَرَاجَ عَنْ سُرُورِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ وَكَانَ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُمْ قَائِلِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، فَيَقُولُ ﷺ : خَلَا سَبِيلَهَا (يَعْنِي نَاقَتَهُ) فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَقَدْ أَرَخَى ﷺ زِمَامَهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا وَهِيَ تَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكَتْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مَرْبُودٌ تَمَرٍ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو (وَهُمَا بَيْتِيمَانِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ) ، ثُمَّ سَارَتِ النَّاقَةُ وَهُوَ ﷺ عَلَيْهَا حَتَّى بَرَكَتْ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ،

(٢) وَصِيفٌ : خَادِمٌ .

(١) عُرْوَةٌ : حَلْقَةٌ .

(٣) صُحَابِيُّ جَلِيلٌ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ أَسْلَمَ ، هَاجَرَ إِلَى الْعَبَشَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرْسُولًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُعَلِّمَ وَيُنَشِّرَ الْإِسْلَامَ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مُبَشِّرٍ بِالْإِسْلَامِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ، شَهِدَ بَدْرًا ، وَاسْتَشْهِدَ بِأَحُدٍ .

ثُمَّ سَارَتْ فِيهِ وَبَرَكَتْ فِي مَبْرَكِهَا الْأَوَّلِ وَأَلْقَتْ جِرَانَهَا (أَي بَاطِنَ عُنُقِهَا) بِالْأَرْضِ
وَأَرْزَمَتْ (أَي صَوَّتَتْ) مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْتَحَ فَاهاً ، وَنَزَلَ عَنْهَا ﷺ وَقَالَ : (هَذَا الْمَنْزِلُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ) ، ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (١) ،
وَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ ﷺ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ؛ وَكَانَتْ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ
أَوْسَطَ دُورِ الْأَنْصَارِ وَأَفْضَلَهَا وَهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَدِّهِ ﷺ .

وَاخْتَارَ ﷺ النُّزُولَ فِي الدُّورِ الْأَرْضِيِّ مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ ؛ لِيَكُونَ أَرْوَحَ لِزَائِرِيهِ
وَلَكِنَّ أَبَا أَيُّوبَ لَمْ يَكُنْ رَاضِياً عَنْ ذَلِكَ كَرَامَةً لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ
يُصِيبَهُ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي يُحْدِثُهُ وَطُءُ الْأَقْدَامِ أَوْ الْمَاءِ الَّذِي يُهْرَاقُ ؛ فَقَدِ اتَّفَقَ أَنْ
كُسِرَتْ مِنْ زَوْجَتِهِ جَرَّةٌ مَاءٍ بِاللَّيْلِ فَقَامَ هُوَ وَهِيَ بِقَطِيفَتَيْهَا الَّتِي لَيْسَ لَهَا غَيْرُهَا
يَمْسَحَانِ الْمَاءَ خَوْفاً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يَسْتَعْطِفُهُ حَتَّى
قَبَلَ ﷺ السُّكْنَى فِي الدُّورِ الْعُلَوِيِّ .. وَكَانَتْ تَأْتِيهِ ﷺ الْجِفَانُ (٢) كُلُّ لَيْلَةٍ مِنْ سَرَاةِ
الْأَنْصَارِ كَسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ وَأَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَأُمِّ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ؛ فَمَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا وَعَلَى
بَابِهِ الثَّلَاثُ أَوْ الْأَرْبَعُ مِنَ جِفَانِ الثَّرِيدِ ، وَكَانَ دَابُّ سَيِّدِنَا أَبِي أَيُّوبَ وَزَوْجَتِهِ تَلْمَسُ
وَتَتَّبِعُ آثَارَ أَصَابِعِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِصْعَةِ الطَّعَامِ لِتَبْرُكِ بِهَا ؛ حِينَمَا كَانَ
يُرُدُّ عَلَيْهِمَا فَضْلُ طَعَامِهِ ﷺ .

أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ نَحْواً مِنْ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ ، حَتَّى تَمَّ بِنَاءُ مَسْجِدِهِ
فِي الْأَرْضِ الْخَلَاءِ الَّتِي بَرَكَتْ فِيهَا النَّاقَةُ ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْحُجْرَاتِ الَّتِي أُقِيمَتْ حَوْلَ
الْمَسْجِدِ لَهُ وَلِأَزْوَاجِهِ ، فَغَدَا ﷺ جَاراً لِأَبِي أَيُّوبَ ، أَكْرَمَ بِهِمَا مِنْ مُتَجَاوِرِينَ .

العِظَةُ وَالْإِعْتِبَارُ فِي مَشْهَدِ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ :

خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ (٣) إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَهُ عُمَرُ ﷺ ، فَقَالَ :
يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ ١٥ .

(٢) الْجِفَانُ : جَمْعُ جَفْنَةٍ ؛ وَهِيَ الْقِصْعَةُ الْعَظِيمَةُ تَتَّخَذُ لِلْأَكْلِ .

(١) سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ : مِنَ الْآيَةِ ٢٩ .

(٣) الْهَاجِرَةُ : نِصْفُ النَّهَارِ فِي شِدَّةِ الْقَيْظِ .

قال : ما أَخْرَجَنِي إِلَّا ما أَجِدُ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ .
فَقَالَ عُمَرُ : وأنا واللهِ ما أَخْرَجَنِي غَيْرُ ذَلِكَ ، فَبَيْنَمَا هُما كَذَلِكَ ؛ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمَا

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : (ما أَخْرَجَكُما هَذِهِ السَّاعَةَ ١٩) .

قالا : واللهِ ما أَخْرَجَنَا إِلَّا ما نَجِدُهُ فِي بُطُونِنا مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ .

قالَ ﷺ : (وأنا - والذي نَفْسِي بِيَدِهِ - ما أَخْرَجَنِي غَيْرُ ذَلِكَ ، قوما مَعِي) .

فَانطَلَقُوا فَاتَّوَا بابَ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاريِّ ﷺ ، وكانَ أبو أَيُّوبَ يَدخِرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
كُلَّ يَوْمٍ طَعاماً ، فَإِذا أَبطأَ عَنْهُ وَلَمْ يَأْتِ إِلَيْهِ فِي حِينِهِ أَطعَمَهُ لِأَهْلِهِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا
البابَ خَرَجَتْ إِلَيْهِمُ أمُّ أَيُّوبَ ، وَقالتَ :
مَرحَباً بِنَبِيِّ اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ .

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : (أَيَنْ أبو أَيُّوبَ ؟) ، فَسَمِعَ أبو أَيُّوبَ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ ، وكانَ
يَعْمَلُ فِي نَخْلٍ قَرِيبَ لَهُ ، فَأَقْبَلَ يُسْرِعُ وَهُوَ يَقُولُ : مَرحَباً بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَهُ ،
ثُمَّ اتَّبَعَ قَائِلاً : يا نَبِيَّ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا بِالوَقْتِ الَّذِي كُنْتَ تَجِيءُ فِيهِ .

فَقَالَ ﷺ : (صَدَقْتَ) ، ثُمَّ انطَلَقَ أبو أَيُّوبَ إِلى نَخيلِهِ فَقطَعَ مِنْهُ عِدْقاً^(١) فِيهِ تَمْرٌ
وَرُطَبٌ وَبُسْرٌ^(٢) .

فَقَالَ ﷺ : (ما أَرَدْتُ أَنْ تَقطَعَ هَذَا ، أَلَا جَنَيْتَ لَنَا مِنْ تَمْرِهِ ؟) .

قالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ تَمْرِهِ وَرُطْبِهِ وَبُسْرِهِ ، ولأَذْبَحَنَّ لَكَ أَيضاً .

قالَ ﷺ : (إِنْ ذَبَحْتَ فَلَا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ لَبَنٍ) .

فَأَخَذَ أبو أَيُّوبَ جَدِيّاً فَذَبَحَهُ ، ثُمَّ قالَ لِامْرَأَتِهِ : اعْجَبِي واخْبِزِي لَنَا ، وَأَنْتِ أَعْلَمُ
بِالخبزِ ، ثُمَّ أَخَذَ نِصْفَ الجَدِيِّ فَطَبَخَهُ ، وَعَمَدَ إِلى نِصْفِهِ الثاني فَسَوَّاهُ ، فَلَمَّا
نَضَجَ الطَّعامُ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَصاحِبِيهِ ، أَخَذَ الرَّسُولُ قِطْعَةً مِنَ الجَدِيِّ
وَوَضَعَهَا فِي رَغِيفٍ ، وَقَالَ ﷺ : (يا أبا أَيُّوبَ ، بادِرْ بِهَذِهِ القِطْعَةِ إِلى فَاطِمَةَ^(٣) ،
فإِنَّها لَمْ تُصَبْ مِثْلَ هَذَا مُنذُ أَيَّامٍ) .

(١) العِدْقُ : عُصْنٌ لَهُ شُعَبٌ . (٢) الرُّطَبُ : ما نَضَجَ مِنْ تَمْرِ النَّخْلِ ، والبُسْرُ : ما لَمْ يَكْمَلِ نَضْجَهُ .

(٣) فَاطِمَةُ الزَّهراءُ : ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَلَمَّا أَكَلُوا وَشَبِعُوا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (خُبْرٌ ، وَلَحْمٌ ، وَتَمْرٌ ، وَبُسْرٌ ، وَرُطْبٌ (١)) .
 وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ هَذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا أَصَبْتُمْ (١) مِثْلَ هَذَا فَضْرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ فِيهِ فَقُولُوا : بِسْمِ اللَّهِ ، فَإِذَا
 شَبِعْتُمْ فَقُولُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَشْبَعَنَا وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا فَأَفْضَلَ) .
 أَبُو أَيُّوبَ وَرَوْجَتُهُ ؛ مَدَحَهُمَا اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ :

عِنْدَمَا انْتَشَرَتْ شَائِعَةُ الْإِفْكِ بِحَقِّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ الصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ
 ﷺ ؛ كَانَ لِأَبِي أَيُّوبَ وَرَوْجَتِهِ مَوْقِفٌ أَثْنَى عَلَيْهِمَا بِهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؛
 قَالَ أَبُو أَيُّوبَ لِرَوْجَتِهِ : أَلَا تَرِينَ مَا يُقَالُ ؟ ، قَالَتْ لَهُ : لَوْ كُنْتُ بَدَلَ صَفْوَانَ أَكُنْتُ
 تَطْنُ بِحِرْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُوءاً ؟ ، قَالَ : لَا ، فَقَالَتْ : وَلَوْ كُنْتُ أَنَا بَدَلَ عَائِشَةَ
 ﷺ مَا خُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ فَعَائِشَةُ خَيْرٌ مِنِّي وَصَفْوَانٌ خَيْرٌ مِنْكَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ
 خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

أَبُو أَيُّوبَ الْمُجَاهِدُ وَبَصِيرَةُ الْمُشَاهِدِ :

عَاشَ أَبُو أَيُّوبَ ﷺ طُولَ حَيَاتِهِ غَازِيًا حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ
 غَزَاهَا الْمُسْلِمُونَ مُنْذُ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى زَمَنِ مُعَاوِيَةَ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ
 مُنْشَفِلًا عَنْهَا بِأُخْرَى .

وَكَانَتْ آخِرُ غَزَوَاتِهِ حِينَ جَهَّزَ مُعَاوِيَةَ جَيْشًا بِقِيَادَةِ ابْنِهِ يَزِيدَ ؛ لِفَتْحِ
 الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ آنَذَاكَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السِّنِّ يَحْبُو نَحْوَ
 الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، فَلَمْ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَنْضَوِيَ (٢) تَحْتَ لِوَاءِ يَزِيدَ ، وَأَنْ
 يَشُقَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

لَكِنَّهُ لَمْ يَمُضْ غَيْرُ قَلِيلٍ عَلَى مُنَازَلَةِ الْعَدُوِّ حَتَّى مَرِضَ أَبُو أَيُّوبَ مَرَضًا أَقْعَدَهُ عَنْ
 مُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ ، فَجَاءَ يَزِيدُ لِيَعُودَهُ وَسَأَلَهُ : أَلَيْكَ مِنْ حَاجَةٍ يَا أبا أَيُّوبَ ؟ .

(٢) سُورَةُ التَّوْرَةِ : الْآيَةُ ١٢ .

(١) أَصَبْتُمْ : نَلْتُمْ .

(٢) يَنْضَوِيَ : يَنْضُمُ إِلَى الْجَيْشِ .

فَقَالَ ﷺ : اقْرَأْ عَنِّي السَّلَامَ عَلَى جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُلْ لَهُمْ : يُوصِيكُمْ أَبُو أَيُّوبَ أَنْ تُوَعِّلُوا ^(١) فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ ، وَأَنْ تَحْمِلُوهُ مَعَكُمْ ، وَأَنْ تَدْفِنُوهُ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ عِنْدَ أَسْوَارِ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَلَفْظَ أَنْفَاسِهِ الطَّاهِرَةَ .

اسْتَجَابَ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ لِرَغْبَةِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكُرُوا عَلَى جُنْدِ الْعَدُوِّ الْكِرَّةَ بَعْدَ الْكِرَّةِ ، حَتَّى بَلَغُوا أَسْوَارَ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَبَا أَيُّوبَ مَعَهُمْ ؛ وَهُنَاكَ حَفَرُوا لَهُ قَبْرًا وَوَارَوْهُ فِيهِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ .

وَفِي هَذَا أَدْلُ دَلِيلٍ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَفِظُ بِخَصَائِصِهِ النَّوْرَانِيَّةِ حَيًّا كَانَ أَمْ مُنْتَقِلًا ؛ فَهَذِهِ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي أَيُّوبَ ﷺ ، وَالَّتِي نَصَّهَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(يَا أَبَا أَيُّوبَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُرْضِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْضِعَهَا ؟ ، تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا ، وَتُقَرِّبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا) ^(٢) .

وَمَنْ عَجَبَ وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ يَغْمَرَ الْإِسْلَامُ تِلْكَ الْبِقَاعَ ، كَانَ أَهْلُ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ (اسْتَانْبُولُ) يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ نَظَرَتَهُمْ إِلَى قَدَيْسٍ ؛ وَإِنَّكَ لَتَعَجَبُ إِذْ تَرَى جَمِيعَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ يُسَجِّلُونَ تِلْكَ الْوَقَائِعَ يَقُولُونَ : وَكَانَ الرُّومُ يَتَعَاهَدُونَ قَبْرَهُ ، وَيَزُورُونَهُ ، وَسَتَسْقُونَ بِهِ إِذَا قَحَطُوا !! .

كَانَ ﷺ يُؤْمِنُ بِالنَّصْرِ ، وَكَانَ يَرَى بَنُورَ بَصِيرَتِهِ هَذِهِ الْبِقَاعَ وَقَدْ أَخَذَتْ مَكَانَهَا بَيْنَ وَاحَاتِ الْإِسْلَامِ ، وَدَخَلَتْ مَجَالَ نُورِهِ وَضِيَائِهِ :

فَهَا هِيَ ذِي الْعَسَاكِرِ الْعُثْمَانِيَّةِ قَدْ أَحَاطَتْ بِأَسْوَارِ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ وَقَدْ عَقَدُوا الْعَزْمَ عَلَى فَتْحِهَا ؛ فَالشَّهْرُ الْآنَ رَمَضَانَ ، وَهُمْ صَائِمُونَ ، يَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ النَّصْرَ وَالْفَتْحَ الْقَرِيبَ .

وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ بَشَّرَ بِالْفَتْحِ ، بِشَرِّهِ بِهِ الْعَارِفُ بِاللَّهِ الشَّيْخُ (آق شَمْسُ الدِّينِ) الَّذِي حَرَصَ السُّلْطَانُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي صُحْبَتِهِ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ (آق شَمْسُ الدِّينِ) مِنْ كِبَارِ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَانَتْ لَهُ الْكَرَامَاتُ الْعَالِيَّةُ وَالْمَقَامَاتُ السَّنِّيَّةُ ، وَكَانَ طَبِيبًا ، وَلَهُ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفٌ ، وَيُرْوَى أَنَّ الْعُشْبَ تُتَادِيهِ وَتَقُولُ : أَنَا شِفَاءٌ مِنَ الْمَرَضِ الْفِلَانِي (وَهَذَا مِنْ جُمَلَةِ كَرَامَاتِهِ) .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ :

(١) التَّوَعَّلُ : الْبُعْدُ وَالنَّعْمُ .

يُرَوِّي شَاهِدٌ عَيَانٌ كَيْفَ تَمَّ فَتْحُ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ ؛ فَيَقُولُ :
... وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ (أَيُّ الشَّيْخِ) سَاجِدٌ عَلَى التُّرَابِ ، وَرَأْسُهُ مَكْشُوفٌ وَهُوَ يَتَضَرَّعُ
وَيَبْكِي ، فَمَا رُفِعَتْ رَأْسُهُ إِلَّا قَامَ عَلَى رِجْلِهِ وَكَبَّرَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَنْحَنَا اللَّهُ
تَعَالَى فَتَحَ الْقَلْعَةَ .

فَنَظَرْتُ إِلَى جَانِبِ الْقَلْعَةِ فَإِذَا الْعَسْكَرُ قَدْ دَخَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِبِرْكَةِ
دُعَائِهِ ؛ وَكَانَتْ دَعْوَتُهُ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ .
وَلَمَّا دَخَلَ السُّلْطَانُ الْفَاتِحُ (مُحَمَّدُ خَانَ) الْقَلْعَةَ ، قِيلَ لَهُ : هَذَا مَا أَخْبَرَ بِهِ الشَّيْخُ ،
فَقَالَ : مَا فَرِحْتُ بِهَذَا الْفَتْحِ وَإِنَّمَا فَرِحِي مِنْ وُجُودِ مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ فِي زَمَانِي .
وَتَمَّضِي الرِّوَايَةُ قَائِلَةً :

وَصَلَّى السُّلْطَانُ خَلْفَهُ (أَيُّ خَلْفَ الشَّيْخِ) وَكَانَتْ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ الشَّيْخُ
الْأُورَادَ وَالسُّلْطَانُ جَالِسٌ أَمَامَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَسْتَمِعُ الْأُورَادَ فَلَمَّا أَتَمَّهَا ، التَّمَسَّ مِنْهُ
أَنْ يُعَيِّنَ مَوْضِعَ قَبْرِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ (أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ) رضي الله عنه ؛ وَكَانَ يُرَوِّي فِي
كُتُبِ التَّوَارِيخِ أَنَّ قَبْرَهُ بِمَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ سُورِ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ جَاءَ وَقَالَ : إِنِّي أَشَاهِدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نُورًا لَعَلَّ قَبْرَهُ هَهُنَا ؛ وَمَضَى
السُّلْطَانُ وَالشَّيْخُ إِلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ ، وَطَلَبَ السُّلْطَانُ مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يُعَيِّنَ لَهُ مَوْضِعَهُ
حَتَّى يُقِيمَ عَلَيْهِ بِنَاءً ، وَعِنْدَ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ أَمَرَهُمُ الشَّيْخُ أَنْ يَحْفُرُوا مِقْدَارَ ذِرَاعَيْنِ ،
فَسَوْفَ يَجِدُونَ لَوْحَةً مِنَ الرُّخَامِ عَلَيْهَا خَطٌّ كَوْفِيٌّ ؛ أَنَّ هَذَا قَبْرُ الْمُضِيفِ أَبِي أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ؛ فَلَمَّا حَفَرُوا مِقْدَارَ ذِرَاعَيْنِ ظَهَرَ الرُّخَامُ وَعَلَيْهِ الْخَطُّ الَّذِي أَخْبَرَ
بِهِ الشَّيْخُ ، فَحَدَّثَ لِلْسُّلْطَانِ حَالٌ عَظِيمٌ حَتَّى كَادَ أَنْ يُسْقَطَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ السُّلْطَانُ
بِبِنَاءِ قُبَّةٍ عَلَى الْقَبْرِ ، وَأَمَرَ بِبِنَاءِ مَسْجِدٍ عَظِيمٍ ^(١) .

● كَانَ كَشْفُ الْقَبْرِ فِي عِدَادِ كَرَامَاتِ (أَقِ شَمْسِ الدِّينِ) الَّتِي تَنَاقَلَتْهَا السَّنَةُ
الْمَدِيحِ عَلَى الْأَيَّامِ ، وَأَصْبَحَتْ عِنْدَ التُّرْكِ خُصُوصًا مَكْرَمَةً لَهُ بَاقِيَةً ، كَمَا اقْتَرَنَ
مَجْدُ الْفَاتِحِ بِمَأْتَرَةِ الشَّيْخِ ، وَجَلَالِ ذِكْرِي الصَّحَابِيِّ (أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ) رضي الله عنه .

(١) الشَّقَائِقُ الثُّمَانِيَّةُ فِي عُلَمَاءِ الدَّوْلَةِ الثُّمَانِيَّةِ : طاشكُزْبَرِي زَادَهُ .

وَلَعَلَّ الْفَضْلَ الْأَعْظَمَ مَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ بَشَّرَ بِالْفَتْحِ فَشَحَذَ الْعَزَائِمَ ، وَكَشَفَ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ ؛ فَعَمَّرَ قُلُوبَ التُّرْكِ وَبِلَادَهُمْ بِهَذَا النُّورِ الْمُتَبِعِثِ مِنْ صَفَاءِ الرُّوحِ وَرَوْعَةِ الْإِيمَانِ ^(١) .

● وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ صَاحِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه قَالَ عَنْ قَبْرِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ ؛ (قَبْرُ مَعْرُوفِ التَّرِيَاقِ الْمُجَرَّبِ) ، فَإِنَّ قَبْرَ سَيِّدِنَا أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه : كَانَ لِلدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، إِذْ أَمَدَّهُمْ بِرُوحِ الْجِهَادِ وَالتَّضْحِيَّةِ ، وَنَوَّرَ حَيَاتَهُمْ بِبِشْرِيَّاتِ النَّصْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ مَقَامُهُ بَيْنَهُمْ مَدْعَاةً لِلْبَرَكَةِ فَحَسَبَ ، وَلَا أَيْضًا لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ فَقَطْ ؛ وَإِنَّمَا لَبِثَ رُوحَ الْفِدَاءِ فِيهِمْ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ .

● أَحَاطَ التُّرْكُ قَبْرَ (أَبِي أَيُّوبِ) رضي الله عنه وَمَسْجِدَهُ بِكَافَّةِ أَنْوَاعِ الْأَهْتِمَامِ وَمَشَاعِرِ التَّقْدِيرِ ، فَوُقِّمَتْ عَلَيْهِ الْأَوْقَافُ وَأُقِيمَتْ حَوْلَهُ الْبِنَاءَاتُ مِنْ زَوَايَا لِلصُّوفِيَّةِ وَمَبَرَّةٍ وَمَدَارِسَ وَحَمَامَاتٍ وَاهْتَمَّ كَثِيرُونَ أَنْ يُدْفِنُوا بِجَوَارِهِ ؛ فَأُنشِئَتْ مَقَابِرُ وَحَدَائِقُ غَنَاءُ وَشَوَارِعُ حَتَّى أَصْبَحَ مِنْ أَجْمَلِ أَحْيَاءِ اسْتَأْنِبُولِ .

يَقُولُ د. حُسَيْنُ مُجِيبَ : إِنَّ الْأَتْرَاكَ دَرَجُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا أَطْفَالَهُمْ إِلَى قَبْرِ (أَبِي أَيُّوبِ) فِي أَوَّلِ عَهْدِهِمْ بِالتَّعْلِيمِ ، فَيَزُورُوهُ وَيَلْتَمِسُونَ عِنْدَهُ الْبَرَكَاتِ وَالرَّحْمَاتِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَقُومَ بِخِتَانِ طِفْلٍ لَهُ ذَهَبَ بِهِ أَوَّلًا إِلَى أَبِي أَيُّوبِ .

● إِنْ كَانَ هُنَاكَ الْيَوْمَ مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ فِي الْكُونِ قَوَانِينَ غَيْرَ مَرْتَبِيَّةٍ أَوْ مَلْمُوسَةٍ ، وَلَكِنَّهَا أَقْوَى مِنْ قَوَانِينِ الْمَادَّةِ بِكَثِيرٍ ، وَأَنَّ لِلْأَرْوَاحِ تَوَاصُلًا وَتَرَابُطًا تَعْجَزُ عَنْ مِثْلِهِ الْأَبْدَانُ ، إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يُنْكِرُ هَذَا فَإِنَّ الشَّعْبَ الْعُثْمَانِيَّ آمَنَ بِذَلِكَ ، وَرَزَقَهُ هَذَا الْإِيمَانَ قُوَّةَ فَتْحَ بِهَا الْفُتُوحَ ، وَنَشَرَ بِهَا الدِّينَ ، وَحَافِظَ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَدَافَعَ عَنْهَا وَعَنْ بِلَادِهَا خَمْسَةَ قُرُونٍ مُتَوَالِيَةٍ ، وَفَتَحَ قِلَاعَ الشُّرْكِ وَحُصُونَهُ فِي أُرُوبِيَّا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تُصْبِحَ قَارَةَ مُسْلِمَةً .

يَصِفُ د. حُسَيْنُ مُجِيبَ ^(٢) : كَيْفَ كَانَ سَلَاطِينُ الْعُثْمَانِيِّينَ يَتَقَلَّدُونَ سَيْفَ (عُثْمَانَ) فِي مَسْجِدِ (أَبِي أَيُّوبِ) فِي احْتِفَالٍ مَهِيبٍ ، وَمِنْهُ تَطْيِيرُ الْبُشْرَى إِلَى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ

(١) أَبُو أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالتُّرْكِ ؛ د. حُسَيْنُ مُجِيبِ الْمِضْرِيِّ .

(٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ .

بِتَوَلَّى السُّلْطَانَ الْجَدِيدَ .

وكانت بداية هذا التقليد عندما تسلّم (عثمان) مقاليد الحكم ، فكان الذي وضع على رأسه شعار السلطنة ونطقه بسيف هو مولانا (جلال الدين الرومي) عظيم المتصوفة في مدينة (قونية) وهكذا جرت العادة بين سلاطين آل عثمان إلى آخر عهدهم ؛ أن كل من يتولى السلطنة يقصد إلى ضريح (أبي أيوب) حيث يضع في وسطه السيف (سيف عثمان) واحد من سلالة مولانا جلال الدين .

وهكذا نرى كيف أن الدولة العثمانية دولة قامت على العبادة والجهاد ، شأنها في ذلك شأن الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ الذين وصفوا بأنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار ، وهذان هما ركننا الدين ؛ يقعان منه موقع الجناحين من الطائر لا يطير بغيرهما .

سَيِّدُنَا قَتَادَةَ ﷺ

واسمه قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانَ بْنِ زَيْدٍ ؛ شهد العقبة مع السبعين ، وكان من الرماة المعدودين ، وشهد بدرًا وأحدًا .

بَيْنَ يَدَي قَتَادَةَ ؛ إِنْسَانِيَّةَ الصَّحَابَةِ عِبَادَةً وَسَعَادَةً :

يَرِقُّ مُحَمَّدٌ إِقْبَالَ (وهو إنسان مؤمن وشاعر مدقق) حين يُسَمِّي أصحاب النبي ﷺ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فيقول إنهم : (حَديقَةُ النَّبِيِّ) .

كَلِمَةٌ نَلْمَحُ فِيهَا الْأَضْوَاءَ وَالظُّلَالَ وَالْأَشْكَالَ ، وَنَكَادُ نَشْمُ مَعَهَا الْأَرِيحَ وَالْعَبِيرَ وَالْعِطْرَ وَالشَّذَى ، وَنَسْتَمْتَعُ فِي صُحْبَتِهَا بِالسَّكِينَةِ وَالْأَنْسِ وَالْبَهْجَةِ وَثَرَاءِ الْحَيَاةِ .

وحيث نتجول في (حَديقَةِ النَّبِيِّ) تتكشف لنا أسرار الخالق المبدع وقدرته وحكمته ، ثم نرجع البصر إلى أنفسنا فنعجب ؛ ماذا يعجزنا أو يقعدنا عن صنع حديقتنا ؟ هل كانت معجزة فوق قدرة البشر وآية من آيات الخالق المصور ؛ أن سارت الحياة بهذا السمو والصفاء وبهذا الإيقاع الإنساني المنظم ، وبهذه السلاسة والعدوية ، فحدثت معجزة مرة والمعجزة لا تتكرر ؟ .

إِنَّهُ ثَمَّةٌ طَرِيقٌ أَوْحَدُ ؛ أَلَا وَهُوَ التَّعَرُّفُ عَلَى تِلْكَ النُّخْبَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ

مَنْ بَنَى الْإِنْسَانَ مَعْرِفَةً ثَمَرَتْهَا حُبُّ الْإِيْقَانِ لَهُمْ ، فَالْتَّاسَى بِهِمْ ، فَالْوُصُولُ
بِأَيِّ مِنْهُمْ ﷺ .

إِنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ حَقًّا مُعْجَزَاتٍ : فِي أَقْوَالٍ أَوْ أَعْمَالٍ ، يَعْجَزُ النَّاسُ ، مَهْمَا بَرَعُوا ، عَنْ
صِيَاغَتِهَا أَوْ صُنْعِهَا ، إِمَّا لِأَنَّهَا أَحْكَمُ مِنْ مَقْدِرَةِ الْحُكَمَاءِ ، أَوْ أَبْعَدُ عَنْ مَأْلُوفِ
الْقُدْرَاتِ ، وَالْأَوْلَى يَعْجَبُ الْعَقْلُ لَهَا وَيَطْرَبُ ، وَفِي الثَّانِيَةِ يَحَارُ الْعَقْلُ فِي تَفْسِيرِهَا
وَيَنْصَبُ ، وَفِي هَذِهِ وَتِلْكَ ، لِأَبَدٍ وَأَنْ يَعْتَرَفَ بِضَعْفِ الْإِنْسَانِ إِزَاءَ قُوَّةِ الْإِلَهِ ، وَبِضَالَّةِ
الْمَخْلُوقِ إِزَاءَ عَظَمَةِ الْخَالِقِ ، وَبِحَاجَةِ الْبَشَرِ إِلَى التَّوَافُقِ مَعَ نِظَامِ هَذَا الْكَوْنِ الَّذِي
لَا يُحِيطُ بِأَسْرَارِهِ إِلَّا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ .

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، لَا يُنْكِرُونَ مَثَلًا أَنْ سَيِّدَنَا يُونُسَ ﷺ التَّهْمَةَ الْحَوْتُ
وَخَرَجَ مِنْ بَطْنِهِ سَلِيمًا ، وَأَنْ سَيِّدَنَا نُوحًا ﷺ نَجَا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الطُّوفَانِ بِسَفِينَةٍ ،
وَأَنْ سَيِّدَنَا سُلَيْمَانَ ﷺ كَانَ يُوجِّهُ الرِّيحَ حَيْثُ يَشَاءُ بِيَمِينِهِ ، وَأَنْ سَيِّدَنَا صَالِحًا
ﷺ تَلَقَّى نَاقَةً تَخْرُجُ مِنْ صُخُورِ الْجَبَلِ وَتُتَوِّئُهُ ، وَأَنْ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ قَطَعَ
أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ وَبَعَثَهَا ثُمَّ نَادَى فَاسْرِعْنَ يَا تِينَهُ ، وَأَنْ سَيِّدَنَا مُوسَى ﷺ ضَرَبَ
بِعَصَاهُ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ لِمَسِيرِهِ ، وَأَنْ سَيِّدَنَا عِيسَى ﷺ تَكَلَّمَ بِالتَّوْحِيدِ فِي الْمَهْدِ
لِيُدْفَعَ عَنْ أُمِّهِ الرَّيبَةِ ، ثُمَّ أَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ .

كُلُّهَا مُعْجَزَاتٌ شَهِدَهَا النَّاسُ فِي عَصْرِهَا ، بِحِكْمَةِ الْخَالِقِ وَتَدْبِيرِهِ ، لِيُؤْمِنَ مَنْ
شَاءَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَلِيَتَّبِعَ النَّبِيَّ مَنْ غَلِبَتْهُ الْمُعْجِزَةُ ، وَوَقَّتْ أَنْ كَانَتْ الْبَيِّنَةُ وَالْمُعْجِزَةُ
أَشْبَهَ بِالصَّدْمَةِ الْمُنْبَهَةِ أَوْ الصَّيْحَةِ الْمُبَاغِتَةِ : فَيَضْحُو النَّائِمُ ، وَيَنْتَبَهُ الْغَافِلُ ،
وَيَسْتَتِيقُنُ الْمُسْتَرْتِيبُ ، وَذَلِكَ لِمَنْ شَهِدَ الْمُعْجِزَةَ وَحَضَرَ أَوْ سَمِعَ بِهَا وَتَأَثَّرَ .

ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ .. بِخَاتَمِ الرِّسَالَةِ وَتَمَامِ النُّعْمَةِ ، وَحَمَلَ الْوَحْيَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ
كِتَابًا يُقْرَأُ وَيُدَوَّنُ ، فِيهِ شَرِيعَةٌ وَمِنْهَاجٌ ، تَكْفَلُ الْمَوْلَى بِصِيَانَتِهِ وَحِفْظِهِ ، وَبِبِقَائِهِ
وَقِيَامِهِ فِي دُنْيَا النَّاسِ ، يَوْمًا بِيَوْمًا ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ ؛ يُخَاطَبُ الْعَقْلَ ، وَيُنَاقِشُ
الْفِكْرَ ، وَيُخَالِطُ الْمَشَاعِرَ ، وَيُحَرِّكُ الضَّمِيرَ ؛ ضَمِيرَ الْإِنْسَانِ وَشُعُورَهُ وَفِكْرَهُ
وَعَقْلَهُ ، فِي أَيِّ مَكَانٍ وَجَدَ ، وَفِي أَيِّ مَوْقِعٍ يَكُونُ .

وَتِلْكَ - إِنْ شِئْنَا - سَمَّهَا مُعْجِزَةً ؛ لَكِنَّهَا مُعْجِزَةٌ يَوْمَهَا وَكُلِّ يَوْمٍ ، مُعْجِزَةٌ عَصَرَهَا
 وَكُلِّ الْعُصُورِ ، وَإِنْ كَانَ الْقُرْآنُ ذَاتَهُ يُسَمِّيهَا : النُّورَ ؛ الَّذِي يَكْشِفُ لِلْعَقْلِ ، وَيُوضِّحُ
 لِلْفِكْرِ ، وَيُبَيِّنُ لِلشُّعُورِ ، وَيُسَعِّشُ فِي الضَّمِيرِ ، وَمَا الْإِنْسَانُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ .
 أَجْهَزَةٌ تَتَحَرَّكُ وَتَدُورُ وَتَعْمَلُ ، يَقُودُهَا وَيُوجِّهُهَا عَقْلٌ مُسْتَتِيرٌ أَوْ مُتَخَبِّطٌ فِي
 الظُّلُمَاتِ .

وَبِيْهِي أَنْ الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ مُتَلَاذِمَانِ ، كَمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا لَا يَنْفَصِلَانِ ؛
 وَاللَّهُ تَعَالَى نُورٌ ^(١) ، وَالْقُرْآنُ نُورٌ ^(٢) ، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ نُورٌ ^(٣) ، فَهُوَ ﷺ نُورٌ مِنْ نُورٍ مِنْ
 نُورٍ ؛ فَالْإِسْلَامُ حِينَ يَهْدِي الْخَلْقَ وَيُضِيءُ لَهُمْ ، حِينَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اتِّبَاعِ شَرْعِهِ
 وَمَنْهَاجِهِ ، إِنَّمَا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَلَا يَقِفُ بِهِمْ عِنْدَ صَدَمَةِ الْمُعْجِزَةِ
 وَإِبْهَارِ الْخَوَارِقِ ؛ لِأَنَّهُ : إِيْمَانٌ وَقَانُونٌ وَنِظَامٌ يَتَنَاوَلُ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا .
 فَالْقُرْآنُ لُغَةٌ وَبِلَاغَةٌ : مُعْجِزَةٌ ، وَالْقُرْآنُ نِظْمٌ وَصِيَاغَةٌ : مُعْجِزَةٌ .
 وَالْقُرْآنُ تَشْرِيْعًا وَقَانُونًا : مُعْجِزَةٌ ، وَالْقُرْآنُ قِصَصًا وَرِوَايَةً : مُعْجِزَةٌ .
 وَالْقُرْآنُ حَدِيثًا عَنِ الدُّنْيَا : مُعْجِزَةٌ ، وَالْقُرْآنُ إِخْبَارًا عَنِ الْآخِرَةِ : مُعْجِزَةٌ .
 وَالْقُرْآنُ ثَبَاتًا لِلْخَلِيقَةِ : مُعْجِزَةٌ ، وَالْقُرْآنُ عَرْضًا لِلْكَوْنِ : مُعْجِزَةٌ .
 وَالْقُرْآنُ نَزُولًا مُنْجِمًا : مُعْجِزَةٌ ، وَالْقُرْآنُ بِمَا يَنْكَشِفُ مِنْ أَسْرَارِهِ : مُعْجِزَةٌ .

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُضَيِّفَ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ - وَلَا تُتَقَصَّ - إِذَا تَنَاوَلْتَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ
 آيَةٍ زَاوِيَةٍ لِلْفِكْرِ أَوْ مِنْ أَيِّ جَانِبٍ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَمَهْمَا أُوتِيَتْ مِنْ قُدْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ
 تُمْكِّنُ مِنَ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالْإِدْرَاكِ وَالتَّحْلِيلِ وَالكَشْفِ وَالنَّفَازِ ؛ يَظَلُّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
 - بِشَهَادَةِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ وَمِنْ عُمُرِ الْأَجْيَالِ - فِي أَفْقِهِ الَّذِي يَمْلُوكُلُّ
 الْأَفَاقِ ، وَفِي إِعْجَازِهِ الَّذِي يُعْجِزُ كُلَّ التَّحْدِيَّاتِ ، وَلَكِنْ ؛ هَلْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ
 الْقُرْآنَ ؟ لِمُجَرَّدِ تَجْسِيدِ الْمُعْجِزَةِ وَالتَّصَدِّيِّ لِلتَّحْدِيَّاتِ ؟ .

(١) ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سُورَةُ النُّورِ / ٣٥ .

(٢) ﴿فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ سُورَةُ التَّغَابُنِ / ٨ .

(٣) ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ سُورَةُ الْمَائِدَةِ / ١٥ ، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾
 سُورَةُ الْأَحْزَابِ / ٤٦ ، وَفِي حَدِيثِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) .

الواقع العملي يقول: لا: والواقع الذي نقصده، تلك الفترة المتميزة التي عاصرت نزول القرآن الكريم؛ فالذين هاجموا وعارضوا وكابروا فكفروا به ماذا فعلوا؟ تناولوا (الشكل) وتركوا الجوهر أو المضمون، فقالوا: إنه الشعر، بل السحر، ثم قالوا: أساطير الأولين، وعلم ملك، بل جن وشياطين، ومع ذلك تحداهم القرآن في كل ذلك وسفهمهم وأخرس أسنتهم، وما يزال.

أما الذين آمنوا به وصدقوا.. ماذا صنعوا؟ تركوا الخوض في الحديث عن (المعجزة)، وتناولوها: علماً وعملاً، أخلاقاً وسلوكاً، عبادات ومعاملات، تشريعاً وتطبيقاً؛ أو بإيجاز: نظاماً كاملاً للحياة، فتغيرت بهم هم الحياة، شكلاً ومعنى، وبذلك صنعوا (حديقتهم) أو (حديقة النبي ﷺ) الذي كان خلقه القرآن، والذي جاء إلى الدنيا سراجاً منيراً يحمل القرآن نوراً؛ فكان الواحد من الصحابة رضي الله عنهم يأتيه ﷺ، يسمع بضع آيات من القرآن الكريم، يحفظها، ثم يقوم، ولا يعود لسمع غيرها إلا بعد أن يكون قد طبقها والتزم بها سلوكاً وعملاً، فتداخلت واشتبكت في نسيج حياته^(١)؛ هكذا صنعوا (الحديقة): غرسوا ورووا، فتموا وأثمروا، وما زالت شجرتهم الحلوة المباركة:

﴿ تَوَاتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾^(٢) .

وحيثما شاهدوا بأعينهم الخوارق والمعجزات، من النبي أو قادمة من السموات، لم يقفوا حيارى أو مبهورين، بل أخذوها مأخذ التسليم واليقين؛ لأن أساس الإيمان: طاعة الله الواحد الصمد، الذي له:

﴿ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣) .

وعندما سارعوا إلى سيدنا أبي بكر، يسألونه: أتصدق أن صاحبك يقول إنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج إلى السماء، فرجع من ليلته؟ أجابهم ﷺ بكل بساطة الإيمان الصافي المكين: (والله لئن كان قد قاله لقد صدق!)

(٢) سورة إبراهيم: من الآية ٢٥ .

(١) الإتيان في علوم القرآن: السيوطي .

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٨٩ .

إِنَّهُ لِيُخْبِرُنِي أَنَّ الْخَبَرَ لِيَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَأَصَدَّقَهُ ؛ فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ (١) .

وَلِحِكْمَةٍ عَجِيبَةٍ حَقًّا ، أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَشَارَ إِشَارَةً عَابِرَةً - فِي آيَاتٍ مَعْدُودَاتٍ - لِمَوَاقِعِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ (الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَى فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الْمُبْعَثِ) ؛ وَكَلِمَاتُ تِلْكَ الْآيَاتِ أَقَلُّ عَدَدًا مِنْ تِلْكَ الَّتِي تَتَنَاوَلُ شَكْوَى امْرَأَةٍ جَاءَتْ تُجَادِلُ النَّبِيَّ فِي شَأْنِ زَوْجِهَا الَّذِي قَالَ لَهَا : أَنْتِ مُحَرَّمَةٌ عَلَيَّ كَظَهَرَ أُمِّي (١) .

إِنَّهَا مُعْجِزَةٌ أُخْرَى لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ أَيِّ لِلْإِسْلَامِ (وَفِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ وَقَفَ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ مِليُونِ إِنْسَانٍ ، وَقَفُوا مَشْدُوهِينَ أَوْ وَقَفُوا مَبْهُورِينَ ، عَلَى أَمْتِدَادِ الْعَالَمِ كُلِّهِ ؛ حِينَمَا صَعَدَ أَوَّلُ رَائِدٍ فِي الْفِضَاءِ بِمَرْكَبَةٍ يَدُورُ بِهَا حَوْلَ الْأَرْضِ فِي وَقْتِ أَلْفٍ فِيهِ هَوْلَاءُ الْكَثْرَةِ الْكَائِرَةُ رُكُوبِ الطَّائِرَاتِ ، وَتَبَادُلِ الْإِتِّصَالَاتِ ، وَسَمَاعِ الْإِذَاعَاتِ ، وَمُشَاهَدَةِ التِّلْفِزِيُونَاتِ ، وَتَلْقَى الْإِشَارَاتِ ، وَتَتَّبِعُ الْمَجْرَاتِ ؛ فَمَا رِحْلَةُ سَفِينَةِ الْفِضَاءِ إِلَّا دَرَجَةٌ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ حَلَقَاتٍ ، وَإِنْ كَانَ هَوْلَاءُ لَمْ يَتَيَقَّنُوا بِمَصَادِرِ الْحِسِّ الدَّائِي (الرُّؤْيَا الْمُبَاشِرَةُ وَالسَّمْعُ الْمُبَاشِرُ وَاللَّمْسُ وَالشَّمُّ وَالذَّوْقُ) أَنَّ فِي الْفِضَاءِ - حَقًّا وَمُؤَكَّدًا - رَجُلًا حَيًّا يَتَجَاوَزُ بِمَرْكَبَتِهِ غُلَافَ جَوِّ الْأَرْضِ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ ظَلُّوا بَعْدَهَا لِسَنَوَاتٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيَعْجَبُونَ .

أَمَّا صُغُودُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - بَعْدَ مَسْرَاهُ مِنْ مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ إِلَيْهِ - وَدُخُولُهُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، وَعَوْدَتُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ إِلَى مَكَّةِ (وَمَا زَالَ فِرَاشُهُ دَافِتًا) ؛ لَمْ يُوسَّعِ الْقُرْآنُ فِي الْحَدِيثِ عَنْهَا وَلَمْ يُفْصَلْ ، وَلَمْ تُشْغَلْ مِنْ بَالِ الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا فَالْتَّصِدِيقِ فَالْعَمَلِ بِمَا تَرْتَبُ عَلَيْهَا خَاصَّةً : الصَّلَاةُ .

فَإِذَا مَا وَصَلْنَا - بَعْدَ ذَلِكَ - إِلَى الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرٍ ، نَعْلَمُ أَنَّهُ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَفِي يَوْمِ أُحُدٍ رُمِيَتْ عَيْنُهُ فَسَالَتْ عَلَى خَدِّهِ . عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ يَوْمَ أُحُدٍ فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : (مَا هَذَا يَا قَتَادَةُ ؟) ، قَالَ : هَذَا مَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ ﷺ : (إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْتُهَا وَدَعَوْتُ اللَّهَ فَلَمْ

تَفْتَقِدُ مِنْهَا شَيْئًا) ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْجَنَّةَ لَجَزَاءُ جَزِيلٍ وَعَطَاءٌ جَلِيلٌ ، وَلِكِنِّي رَجُلٌ مُبْتَلَى بِحُبِّ النِّسَاءِ وَأَخَافُ أَنْ يَقْلَنَ أَعُورَ فَلَا يُرِدْنَنِي ؛ وَلَكِنْ تَرُدُّهَا لِي وَتَسْأَلُ اللَّهُ لِي الْجَنَّةَ ، فَقَالَ ﷺ : أَفْعَلُ يَا قَتَادَةَ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فَأَعَادَهَا إِلَيَّ مَوْضِعَهَا ، وَقَالَ : (اللَّهُمَّ اكْسُهَا جَمَالًا) ؛ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ إِلَيَّ أَنْ مَاتَ ، وَدَعَا اللَّهُ لَهُ بِالْجَنَّةِ .

● وَلَمَّا جَاءَ وَفَدُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ، سَأَلَهُ عُمَرُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ ، أَجَابَ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلْتَ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ * فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَجْسَنِ حَالِهَا * فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا طِيبَ مَا يَدٍ

● وَسَيِّدُنَا قَتَادَةَ رَوَى بَعْضُ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَخُوهُ لِأُمِّهِ سَيِّدُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مِنْ أَشْهُرِ رُوَاةِ الْأَحَادِيثِ ؛ وَهُوَ الَّذِي وَسَدَّهُ الْقَبْرَ حِينَ تُوفِّيَ قَتَادَةَ ﷺ .

● وَعَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ :

وَتِلْكَ الْحَادِثَةُ - أَوْ الْمُعْجِزَةُ - مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، تَرْتَبِطُ بِهَا وَاقِعَةٌ أُخْرَى ، يَرُويهَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ :

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ وَهَاجَتِ الظُّلْمَةُ مِنَ السَّمَاءِ وَبَرَقَتْ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ ، فَقَالَ : (قَتَادَةُ ؟) ، قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (مَا السُّرَى يَا قَتَادَةُ ؟) ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلِمْتُ أَنَّ شَاهِدَ الصَّلَاةِ اللَّيْلَةَ قَلِيلٌ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (فَإِذَا صَلَّيْتَ فَائْتِ) ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَتَادَةُ مِنَ الصَّلَاةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُ عُرْجُونًا (عُودَ النَّخْلَةِ) وَقَالَ لَهُ : (خُذْهَا فَسْتُضِيءَ أَمَامَكَ عَشْرًا وَخَلْفَكَ عَشْرًا) ^(١) .

قَدِيمًا قَالَ الشَّاعِرُ : وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقِدُ الْبَدْرُ ؛ لَكِنْ ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ

(١) الطَّبْرَانِي / الإِصَابَةُ / الأَسْتِمْهَاب .

الباردة الشَّاتِيَّة ، ظَهَرَ (بَدُرًا) آخِرُ ، يَتَّبِعُ نُورَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ .

أَحْسَ قِتَادَةٌ ﷺ أَنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْهَائِجَةِ الْبَارِقَةِ ، وَالَّتِي تُنْزِرُ بِمَطَرٍ شَدِيدٍ ، رُبَّمَا يَرْكُنُ الْبَعْضُ إِلَى اسْتِخْدَامِ رُخْصَةِ الصَّلَاةِ فِي الْبَيْتِ ، فَلَا يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ بِالْمَسْجِدِ ، فَاسْرَعَ هُوَ يَعْمُرُ بَيْتَ اللَّهِ ، خَيْرَ عَابِيٍّ ، وَرُبَّ رَجُلٍ بَعْشَرَةٍ أَوْ بِمِائَةٍ أَوْ بِأَلْفٍ ؛ ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(١) ، وَعَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
فَلِذَلِكَ يَارَادَةُ الْخَيْرِ ، وَبِرَغْبَةِ الْقُرْبَى ، فَهُوَ ﷺ يَقُولُ : فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا ، وَحِينَ تَقْوَى هَذِهِ الْإِرَادَةُ ، وَتَمَكَّنُ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ تِلْكَ الرَّغْبَةُ ، لَا يُبَالِي الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ بِالْعَوَاقِقِ وَالْمَشَاقِّ ، وَلَا يَصْرِفُهُ عَنِ الْغَايَةِ الْكُبْرَى قَيْظٌ لَافِحٌ وَلَا بَرْدٌ قَارِصٌ ؛ فَيُفْضَلُ الْأَصْلَ عَلَى الرُّخْصَةِ ، وَيَأْخُذُ بِالْقَاعِدَةِ وَيَدْعُ الْاسْتِثْنَاءَ ؛ وَحِينَ أَدَانَ اللَّهُ لِلْمَرِيضِ وَلِلْمَسَافِرِ بِالْإِفْطَارِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ (اسْتِثْنَاءً مِنَ الصَّوْمِ) ، أَشَارَ تَعَالَى إِلَى فَضْلِ الصِّيَامِ ، وَإِلَى أَنَّ فِيهِ الْخَيْرَ لِمَنْ يُفْضَلُ الصِّيَامَ ، فَقَالَ عَلَتْ كَلِمَتُهُ : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

● وشهد قتادة مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وكانت معه يوم الفتح راية بني ظفر .

● توفي ﷺ سنة ثلاثٍ وعشرين وهو ابنُ خمسٍ وستين ، وصلى عليه أميرُ المؤمنين سيدنا عمرُ ﷺ .



(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٨٤ .

(١) سُورَةُ النَّحْلِ : مِنَ الْآيَةِ ١٢٠ .

ثانياً (صَفْوُ الْهُدَاةِ
بِذِكْرِ صَحَابِيَّاتٍ وَفَضْلِيَّاتٍ
أَرْضَنَ رُبَّ الْعِبَادِ

السَيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها

السَيِّدَةُ الْكَامِلَةُ الطَّاهِرَةُ الْحَسِيْبَةُ النَّسِيْبَةُ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ الْقُرَشِيَّةِ الْأَسَدِيَّةِ .

وَأُمُّهَا : فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حَجَرَ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ فَهْرٍ ؛ وَفَاطِمَةُ هَذِهِ هِيَ عَمَّةُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ .

فَالسَيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها يَجْمَعُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّسَبُ فِي جَدِّهِ قُصَيِّ مِنْ جِهَةِ أَبِيهَا ، وَفِي لُؤَيِّ مِنْ جِهَةِ أُمِّهَا ، وَفِي عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ قُصَيِّ مِنْ جِهَةِ جَدَّتِهَا لِأُمِّهَا . وَوَلِدَتْ رضي الله عنها قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِخَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ .

تَهَيُّةُ الْمَوْلَى لِخَدِيجَةَ الْكُبْرَى :

رَأَتْ السَيِّدَةُ خَدِيجَةُ رُؤْيَا عَظِيمَةً : أَنَّ شَمْسًا هَبَطَتْ فِي دَارِهَا ، وَأَضَاءَتْ لَهَا الدُّنْيَا حَتَّى أَصْبَحَ الْبَيْتُ كُلُّهُ نُورًا ، فَمَا إِنْ اسْتَيْقَظَتْ حَتَّى هَرَعَتْ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ ابْنِ نَوْفَلٍ كَمَا دَتَهَا دَائِمًا ، وَرَأَاهَا مُتَلَهِّفَةً وَأَخَذَ يَسْأَلُهَا عَنْ سَبَبِ مَجِيئِهَا ، فَرَوَتْ لَهُ تِلْكَ الرُّؤْيَا تَمَامًا كَمَا شَاهَدَتْهَا ؛ وَإِذَا بَوَجْهِهِ يَتَهَلَّلُ وَتَبْدُو السَّعَادَةَ عَلَى مَلَامِحِهِ ، وَيُبَشِّرُهَا كَمَا دَتَتْهِ : الْبُشْرَى الْبُشْرَى يَا ابْنَةَ الْعَمِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِنَّمَا تَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سَيُكْرِمُكَ بِنُورٍ يَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلِكَ ، وَأَحْسَبُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَنَّهُ نُورُ النَّبُوَّةِ .

أَخَذَ هَذَا الْكَلَامَ لُبَّابَ فُؤَادِهَا ؛ وَأَخَذَتْ تَتَخَيَّلُ هَذَا النُّورَ وَتَسْتَرْجِعُ كُلَّ مَا كَانَتْ تُفَكِّرُ فِيهِ ، وَتُحَسُّ بِهِ فِي نَفْسِهَا وَوُجْدَانِهَا ، وَأَخَذَتْ تَسْأَلُ وَرَقَّةَ : مَاذَا تَعْنِي بِنُورِ النَّبُوَّةِ ؟ ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّهُ نُورٌ مِنْ نُورِ اللَّهِ ، وَرِسَالَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ نُورُ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ يَا خَدِيجَةُ .

وَجَلَسَتْ فِي يَوْمٍ مَعَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْحَرَمِ ، وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَرَاحَتْ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُحَقِّقَ حُلْمَهَا ، وَعَادَتْ إِلَى النِّسَاءِ تَجْلِسُ مَعَهُنَّ يَتَجَادَبْنَ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ؛ وَهُنَا جَاءَ صَوْتُ يُجَلِّجُ بِجَوَارِهِنَّ مِنْ حَبْرٍ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَقَفَ بِجَوَارِ النَّسْوَةِ وَأَخَذَ يُنَادِي : يَا مَعْشَرَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، يَا مَعْشَرَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ !! فَالْتَفَتِ النَّسْوَةُ ، وَأَخَذْنَ يُصْغِينَ السَّمْعَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَظْهَرَ نَبِيٌّ فَأَيُّكُمْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكُونَ فِرَاشًا لَهُ فَالْتَفَعَلْ !! .

فَضَحَكَتِ النَّسْوَةُ وَحَسَبَنَ الْيَهُودِيُّ يَهْرَفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ ، وَرَمَيْنَهُ بِالْحَصْبَاءِ ، وَاسْتَهْرَأَ
بِهِ جَمْعَ آخَرٍ مِنْهُنَّ ، وَقَبَحَهُ بَعْضُهُنَّ وَأَغْظَنَ لَهُ الْقَوْلَ .

كُلُّ هَذَا وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ صَامِتَةٌ تَنْظُرُ بَعْمَقٍ ، وَتُفَكِّرُ فِي مَقُولَةِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي
هَيَّجَ مَا بِنَفْسِهَا مِنْ مَشَاعِرَ ، وَأَعَادَ إِلَيْهَا ذِكْرِيَاتِهَا وَتَذَكَّرَتْ الْحُلْمَ ، وَتَذَكَّرَتْ
الْحَدِيثَ مَعَ ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ حَوْلَ النَّبِيِّ الْقَادِمِ ، وَحَوْلَ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحْسَتْ أَنَّ
هَذَا الْيَهُودِيَّ لَا يَهْرَفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ وَلَيْسَ بِرَجُلٍ مَجْنُونٍ بَلْ إِنَّهُ يَعِي مَا يَقُولُ (١) .

حُنَفَاءُ رَفَضُوا جَاهِلِيَّةَ الْأَبَاءِ وَالْكُبَرَاءِ :

وَهُمُ الَّذِينَ نَأَوُوا بِأَنْفُسِهِمُ الزُّكْيَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَسِيرَةِ الْهَوْجَاءِ فِي مُجْتَمَعِ عَمَّتِهِ الْوَثْيِيَّةِ
الْحَمَقَاءِ ؛ فَقَدْ كَانُوا مُرْتَبِطِينَ بِقُلُوبِهِمْ بِاللَّهِ ، وَعُقُولُهُمْ تَبْحَثُ جَاهِدَةً عَنْ حَقِيقَةِ
هَذَا الْإِلَهِ ؛ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْحُنَفَاءُ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى مَنْهَجِ التَّوْحِيدِ :

● فَلَا عَجَبَ إِذَا كَانَتْ سَيِّدَتُنَا خَدِيجَةُ تَمْشِي فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِلَى غَارِ حِرَاءَ
لِتُؤَدِّيَ لِرُزُوجِهَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ (قَبْلَ الرِّسَالَةِ) مُتَطَلِّبَاتِ حَيَاةِ الْعِبَادِ الْمُخْلِصِينَ ،
وَلَا تَخْشَى فِي طَرِيقِهَا الْمُظْلِمَ بِاللَّيْلِ شَيْطَانًا مَرِيدًا ، وَلَا لِصًّا عَنِيدًا ، وَلَا سَبْعًا
كَاسِرًا ، وَلَا مُجْرِمًا غَادِرًا ، لِأَنَّهَا فِي أَمَانِ اللَّهِ .

● وَهُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ آخَرُونَ مِنَ الْحُنَفَاءِ ؛ مِنْهُمْ : الشَّهِيدُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ
ابْنُ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ الَّذِي دَانَ بِدِينِ الْحَقِّ وَدَعَا إِلَيْهِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ
قَبِيلَةُ كَلْبٍ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ وَقَتَلُوهُ فَمَاتَ شَهِيدًا لِيُبْعَثَ أُمَّةً وَحْدَهُ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ
النَّبِيُّ ﷺ .

● وَمِنْهُمْ : قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ خَطِيبُ عُكَازِ الشَّهِيرِ ، وَقَدْ قَالَ لِمُسْتَمْعِيهِ : إِنَّ لِلَّهِ دِينًا
غَيْرَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ؛ سَمَاءٌ ذَاتُ
أَبْرَاجٍ ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ ، إِلَى آخِرِ مَا قَالَ .
ثُمَّ يَأْتِي بِالِدَّلِيلِ تَلُو الدَّلِيلِ لِيُبْرَهَنَ عَلَى عَقِيدَةِ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ سَمِعَهُ النَّبِيُّ
ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا .

(١) شَرْحُ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ ، الرَّزْقَانِي .

- وَمِنْهُمْ : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ الْعَرَبِ وَمُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ .
- وَمِنْهُمْ : زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَمَى حَكِيمُ الشُّعْرَاءِ وَفَخْرُ الْأُدْبَاءِ ؛ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مَعْلَقَتِهِ :

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امْرَأٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ❁ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ ❁ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يَكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
يُؤَجِّلُ فَيُوضِعُ فِي كِتَابٍ فَيَدَّخِرُ ❁ لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يُعَجِّلُ فَيَنْقِمُ

.... إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ ؛ فَهُوَ فِي آيَاتِهِ هَذِهِ يُقَرُّ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكُلُّ مَا يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ يُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيَدَّخِرُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُحَاسَبُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ ؛ فَهُوَ مُؤَمَّنٌ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ .
وَقَدْ أَوْصَى وَلَدَيْهِ كَعْبًا وَبُجَيْرًا أَنْ يَسْبِقَا النَّاسَ إِلَى خَبْرِ سَيْرِدُ مِنَ السَّمَاءِ قَرِيبًا ، وَتُوفَى قَبْلَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِعَامَيْنِ تَقْرِيبًا ؛ وَكَانَ يَقْصِدُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ بَعْثَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يُدْرِكْ نُزُولَ خَبْرِ السَّمَاءِ وَأَسْلَمَ ابْنَاهُ مِنْ بَعْدُ .

● وَمِنَ الْحُنَفَاءِ النَّبْلَاءِ ؛ وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلِ ابْنِ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ الَّذِي دَانَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ وَلَمْ يَكْتَفِ بِالتَّعْبُدِ بِهَا ، بَلْ حَمَلَتْهُ هِمَّتُهُ الْعَالِيَةُ أَنْ يَعْلَمَ الْعِبْرَانِيَّةَ وَيَقْرَأَ كُتُبَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَيَتَبَحَّرَ فِيهَا ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ عِنْدَمَا ذَكَرَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا جَرَى لَهُ فِي غَارِ حِرَاءَ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا (١) لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (أَوْ مُخْرِجِي هُمْ ۙ) ، قَالَ : نَعَمْ ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا (٢) .

وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا وَتُوفَى ﷺ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ .

● وَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلَتْ آيَاتُ الْمُدَّثَرِ ؛ سَارَعَ لِلْإِسْلَامِ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ (وَكَانَ مِنَ الْحُنَفَاءِ الْمَوْثُوقِ بِهِمْ) ؛ وَلَمْ يَسْجُدْ لِصَنْمٍ قَطُّ ، وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ وَحَدَاثَةِ عُمُرِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

(١) جَدْعًا ؛ شَابًا قَوِيًّا .

● مِنْهُمْ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ أَبُو النَّبِيِّ ﷺ .

● مِنْهُمْ عَدَّاسُ غُلَامُ عُبَيْةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ .

هَذِهِ طَائِفَةٌ مِمَّنْ عَرَفْنَاهُمْ مِنْ حُنَفَاءِ الْعَرَبِ مِنَ الرِّجَالِ .

● أَمَّا الْحَنِيفِيَّاتُ مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ ؛ فَأَهْمُهُنَّ ؛ السَّيِّدَةُ أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ أُمُّ

النَّبِيِّ ﷺ .

خَدِيجَةُ الطَّاهِرَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ :

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالطَّاهِرَةِ ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ .

وَقَدْ تَزَوَّجَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّتَيْنِ ؛ تَزَوَّجَتْ أَبَا هَالَةَ بْنَ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيَّ ،

وَعَتِيقَ بْنَ عَابِدِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ الزَّوْجُ الْمَرْضِيُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَالزَّوْجِ فِي

الْإِسْلَامِ ؛ أَيَّ أَنَّ الرَّجُلَ يَخْطُبُ إِلَى الرَّجُلِ بِنْتَهُ أَوْ مَنْ لَهُ عَلَيْهَا وِلَايَةٌ وَيُقَدِّمُ

صَدَاقَهَا فَيَزَوِّجُهَا .

وَرُزِقَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَبِي هَالَةَ بَوْلَدَيْنِ ؛ هَالَةَ ، وَهِنْدَ (عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ إِذْ كَانُوا

يُلَقَّبُونَ الذُّكُورَ أحياناً الْإِنَاثَ) ، وَ(هِنْدٌ) هَذَا هُوَ رَبِيبُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَخُو السَّيِّدَةِ

فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ لَأُمِّهَا ، وَقَدْ عَاشَ وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ أُخْتِهِ

الْإِمَامُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيثَ وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَشْهُورِ فِي الشَّمَائِلِ ، وَكَانَ

هِنْدٌ وَصَافاً مُجِيداً ذَا قُدْرَةٍ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ مِثْلَهُ عَلَى الْوَصْفِ وَالتَّحَدُّثِ عَنِ الْإِسْلَامِ

وَفَضَائِلِهِ ، وَحَدِيثُهُ هَذَا أْبْلَغُ مَا وُصِفَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ .

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ ؛ أَنَا أَكْرَمُ النَّاسِ أَبَاً وَأُمًّا وَأَخًا وَأُخْتًا ؛ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَخِي

الْقَاسِمُ ، وَأُخْتِي فَاطِمَةُ ، وَأُمِّي خَدِيجَةُ ، وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا ، وَقُتِلَ وَهُوَ يُقَاتِلُ

فِي صَفِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ .

وَقَدْ تَعَمَّدَتْ أَنْ أَعْرَفَ الْقَارِيَّ بِابْنِ السَّيِّدَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (هِنْدِ) ؛ لِأَنِّي أَرَى الْأَنْدَعَ

شَيْئاً ذَا بَالٍ يَتَعَلَّقُ بِسِيرَةِ السَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ مُهْمَلًا ؛ وَلَا سِيَّما وَأَنَّ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي هَذِهِ

السَّيِّرَةِ الْعَطْرَةَ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِذِكْرِ (هِنْدِ) فَكَادَ يَضِيعُ ؛ وَعُدْرُهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا

يَتَعَرَّضُونَ لِسِيرَةِ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى الْغَالِبِ مُنْذُ تَشَرَّفُوا بِزَوْاجِ النَّبِيِّ ﷺ ،

وَعُذْرُهُمْ أَيْضاً أَنَّهُ مِنَ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ اتَّصَلَتْ بِشَمْسِ الْهُدَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وولدت منه فاطمة الزهراء أم الحسنين ، ثم يرجع باحثاً عن ابنها ذلك من زوجها الأول أبي هالة ، كما رزقت السيدة خديجة من زوجها الثاني بنتاً واسمها (هند) أيضاً وقد أسلمت ، وكانت صحابية مشهورة .

أَوْلَادُ الْمُصْطَفَى مِنْ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى :

لَقَدْ كَانَ ثَمَرَةً هَذَا الزَّوْجِ الْعَظِيمِ أَنْ وُلِدَتْ ﷺ لِلرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ الْقَاسِمَ ؛ وَكَانَ يُكْنَى بِهِ ﷺ ، وَعَبْدَ اللَّهِ (وَهُوَ الطَّاهِرُ ، وَهُوَ الطَّيِّبُ) سُمِّيَ بِالطَّاهِرِ وَالطَّيِّبِ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ ، وَتُوْفِيَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَأَمَّا الْقَاسِمُ فَقَدْ بَلَغَ مَرَحَلَةَ الْمَشِيِّ ثُمَّ تُوْفِيَ فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ حُزْناً شَدِيداً كَمَا حَزِنَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .
بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ : وَهُنَّ زَيْنَبُ ، وَرُقِيَّةُ ، وَأُمُّ كُلْثُومِ ، وَفَاطِمَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ .
كُلُّهُنَّ مِنْ خَدِيجَةَ ، وَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ وَهَاجَرْنَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهَاجَرَتْ رُقِيَّةُ ﷺ الْهَجْرَتَيْنِ .

خَدِيجَةُ الْإِحْسَانِ وَكَمَالِ الْإِنْسَانِ :

بِالرَّغْمِ مِنْ انْشِغَالِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ بِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا هَؤُلَاءِ مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ؛ فَقَدْ قَامَتْ :

● بِرِعَايَةِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَحَضَّتْ عَلَيْهِ كَحُنُوهَا عَلَى أَوْلَادِهَا ؛ فَتَرَبَّى فِي بَيْتِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَبَيْنَ سَيِّدَةِ مِنْ سَيِّدَاتِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؛ فَشَرِبَ مِنْ مَشْرَبِ النَّبُوَّةِ : الْعِزْمَ ، وَالْحِزْمَ ، وَالْهَمَّةَ ، وَالْقُوَّةَ ، وَالشَّجَاعَةَ ، وَالنَّجْدَةَ ، وَالرُّجُولَةَ ، وَمِنَ الْأُمِّ الْكُبْرَى خَدِيجَةَ : حُسْنَ السَّيْرِ ، وَطِيبَ الْخُلُقِ ، وَنَقَاءَ السَّرِيرَةِ ، وَالْبَذَلَ وَالسَّخَاءَ .

وَتَرَبَّى هَذَا الْفِدَائِيُّ عَلَى هَذِهِ الْأُسُسِ الْعَالِيَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ؛ فَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ ، وَذَلِكَ الصُّمُودُ الَّذِي جَعَلَهُ يَفْتَدِي بِنَفْسِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَيَنَامُ فِي فِرَاشِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْمَ يَتَرَصَّدُونَهُ وَيَتَرَبِّصُونَ بِهِ فِي الْخَارِجِ ، وَقَدْ طَمَأَنَّهُ الْحَبِيبُ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : (وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ يَا عَلِيُّ) .

● وَبَعَدَ سَيِّدِنَا عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ نَشْهَدُ فَضْلَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْكَرِيمَةِ وَهِيَ تُرْبِيٌّ بَطْلًا آخَرَ مِنْ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ابْنُ أَخِي السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ) ؛ عِنْدَمَا مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ مِنْ عُمُرِهِ ، وَأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (عَمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَقَدْ أَرَادَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ أَنْ تَكْفِيَ عَلَى ابْنِهَا وَتُرْبِيَهُ ؛ وَلَكِنَّ الْأُمَّ الْكُبْرَى بِحَنَانِهَا وَبِعُظْفِهَا وَبِإِنْسَانِيَّتِهَا حَرَصَتْ عَلَى أَنْ يَتَرَبَّى هَذَا الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِ النَّبُوَّةِ ؛ فَيَحْظَى بِخَيْرِ تَرْبِيَةٍ بَيْنَ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ فَيَسْأَلُكَ مَسَلَكَهُمْ وَيَشْرَبُ مِنْ مَشَارِبِهِمْ .

وعاش الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بَيْنَ خَدِيجَةَ وَصَفِيَّةَ مُكْرَمًا بِصَفَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمُؤَيَّدًا بِالْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَكَانَ رَابِعَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَأَوَّلَ مَنْ سَلَ سَيْفًا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ دُونَ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ وَهَابَتْهُ قُرَيْشٌ رَغَمَ أَنْفَتِهَا وَقُوَّتِهَا ، وَهُوَ صَاحِبُ الْجَوَادِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَالثَّابِتُ يَوْمَ أُحُدٍ ؛ يَدْفَعُ الْأَشْرَارَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقْدِيهِ بِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ أَنْهَزَمَ مِنْ أَنْهَزَمَ وَقُتِلَ مِنْ قَتْلِ مَنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

وَالزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ لَهُ الدَّوْرُ الْبَارِزُ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ ، وَلَمْ يُشَقِّ لَهُ عُبَارٌ ، وَكَانَ هُوَ كَاسِرَ شَوْكَةِ الرُّومِ فِي الْيَرْمُوكِ ، وَفَاتِحَ حِصْنِ بَابِلْيُونَ فِي مِصْرَ ، وَجَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى مَنْهَجِهِ ، وَأَبْنَاؤُهُ كُلُّهُمْ أُسُودُ حَرْبٍ ، وَرِجَالُ عِلْمٍ وَهَمَّةٍ وَنَجْدَةٍ وَعَزِيمَةٍ .

● ثُمَّ هَذَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ الْإِبْنُ الْمُتَبَنَّى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلْمْنَا الْكُبْرَى خَدِيجَةَ ؛ حَيْثُ رَبَّتُهُ وَعُنِيَتْ بِهِ فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا يُشَقُّ لَهُ عُبَارٌ ، وَرَعَتْهُ زَوْجُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ اشْتَرَاهُ مِنْ سُوقِ الرَّقِيقِ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ بْنِ خُوَيْلِدٍ وَأَهْدَاهُ إِلَى عَمَّتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ، وَكَانَ قَدْ اخْتَطَفَهُ الْمُغَيْرُونَ عَلَى قَبِيلَتِهِ فِي غَيْبَةِ مَنْ أَهْلِهِ وَهُوَ فِي الثَّامِنَةِ مِنْ عُمُرِهِ ، وَأَحَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَامَلَهُ الْمُعَامَلَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْكَرِيمَةَ الرَّحِيمَةَ .

وَلَمَّا رَأَتْ السَّيِّدَةُ الْكُبْرَى خَدِيجَةَ إِحْسَانَ زَوْجِهَا الْمُصْطَفَى إِلَيْهِ ؛ وَهَبَتْهُ لَهُ فَازْدَادَ

حُبُّهُ لَهُ ﷺ ، وَازْدَادَ تَعَلَّقُ سَيِّدِنَا زَيْدٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَسَى أَهْلَهُ وَاعْتَبَرَ رَسُولَ اللَّهِ وَالسَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ هُمَا أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَظَلَّتْ قَبِيلَتُهُ بَنُو عَامِرٍ يَبْحَثُونَ عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ عَامَيْنِ حَتَّى أَعْلَمَهُمْ بَعْضُ مَنْ رَأَاهُ عِنْدَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَشَرَحَ لَهُمْ كَيْفَ يُعَامِلُهُ ، وَأَنَّهُ يَرْعَاهُ خَيْرَ رِعَايَةٍ ، وَسَمِعَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ بِفَضْلِ هَذَا الشَّرِيفِ مِنْ أَشْرَافِ مَكَّةَ ، فَذَهَبَا إِلَيْهِ وَطَلَبَا مِنْهُ أَنْ يَدْفَعَا لَهُ مَا يَطْلُبُهُ ، لِيَأْخُذَا زَيْدًا مِنْهُ .

فَقَالَ ﷺ : (وَهَلْ لَكُمْ فِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الصِّدْقِ ؟) .

فَقَالَا : وَمَا هُوَ ؟ .

فَقَالَ ﷺ : (أَدْعُوهُ لَكُمْ ، فَتُخَيِّرَانَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا ؛ فَإِنْ اخْتَارَكُمَا فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ مَالٍ ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَمَا أَنَا - وَاللَّهِ - بِالَّذِي يَرْغَبُ عَمَّنْ يَخْتَارُهُ) .

فَقَالَا : لَقَدْ أَنْصَفْتَ وَبَالَغْتَ فِي الْإِنْصَافِ .

فَأَحْضَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ : (يَا زَيْدُ ؛ أَتَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ؟) .

قَالَ زَيْدٌ : نَعَمْ ، هَذَا أَبِي وَذَلِكَ عَمِّي .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِنْ شِئْتَ فَادْهَبْ مَعَ أَبِيكَ وَعَمِّكَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَابْقِ مَعَنَا) .

فَقَالَ زَيْدٌ فِي غَيْرِ إِبْطَاءٍ وَلَا تَرَدُّدٍ : بَلْ أَقِيمُ مَعَكَ .

فَقَالَ أَبُوهُ : وَيْحَكَ يَا زَيْدُ ، أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى أَبِيكَ وَأُمَّكَ ؟ .

فَقَالَ زَيْدٌ : مَا أَنَا بِالْعَبْدِ مَعَ سَيِّدِي الْكَرِيمِ ؛ بَلْ أَنَا فَوْقَ الْأَحْرَارِ .

فَلَمَّا رَأَى سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ مِنْ زَيْدٍ مَا رَأَى ، أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَوَقَفَ بِالْحَجَرِ عَلَى مَلَأٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ ، أَشْهَدُوا أَنَّ هَذَا ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ) ؛ فَطَابَتْ نَفْسُ أَبِيهِ وَعَمِّهِ ، وَخَلَفَاهُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ ، وَعَادَا إِلَى قَوْمِهِمَا مُطْمَئِنِّي النَّفْسِ مُرْتَاحِي الْبَالِ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ زَيْدٌ بِنِ حَارِثَةَ يُدْعَى بِزَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَظَلَّ يُدْعَى كَذَلِكَ حَتَّى بُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ ، وَأَبْطَلَ الْإِسْلَامُ التَّبَنِّيَّ حَيْثُ نَزَلَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ اَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾ ^(١) ، فَأَصْبَحَ يُدْعَى : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : مِنَ الْآيَةِ ٥ .

وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي ذُكِرَ اسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ ، وَهُوَ الْبَطْلُ الَّذِي جَعَلَ نَفْسَهُ فِدَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ حِجَارَةِ سُفْهَاءِ الطَّائِفِ ، وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْبَاءَ (مُؤْتَةَ) ، وَمَصْرَعُ قَادَتِهِ الثَّلَاثَةَ فَحَزَنَ عَلَيْهِمْ حُزْنًا لَمْ يَحْزَنْ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَمَضَى إِلَى أَهْلِهِمْ يُعْزِيهِمْ بِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ بَيْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ لَادَتْ بِهِ ابْنَتُهُ الصَّغِيرَةُ وَهِيَ مُجْهِشَةٌ بِالْبُكَاءِ ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى انْتَحَبَ (١) .

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : (هَذَا بُكَاءُ الْحَبِيبِ عَلَيَّ حَبِيبِهِ) .

● ثُمَّ هُنَاكَ مَيْسِرَةُ هَذَا الْغُلَامِ الْأَمِينِ الصَّادِقِ الَّذِي عَاشَ عِنْدَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ، فَكَانَتْ تُعَامِلُهُ مُعَامَلَةً كَرِيمَةً وَتُقَدِّرُ لَهُ تَصَرُّفَاتِهِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ .

● ثُمَّ إِنَّ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها كَانَتْ تَرْعَى فِي الْمَنْزِلِ أَوْلَادَهَا مِنْ زَوْجِهَا السَّابِقِينَ وَتُرَبِّيهِمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَبَدَلِ الْمَعْرُوفِ ، وَكَانَتْ رضي الله عنها تَتَّصِدِي لِهَذَا الْأَمْرِ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَعِزْمٍ وَإِخْلَاصٍ ، وَكَانَتْ تَتَحَمَّلُ فِي تِلْكَ الْبَيْتَةِ الْحِجَازِيَّةِ كَامِلَ مَسْئُولِيَّةِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ ، وَتَقُومُ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ ؛ وَهُوَ أَمْرٌ فَوْقَ طَاقَةِ الْأَكْثَرِينَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَقْوِيَاءِ الْأَشْدَاءِ فَضْلًا عَنِ النِّسَاءِ .

وَفِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ وَفَرَحٍ تَحَمَّلَتْ أَعْبَاءَ الْاهْتِمَامِ بِمَنْزِلِهَا وَبِكُلِّ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِيهَا مَعَ تَنَوُّعِهِمْ وَتَعَدُّدِ مَنَابِتِهِمْ ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا فِي وِثَامٍ كَامِلٍ ، وَمَا سَمِعْنَا عَنْهُمْ وَلَا فِيمَا بَيْنَهُمْ مُمَارَاةً ، وَلَا مُخَاصِمَةً ، وَلَا مُجَافَاةً ، بَلْ كَانُوا جَمِيعًا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ ، فَسُبْحَانَ مَنْ نَزَعَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ فَعَاشُوا تَحْتَ ذَلِكَ الظِّلِّ ، فِي رِحَابِ السَّيِّدَةِ وَرِعَايَتِهَا رضي الله عنها ، وَكَانَتْ تُوفِّرُ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ فِي وَقْتِ كَانِ فِيهِ النَّاسُ يُعَانُونَ مِنْ ضَيْقِ الْعَيْشِ وَقِلَّةِ الْقُوَّةِ ، فِي وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ . وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَتْ تُوفِّرُهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها لِأَوْلَادِهَا ، وَلِمَنْ تَرَعاَهُمْ فِي مَنْزِلِهَا ؛ إِنَّهَا سَيِّدَةٌ ثَبَّتَهَا اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ، وَجَمَلَهَا بِالتَّقْوَى ، وَقَوَّاهَا بِالْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةِ ، وَاجْتَارَهَا لِتَكُونَ بِجِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

(١) انْتَحَبَ : ارْتَفَعَ صَوْتُهُ بِالْبُكَاءِ .

خُصُوصِيَّاتُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَوْلِيَائِهَا :

● سَبَقَتْ إِرَادَةُ اللهِ فَاخْتَارَهَا زَوْجَةً لِنَبِيِّهِ وَوَزِيرًا ، وَمُعِينًا وَمُشِيرًا ، وَسَنَدًا وَنَصِيرًا ، فَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُولَى زَوْجَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ الْأُولَى ، وَالْمُسْلِمَةَ الْأُولَى ، وَالصَّدِيقَةَ الْأُولَى ، وَالْحَبِيبَةَ الْأُولَى ، وَالْوَزِيرَةَ الْأُولَى الَّتِي هَيَّأَتْهَا الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

● اخْتَصَّهَا اللهُ وَحْدَهَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِحُضُورِ أَوَّلِ الْوَحْيِ ، وَأَوَّلِ الْأَصْطِفَاءِ ، وَأَوَّلِ نَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ الصَّابِرَاتِ ، وَأَوَّلَ الْبَادِلَاتِ .

● لَمْ يَنْكَحْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً غَيْرَهَا حَتَّى مَاتَتْ ، وَلَا تَسَرَّى إِلَى أَنْ قَضَتْ نَحْبَهَا ؛ فَوَجَدَ (أَيَ حَزَنَ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَقْدِهَا ، وَكَانَ حُزْنُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُزْنًا شَدِيدًا مَعَ كَامِلِ الصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ حَتَّى سُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامُ بِعَامِ الْحُزَنِ ، وَجَمِيعُ أَوْلَادِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا سَوَى إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ .

● وَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ ابْنَتُهَا فَاطِمَةُ مِنْ بَعْدِهَا أُمَّ عِثْرَتِهِ وَأَصْلَ ذُرِّيَّتِهِ .

● كَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رَفِيقَةَ شَبَابِ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُهُولَتِهِ ؛ أَفْرَدَهُ اللهُ لَهَا وَأَفْرَدَهَا لَهُ زَوْجًا عَرُوبًا ، وَقَلْبًا حَبِيبًا ، وَدَقْتُهَا خَصِيبًا ؛ جَمَعَ لَهُ فِيهَا حُبَّ الزَّوْجَةِ وَسَكَنَهَا ، وَرَأْفَتَهَا وَرَحْمَتَهَا ، وَعَطْفَ الْأُمِّ وَحَنَانَهَا ، وَوَفَاءَ الْحَبِيبَةِ وَصِدْقَهَا وَفِدَاءَ الْمُؤْمِنَةِ بِهِ وَعَوْنَهَا ، مَعَ صِدْقِ الْمَشُورَةِ وَطُهْرِ السَّرِيرَةِ ، وَدَابِّ الْوَزِيرَةِ ، وَحِلْمِ حَارِمْ ، وَبِرِّ دَائِمٍ ، وَحَنَانِ مَوْصُولٍ ، وَمَالٍ مَبْدُولٍ ، وَحُبِّ لَا يَحُولُ ؛ وَاسْأَلْ أَيَّامَ تَحَنُّنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ ؛ كَيْفَ كَانَتْ لَهُ مُعِينًا ، وَسَلِّ لِيَايِ الشُّعْبِ حِينَمَا قَاطَعَتْ قُرَيْشُ النَّبِيَّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ؛ كَيْفَ كَانَتْ صَبُورًا جَسُورًا ، عَلَى رَعْمِ سِنِّهَا وَوَهْنِ جِسْمِهَا وَكَيْفَ بَدَلَتْ مَالَهَا فِي إِطْعَامِ الْمُحَاصِرِينَ ، وَمُوَاسَاةِ الْمُعَذِّبِينَ ، وَسَلِّ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ وَفَاءَ خَيْرِ النَّاسِ لَهَا حَبِيبِهَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْدِ رَجِيلِهَا ؛ ذِكْرًا لِمَنَاقِبِهَا ،

وَتَعْدَاداً لِمَوَاهِبِهَا ، وَبَقَاءً عَلَى عَهْدِهَا ، وَصِلَةً لِأَحْبَابِهَا ؛ فَحَفِظَ عَهْدَهَا مِنْ بَعْدِهَا فِي أَهْلِ وَدَّهَا .

● سَجَّلَ الْحَدِيثُ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ خِطَابَهُ لِأَكْثَرِهِنَّ عِنْدَهُ قُرْباً وَدَلَالاً ؛ وَهِيَ أُمُّنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهُ ﷺ قَالَ عَنْ حَبِيبَتِهِ وَوَزِيرَتِهِ الْأُولَى خَدِيجَةَ الْكُبْرَى : (مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا ؛ صَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا الْوَلَدَ إِذْ لَمْ يَرِزُقْنِي مِنْ غَيْرِهَا) (١) .

● عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ (٢) .

● وَكَانَتْ رَابِطَةَ الْجَأْشِ ، عَاقِلَةً مَصُونَةً ، ثَبَّتَتْ جَأْشَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا فَاجَأَهُ الْوَحْيُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي غَارِ حِرَاءَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا يَرْجُفُ فُوَادُهُ ، يَقُولُ لَهَا : زَمَّلُونِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ، فَلَمْ تُقْفِدْهَا شِدَّةَ الصَّدْمَةِ وَعَيْهَا ، بَلْ كُلُّهَا رِزَانَةٌ وَتَعَقُّلٌ ، وَصَبْرٌ وَتَحَمُّلٌ ، وَنَطَقَتْ بِالْحِكْمَةِ ، وَقَامَتْ بِالْخِدْمَةِ ؛ قَالَتْ لَهُ :

كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، وَاللَّهُ إِنَّكَ لِتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فَخَفَّفَتْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَاتِ مَا كَانَ يَجِدُهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفْسِهِ فِي ثَوَانِ مَعْدُودَاتٍ ، وَلَمْ يَجِفَّ رَيْقُهَا ﷺ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى انْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ بِنِ نَوْفَلٍ ؛ تَتَّقِلُ لَهُ خَبْرَ مَا وَقَعَ لِزَوْجِهَا ، فَطَمَأَنَّا بِأَنَّهُ رَسُولُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنَّ الْوَحْيَ قَدْ جَاءَهُ كَمَا جَاءَ لِمُوسَى وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

● وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ إِذَا وُلِدَتْ وَوَلَدًا دَفَعَتْهُ إِلَى مَنْ يُرِضِعُهُ فَلَمَّا وُلِدَتْ فَاطِمَةُ لَمْ يُرِضِعْهَا غَيْرُهَا .

● شَاءَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ آذِنَاكَ صَبِيٌّ أَنْ يَدْرُجَ مُفْعَمًا بِمَعَالِي الْأَدَابِ وَكَرِيمِ الْخِصَالِ بِأَثَرِ تَشْتِئِنَةِ وَتَرْبِيَةِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ لَهُ ؛ وَقَدْ أَرَادَهُ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْمُتَّجِمِ الْكَبِيرِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا .

اللَّهُ أَنْ يَكُونَ صَهْرًا كَرِيمًا وَزَوْجًا صَالِحًا لِابْنَتِهَا الصَّغِيرَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّلُ لَهَا ذُرِّيَّةً
إِلَّا مِنْ تِلْكَ الْكَرِيمَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (١) .

لَقَدْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ السَّعِيدُ مُسْعِدًا لِلْأَزْوَاجِ كَمَا كَانَ مُسْعِدًا لِلْأَبْدَانِ ؛ فَقَدْ نَعِمَ
عَلَيَّ بِالْحَنَانِ الْكَامِلِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ وَمِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَنَانًا دُونَ حَنَانِ
الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ .

أُمْنَا خَدِيجَةَ .. لَقَدْ حَلَّتْ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا الْمَحَلَّ السَّامِي الْعَالِي ، وَكَيْفَ
لَا تَكُونُ لَكَ تِلْكَ الْمَكَانَةُ (١) ؛ وَأَنْتِ مَا أَنْتِ عَلَيْهِ مِنْ خِصَالِ حَمِيدَةٍ ، وَفِعَالِ كَرِيمَةٍ
وَفَضَائِلِ عَدِيدَةٍ دَعَمَتِ الدَّعْوَةَ وَأَسْوَدَتِ الدُّعَاةَ ﷺ .

كُلُّ الْمُسْلِمِينَ يَجْعَلُونَكَ فِي الْقِمَّةِ بَيْنَ النِّسَاءِ لِمَا حَمَلْتِهِ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ
وَالنَّبْلِ ، وَكُلُّ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ أَوْلَى بِكَ مِنْ سِوَاهُ ، وَيَعْتَبِرُكَ الْأَوْلَى بَيْنَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
كَمَا رَفَعَ مِنْ ذِكْرِ زَوْجِكَ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﷺ ؛ فَلَا يَكَادُ يُذَكِّرُ شَيْءٌ مِنْ سِيرَتِهِ الْعَطْرَةَ
فِي بَدَايَاتِ الدَّعْوَةِ وَقَبْلَهَا إِلَّا وَالسَّيِّدَةَ الطَّاهِرَةَ تُذَكِّرُ فِيهِ بِالنِّسَاءِ الْعَاطِرِ :

- عَلَوْتَ فَلَمْ تُدْرِكْ مَقَامَاتِكَ الْكُبْرَى ❖ فَعَيْرُكَ لَا تَدْعَى - وَإِنْ عَظُمْتَ - كُبْرَى
وَكَمْ فِي نِسَاءِ الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ ❖ وَلَكِنَّهَا إِنْ قُورِنَتْ بِكَ فَالصُّغْرَى
وَأَصْبَحْتَ مَهْدًا لِلرَّسَالَةِ حَاضِنًا ❖ تَلَقَّيْتَهَا مِنْ حِينِ مَا نَزَلَتْ إِقْرَأْ
وَأَنْتِ الَّتِي طَمَأَنْتِ طَهَ بِأَنَّهُ ❖ تَلَقَّى مِنَ اللَّهِ الرَّسَالََةَ وَالذِّكْرَا
وَرَمَلْتِهِ دَثْرَتِهِ وَلِوَرْقَةٍ ❖ ذَهَبَتْ بِهِ يَتْلُو عَلَيْهِ الَّذِي يَقْرَأْ
وَلَمَّا آتَى جَبْرِيلُ قَمَتَ بِخَلْعِكَ النُّقَابَ ❖ فَلَمْ يَمُكِّ فَاعْلَنْتَهَا بُشْرَى
كَتَبْتَ حُرُوفًا مِنْ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ❖ فَأَصْبَحْتَ فِي أَعْلَى صَحَائِفِهَا سَطْرَا
وَقَدْ شَكَرَ الْمَوْلَى صَنِيعَكَ إِنَّهُ ❖ الشُّكُورُ وَهَذَا الْفِعْلُ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَا
فَأَهْدَاكَ مَوْلَاكَ السَّلَامُ سَلَامُهُ ❖ وَأَعْطَاكَ فِي الْفِرْدَوْسِ مِنْ قَصَبٍ قَصْرَا (١)

(١) الأبيات من قصيدة الكبرى: عبد القادر الخرد .

وَفَاتَهَا ﷺ : تُوِّفِتْ ﷺ فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرِ مِنَ الْبَعْتَةِ
النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الْحِصَارِ فِي الشَّعْبِ ، وَعُمُرُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ
سَنَةً ، وَدُفِنَتْ ﷺ بِالْحَجُّونِ بِمَقَابِرِ الْمُعَلَّاةِ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَبْرِهَا ،
وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ قَدْ فُرِضَتْ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ .

● وما أَجْمَلَ ابْتِهَالَاتِ الْمُحِبِّينَ عِنْدَ زِيَارَتِهَا بِالْمُعَلَّاةِ وَتَعْلُو أَصْوَاتِهِمْ قَائِلِينَ :

يَا مُهَيِّمُنُ يَا سَلَامُ سَلَّمْنَا وَالْمُسْلِمِينَ

بِالنَّبِيِّ خَيْرِ الْأَنَامِ وَيَأْمُ الْمُؤْمِنِينَ

● وما أَعَذَبَ تَرَنُّمُهُمْ بِقَدْرِ النَّبِيِّ وَخَدِيجَةَ وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ ؛ قَائِلِينَ :

سَيِّدَ الْعَرَبِ أَنْتَ عُيُونِي ❁ يَا مُنَيِّبِي مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ

وَيَا سَيِّدَةَ أَهْلِ الْحَجُّونِ ❁ يَا أَهْلَ الْوَفَا وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانَ

مَنْ قَدْ سَمَتْ فَوْقَ الْمُتُونِ ❁ فِي قَصْرِ مِنْ لَوْلُو وَمَرْجَانِ

سَبَقَتْ إِلَى الدِّينِ الْمَصُونِ ❁ صَدَقَتْ لَهُ فِي سِرِّ وَإِعْلَانِ

يَا أَهْلَ النَّبِيِّ قُرَّةَ عُيُونِي ❁ ذُخْرِي فِي ذَهَبِ وَعِنْدَ الْمِيزَانِ

مَحْسُوبِكُمْ فِي الْبَابِ إِخْدُونِي ❁ عَطْفَهُ عَلَى الْمَسْكِينِ الْوَلْهَانَ

مُعَلَّقَ بِكُمْ حَتَّى الْمَنُونِ ❁ ظَنُّهُ بِكُمْ وَافِرٌ وَمَلِيَانِ

بِاللَّهِ لَا لَا تَتْرُكُونِي ❁ حُطُّوا النَّظَرَ فِي كُلِّ الْإِحْيَانِ

فِي حِزْبِكُمْ هَيَّا ادْخُلُونِي ❁ مَعَكُمْ عَلَى فَسِيحِ الْجِنَانِ

وَبُودُكُمْ هَيَّا اشْمَلُونِي ❁ بِمَدَدٍ لَا يُحْصِيهِ إِنْسَانِ

كَذَا اقْبَلُوا مَنْ يَسْمَعُونِي ❁ أَهْلًا مَعَ أَرْحَامٍ وَجِيرَانِ

اقْسِمُوا لَنَا يَا أَهْلَ الْحَجُّونِ ❁ يَا سَادَتِي مِنْ عِلْمٍ وَعِرْفَانِ

مِمَّا لَكُمْ مِنْ سِرِّ مَصُونِ ❁ أَنْتُمْ لَهُ أَهْلُ بَيِّقَانِ

عَسَى عَسَى بِتَذَكُّرُونِي ❁ فِي الْمَجْلِسِ الْعَاطِرِ بَرِيحَانِ

عِنْدَ النَّبِيِّ عَيْنِي وَنُونِي * سَيِّدِ الْعَرَبِ مِنْ ابْنِ عَدْنَانَ
 صَلَاةَ رَبِّي كُلَّ حِينٍ * دَوْمًا عَلَيْهِ مَا هَبَّ هَتَّانُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ كُلَّ حِينٍ * تَفْشَاهُ تَجْلُو عَنَّا الْأَكْدَارُ
 تَعْمُ الْأَثَمَّ صَحْبًا * تَخُصُّ مِنْهُمْ صَاحِبَ الْغَارِ
 ثُمَّ أَبُو حَفْصٍ وَالنُّورَيْنِ * وَاللَّيْثُ حَايِدَرَةُ الْكَرَّارِ



السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيٍّ رضي الله عنه

السَّيِّدَةُ الْفَاضِلَةُ الشَّرِيفَةُ الْعَاقِلَةُ الْحَسِيْبَةُ النَّسِيْبَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِيْنَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيٍّ
 ابْنِ أَخْطَبِ بْنِ سَعِيَةَ مِنْ سِبْطِ اللَّوِيِّ بْنِ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ
 - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - ثُمَّ مِنْ ذُرِّيَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ هَارُونَ عليه السلام ، وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ سَمْوَالٍ .
 فَهِيَ السَّيِّدَةُ (صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيٍّ بْنِ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الْهَارُونِيَّةِ) .
 تَزَوَّجَهَا قَبْلَ إِسْلَامِهَا سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحَقِيْقِ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيْقِ
 (وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ الْيَهُودِ) ؛ فَقَتَلَ كِنَانَةَ يَوْمَ حَيْبَرَ عَنْهَا ، وَسُوِّيَتْ وَصَارَتْ فِي سَهْمِ
 دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ رضي الله عنه ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صلوات الله عليه عَنْهَا ، وَأَنَّهَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ ، فَأَخَذَهَا
صلوات الله عليه مِنْ دِحْيَةَ ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا سَبْعَةَ أَرْوَسٍ .

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : جُمِعَ السَّبْيُ (يَعْنِي بِحَيْبَرَ) ؛ فَجَاءَهُ دِحْيَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
 أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ ، فَقَالَ صلوات الله عليه : (أَذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً) ، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ
 حَبِيٍّ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلوات الله عليه فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ
 حَبِيٍّ سَيِّدَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ ، قَالَ صلوات الله عليه : (أَدْعُوهُ بِهَا) ، قَالَ : فَجَاءَ
 بِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صلوات الله عليه ، قَالَ : (خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا) .

صَفِيَّةُ سِبْطُ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ اخْتَارَتْ طَوَاعِيَةَ النَّبِيِّ الْعَدْنَانَ :

خَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه السَّيِّدَةَ صَفِيَّةَ بَيْنَ أَنْ يُعْتَقَهَا فَتَرْجِعَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِهَا أَوْ

تُسَلِّمَ فَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَتْ ﷺ : أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؛ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِتَاقَهَا صَدَاقَهَا ، وَلَمَّا كَانَ عِنْدَ رَوَاحِهِ ﷺ اخْتَقَبَ بَعِيرَهُ ثُمَّ خَرَجَتْ مَعَهُ تَمْشِي حَتَّى ثَنَى لَهَا رُكْبَتَهُ عَلَى فَخِذِهِ ، فَأَجَلَّتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَضَعَ قَدَمَهَا عَلَى فَخِذِهِ ، فَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَى فَخِذِهِ فَرَكِبَتْ ، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَلْقَى عَلَيْهَا كِسَاءً .

رُؤْيَا صَفِيَّةَ وَبُشْرَاهَا بِحَضْرَتِهِ ﷺ :

عِنْدَمَا بَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيِّدَةِ صَفِيَّةَ وَجَدَ بِخَدِّهَا لُطْمَةً ، فَقَالَ مَا هَذِهِ ؟ ، فَقَالَتْ : إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ فِي حِجْرِي ؛ فَقَصَصْتُ الْمَنَامَ عَلَى ابْنِ عَمِّي فَلَطَمَنِي ، وَقَالَ : تَتَمَنَّينَ أَنْ يَتَزَوَّجَكَ مَلِكٌ يَثْرِبُ ؟ ، فَهَذِهِ مِنْ لُطْمَتِهِ .

إِكْرَامُ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لِأَمْنَا صَفِيَّةَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْرِمُهَا وَيُحْسِنُ إِلَيْهَا وَيُحِبُّ رِضَاهَا :
 ● قَالَ أَنَسُ ﷺ : أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَبُو طَلْحَةَ وَصَفِيَّةُ رَدِيفَتُهُ ، فَعَثَرَتِ النَّاقَةُ ؛ فَضَرَعُ وَضَرِعَتْ ، فَاقْتَحَمَ أَبُو طَلْحَةَ عَنْ رَاحِلَتِهِ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَلْ ضَرَكَ شَيْءٌ ، قَالَ ﷺ : (لَا ، عَلَيْكَ بِالْمَرْأَةِ) ؛ فَأَلْقَى أَبُو طَلْحَةَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَصَدَ نَحْوَهَا ، فَتَبَدَّ الثَّوْبَ عَلَيْهَا ، فَقَامَتْ فَشَدَّهَا عَلَى رَاحِلَتِهِ ؛ فَرَكِبَتْ ، وَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ (١) .

● قَالَتِ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ ﷺ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ كَلَامٌ ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : (أَلَا قُلْتِ : وَكَيْفَ تَكُونَانِ خَيْرًا مِنِّي ؛ وَزَوْجِي مُحَمَّدٌ ، وَأَبِي هَارُونَ ، وَعَمِّي مُوسَى) .

وَكَانَ بَلَغَهَا ، أَنَّهُمَا قَالَتَا : نَحْنُ أَكْرَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا ، نَحْنُ أَزْوَاجُهُ ، وَبَنَاتُ عَمِّهِ .

● حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنِسَائِهِ ، فَبَرَكَ بِصَفِيَّةَ جَمَلُهَا فَبَكَتْ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَمْسَحُ دُمُوعَهَا بِيَدِهِ وَهِيَ تَبْكِي وَهُوَ ﷺ يَنْهَاهَا ، ثُمَّ قَالَ لِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ : أَعْطِي أُخْتِكَ جَمَلًا (وَكَانَتْ مِنْ أَكْثَرِهِنَّ ظَهْرًا ، فَقَالَتْ : أَنَا أُعْطِي يَهُودِيَّتَكَ ؟ ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا .

فَفَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُكَلِّمَهَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَأْتَهَا ثَلَاثَ شُهُورٍ حَتَّى اعْتَدَرَتْ وَأَرْضَتْهُ .

● وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْرِعُ فِي إِكْرَامِ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مُعْتَكِفِهِ تَكْرِمَةً لِصَفِيَّةَ ؛ تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفاً ، فَاتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً ، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ ، فَقَامَ لِيَقْلِبَنِي ، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ) ، فَقَالَا : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ بَنِي آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا) (١) .
صَفِيَّةٌ كَرِيمَةٌ سَخِيَّةٌ :

وَلَمَّا انْتَقَلَتِ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى دُورِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تَحْمِلُ كُلَّ الْخَيْرِ لِأَخَوَاتِهَا أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ - فَقَدْ دَأَبَتْ عَلَى تَقْدِيمِ الْهَدَايَا إِلَيْهِنَّ ، وَلَكِنَّهَا بَدَأَتْ بِرِيحَانَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : قَدِمْتُ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ فِي أُذُنَيْهَا خَرْصَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فَوَهَبَتْ مِنْهُ لِفَاطِمَةَ وَلِنِسَاءٍ مَعَهَا .
شَهَادَةُ الْمُصْطَفَى بِصِدْقِهَا :

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ قَالَتْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ : وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الَّذِي بَكَ بِي ، فَغَمَزَهَا أَزْوَاجُهُ ، فَأَبْصَرَهُنَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ، فَقَالَ : (مَضْمُضَنَ) ، قُلْنَا : مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ؟ ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (مِنْ تَغَامُرِكُنَّ بِهَا ، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَصَادِقَةٌ) (٢) .

صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ عَصَبَتْهَا عَلِيٌّ :

قَالَتْ صَفِيَّةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ مِنْ نِسَائِكَ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهَا عَشِيرَةٌ فَإِنْ حَدَّثَ بِكَ حَدَّثٌ ؛ فَأَلِيٌّ مِنْ أَجْأ ؟ ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الْعَلَبَاتِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ .

حَلْمُهَا وَكَرْمُهَا : وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَلِيمَةً كَرِيمَةً جَوَادَةً رَحِيمَةً شَفِيقَةً ؛
 وَرَدَّ أَنَّ جَارِيَةَ لِصْفِيَّةَ آتَتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَقَالَتْ : إِنَّ صَفِيَّةَ تُحِبُّ السَّبْتَ ،
 وَتَصِلُ الْيَهُودَ ، فَبَعَثَ عُمَرُ يَسْأَلُهَا ، فَقَالَتْ : أَمَا السَّبْتُ ، فَلَمْ أَحِبَّهُ مِنْذُ أُبَدِّلَنِي
 اللَّهُ بِهِ الْجُمُعَةَ ، وَأَمَا الْيَهُودُ فَإِنَّ لِي فِيهِمْ رَحِمًا فَأَنَا أَصْلُهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ : مَا
 حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ ، قَالَتْ : الشَّيْطَانُ ، قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
 اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ ^(١) .

شَجَاعَتُهَا وَجِهَادُهَا : وَكَانَتْ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شُجَاعَةً لَا تَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ،
 تَجَلَّى لَنَا هَذَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَعَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ حَضْرِهِ ؛ عَنْ كِنَانَةَ مَوْلَى أُمِّهَا
 صَفِيَّةَ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ أَقُودُ بِصَفِيَّةَ لِتُرْدَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَلَقِيَهَا الْأَشْتَرُ ^(٢) ، فَضَرَبَ وَجْهَ
 بَقْلَتِهَا حَتَّى مَالَتْ ، فَقَالَتْ : ذَرُونِي لَا يَفْضَحْنِي هَذَا ؛ ثُمَّ وَضَعَتْ حَشْبًا بَيْنَ مَنْزِلِهَا
 وَمَنْزِلِ عُثْمَانَ تَنْقُلُ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَالطَّعَامَ .

وَفَاتُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَبَعْدَ حَيَاةٍ حَافِلَةٍ بِالصَّبْرِ وَالْمُصَابَرَةِ ، وَالْجِهَادِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، وَالرِّبَاطِ
 وَالْمُرَابِطَةِ ، انْتَقَلَتِ السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ إِلَى جَنَّةِ رَبِّهَا ، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ؛
 فَتُوفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةَ خَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَدُفِنَتْ بِبَيْعِ الْفَرَقْدِ .



السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الصَّحَابِيَّةُ الَّتِي تَوَجَّهَتْهَا الصُّحْبَةُ مِنْ سِتِّ جِهَاتٍ وَتُوفِّيَتْ آخِرَ الصَّحَابِيَّاتِ ؛ فَأَبُوهَا
 صَحَابِيٌّ ، وَجَدُّهَا صَحَابِيٌّ ، وَأُخْتُهَا صَحَابِيَّةٌ ، وَزَوْجُهَا صَحَابِيٌّ ، وَأَبْنُهَا صَحَابِيٌّ ؛

● أَمَّا أَبُوهَا : فَالصِّدِّيقُ الرَّفِيقُ لِلْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَأَبِيسُهُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَمَاعِ صَوْتِهِ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا ، وَخَلِيفَتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ انْتِقَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
 الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَجَلِيسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَوْضَتِهِ تَحْتَ الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ .

● وَأَمَّا جَدُّهَا : فَأَبُو عَتِيقٍ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ .

● وَأَمَّا أُخْتُهَا : فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ الطَّاهِرَةُ الْمُبْرَأَةُ وَكَانَتْ تَصْفُرُهَا بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ .

(١) الْأَشْتَبَابُ : لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ .

(٢) الْأَشْتَرُ : هُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ النَّخَعِيُّ ؛ كَانَ عَلَى رَأْسِ أَهْلِ الْكُوفَةِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْفِتْنَةَ أَيَّامَ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

- وَأَمَّا زَوْجُهَا : فَحَوَارِيُّ^(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ .
- وَأَمَّا ابْنُهَا : فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ .

وَقَدْ اشتهرت ﷺ بِلقبها (ذات النطاقين) ؛ لأنها صنعت لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولأبيها يَوْمَ هاجرا إلى المدينة زاداً ، وأعدت لهما سقاءً^(٢) ، فلما لم تجد ما تربطهما به شقت نطاقها^(٣) شقين ، فربطت بأحدهما المزود^(٤) وبالثاني السقاء ، فدعا لها النبي ﷺ بقوله : (أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة) .

عناء السيدة (أسماء) مضرب المثل في السعادة والهناء :

قالت ﷺ : تزوجني الزبير ، وما له شيء غير فرسه ؛ فكنت أعلفه وأسوسه وأدق النوى لناضجه ، وأعلفه ، حتى فتح الله عليه ففدا من أغنى أغنياء الصحابة . ولما أتيح لها أن تهاجر إلى المدينة فراراً بدينها إلى الله ورسوله ؛ كانت قد أتمت حملها بابنها عبد الله بن الزبير فلم يمنعها ذلك من تحمل مشاق الرحلة الطويلة ، فما إن بلغت (قباء) حتى وضعت وليدها ؛ فكبر المسلمون وهللاً ؛ لأنه كان أول مولود يولد للمهاجرين في المدينة .

وفي هذا تنبيه إلى الزوجات في أخذ الأسوة في الصبر على ما تلاقينه من معاناة وتعب وهي ترعى بيتها وأسررتها ، وكيف كانت النسوة في الزمان الغابر يعانين التعب البدني ، ومع ذلك كانت حياتهن مضرب المثل في السعادة والهناء .

وفي هذا أيضاً درس عملي لجميع نساء المسلمين في أن يقتدين بالسيدة أسماء ، لتكون كل واحدة منهن ربة بيت مثالية تجعل بيتها واحة أمن ومصدر راحة ، يأوي إليه الزوج ، يشعر فيه بالراحة بعد التعب ، وبالهدوء والاستقرار ، لينطلق - في غد - إلى أن يضرب في الأرض ، ليوفر الرزق الحلال له ولمن يعول ، ولخدمته مجتمعه ومرضاة مولاه .

أولادها ﷺ وسخاؤها وعلمها : ولدت السيدة أسماء لزوجها الزبير بن العوام غير عبد الله ؛ عروة ، والمُنذر ، وعاصم ، والمهاجر ، وخديجة ، وأم الحسن .

(٢) السقاء : القرينة وغيرها مما يوضع فيه الماء .

(١) الحواري : النصير ، وحواريو الرسل ؛ خاصة أنصارهم .

(٤) كيس يوضع فيه الزاد للمسافر .

(٣) النطاق : ما تشد به المرأة ومسطها .

وعائشة رضي الله عنها .

وكانت (أسماء) سَخِيَّةَ النَّفْسِ ، وَكَانَتْ تَقُولُ : يَا بَنَاتِي تَصَدَّقْنَ وَلَا تَنْتَظِرْنَ الْفَضْلَ ، لَا تَنْتَظِرْنَ مَا يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِكُنَّ ، فَإِنَّكُنَّ إِنِ انْتَظَرْتُنَّ الْفَضْلَ لَنْ تَجِدْنَهُ ، وَإِنْ تَصَدَّقْتُنَّ لَنْ تَجِدْنَ فَقْدَهُ .

وقال عبد الله بن الزبير : ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء ، وجودهما يختلِفُ ؛ أَمَّا عَائِشَةُ فَكَانَتْ تَجْمَعُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهَا وَضَعَتْهُ مَوَاضِعُهُ ، وَأَمَّا أَسْمَاءُ فَكَانَتْ لَا تَدَّخِرُ شَيْئاً لِغَدٍ .

وقد فرض أمير المؤمنين عليه السلام ألفاً ألفاً للمهاجرات ، ومنهن السيدة أسماء ؛ فكانت تمرض المرضى ، وتعتق كل مملوك لها من باب داؤوا مرضاكم بالصدقة . وكانت مع سخائها عالمة رضي الله عنها ، وكان سعيد بن المسيب من أعبّر الناس للرؤيا ، وقد أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر ، وأخذت هي عن أبيها الصديق رضي الله عنه .

وروت أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥٨ حديثاً ، وفي رواية ٥٦ حديثاً ؛ اتفق البخاري ومسلم على أربعة عشر حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة ، وانفرد مسلم بمثلها . وممن روى عنها : ابنها عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، وعبد الله بن عمرو بن الزبير ، وابنها عمرو بن الزبير ، ومولاها عبد الله بن كيسان ، ومرزوق الثقفي خادم عبد الله بن الزبير ، وأبو واقد الليثي ، وصفيّة بنت شيبة .

مَنْ حَفِظَ جَوَارِحَهُ فِي شَبَابِهِ مِنَ الذُّنُوبِ

حَفِظَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِبَرِهِ مِنَ الْعُيُوبِ

قَدْ بَلَغَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ مِنَ الْعُمُرِ مِائَةَ عَامٍ ، وَلَمْ يَسْقُطْ لَهَا سِنَّ وَلَا ضِرْسٌ ، وَلَمْ يَغِبْ مِنْ عَقْلِهَا شَيْءٌ .

وكان إذا أصيب إنسان بصداع تنصحه أن يضع يده على رأسه ويقول : بِذَنْبِي يَا رَبِّي وَيَعْفُو رَبِّي عَنْ كَثِيرٍ .

وهي تعني رضي الله عنها بهذا أن ما يصاب به الإنسان من أذى فسببه تقصيره في جنب

اللَّهُ ؛ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

فُرَّانٌ مُبِينٌ فِي حُسْنِ مُعَامَلَةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ الْمُسَالِمِينَ :

قَدِمَتْ قَتِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزَى عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ (وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ مَلَاقَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ) بِهَدَايَا ، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَهَا ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى أُخْتِهَا عَائِشَةَ ، سَلِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ النَّبِيَّ ﷺ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ لَا يَنْهَئُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ^(١) .

وَهَذَا دَرْسٌ عَظِيمٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَشَدِّدِينَ فِي مُحَارَبَةِ وَعَدَاوَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُسَالِمِينَ ؛ مَعَ أَنَّ التَّقَارُبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِيهِ فُرْصَةٌ لِدَعْوَتِهِمْ وَتَعْرِيفِهِمْ بِدِينِ الْحَقِّ .
عِنْدَمَا تَكُونُ الْإِنْسَانِيَّةُ عِزَّةً وَإِبَاءً :

وَإِذَا نَسِيَ التَّارِيخُ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ مَوَاقِفَهَا كُلَّهَا ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَى لَهَا رَجَاحَةَ عَقْلِهَا ، وَشِدَّةَ حَزْمِهَا ، وَفُورَةَ إِيمَانِهَا وَهِيَ تَلْقَى وَلَدَهَا عَبْدَ اللَّهِ اللَّقَاءَ الْأَخِيرَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَدَانَتْ لَهُ الْحِجَازُ ، وَمِصْرُ ، وَالْعِرَاقُ ، وَخُرَاسَانُ ، وَأَكْثَرُ بِلَادِ الشَّامِ .

لَكِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ مَا لَبِثُوا أَنْ سَيَّرُوا لِحَرْبِهِ جَيْشًا لَجِبًا ^(٢) بِقِيَادَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ ؛ فَدَارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَعَارِكُ طَاحِنَةٌ أَظْهَرَ فِيهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ ضُرُوبِ الْبُطُولَةِ مَا يَلِيْقُ بِفَارِسِ كَمِيٍّ ^(٣) مِثْلِهِ ؛ غَيْرَ أَنَّ أَنْصَارَهُ جَمَلُوا يَنْفُضُونَ ^(٤) عَنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا ؛ فَلَجَأَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَاحْتَمَى هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي حِمَى الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ .

وَقَبِيلُ مِصْرَعِهِ بِسَاعَاتٍ دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ وَكَانَتْ عَجُوزًا قَدْ أَوْشَكَتْ عَلَى الْمِائَةِ مِنْ عُمْرِهَا ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَتْ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ... مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَالصُّخُورُ الَّتِي تَقْدِفُهَا مَنْجَنِيقاتُ ^(٥) الْحَجَّاجِ عَلَى جُنُودِكَ فِي الْحَرَمِ تَهْرُؤُ دُورِ مَكَّةَ هَذَا ؟

(١) سُورَةُ الْمُتَحَنَّنَةِ : الْآيَةُ ٨ .

(٢) جَيْشًا لَجِبًا : جَيْشًا كَثِيفًا جَرَّارًا .

(٣) الْكَمِيُّ : الْبَطَلُ الشَّجَاعُ .

(٤) يَنْفُضُونَ عَنْهُ : يَقْرَءُونَ عَنْهُ .

(٥) الْمَنْجَنِيقاتُ : جَمْعُ مَنْجَنِيْقٍ ؛ وَهُوَ آلَةٌ حَرْبِيَّةٌ كَانَتْ تُقْدِفُ بِهَا الصُّخُورُ وَتَحْوِمُهَا عَلَى الصَّمَائِلِ وَالْحُصُونِ .

قال : جئتُ لأستشيرَكَ .

قالت : تستشيرُنِي لا ... في ماذا ؟

قال : لقد خذلني الناسُ وأنحازوا عني رهبةً من الحجاجِ أو رغبةً بما عندهُ ؛ حتى أولادي وأهلي انفضوا^(١) عني ، ولم يبقَ معي إلا نفرٌ قليلٌ من رجالي ، وهم مهما عظم جدهم^(٢) فلن يصبروا إلا ساعةً أو ساعتين ، ورسلُ بني أميةٍ يفاوضونني على أن يعطوني ما شئتُ من الدنيا إذا أقيتُ السلاحَ وبايعتُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ ، فما ترين ؟

فَعَلَا صَوْتُهَا وَقَالَتْ : الشَّانُ شَانُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ ، وَتَدْعُو إِلَى حَقٍّ ، فَاصْبِرْ وَجَالِدْ كَمَا صَبَرَ أَصْحَابُكَ الَّذِينَ قُتِلُوا تَحْتَ رَايَتِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَلْيَبْسُ الْعَبْدُ أَنْتَ ؛ أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ ، وَأَهْلَكَتَ رَجَالَكَ .

قال : ولكني مقتولٌ اليومَ لا محالةً .

قالت : ذلك خيرٌ لكَ من أن تُسلمَ نفسكَ للحجاجِ مُختاراً ، فيلعبَ برأسِكَ غلمانُ بني أميةٍ .

قال : لستُ أخشى القتلَ ، وإنما أخافُ أن يمثّلوا بي .

قالت : ليسَ بعدَ القتلِ ما يخافُهُ المرءُ ، فالشاةُ المذبوحةُ لا يؤلمها السلخُ .

فَأَشْرَقَتْ أَسَارِيرُ^(٣) وَجْهِهِ ، وَقَالَ : بُورِكَتِ مِنْ أُمَّ ، وَبُورِكَتِ مَنَاقِبُكَ^(٤) الْجَلِيلَةُ ، فَأَنَا مَا جِئْتُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَسْمَعَ مِنْكَ مَا سَمِعْتُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّي مَا وَهَنْتُ وَلَا ضَعُفْتُ ، وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَيَّ أَنَّي مَا قُمْتُ بِمَا قُمْتُ بِهِ حُبًّا بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، وَإِنَّمَا غَضَبًا لِلَّهِ أَنْ تُسْتَبَاحَ مَحَارِمُهُ ؛ وَهَآنَذَا مَاضٍ إِلَيَّ مَا تُحِبِّينَ ، فَإِذَا أَنَا قَتَلْتُ فَلَا تَحْزَنِي عَلَيَّ وَسَلِّمِي أَمْرَكَ لِلَّهِ .

قالت : إنما أحزنُ عليكَ لو قتلْتُ في باطلٍ .

قال : كوني على ثقةٍ بأنَّ ابنكَ لم يتعمدْ إتيانَ منكِرٍ قطُّ ، ولا عملَ بِفاحِشةٍ قطُّ ،

(٢) جدهم : صبرهم واحتمالهم .

(٤) مناقبك : خصالك وشمائلك .

(١) انفضوا : تفرقوا .

(٣) أسارير وجهه : محاسن وجهه .

وَلَمْ يَجْرُ فِي حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَغْدُرْ فِي أَمَانٍ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهِدٍ^(١) ،
 وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرٌ^(٢) مِنْ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَا أَقُولُ ذَلِكَ تَزْكِيَةً لِنَفْسِي ،
 فَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنِّي بِي ، وَإِنَّمَا قُلْتُهُ لِأَدْخُلَ الْعِزَاءَ^(٣) عَلَى قَلْبِكَ .
 فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ عَلَى مَا يُحِبُّ وَأُحِبُّ ؛ اقْتَرَبُ مِنِّي يَا بُنَيَّ لِأَتَشَمَّ^(٤)
 رَائِحَتَكَ وَأَلْمَسَ جَسَدَكَ فَقَدْ يَكُونُ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ .
 فَأَكَبَّ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى يَدَيْهَا وَرَجَلَيْهَا يُوسِعُهُمَا لَثْمًا^(٥) ، وَأَجَالَتْ هِيَ أَنْفَهَا فِي رَأْسِهِ
 وَوَجْهَهُ وَعُنُقَهُ تَتَشَمَّمُهُ وَتُقَبِّلُهُ ، وَأَطْلَقَتْ يَدَيْهَا تَتَلَمَّسُ جَسَدَهُ ، ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ رَدَّتَهُمَا
 عَنْهُ وَهِيَ تَقُولُ : مَا هَذَا الَّذِي تَلْبَسُهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ .
 قَالَ : دِرْعِي .

قَالَتْ : مَا هَذَا يَا بُنَيَّ لِيَأْسُ مَنْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ .
 قَالَ : إِنَّمَا لَبِسْتُهَا لِأَطِيبَ خَاطِرَكَ ، وَأُسْكِنَ قَلْبَكَ .
 قَالَتْ : أَنْزَعَهَا عَنْكَ ؛ فَذَلِكَ أَشَدُّ لِحْمِيَّتِكَ^(٥) وَأَقْوَى لَوَثْبَتِكَ ، وَأَخْفُ لِحَرَكَتِكَ ،
 وَلَكِنْ الْبَسْتُ بَدَلًا مِنْهَا سَرَاوِيلَ مُضَاعَفَةً^(٦) ، حَتَّى إِذَا صُرِعْتَ لَمْ تَتَكْشِفْ عَوْرَتَكَ .
 نَزَعَ عَبْدُ اللَّهِ بِنَ الْزُبَيْرِ دِرْعَهُ ، وَشَدَّ عَلَيْهِ سَرَاوِيلَهُ ، وَمَضَى إِلَى الْحَرَمِ لِمُوَاصَلَةِ
 الْقِتَالِ وَهُوَ يَقُولُ : لَا تَفْتَرِي عَنِ الدُّعَاءِ لِي يَا أُمَّاهُ .
 فَرَفَعَتْ كَفَّيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ قِيَامِهِ وَشِدَّةَ نَحْيِيهِ فِي
 سَوَادِ اللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامٌ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ جُوعَهُ وَظَمَاءَهُ فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَهُوَ
 صَائِمٌ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ بَرَّهُ بِأَبِيهِ وَأُمَّهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَلَمْتُهُ لِأَمْرِكَ ، وَرَضِيْتُ بِمَا
 قَضَيْتَ لَهُ ؛ فَأَثْبِنِي عَلَيْهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ .

لَمْ تَغْرُبْ شَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بِنَ الْزُبَيْرِ قَدْ لَحِقَ بِجَوَارِ رَبِّهِ ، وَلَمْ
 يَمُضْ عَلَى مَضْرَعِهِ غَيْرُ بَضْعَةٍ عَشْرَ يَوْمًا إِلَّا كَانَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَدْ
 لَحِقَتْ بِهِ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٧٣ هـ ؛ وَقَدْ بَلَغَتْ^(٦) مِنَ الْعُمُرِ مِائَةَ عَامٍ ، وَلَمْ يَسْقُطْ
 لَهَا سِنٌَّ وَلَا ضَرْسٌ ، وَلَمْ يَغِبْ مِنْ عَقْلِهَا شَيْءٌ .

(٢) آثَرٌ : أَفْضَلُ .

(١) الْمُعَاهِدُ : الذَّمِيُّ .

(٤) يُوسِعُهُمَا لَثْمًا ؛ يَمَلُّهُمَا تَقْبِيلًا .

(٣) الْعِزَاءُ : الصَّبْرُ .

(٦) مُضَاعَفَةٌ : مَكْوِيلَةٌ .

(٥) أَشَدُّ لِحْمِيَّتِكَ ؛ أَقْوَى لِنَحْوَتِكَ وَشَجَاعَتِكَ .

السَّيِّدَةُ / أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ رضي الله عنها

صاحِبَةُ الْهَجْرَتَيْنِ وَزَوْجَةُ ذِي الْجَنَاحَيْنِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ :

السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ؛ وَتَنْتَهِي إِلَى خَتَمِ الْخَنْعَمِيَّةِ ؛ وَأُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ زُهَيْرٍ .
وَكَانَتْ أُمُّهَا أَكْرَمَ النِّسَاءِ أَصْهَارًا :

● فَالْحَبِيبُ الْأَعْظَمُ رضي الله عنه زَوْجُ ابْنَتِهَا مَيْمُونَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنه .

● وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ؛ وَقَدْ خَلَفَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ جَعْفَرَ رضي الله عنه يَوْمَ مَوْتِهِ .

● وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه الَّذِي خَلَفَ الصِّدِّيقَ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

● وَحَمْرَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه زَوْجُ ابْنَتِهَا سَلْمَى ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه

زَوْجُ ابْنَتِهَا لُبَابَةَ الْكُبْرَى أُمَّ الْفَضْلِ ، وَمِنْ أَحْفَادِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه ؛ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ لِطَالِبٍ فَخْرٌ أَنْ يَسْتَرِيدَ ؟

سَبَقُهَا وَفَضَّلُهَا :

أَسْلَمَتْ أَسْمَاءُ رضي الله عنها قَبْلَ دُخُولِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ ، وَهَاجَرَ بِهَا

زَوْجُهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفُ بِجَعْفَرَ الطَّيَّارِ (ذِي الْجَنَاحَيْنِ) رضي الله عنه إِلَى الْحَبَشَةِ ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ هُنَاكَ : عَبْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّدًا وَعَوْنًا .

وَهَاجَرَتْ رضي الله عنها مَعَ زَوْجِهَا جَعْفَرَ رضي الله عنه هَجْرَتُهُمَا الثَّانِيَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سَنَةَ سَبْعِ هِجْرِيَّةٍ .

كَانَ جَعْفَرُ رضي الله عنه شَدِيدَ الْقُرْبِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله ؛ إِنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ ، وَهُوَ يُشَبِّهُهُ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ عَلَى يَدَيْهِ حِينَ وُجِدَ فِي الْحَبَشَةِ .

وَلَمَّا اسْتُشْهِدَ جَعْفَرُ فِي غَزْوَةِ مَوْتَةَ اسْتَسَلَمَتْ أَسْمَاءُ لِمَشِيئَةِ رَبِّهَا ، وَالتَّزَمَتْ بِقَوْلِ رَسُولِهَا صلَّى الله عليه وآله ، وَاعْتَصَمَتْ بِالصَّبْرِ مَرْضَاةً لِرَبِّهَا ، وَلَمَّا انْتَهَتْ عِدَّتُهَا ، تَقَدَّمَ لِخَطْبَتِهَا

أَعْظَمُ الصَّحَابَةِ قَدْرًا وَجَاهًا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ، فَتَزَوَّجَتْهُ وَأَنْجَبَتْ لَهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَمَّا اشْتَكَى سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ أَوْصَاهَا أَنْ تَغْسِلَهُ إِذَا مَاتَ وَأَنْ تُقَطِّرَ إِذَا كَانَتْ صَائِمَةً ؛

حَتَّى إِذَا تُوَفِّيَ رضي الله عنه غَسَلَتْهُ ، وَأَفْطَرَتْ لِتَفِيَّ بِعَهْدِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛ وَهَكَذَا طَبَعُ الْوَفَاءِ .

وَحِينَ حَلَّتْ ﷺ خَطَبَهَا فَارِسُ الْإِسْلَامِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا ؛ فَاثْنَقَلَّتْ
إِلَى دَارِهِ مَعَ بَنِي جَعْفَرٍ وَابْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَنْجَبَتْ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ يَحْيَى وَعَوْنًا ، وَفِي
رِوَايَةٍ : وَمُحَمَّدًا ، فَهِيَ ﷺ تُدْعَى أُمُّ الْمُحَمَّدِيِّينَ .

صَاحِبَةُ الْهَجْرَتَيْنِ بِشَهَادَةِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ ﷺ :

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ،
فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخْوَانِي لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ ؛ أَحَدُهُمَا : أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ
أَبُو رَهْمٍ ، (إِمَّا قَالَ بِضْعٍ وَإِمَّا قَالَ : ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ وَإِمَّا اثْنَانِ وَخَمْسُونَ رَجُلًا
مِنْ قَوْمِي) ، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَهُنَا وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ
فَأَقِيمُوا مَعَنَا ، قَالَ : فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا .

قَالَ : فَوَافَقَنَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا (أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا) ؛ وَمَا
قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا
مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَقَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النِّسَاءِ يَقُولُونَ لَنَا ،
يَعْنِي لِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ .

قَالَ : فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ (وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا) عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ
ﷺ زَائِرَةً وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى
حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا ، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ : مَنْ هَذِهِ ؟ ، فَقَالَتْ : أَسْمَاءُ
بِنْتُ عُمَيْسٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ ؟ ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : نَعَمْ .
فَقَالَ عُمَرُ : سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ فَتَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ :
كَلَّا يَا عُمَرُ وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ وَيَعْطُ هَالِكَكُمْ وَكُنَّا فِي
دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبُعْدِ بِالْحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّمِ اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، وَأَسْأَلُهُ ، وَاللَّهُ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

فَمَا قُلْتُ لَهُ ؟ ، قَالَتْ : قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ
 وَلَهُ وَالْأَصْحَابِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هَجْرَتَانِ ، قَالَتْ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا
 مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونَنِي أَرْسَالًا لِيَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ : مَا مِنَ الدُّنْيَا
 شَيْءٌ هُمْ أَفْرَحُ بِهِ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ (١) .
 ابْتِكَارُهَا وَإِبْدَاعُهَا ﷺ :

عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ : إِنِّي
 اسْتَقْبِحُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ ؛ يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثُّوبُ بَعْدَ وَقَاتِهَا فَيَصِفُهَا ، قَالَتْ
 أَسْمَاءُ : يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَلَا أُرِيكِ شَيْئًا رَأَيْتَهُ بِالْحَبَشَةِ ؛ فَدَعَتُ بَجْرَائِدَ رَطْبَةَ
 فَحَنَّتْهَا ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلُهُ ، إِذَا
 مِتُّ فَفَسِّلِينِي أَنْتَ وَعَلِيٌّ وَلَا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ عَلَيَّ .

سُؤَالُهَا أَفَادَهَا وَأَفَادَ بَنَاتَ جَنْسِهَا :

فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ وَوَلَدَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ لِسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَوَلَدَهُ مُحَمَّدًا ، يَقُولُ
 سَيِّدُنَا جَابِرٌ فِي حَدِيثِ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ : حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ (٢) ، فَوَلَدَتْ
 أَسْمَاءُ بِنْتَ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ ؟
 قَالَ ﷺ : (اغْتَسِلِي وَاسْتَقْفِرِي بِثَوْبٍ ، وَأَحْرِمِي) (٣) .

فَصَاحَتُهَا وَرِجَاحَةُ عَقْلِهَا :

فِي بَيْتِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَزَوْجَتِهِ أَسْمَاءَ ، وَفِي إِحْدَى الْجَلَسَاتِ الْعَائِلِيَّةِ تَفَاخَرَ ابْنَاهَا
 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ (وَهُمَا طِفْلَانِ) ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمَا : أَنَا أَكْرَمُ
 مِنْكَ وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ ، فَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ لَهَا : اقْضِي بَيْنَهُمَا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ
 شَابًّا مِنَ الْعَرَبِ خَيْرًا مِنْ جَعْفَرٍ ، وَلَا رَأَيْتُ كَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ الْإِمَامُ
 عَلِيُّ : مَا تَرَكَتِ لَنَا شَيْئًا ، وَلَوْ قُلْتُ غَيْرَ الَّذِي قُلْتَ لَمَقَّتْكَ (٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِي (بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ) ، وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ جَعْفَرٍ وَأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ وَأَهْلِ
 سَفِينَتِهِمْ ﷺ) .

(٢) ذُو الْحُلَيْفَةِ : مِيقَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى الْآنَ أَبَارَ عَلِيٍّ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ ، لَمَقَّتْكَ : لَأَبْغُضْتُكَ .

عِلْمُهَا وَصَلَاحُهَا :

وَكَانَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ رِعَايَتِهَا لِأَوْلَادِهَا وَطَاعَتِهَا لِزَوْجِهَا إِحْدَى رَاوِيَاتِ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَتْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ، وَإِصْلَاحِ النَّفْسِ وَإِصْلَاحِ الْبَيْتِ .
وَزِيَادَةً عَلَى هَذِهِ الْفَضَائِلِ ؛ فَقَدْ كَانَتْ مُعَلِّمَةً وَدَاعِيَةً حَيْثُ نَشَرَتْ عِلْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَقَّاهُ عَنْهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَبَعْضُ التَّابِعِينَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ ابْنِهَا ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَهَكَذَا جَمَعَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَإِصْلَاحِ الْأُسْرَةِ وَتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ وَالدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .



السَّيِّدَةُ / أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هِيَ الرُّمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ وَالْخَزْرَجِيَّةُ وَيُقَالُ الرُّمَيْصَاءُ وَيُقَالُ اسْمُهَا سَهْلَةٌ ؛ وَاشْتَهَرَتْ بِكُنْيَتِهَا (أُمُّ سُلَيْمٍ) .

إِسْلَامُهَا وَقُوَّةُ يَقِينِهَا :

كَانَتْ الرُّمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ (حِينَ أَهَلَ الْإِسْلَامُ بِنُورِهِ عَلَى الْأَرْضِ) تَخْطُو نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَكَانَ زَوْجُهَا وَابْنُ عَمِّهَا مَالِكُ بْنُ النَّضْرِ (الَّذِي أَنْجَبَتْ مِنْهُ ابْنَهُمَا أَنْسَاءً) يُسْبِغُ عَلَيْهَا مِنْ وَارِفِ حُبِّهِ ، وَظَلِيلِ وِدَادِهِ مَا مَلَأَ حَيَاتِهَا نَضْرَةً وَرَعْدًا^(١) ، وَكَانَ أَهْلُ يَثْرِبَ (الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ) يَغْبِطُونَ الزَّوْجَ السَّعِيدَ عَلَى مَا تَتَجَلَّى بِهِ عَقِيلَتُهُ مِنْ رَجَاحَةِ الْعَقْلِ ، وَبُعْدِ النَّظَرِ ، وَحُسْنِ التَّبَعْلِ^(٢) .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ الْخَالِدَةِ نَفَذَ إِلَى (يَثْرِبِ) مَعَ الدَّاعِيَةِ الْمَكِّيِّ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ^(٣) أَوَّلُ شُعَاعٍ مِنْ أَشْعَةِ الْهَدَايَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، فَتَفَتَّحَ لَهُ قَلْبُ الرُّمَيْصَاءِ ، فَمَا لَبِثَتْ أَنْ أَعْلَنَتْ إِسْلَامَهَا يَوْمَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ (فِي الْمَدِينَةِ) يُعَدُّونَ عَلَى الْأَصَابِعِ .
ثُمَّ دَعَتْ الزَّوْجَةَ الْوَفِيَّةَ زَوْجَهَا لِيَنْهَلَ مَعَهَا مِنْ هَذَا الْمَنْهَلِ الْإِلَهِيِّ الْعَذْبِ الطَّهْوَرِ ، وَيَحْظَى بِمَا حَظِيَّتْ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ الْإِيمَانِ ؛ لَكِنَّ مَالِكَ بْنَ النَّضْرِ لَمْ يَشْرَحْ لِلدِّينِ الْجَدِيدِ صَدْرًا ، وَلَا طَابَ بِهِ نَفْسًا ، بَلْ إِنَّهُ دَعَا زَوْجَهُ بِالْمُقَابِلِ إِلَى الرَّجُوعِ عَنِ

(١) الرَّعْدُ : الْغَيْشُ الْوَاسِعُ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا تَمَسُّ فِيهِ .

(٢) التَّبَعْلُ : أَدَاءُ حَقِّ الزَّوْجِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ .

(٣) مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ ؛ أَحَدُ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ الْمُبَشِّرِينَ بِهِ خَارِجَ مَكَّةَ ، اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ .

الإسلام والعودة إلى دين الآباء والأجداد ، وتشبَّث كلُّ من الزَّوجين بموقفه ،
فالرُّميصاءُ تَكَرَّهُ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ كَمَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي
النَّارِ ، وَمَالِكٌ يَتَعَصَّبُ لِذَيْنِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ فِي عِنَادٍ .

وَكَانَتْ الرُّميصاءُ تَمْلِكُ مِنْ قُوَّةِ الْحُجَّةِ مَا تُفْجِمُ^(١) بِهِ زَوْجَهَا ، وَكَانَ فِي دَعْوَتِهَا مِنْ
نُورِ الْحَقِّ مَا يَفْضَحُ بِاطْلَعِ الْوَاهِي^(٢) الْمُتَهَابِتِ^(٣) :

كَانَ لِمَالِكٍ صَنْمٌ مِنْ خَشَبٍ يَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَكَانَتْ تُحَاجُّهُ فِي أَمْرِهِ قَائِلَةً :
أَتَعْبُدُ جِدْعَ شَجَرَةٍ نَبَتَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي تَطَوُّهَا بِقَدَمَيْكَ ، وَتَرْمِي فِيهَا فَضْلَاتِكَ ؟
أَتَدْعُو (مِنْ دُونِ اللَّهِ) خَشْبَةً نَجَرَهَا لَكَ حَبَشِيٌّ مِنْ صُنَاعِ الْمَدِينَةِ ؟

وَلَمَّا ضَاقَ الزَّوْجُ ذَرْعاً بِحُجَجِ زَوْجَتِهِ الدَّامِغَةِ^(٤) ؛ غَادَرَ الْمَدِينَةَ وَمَضَى هَائِماً عَلَى
وَجْهِهِ مُتَّجِهاً نَحْوَ بِلَادِ الشَّامِ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ هُنَاكَ قَلِيلاً حَتَّى هَلَكَ .
أُمُّ سُلَيْمٍ مَهْرُهَا الْإِسْلَامُ :

وَمَا إِنْ شَاعَ فِي الْمَدِينَةِ خَبْرُ تَرْمَلِ الرُّميصاءِ حَتَّى تَشَوَّقَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى
الِاقْتِرَانِ بِهَا ، لَوْلَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْشَوْنَ أَنْ تَرُدَّهُمْ خَائِبِينَ لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ مِنَ
الِاخْتِلَافِ فِي الدِّينِ ؛ غَيْرَ أَنَّ زَيْدَ بْنَ سَهْلٍ الْمَكْنِيَّ بِ(أَبِي طَلْحَةَ) أَطْمَعُهُ فِي
رِضَايَا بِهٍ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ رَوَابِطِ الْقُرْبَى ؛ فَكَلَاهُمَا مِنْ بَنِي النَّجَّارِ .
مَضَى أَبُو طَلْحَةَ إِلَى بَيْتِ الرُّميصاءِ وَخَاطَبَهَا بِكُنْيَتِهَا قَائِلاً : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، لَقَدْ
جِئْتُكَ خَاطِباً ؛ فَأَرْجُو أَلَّا أُرَدَّ خَائِباً .

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَرُدُّ يَا أَبَا طَلْحَةَ ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ ، وَلَا
يَجِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ ، فَإِنْ تُسَلِّمَ فَذَلِكَ مَهْرِي وَلَا أُرِيدُ مِنْكَ صَدَاقاً غَيْرَ الْإِسْلَامِ .
فَقَالَ : دَعِينِي حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي وَمَضَى ... وَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَادَ إِلَيْهَا وَقَالَ : أَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
فَقَالَتْ : أَمَا وَإِنَّكَ قَدْ أَسْلَمْتَ ؛ فَقَدْ رَضَيْتُكَ زَوْجاً ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : مَا سَمِعْنَا
بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهراً مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ إِذْ كَانَ مَهْرُهَا الْإِسْلَامَ .

(٢) الواهي : الضَّيْفُ .

(١) ما تُفْجِمُ : مَا تُسَكِّتُ بِهِ زَوْجَهَا مِنَ الدَّلِيلِ وَالْبَرْهَانِ .

(٤) الدَّامِغَةُ : الَّتِي لَا يَجِدُ الْغَضْمُ عَنْهَا جَوْلًا .

(٣) الْمُتَهَابِتُ : السَّاقِطُ الْمُتَدَاعِي .

أُمُّ سُلَيْمٍ تَهَبُ ابْنَهَا لِلْخِدْمَةِ : فَخَدَمَهُ الْمَالُ وَالسَّعْدُ وَالْبُنُونُ :

جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ بِابْنِهَا وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَنْسٌ خَادِمٌ لِيَبِّبُ يَخْدِمُكَ ؛ وَهَبْتُهُ لَكَ فَادْعُ لَهُ ، فَقَبِلَهُ ﷺ وَقَالَ :

(اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ) ^(١) .

قَالَ أَنْسٌ : (هُوَ اللَّهُ إِنْ مَالِي لَكَثِيرٌ ، وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَصَابَ مِنْ رِخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ الْيَوْمَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مِائَةً مِنْ وَلَدِي ، لَا أَقُولُ سِقْطًا ، وَلَا وَلَدَ وَلَدٍ) ^(٢)

الاسْتِسْلَامُ لِذِي الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ مِفْتَاحُ الْعَطَايَا الْجِسَامِ :

نِعَمَ أَبُو طَلْحَةَ بِمَا كَانَتْ تَتَحَلَّى بِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مِنْ كَرِيمِ الشَّمَائِلِ ، وَنَبِيلِ الْخِصَالِ ، ثُمَّ زَادَهُ سَعَادَةً بِهَا أَنَّهَا وَضَعَتْ لَهُ غُلَامًا غَدَا فُرَّةَ عَيْنِهِ ، وَفَرَحَةَ قَلْبِهِ ، لَكِنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ يَتَأَهَّبُ لِسَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ اشْتَكَى الطِّفْلُ الصَّغِيرُ مِنْ عِلَّةٍ أَلَمَتْ بِهِ ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا كَادَ يَصْرِفُهُ عَنِ السَّفَرِ .

وَفِي غَيْبَتِهِ الْقَصِيرَةِ ذُوِي ^(٣) الْغُضَنِ النَّضِيرِ ^(٤) ، ثُمَّ وُورِيَ الثَّرَى ^(٥) ، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ لِأَهْلِهَا : لَا تُخْبِرُوا أَبَا طَلْحَةَ بِمَوْتِ ابْنِهِ حَتَّى أَخْبِرَهُ أَنَا .

عَادَ أَبُو طَلْحَةَ مِنْ رِحْلَتِهِ فَتَلَقَّتْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ هَاشَةً بِأَشَّةٍ فَرِحَةً مُسْتَبْشِرَةً ؛ فَبَادَرَهَا بِالسُّؤَالِ عَنِ الصَّبِيِّ ، فَقَالَتْ : دَعَهُ فَإِنَّهُ الْآنَ أَسْكَنَ مَا عَرَفْتَهُ .

ثُمَّ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ ، وَجَعَلَتْ تُؤْنِسُهُ وَتُدْخِلُ عَلَى قَلْبِهِ السُّرُورَ ، ثُمَّ تَصَنَعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ؛ فَوَقَعَ بِهَا ، فَلَمَّا وَجَدَتْ أَنَّهُ شَبِعَ وَأَصَابَ قَالَتْ لَهُ :

يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا قَوْمًا عَارِيَةً ^(٦) فَسَأَلُوهُمْ إِيَّاهَا أَكَانَ لَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟

قَالَ : لَا .

(٢) الشُّفَا : الْقَاضِي عِيَاضُ .

(٤) النَّضِيرُ : الْحَسَنُ الْجَوِيلُ .

(٦) عَارِيَةٌ : الشَّيْءُ الْمُسْتَعَارُ الَّذِي يَجِبُ رَدُّهُ (أَمَانَةٌ) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(٣) ذُوِي : ذُبُلٌ وَضَعْفٌ .

(٥) وُورِيَ الثَّرَى : دُفِنَ فِي الثُّرَابِ .

قَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَدَّ مِنْكَ مَا وَهَبَ ، فَاحْتَسِبْ وَلَدَكَ عِنْدَهُ ؛ فَتَلَقَى أَبُو طَلْحَةَ قَضَاءَ اللَّهِ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ .

وَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَدَعَا لَهُ وَلَهَا بِأَنْ يِعْوِضَهُمَا اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا فَقَدَاهُ ، وَأَنْ يُبَارِكَ لهُمَا فِي الْعِوَضِ ؛ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَحَمَلَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ ، وَلَمَّا أَتَمَّتْ حَمْلَهَا كَانَتْ عَائِدَةً إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ سَفَرِ هِيَ وَزَوْجُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَاءَهَا الْمَخَاضُ فَتَوَقَّفَ أَبُو طَلْحَةَ مَعَهَا ، وَمَضَى النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ يُرِيدُ دُخُولَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، فَرَفَعَ أَبُو طَلْحَةَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : إِنَّكَ لَتَتَعَلَّمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ ، وَأَنْ أَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدْ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَرَى .

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا أَبَا طَلْحَةَ إِنِّي - وَاللَّهِ - لَا أَجِدُ مِنْ أَلَمِ الْمَخَاضِ بِهَذَا الْمَوْلُودِ مَا كُنْتُ أَجِدُهُ مِنْ قَبْلُ ، فَاَنْطَلِقْ بِنَا وَلَا تَتَأَخَّرْ عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا بَلَّغَا الْمَدِينَةَ وَضَعَتْ حَمْلَهَا ، فَإِذَا هُوَ غُلَامٌ ، فَقَالَتْ لِمَنْ حَوْلَهَا : لَا يُرِضِعُهُ أَحَدٌ قَبْلَ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ حَمَلَهُ إِلَيْهِ أَخُوهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ^(١) ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ مُقْبِلًا ، قَالَ : (لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ) .

فَقَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... وَوَضَعَ الْغُلَامَ فِي حِجْرِهِ ، فَدَعَا بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوِ الْمَدِينَةِ وَلَاكَهَا فِي فَمِهِ الشَّرِيفِ حَتَّى ذَابَتْ ، وَوَضَعَهَا فِي فَمِ الصَّبِيِّ ، فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُهَا ^(٢) ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (انظروا إلى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمَرِ) ، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ ﷺ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ ^(٣) ؛ فَجَاءَ مِنْ صُلْبِهِ عَشْرَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ الْأَخْيَارِ .

(١) أَنَسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ ؛ خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَقَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ وَرَوَى عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثَالَ الْأَحَادِيثِ .

(٢) يَتَلَمَّظُهَا : أَي يَتَتَبَعُ لِبَسَائِغِهَا وَيَبْتَغِيهَا وَيَمَسُّحُ بِهَا شَفْتَيْهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَعْبُوتِ ، وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أُمِّ سُلَيْمٍ أُمَّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) .

الرَّمِيصَاءُ وَمِفْتَاحُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُمَّ سُلَيْمٍ فَصَلَّى فِي بَيْتِهَا تَطَوُّعاً وَقَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِذَا صَلَّيْتَ الْمَكْتُوبَةَ فَقُولِي : سُبْحَانَ اللَّهِ عَشْرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَشْرًا ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَشْرًا ؛ ثُمَّ سَلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شِئْتَ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَكَ : نَعَمْ نَعَمْ نَعَمْ .

عَرَفَهُ صلى الله عليه وسلم يُطِيبُ الطَّيِّبَ :

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَكْرِيمِهِ صلى الله عليه وسلم لِأُمِّ سُلَيْمٍ مَا حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُهَا أَنَسٌ ، قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ (لِأَنَّهَا كَانَتْ مَحْرَمًا لَهُ ؛ فَهِيَ خَالَةٌ لِأَبِيهِ وَكَانَتْ أُمُّ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ) ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَائِمًا فِي بَيْتِنَا ذَاتَ نَهَارٍ ؛ وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا ، فَأَخَذَ الْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ ، وَجَعَلَتْ تَسْلُتُ فِيهَا الْعَرَقَ فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ : (مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ) ؟

قَالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ أَجْمَعُهُ وَأَجْعَلُهُ فِي طِبِينَا ، فَيَغْدُو أَطِيبَ الطَّيِّبِ .
قَالَ صلى الله عليه وسلم : (أَصَبْتَ) ^(١) .

● فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ الْمَادِيَّةِ ، فَكَيْفَ بِالتَّوَسُّلِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ جَلَّالُهُ ؟ وَكَيْفَ بِالتَّوَسُّلِ بِكَوْنِهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ؟
وَالثَّابِتُ عِنْدَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِصَحِيحِ الْفَهْمِ : أَنَّ التَّوَسُّلَ وَالتَّبَرُّكَ كَلِمَتَانِ تَدُلَّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ التَّمَسُّسُ بِالْخَيْرِ وَالتَّبَرُّكُ عَنِ طَرِيقِ التَّوَسُّلِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَنْ التَّوَسَّلَ بِجَاهِهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ اللَّهِ وَالتَّوَسَّلَ بِآثَارِهِ أَوْ ثِيَابِهِ كُلُّهَا دَاخِلَةٌ تَحْتَ نَوْعٍ شَامِلٍ هُوَ مُطْلَقُ التَّوَسُّلِ الَّذِي ثَبَتَ حُكْمُهُ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ .
رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ ؛ يُدَاعِبُ ابْنَهَا أَبَا عُمَيْرٍ :

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْظِمُ أُمَّ سُلَيْمٍ وَيُقَدِّرُهَا وَكَانَ يُكْتَرُ مِنْ زِيَارَتِهَا ، وَيَأْكُلُ عِنْدَهَا ، وَيَقِيلُ فِي بَيْتِهَا ؛ فَقَدْ رَوَى أَنَسٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَزُورُ أُمَّ سُلَيْمٍ فَتَنْحِفُهُ بِالشَّيْءِ تَصْنَعُهُ لَهُ ، قَالَ أَنَسٌ : وَأَخٌ لِي أَصْفَرُ مِنِّي يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ ، فَزَارَنَا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (بَابُ طِبِّ عَرَقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَالتَّبَرُّكِ بِهِ) .

النَّبِيُّ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ : (يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، مَا شَأْنِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ ابْنِكَ خَائِرَ النَّفْسِ) ، فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَاتَتْ صَعْوَةٌ لَهُ كَانَ يَلْعَبُ بِهَا ، قَالَ : فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ رَأْسَهُ ، وَيَقُولُ : (يَا أَبَا عُمَيْرٍ : مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ ^(١)) .

الرَّمِيصَاءُ وَبِشَارَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ :

وَلَمْ تَقْتَصِرْ خِصَالُ أُمِّ سُلَيْمٍ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُؤْمِنَةً رَاسِخَةً الْإِيمَانِ ، عَاقِلَةً وَافِرَةً الْعَقْلِ ، زَوْجًا وَأَمًّا مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ مُجَاهِدَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَلَكُمْ مَلَآتُ رِثَتَيْهَا مِنْ غِبَارِ الْمَعَارِكِ الْعَبِيقِ ^(٢) بِطُيُوبِ الْجَنَّةِ ۖ وَخَضَّبَتْ ^(٣) أَنْامِلَهَا مِنْ جِرَاحِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَهِيَ تَمْسَحُهَا بِيَدَيْهَا وَتُحَكِّمُ عَلَيْهَا الضَّمَادَ ^(٤) ، وَلَكُمْ سَكَبَتِ الْمَاءَ فِي حُلُوقِ الْعِطَاشِ وَهُمْ يَجُودُونَ بِنَفْسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَحَمَلَتْ لَهُمُ الزَّادَ وَأَصْلَحَتِ السَّهَامَ .

لَقَدْ شَهِدَتْ غَزْوَةَ أُحُدٍ هِيَ وَزَوْجُهَا أَبُو طَلْحَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَابَّتْ هِيَ وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنهما عَلَى نَقْلِ قَرَبِ الْمَاءِ عَلَى ظَهْرَيْهِمَا وَإِفْرَاقِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، كَمَا شَهِدَتْ رضي الله عنهما غَزْوَةَ حُنَيْنٍ أَيْضًا ، وَقَدِ اتَّخَذَتْ لِنَفْسِهَا يَوْمَ ذَلِكَ خِنْجَرًا وَتَمَنُّطَقَتْ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ زَوْجَهَا أَبُو طَلْحَةَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : (مَا هَذَا يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ۖ) .

قَالَتْ : خِنْجَرٌ اتَّخَذْتُهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ ^(٥) بِهِ بَطْنَهُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ سُورًا بِمَا قَالَتْ .

كُلُّ هَذَا الْفَضْلِ تُوِّجَ بِبُشْرَى السَّعَادَةِ ؛ بُشْرَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ : الَّتِي أَسْأَلُهَا اللَّهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَقَرَّ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا خَشْفَةً ^(٦) ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ۖ ، قَالُوا : الرَّمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ^(٧)) .

(١) النُّغَيْرُ : طَائِرٌ صَغِيرٌ .

(٢) الْعَبِيقُ : الْمَضْمُخُ بِالطَّيْبِ .

(٣) خَضَّبَتْ : لَوَّنَتْ ، وَالْخِضَابُ : هُوَ الْجِنَاءُ .

(٤) الضَّمَادُ : مَا يَرْتَبُطُ بِهِ الْجُرْحُ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ .

(٦) خَشْفَةٌ : حَرَكَةٌ مَشْيٍ .

(٧) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ؛ وَمَنْ فَضَّلَ أُمَّ سُلَيْمٍ أُمَّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ .

السَّيِّدَةُ / أُمُّ عُمَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَأَسْمُهَا : نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ الْمَازِنِيَّةِ الْأَنْصَارِيَّةِ .

إِحْدَى اثْنَتَيْنِ بَايَعَتَا قُرَّةَ الْعَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

فِي الْمَوْسِمِ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ مِنْ بَعَثَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ حُجَّاجُ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرِ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُسْتَخْفِينَ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ وَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعَقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ لَيَالِي التَّشْرِيقِ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْمِيعَادِ بَاتُوا مَعَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَغْمُضْ لَهُمْ جَفْنٌ ... وَكَيْفَ لِحُفُونِهِمْ أَنْ تَغْمُضَ ١٩ .
وَقُلُوبُهُمْ تَخْفِقُ بَيْنَ فَرَحَةٍ بِاللِّقَاءِ الَّذِي قَطَعُوا مِنْ أَجْلِهِ الْفِيَاغِيِّ ^(١) وَالْقِفَارِ ^(٢) ، وَأَفْتَدَتْهُمْ تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ بَيْنِ ضُلُوعِهِمْ شَوْقًا لِرُؤْيَةِ نَبِيِّهِمُ الْحَبِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَقَدْ آمَنَ بِهِ أَكْثَرُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْعُدُوا بِلِقْيَاهُ ، وَتَعَلَّقُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَكْتَحِلَ أَعْيُنُهُمْ بِمَرَأَةٍ .

وَفِي آخِرِ الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، وَعِنْدَ (الْعَقَبَةِ) فِي (مِنَى) تَمَّ اللَّقَاءُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ قَرِيشٍ ؛ فَلَقَدْ تَقَدَّمَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِي يَدَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ مُبَايِعِينَ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ .

وَلَمَّا انْتَهَى الرَّجَالُ مِنَ الْبَيْعَةِ تَقَدَّمَتِ امْرَأَتَانِ فَبَايَعَتَا عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ الرَّجَالُ ، وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ مُصَافِحَةٍ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ ؛ وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَى هَاتَيْنِ الْمَرَاتَيْنِ تُعْرَفُ بِأُمِّ عُمَارَةَ وَهِيَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ ، أَمَّا الْأُخْرَى فَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ عَدِيِّ بْنِ يَاسِرِ الْأَنْصَارِيَّةِ (أُمُّ الصَّحَابِيِّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

أُمُّ عُمَارَةَ وَنَعِمَتِ الْبِشَارَةُ :

عَادَتْ أُمُّ عُمَارَةَ إِلَى (يَثْرِبَ) فَرِحَةَ بِمَا أَكْرَمَهَا اللَّهُ بِهِ مِنْ لِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ عَاقِدَةً الْعَزْمِ عَلَى الْوَفَاءِ بِشُرُوطِ الْبَيْعَةِ ، ثُمَّ مَضَتْ الْأَيَّامَ سَرِيعًا ، حَتَّى كَانَ يَوْمٌ (أَحَدٍ) ، وَكَانَ لِأُمِّ عُمَارَةَ فِيهِ شَأْنٌ وَأَيُّ شَأْنٍ ١٩ .

قَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ : خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى (أَحَدٍ) وَمَعِيَ سِقَاءٌ أَسْقِي مِنْهُ الْمُجَاهِدِينَ

(٢) الْقِفَارُ : الْأَرْضُ الْجَرْدَاءُ .

(١) الْفِيَاغِيُّ : الصَّخْرَاءُ الشَّابِنَةُ .

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، والدَّوْلَةُ وَالرَّيْحُ (١) لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ .

ثُمَّ مَا لَيْتَ أَنْ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الْعَشْرَةِ ، فَمَلْتُ إِلَيْهِ ﷺ أَنَا وَابْنِي وَزَوْجِي ؛ وَأَحَطْنَا بِهِ إِحَاطَةَ السَّوَارِ بِالْمَعْصَمِ ، وَجَعَلْنَا نَذُودَ عَنْهُ بِسَائِرِ مَا نَمْلِكُهُ مِنْ قُوَّةٍ وَسِلَاحٍ ، وَرَأَيْتِ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ وَلَا تُرْسَ مَعِيَ أَقْبَى بِهِنَّ نَفْسِي مِنْ ضَرْبَاتِ الْمُشْرِكِينَ ... ثُمَّ أَبْصَرَ ﷺ رَجُلًا مَوْلِيًّا (٢) وَمَعَهُ تُرْسٌ فَقَالَ لَهُ : (أَلَيْ تُرْسَكَ إِلَيَّ مِنْ يُقَاتِلُ) فَأَلْقَى الرَّجُلُ تُرْسَهُ وَمَضَى ... فَأَخَذْتُهُ وَجَعَلْتُ أَتُرْسُ بِهِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ .

وَمَا زِلْتُ أُضَارِبُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالسَّيْفِ وَأَرْمِي دُونَهُ بِالْقَوْسِ حَتَّى أَعْجَزْتَنِي الْجِرَاحُ . وَفِيمَا نَحْنُ كَذَلِكَ أَقْبَلَ (ابْنُ قَمَيْتَةَ) كَالْجَمَلِ الْهَائِجِ وَهُوَ يَصِيحُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ .

فَاعْتَرَضْتُ سَبِيلَهُ أَنَا وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَصَرَخَ مُضْعَبًا بِسَيْفِهِ وَأَزْدَاهُ قَتِيلًا ، ثُمَّ ضَرَبَنِي ضَرْبَةً خَلَفَتْ فِي عَاتِقِي جُرْحًا غَائِرًا ، فَضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعَانُ (٣) .

ثُمَّ اتَّبَعْتُ أُمَّ عُمَارَةَ تَقُولُ : وَفِيمَا كَانَ ابْنِي يُنَاضِلُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَرْبَهُ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ ضَرْبَةً كَادَتْ تَقْطَعُ عَضُدَهُ وَجَعَلَ الدَّمُ يَتَفَجَّرُ مِنْ جُرْحِهِ الْغَائِرِ ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَضَمَدْتُ جُرْحَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : أَنْهَضْ يَا بُنَيَّ وَجَالِدِ (٤) الْقَوْمَ ، فَانْتَقَتْ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : (وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عُمَارَةَ) ؟

ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلَ الَّذِي ضَرَبَ ابْنِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (هَذَا ضَارِبُ ابْنِكَ يَا أُمَّ عُمَارَةَ) ؛ فَمَا أَسْرَعَ أَنْ اعْتَرَضْتُ سَبِيلَهُ وَضَرَبْتُهُ عَلَى سَاقِهِ بِالسَّيْفِ ؛ فَسَقَطَ صَرِيحًا عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَقْبَلْنَا عَلَيْهِ نَتَعَاوَرُهُ (٥) بِالسُّيُوفِ وَنَطَعْنَاهُ بِالرَّمَاحِ حَتَّى أَجْهَزْنَا (٦) عَلَيْهِ ، فَانْتَقَتْ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ الْأَعْظَمُ مُبْتَسِمًا ، وَقَالَ : (لَقَدْ اقْتَصَصْتِ مِنْهُ يَا أُمَّ عُمَارَةَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَكَ بِهِ وَأَرَاكَ تَارِكًا بَعِينِكَ) .

(١) الدَّوْلَةُ : النَّصْرُ وَالنَّكْبُ ، وَالرَّيْحُ : الْقُوَّةُ .

(٢) الدَّرْعُ : قَوْبٌ مِنَ الْحَدِيدِ يَلْبَسُهُ الْمُحَارِبُ لِيَحْمِيَ صَدْرَهُ .

(٥) نَتَعَاوَرُهُ : نَضْرِبُهُ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ .

(٢) مَوْلِيًّا : فَأَرَا هَارِبًا .

(٤) الْمُجَالِدَةُ : الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ .

(٦) أَجْهَزْنَا عَلَيْهِ : قَضَيْنَا عَلَيْهِ وَأَهْلَكْنَاهُ .

لَمْ يَكُنْ وَكِدًا أُمَّ عُمَارَةَ أَقَلَّ شَجَاعَةً وَبَدَلًا مِنْ أُمَّهَا وَأَبِيهَا ، وَلَا أَدْنَى تَضْحِيَةٍ
وَفِدَاءٍ مِنْهُمَا ؛ فَالْوَكْدُ سِرُّ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصُورَةٌ صَادِقَةٌ عَنْهُمَا .

حَدَّثَ ابْنُهَا عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : شَهِدْتُ (أَحَدًا) مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ
النَّاسُ عَنْهُ دَنَوْتُ مِنْهُ أَنَا وَأُمِّي نَذْبُ^(١) عَنْهُ ، فَقَالَ : (ابْنُ أُمَّ عُمَارَةَ ٦) ، قُلْتُ :

نَعَمْ ، قَالَ ﷺ : (ارْمِ) ؛ فَرَمَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِحَجَرٍ فَوَقَعَ عَلَى
الْأَرْضِ ، فَمَا زِلْتُ أَعْلُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى جَعَلْتُ عَلَيْهِ مِنْهَا حِمْلًا ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ
إِلَيَّ وَيَبْتَسِمُ ، وَحَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فَرَأَى جُرْحَ أُمِّي عَلَى عَاتِقِهَا يَتَصَبَّبُ مِنْهُ الدَّمُ ،
فَقَالَ ﷺ : (أُمَّكَ أُمَّكَ ، اِعْصِبْ جُرْحَهَا ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ ، لِمَقَامِ
أُمَّكَ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتِ) .

فَالْتَقَمْتُ إِلَيْهِ أُمِّي وَقَالَتْ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ نُرَافِقَكَ فِي الْجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ ﷺ : (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ) .

فَقَالَتْ أُمِّي : مَا أَبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَصَابَنِي فِي الدُّنْيَا .

ثُمَّ عَادَتْ أُمَّ عُمَارَةَ مِنْ (أَحَدٍ) بِجُرْحِهَا الْغَائِرِ وَدَعْوَةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ لَهَا .

وَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ (أَحَدٍ) وَهُوَ يَقُولُ : (مَا التَّقْتُ يَوْمَ أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا
وَرَأَيْتُ أُمَّ عُمَارَةَ تُقَاتِلُ دُونِي) .

أُمَّ عُمَارَةَ وَفَضِيلَةَ الصَّدَارَةِ :

تَمَرَّسَتْ أُمَّ عُمَارَةَ يَوْمَ (أَحَدٍ) عَلَى الْقِتَالِ ؛ فَاتَّقَنَتْهُ ، وَذَاقَتْ حَلَاوَةَ الْجِهَادِ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمَا عَادَتْ تُطِيقُ عَنْهُ صَبْرًا ، وَقَدْ كُتِبَ لَهَا أَنْ تَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ أَكْثَرَ الْمَشَاهِدِ ؛ فَحَضَرَتْ مَعَهُ الْحُدَيْبِيَّةَ ، وَخَيْبَرَ ، وَعُمْرَةَ الْقَضَاءِ ، وَخُنَيْنًا ،

وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ .

التَّبَرُّكُ بِأَثَارِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ تَرْجَمَةُ مَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ :

وَلَمَّا كَانَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ (٦هـ) خَرَجَتْ أُمَّ عُمَارَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا أَرْسَلَ

الْحَبِيبُ الْأَعْظَمُ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَفِيرًا إِلَى قُرَيْشٍ لِيُؤَكِّدَ لَهُمْ مَوْفِقَهُ وَأَنَّهُ

(١) نَذْبٌ : نُدَافِعُ .

ما جاء لِحَرْبٍ أَبَدًا وَإِنَّمَا جَاءَ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ ، وَإِذَا بِقُرَيْشٍ تَحْتَسِسُ عُثْمَانَ (وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَتَشَاوَرُوا مَعَهُ فِي الْوَضْعِ الرَّاهِنِ) ، وَطَالَ الْاِحْتِبَاسُ ؛ فَشَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه قُتِلَ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَدَعَا أَصْحَابَهُ إِلَى بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ ، وَكَانَتْ أُمَّ عُمَارَةَ مِمَّنْ بَايَعَ الْحَبِيبَ الْأَعْظَمَ صلى الله عليه وسلم لِتَنَالِ الرِّضْوَانَ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الَّذِينَ حَضَرُوا تِلْكَ الْبَيْعَةَ :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ^(١)

● وَلَمَّا حَلَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَعْرَهُ ، تَسَابَقَ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم عَلَى شَعْرِهِ صلى الله عليه وسلم ، وَفَارَزَتْ أُمَّ عُمَارَةَ رضي الله عنها بِيَعْضِ تِلْكَ الشَّعْرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ وَاحْتَقَطَتْ بِهَا إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي حَيَاتِهَا .

أُمَّ عُمَارَةَ أَنْمُودَجَ لِلْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ الصَّادِقَةِ الصَّابِرَةِ :
كُلُّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَشَاهِدِ الَّتِي حَضَرَتْهَا أُمَّ عُمَارَةَ وَمَا أَظْهَرَتْهُ فِيهَا مِنْ رُوحِ التَّضْحِيَّةِ وَالِاسْتِبْسَالِ لَا يُعَدُّ شَيْئًا إِذَا قَبِسَ بِمَا كَانَ مِنْهَا يَوْمَ (الْيَمَامَةِ) عَلَى عَهْدِ الصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه .

تَبْدَأُ قِصَّةُ أُمَّ عُمَارَةَ مَعَ يَوْمِ (الْيَمَامَةِ) مُنْذُ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ابْنَهَا حَبِيبَ بْنَ زَيْدٍ بِرِسَالَةٍ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ؛ فَغَدَرَ مُسَيْلِمَةُ بِحَبِيبٍ وَقَتَلَهُ قِتْلَةً تَقْشَعِرُ مِنْهَا الْجُلُودُ ؛ ذَلِكَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ قَيْدَ حَبِيبًا ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ : نَعَمْ .

فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ : لَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ ... فَقَطَعَ مِنْهُ عَضْوًا ... ثُمَّ مَازَالَ مُسَيْلِمَةُ يُعِيدُ عَلَيْهِ السُّؤَالَ نَفْسَهُ ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْجَوَابَ نَفْسَهُ ، لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا يُنْقِصُ .

وَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقَطَعُ مِنْهُ عَضْوًا حَتَّى فَاضَتْ رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ مَا تَتْرَلُزُّ مِنْهُ الصُّمُّ الصَّلَابُ ^(٢) .

(٢) الصُّمُّ الصَّلَابُ : الصُّخُورُ الصَّلْبَةُ .

(١) سُورَةُ الْفَتْحِ : الْآيَةُ ١٨ .

نَعَى النَّاعِي حَبِيبَ بَنِ زَيْدٍ إِلَى أُمِّهِ أُمِّ عُمَارَةَ ، فَمَا زَادَتْ عَلَى أَنْ قَالَتْ :
 مِنْ أَجْلِ مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ أَعَدَدْتُهُ ، وَعِنْدَ اللَّهِ احْتِسَابُهُ ؛ لَقَدْ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ لَيْلَةَ
 الْعَقَبَةِ صَغِيرًا ، وَوَفَّى لَهُ الْيَوْمَ كَبِيرًا ، وَلَئِنْ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْ مُسَيْلِمَةَ لَأَجْعَلَنَّ بَنَاتِهِ
 يَلْطَمَنَّ الْخُدُودَ عَلَيْهِ .

لَمْ يُبْطِئِ الْيَوْمَ الَّذِي تَمَنَّتْهُ أُمُّ عُمَارَةَ كَثِيرًا ؛ حَيْثُ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فِي
 الْمَدِينَةِ أَنْ حَيَّ عَلَى قِتَالِ الْمُتَنَبِّئِ الْكُذَّابِ مُسَيْلِمَةَ ، فَمَضَى الْمُسْلِمُونَ يَحُثُّونَ
 الْخُطَا إِلَى لِقَائِهِ ، وَكَانَ فِي الْجَيْشِ أُمُّ عُمَارَةَ الْمُجَاهِدَةَ الْبَاسِلَةَ وَوَلَدَهَا عَبْدُ
 اللَّهِ بَنُ زَيْدٍ .

وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ وَحَمِي وَطَيْسُ^(١) الْمَعْرَكَةِ كَانَ يَتَرَصَّدُ لِمُسَيْلِمَةَ نَفَرٌ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أُمُّ عُمَارَةَ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَنْتَقِمَ لِابْنِهَا الشَّهِيدِ ، وَوَحْشِيُّ بَنُ
 حَرْبٍ قَاتِلُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمَزَةَ يَوْمَ (أُحُدٍ) ؛ فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ شَرَّ النَّاسِ
 وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَحَدَ أَخْيَارِ النَّاسِ وَهُوَ مُشْرِكٌ .

لَمْ تَسْتَطِعْ أُمُّ عُمَارَةَ أَنْ تَصِلَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ بَعْدَ أَنْ قُطِعَتْ يَدُهَا فِي الْمَعْرَكَةِ
 وَأَخْضَتْهَا^(٢) الْجِرَاحُ ، لَكِنَّ وَحْشِيَّ بَنُ حَرْبٍ ، وَأَبَا دُجَانَةَ صَاحِبَ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ وَصَلَا إِلَى مُسَيْلِمَةَ وَضْرِبَاهُ عَنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَقَدْ طَعَنَهُ وَحْشِيُّ بِالْحَرْبَةِ ، وَضْرَبَهُ
 أَبُو دُجَانَةَ بِالسَّيْفِ : فَخَرَّ صَرِيحًا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ .

عَادَتْ أُمُّ عُمَارَةَ بَعْدَ (الْإِمَامَةِ) إِلَى الْمَدِينَةِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ وَمَعَهَا ابْنُهَا الْوَحِيدُ ؛ أَمَّا
 يَدُهَا الْأُخْرَى فَقَدْ احْتَسَبَتْهَا^(٣) عِنْدَ اللَّهِ كَمَا احْتَسَبَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَدَهَا الشَّهِيدَ ، وَلَمْ
 لَا تَحْتَسِبُهُمَا ۱۶ .

أَلَمْ تَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ نُرَافِقَكَ فِي الْجَنَّةِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رِفَاقِي فِي الْجَنَّةِ) .

فَقَالَتْ ﷺ : مَا أَبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَصَابَنِي فِي الدُّنْيَا .

(١) الْوَطَيْسُ : التَّشْوَرُ (الْفُرْن) ، وَيُقَالُ حَمِي وَطَيْسُ الْمَعْرَكَةِ : انْتَهَبَتْ وَاشْتَدَّتْ .

(٢) أَخْضَتْهَا الْجِرَاحُ : أَوْهَنْتَهَا وَأَضْعَفَتْهَا .

(٣) احْتَسَبَتْهَا عِنْدَ اللَّهِ : طَلَبَتْ أَجْرَهَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ .

السَّيِّدَةُ / سَفَانَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

أَبُوهَا حَاتِمُ الطَّائِي ، وَأُمُّهَا مَاوِيَةُ بِنْتُ حَجْرٍ ، وَأَخُوهَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ؛ إِنَّهَا سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ سَلِيلَةُ الْكَرَمِ وَالْجُودِ ، وَالسَّخَاءِ غَيْرِ الْمَعْهُودِ .

حَاتِمُ الطَّائِي تَجَسَّدُ لِدُرُورَةِ الْعَطَاءِ الْإِنْسَانِي :

تُوَفِّيَ حَاتِمٌ قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ ، وَلَمْ تَكْتَلِجْ عَيْنَاهُ بِنُورِ الْإِسْلَامِ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي جُودِهِ فَرِيداً ، وَفِي سَخَائِهِ وَحِيداً ، وَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً ، وَهُوَ الْقَائِلُ لِغُلَامِهِ :

أَوْقَدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ ❊ وَالرَّيْحُ يَا غِلَامُ رِيحٌ صَرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ ❊ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ مَاوِيَةَ :

أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى ❊ إِذَا حَشْرَجْتَ نَفْسِي وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
إِذَا أَنَا دَلَانِي الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ ❊ لِمَلْحُودَةٍ زُلْجَ جَوَانِبُهَا غُبْرُ
وَرَأَحُوا عِجَالاً يَنْفُضُونَ أَكْفَهُمْ ❊ يَقُولُونَ قَدْ دَمَى أَنَامِلُنَا الْحَفْرُ

وَكَانَتْ مَاوِيَةُ تَلُومُ زَوْجَهَا حَاتِمًا عَلَى إِفْرَاطِهِ فِي الْبَدَلِ ، وَكَانَ يَرُدُّ عَلَيْهَا قَائِلًا :

وَقَائِلَةٌ أَهْلَكَ بِالْجُودِ مَا لَنَا ❊ وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا
فَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَتِي ❊ لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا

وَكَانَ حَاتِمٌ يَبْتَغِي فِي جُودِهِ وَجْهَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهَا هُوَ ذَا يَقُولُ :

فَلَوْ كَانَ مَا يُعْطِي رِيَاءً لَأَمْسَكَتُ ❊ بِهِ جَنَابَاتُ اللَّوْمِ يَجْذِبُنَّهُ جَذْبًا
وَلَكِنَّمَا يَبْتَغِي بِهِ اللَّهُ وَحْدَهُ ❊ فَأَعْطِ فَقَدْ أَرْبَحْتَ فِي الْبَيْعَةِ الْكُسْبَا

وَرُبَّمَا كَانَ يَتَصَوَّرُ جُوعاً ، لَكِنَّهُ لَا يُغَيِّرُ عَادَتَهُ فِي الْكَرَمِ الَّذِي أَرْضَعَتْهُ إِيَّاهُ أُمُّهُ ، فَقَدْ كَانَتْ أَسْوَتُهُ فِي السَّمَاحَةِ وَالْجُودِ ، وَلِنَسْمَعَهُ يُبَرِّرُ لَنَا سَبَبَ جُودِهِ ، وَهُوَ يَسْتَهَيُّ مَا يَبْذُلُهُ مِنَ الزَّادِ :

أَمَا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ ❊ وَيُحْيِي الْعِظَامَ الْبَيْضَ وَهِيَ رَمِيمٌ
لَقَدْ كُنْتُ أَطْوِي الْبَطْنَ وَالزَّادُ يُسْتَهَيُّ ❊ مَخَافَةَ يَوْمٍ أَنْ يُقَالَ لَتَيْمٌ

حَاتِمِ الطَّائِي تَعْبِيرٌ عَنِ السُّمُوِّ الْإِنْسَانِي :

وَلَمْ تَكُنْ هِمَّةٌ حَاتِمِ قَاصِرَةً عَلَى الْكَرَمِ وَحْدَهُ ؛ بَلْ كَانَ مُتَعَدِّدَ الْفَضَائِلِ ؛ فَهُوَ يُغْضُ بَصْرَهُ عَنْ جَارَاتِهِ ، وَإِذَا قَاتَلَ وَأَسْرَى يَمُنُّ عَلَى وَحِيدِ أُمِّهِ فَلَا يَقْتُلُهُ ، يَقُولُ لَامْرَأَتِهِ مَاوِيَةَ :

أَمَاوِيَّ إِنِّي رَبِّ وَاحِدِ أُمِّهِ * أَجَرْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ
وما ضَرَّ جَاراً يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ فاعْلَمِي * يُجَاوِرُنِي إِلَّا يَكُونُ لَهُ سِترُ
بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً * وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقُرُ
لَقَدْ غَضَّ بَصْرَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى جَارَاتِهِ ، وَكَفَّ سَمْعَهُ عَنْ أَحَادِيثِهِنَّ ، وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ
كُبْرَى دَعَا إِلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؛ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حَيْثُ قَالَ :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى
لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١)

فَمَا أَحْرَى الْمُسْلِمِ بِأَنْ يَغُضَّ بَصْرَهُ ، وَيُكْفَّ سَمْعَهُ ، وَيُمْسِكَ لِسَانَهُ عَنْ عَوْرَاتِ
الْمُسْلِمِينَ وَالْحَوْضِ فِي أَعْرَاضِهِمْ ؛ ، وَرَحِمَ اللَّهُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ الَّذِي قَالَ :

لِسَانُكَ لَا تَذْكَرُ بِهِ عَوْرَةَ امْرَأٍ * فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا * فَصُنْهَا وَقُلْ يَا عَيْنَ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

لَقَدْ أَنْجَبَتْ مَاوِيَةَ لِحَاتِمِ عَدِيًّا وَسَفَانَةَ ، وَلِنَسْتَمِعَ إِلَيْهَا تُحَدِّثُنَا عَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا
فِي إِحْدَى اللَّيَالِي ، قَالَتْ : أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ (أَي : مَجَاعَةٌ) فَأَذْهَبَتْ الْخُفَّ
وَالظُّلْفَ (أَي : الْبَعِيرَ وَالْبَقَرَ وَالشَّاءَ) ، فَاتَتْ لَيْلَةً قَدْ أَسْهَرْنَا فِيهَا الْجُوعَ ، فَأَخَذَ
حَاتِمٌ عَدِيًّا ، وَأَخَذَتْ سَفَانَةَ ، وَجَعَلْنَا نُعَلِّهُمَا حَتَّى نَمَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ يُحَدِّثُنِي
وَيُعَلِّنِي بِالْحَدِيثِ كَيْ أَنَامَ ، فَفَرَّقْتُ لَهُ لِمَا بِهِ مِنَ الْجَهْدِ ، فَأَمْسَكْتُ عَنْ كَلَامِهِ
لِيَنَامَ ، فَقَالَ لِي : أَنْتِ غِرَارٌ ؟ ، فَلَمْ أُجِبْ فَسَكَتَ ، فَتَنَظَرَ فِي فَتْقِ الْخِبَاءِ ، فَإِذَا
شَيْءٌ قَدْ أَقْبَلَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا امْرَأَةٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، قَالَتْ : يَا أَبَا سَفَانَةَ ،
أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ جِيَاعٍ يَتَعَاوُونَ كَالذُّنَّابِ جُوعاً ، فَقَالَ : أَحْضِرِينِي صَبِيَانِكَ ،

(١) سُورَةُ النُّورِ : الْآيَةُ ٣٠ .

فَوَاللَّهِ لَأَشْبِعَنَّهُمْ ، فَقُمْتُ سَرِيحاً فَقُلْتُ : بِمَاذَا يَا حَاتِمُ ؟ ، فَوَاللَّهِ مَا نَامَ أَوْلَادُكَ
 مِنَ الْجُوعِ إِلَّا بِالتَّلْعِيلِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَشْبِعَنَّ أَوْلَادَكَ مَعَ صَبْيَانِهَا .
 فَلَمَّا جَاءَتْ قَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَذَبَحَهَا ، ثُمَّ قَدَحَ نَاراً ، ثُمَّ أَجَّجَهَا ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهَا
 الشَّفْرَةَ ، فَقَالَ : اشْتَوِي وَكُلِي ، ثُمَّ قَالَ : أَبْقِظِي أَوْلَادَكَ ، فَأَيَّقَظْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ
 إِنَّ هَذَا لِلْوَمِّ ، تَأْكُلُونَ ، وَجِيرَانُنَا حَالُهُمْ مِثْلَ حَالِكُمْ ! فَجَعَلَ يَأْتِيهِمْ بَيْتاً بَيْتاً ، وَيَقُولُ :
 أَنْهَضُوا ، عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ ، فَاجْتَمَعُوا حَوْلَ تِلْكَ الْفَرَسِ ، وَتَقَنَّعَ بِكِسَائِهِ ، فَجَلَسَ نَاحِيَةً ،
 فَمَا أَصْبَحُوا ، وَمِنَ الْفَرَسِ عَلَى الْأَرْضِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا عَظُمَ وَحَافِرٌ ، وَإِنَّهُ لِأَشَدُّ
 جُوعاً مِنْهُمْ وَمَا ذَاقَهُ .

وَحِينَ دَنَتْ مِنْيْتُهُ قَالَ : إِنِّي أَعْهَدُكُمْ مِنْ نَفْسِي بِثَلَاثِ :
 مَا خَاثَلْتُ (أَي : مَا خَادَعْتُ) جَارَةً لِي قَطُّ أَرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، وَلَا أَوْتَمَنْتُ عَلَى
 أَمَانَةٍ إِلَّا قَضَيْتُهَا ، وَلَا أُصِيبَ أَحَدٌ مِنْ قِبَلِي بِسُوءٍ .

● أَفَلَا يَسْتَحِقُّ حَاتِمٌ هَذَا ثَنَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مُعَلِّمِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ كَافَّةً ،
 وَمَنْبَعِ الْمَكَارِمِ وَالْفَضَائِلِ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ؟ بَلَى ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، فَضِيماً كَانَ الْعَرَبُ
 مِنْ قَبِيلَةِ طِيٍّ يَهْتَمُونَ بِرِعْيِ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى الْقَبَائِلِ الْمُجَاوِرَةِ ،
 وَالْفَخْرَ بِأَمْجَادِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الشُّعْرِ ، كَانَ هُنَاكَ حَدِيثٌ عَنْ نُورِ يُوْشِكُ أَنْ يَخْرُجَ
 مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ .

مِحْنَةُ حَوْتٍ مِئْجَةٍ لِسَفَانَةَ :

كَانَتْ مَنَازِلُ طِيٍّ بَعِيدَةً عَنِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَأَشْرَقَ نُورُ الْإِسْلَامِ فِي أُمَّ الْقُرَى
 ثُمَّ شَاعَ وَفْشَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى يَثْرِبِ الَّتِي قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَغْيِيرِ اسْمِهَا
 إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ مَقَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، أَخَذَ يُوجِّهُ السَّرَايَا
 إِلَى الْقَبَائِلِ يَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرًا عَلَى السَّرِيَّةِ
 الَّتِي وَجَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَبِيلَةِ طِيٍّ لِهَدْمِ صَنْمِهَا الْمُسَمَّى بِ(الْفُلْسِ) .

وَمَعَ إِشْرَاقَةِ الْفَجْرِ ، دَهَمَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْقَوْمَ ، وَكَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ بَعِيداً عَنِ مَنَازِلِ

قَوْمِهِ ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ ، وَسَبَّوْا النِّسَاءَ ، وَهَدَمَ عَلِيُّ
 ﷺ (صَنَمَهُمُ الْفُلْسَ) ، وَعَادَ بِالْفَيْءِ وَالسَّبْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ سَيْفَيْنِ
 وَجَدَهُمَا فِي بَيْتِ الْفُلْسِ ، وَقِيلَ : ثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ ،
 وَحِينَ سَمِعَ أَخُوها عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ بِذَلِكَ فَرَّ إِلَى الشَّامِ .
 كَنَزَ الْحَضَارَةَ وَالرُّقْيَى ؛ مِفْتَاحُ الْخَيْرَاتِ سَيِّدُنَا عَلِيُّ :

وُضِعَ السَّبْيُ بِبَاحَةِ قُرْبِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّبَايَا
 يَتَفَقَّدُهُنَّ قَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ جَزَلَةٌ (أَي : فَصِيحَةٌ) وَهِيَ سَفَانَةُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ ، هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَاوِدُ ، فَاْمُنُّنُ عَلِيٌّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ : (وَمَنْ وَافِدِكَ ؟) ، قَالَتْ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْفَارُّ
 مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟) ، ثُمَّ تَرَكَهَا وَمَضَى ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مَرَّ بِهَا ﷺ ، فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ
 ذَلِكَ ، فَرَدَّ عَلَيْهَا ﷺ بِمِثْلِ جَوَابِ الْأَمْسِ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ ، مَرَّ بِهَا رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ بَيَّسَتْ مِنَ التَّكَلُّمِ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ ﷺ أَنْ قُومِي فَكَلِّمِيهِ ،
 فَقَامَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَاوِدُ فَإِنِ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ
 عَنِّي ، وَلَا تُشْمِتَ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّ أَبِي سَيِّدٌ قَوْمِهِ ؛ كَانَ يَفُكُّ الْعَانِي (أَي :
 الْأَسِيرَ) ، وَيَحْمِي الدِّمَارَ (أَي : الْأَهْلَ وَالْعِرْضَ) ، وَيُفْرَجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُطْعِمُ
 الطَّعَامَ ، وَيُفْشِي السَّلَامَ ، وَلَمْ يَطْلُبْ إِلَيْهِ طَالِبٌ قَطُّ حَاجَةً فَرَدَّهُ ؛ أَنَا ابْنَةُ حَاتِمِ
 طِيٍّ ، فَاْمُنُّنُ عَلِيٌّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(قَدْ فَعَلْتُ ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَلَا تَعْجَلِي
 بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً ، حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ، ثُمَّ
 أَذِنِي) ، أَي : أَخْبِرْنِي ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : (خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ
 مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) (١) .

وَلَمَّا سَأَلَتْ سَفَانَةَ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا مِنْ خَلْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَتَكَلِّمَهُ ،
 أَخْبَرَتْ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ سَفَانَةُ تَجَاهَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ دَاعِيَةً
 لَهُ قَائِلَةً :

(١) أَخْرَجَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي (مَجْمَعِ الزُّوَائِدِ) ، وَالزَّبِيدِيُّ فِي (إِنْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَعِينِ) ، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي (كَنَزِ الْعُمَالِ) .

(شَكَرْتِكَ يَدٌ افْتَقَرَتْ بَعْدَ غِنَى ، وَلَا مَلَكَتَكَ يَدٌ اسْتَعْنَتَ بَعْدَ فَقْرٍ ، وَأَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَى لَتِيمٍ حَاجَةً ، وَلَا سَلَبَ نِعْمَةً كَرِيمٍ إِلَّا وَجَعَلَكَ سَبَبًا لِرَدِّهَا عَلَيْهِ) .

وَنَزَلَتْ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ فِي الْمَدِينَةِ بِدَارِ امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا : رَمْلَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ ، حَتَّى إِذَا قَدِمَ مَنْ تَثَقُّ بِهِ لِيُوصِّلَهَا إِلَى أَخِيهَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فِي الشَّامِ ، أَقْبَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبِلَاغٌ ، فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِسْوَةً وَحَمَلَهَا عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَعْطَاهَا نَفَقَةً ، فَانْطَلَقَتْ مَعَهُمْ إِلَى الشَّامِ ... حَتَّى لَحِقَتْ بِأَخِيهَا ، وَأَقْنَعَتْهُ بِرِجَاحَةِ عَقْلِهَا بِسُرْعَةٍ التَّوَجُّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِهِ ﷺ ؛ كَمَا كَانَ لِقَاءُ سَفَانَةَ أُخْتِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَبًا لِإِسْلَامِهَا ﷺ .

وَكَيْفَ لَا يُسَلِّمُ أَبْنَاءُ حَاتِمٍ وَقَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ الشَّهَدِ مِنْ ذَلِكَ السَّلْسَلِ الْعَذْبِ الَّذِي فَاضَتْ بِهِ كَلِمَاتُ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ﷺ خِلَالَ حَدِيثِهِ مَعَ سَفَانَةَ ثُمَّ أَخِيهَا عَدِيِّ ٩ .
إِنَّهُ حَدِيثٌ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَنْ أَدْرَكَ الْحَقَّ وَأَحْسَّ بِحَلَاوَتِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ اتِّبَاعِهِ ، وَلِذَا أَسْلَمَا ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمَا .

● وَقَدْ رَوَى عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَدَدًا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَرَدَتْ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ ؛ وَلَا سِيَّمَا فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، كَمَا أَخْرَجَ لَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ بَعْضًا مِنْهَا .

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَأَيَادُ لِنُصْرَةِ الدِّينِ زَاكِيَاتٍ :

كَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَدْ خَرَجَ إِلَى قَوْمِهِ مِنْ طَيِّءٍ لِقِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ : أَدْرِكْهُمْ حَتَّى لَا يُؤْكَلُوا ، وَجَاءَ عَدِيُّ إِلَى مَنَازِلِ الْفَوْثِ مِنْ طَيِّءٍ فَأَقْنَعَهُمْ بِالشَّبَابِ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَهَلَ خَالِدًا حَتَّى يَكَلِّمَهُمْ .

فَلَمَّا عَادَ إِلَى خَالِدٍ يُخْبِرُهُ بِبِقَائِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ لَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ : أَلَا نَسِيرُ إِلَى جَدِيلَةَ ؟ (وَهُمْ بَنُو عُمُومَةَ عَدِيِّ) ، فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتُحِبُّ أَنْ أَقَاتِلَ مَعَكَ بِيَدِ أُمَّ

بَيْدَيْنِ ٩ ، قَالَ خَالِدٌ : بَلْ بَيْدَيْنِ ، قَالَ عَدِيٌّ : إِنَّ جَدِيلَةَ أَحَدُ جَنَاحِي طِيٍّ وَلَعَلَّ اللَّهَ
أَنْ يَنْتَقِذَهَا كَمَا انْتَقَذَ الْغَوْثُ ، وَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ ، وَانْضَمَّتْ طِيٌّ بِغَوْثِهَا وَجَدِيلَتِهَا
إِلَى جَيْشِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَانَ عَدِيٌّ أَعْظَمَ مَوْلُودِ بَرَكَةٍ عَلَى قَوْمِهِ .

● وَقَدْ أَبْلَى عَدِيٌّ وَطِيٌّ فِي الْيَمَامَةِ بِلَاءً حَسَنًا ، يَوْمَ قَضَى عَلَى نَبِيِّ بَنِي حَنِيفَةَ
الْمَرْعُومِ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ فِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ .

● وَكَانَ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ وَخِدَارُ بْنُ الْأَزُورِ مِمَّنْ سَارَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى فُتُوحِ
الشَّامِ وَاسْتِنْقَاذِهَا مِنْ أَيْدِي الرُّومِ ، كَمَا شَارَكَ فِي مَعْرَكَةِ الْجِسْرِ الَّتِي قَادَهَا
أَبُو عُبَيْدَةَ فِي زَمَنِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

● وَانْتَقَلَ عَدِيٌّ مِنْ نَصْرِ إِلَى نَصْرِ وَمِنْ فَتْحِ إِلَى فَتْحٍ حَتَّى أَدْرَكَتُهُ الْمَنِيَّةُ وَلَهُ مِنْ
الْعُمُرِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَقَدْ نَالَتْ أُخْتُهُ سَفَانَةُ مِثْلَ أَجْرِهِ ؛ إِذْ هِيَ سَبَبُ دُخُولِهِ
الْإِسْلَامَ ، وَلَا حَرَجَ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ .



السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ رضي الله عنها

امتداداً للصَّحَابِيَّاتِ ، وَمِنْ الْعَابِدَاتِ الْفَضْلِيَّاتِ

نَسَبُهَا : نَفِيسَةُ الْعُلُومِ وَكَرِيمَةُ الدَّارَيْنِ وَهِيَ : نَفِيسَةُ بِنْتُ حَسَنِ الْأَنْوَرِ بْنِ زَيْدِ الْأَبْلَجِ
ابنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ بْنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مِنْ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ
الزَّهْرَاءِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله .

فَهِيَ مِنْ دَوْحَةِ النَّبُوَّةِ الَّتِي طَابَتْ فَرْعاً ، وَزَكَتْ أَصْلاً ، وَمِنْ شُعْبَةِ الرِّسَالَةِ الَّتِي
سَمَتْ رِفْعَةً وَنُبْلًا وَقَدْ اِكْتَنَفَهَا الْعِزُّ وَالشَّرْفُ وَلَا زَمَهَا السُّؤْدُدُ وَالْكَرَامَةُ :

يَا حَبْدًا رَوْضَةً فِي الْخُلْدِ نَابِتَةً * مَا مِثْلُهَا أَبَدًا فِي الْخُلْدِ مِنْ شَجَرِ
الْمُصْطَفَى أَصْلُهَا وَالْفَرْعُ فَاطِمَةُ * ثُمَّ اللَّقَاحُ عَلِيُّ سَادَةُ الْبَشَرِ
وَالهَاشِمِيَّانِ سِبْطَاهُ لَهَا ثَمَرٌ * وَالْعِتْرَةُ الْوَرَقُ الْمُتَلَفُّ بِالْثَمَرِ
هَذَا مَقَالُ رَسُولِ اللَّهِ جَاءَ بِهِ * أَهْلُ الرِّوَايَةِ فِي الْعَالِي مِنَ الْخَبَرِ
إِنِّي بِحُبِّهِمْ أَرْجُو النَّجَاةَ غَدًا * وَالْفَوْزَ فِي زُمْرَةٍ مِنْ أَفْضَلِ الزُّمَرِ

● وَالِدُهَا : الْحَسَنُ الْأَنْوَرُ ؛ كَانَ إِمَامًا عَظِيمًا ، وَعَالِمًا جَلِيلًا مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْبَيْتِ
مَعْدُودًا مِنَ التَّابِعِينَ ، وَلِي الْمَدِينَةَ مِنْ قَبْلِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ (الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ)
وَلِمُدَّةِ خَمْسِ سَنَوَاتٍ ، وَهُوَ مِمَّنْ أَنْتَهَتْ إِلَيْهِمُ الرِّيَاسَةُ فِي زَمَانِهِ مِنْ بَنِي الْحَسَنِ .
* وَمِنْ تَوَاضُعِهِ وَوَرَعِهِ : أَنَّ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَمَدَحَهُ قَائِلًا :

اللَّهُ فَرْدٌ ، وَابْنُ زَيْدٍ فَرْدٌ

فَقَالَ لَهُ : أَلَا قُلْتَ : (اللَّهُ فَرْدٌ ، وَابْنُ زَيْدٍ عَبْدٌ ؟) ، وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَأَلْصَقَ خَدَّهُ
بِالْأَرْضِ ، وَأَخَذَ يَبْكِي وَيَقُولُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ .

* وَكَمَا كَانَ يَفْعَلُ مَعَهُ أَبُوهُ مِنْ قَبْلُ ؛ دَابَّ الْحَسَنُ أَنْ يَأْخُذَ ابْنَتَهُ نَفِيسَةَ (وَهِيَ طِفْلَةٌ)
إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، زَائِرًا رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وَيَقُولُ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي رَاضٍ عَنْ ابْنَتِي
نَفِيسَةَ) ، وَيَرْجِعُ ، فَمَا زَالَ يَفْعَلُ ، حَتَّى رَأَى النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله فِي الْمَنَامِ ، وَهُوَ يَقُولُ : (يَا حَسَنُ ..
أَنَا رَاضٍ عَنْ ابْنَتِكَ نَفِيسَةَ بِرِضَاكَ عَنْهَا ، وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَاضٍ عَنْهَا بِرِضَائِي) .

❁ وَقَدْ أَنْجَبَ الْحَسَنُ مِنَ الذُّكُورِ تِسْعَةً (أَحَدُهُمَا يَحْيَى الْمُتَوَجُّجُ بِالْأَنْوَارِ ، وَالَّذِي تُوفِّي وَدُفِنَ بِمِصْرَ ﷺ) ، وَمِنَ الْبَنَاتِ اثْنَتَيْنِ : السَّيِّدَةُ أُمُّ كَلْثُومٍ (وَقَدْ تَزَوَّجَ بِهَا أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ) ، وَالسَّيِّدَةُ نَفِيسَةَ ؛ وَلَمْ يَبْلُغْ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ مِنَ الشُّهُرَةِ وَذِيوعِ الذِّكْرِ مَا بَلَغَتْهُ ابْنَتُهُ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ فَهِيَ دُرَّتُهُ الْيَتِيمَةُ وَغُرَّتُهُ الْوَضَاءَةُ .
مَوْلِدُهَا ، وَلِمَاذَا سُمِّيَتْ بِ(نَفِيسَةَ) ٥ :

وُلِدَتْ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (١١ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٤٥ هـ) ، وَلَقَدْ فَرَحَتْ أُمُّهَا بِمَوْلُودِهَا ، وَعَمَّتِ الْفَرَحَةَ أَكْنَافَ بَيْتِهَا ، وَقَدْ زَادَ فِي سُرُورِ أَبِيهَا وَبَهْجَتِهِ أَنْ تَكْشَفَ فِي سِيْمَاهَا شَبَهَا عَظِيمًا بِأَخْتِهِ عَمَّتِهَا السَّيِّدَةُ نَفِيسَةَ بِنْتُ زَيْدِ ﷺ ؛ وَهِيَ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا الْخَلِيفَةُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاخْتَارَ لَهَا أَبُوهَا اسْمَ عَمَّتِهَا لِنَفَاسَتِهَا ، وَمَا تَبَيَّنَهُ مِنْ وَسَامٍ وَقِسَامٍ اخْتُصَّتْ بِهِمَا أُخْتُهِ وَتَفَاوُلًا بِأَنْ يَكْتُبَ اللَّهُ لَهَا حَظَّ عَمَّتِهَا ، وَمَا وَاثَا مِنْ سَعَادَةٍ وَنِعْمَاءٍ ، وَمَا لَهَا مِنْ آثَارٍ وَحُطُوعٍ ؛ إِذْ كَانَتْ مُحِبَّةً ، وَلَهَا الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي خِلَافَةِ زَوْجِهَا ؛ إِذْ أَنَّهُا دَفَعَتْهُ إِلَى مَا قَامَ فِي عَهْدِهِ ؛ فَقَدْ فَتَحَتْ فِي عَهْدِهِ فُتُوحَ عَظِيمَةً ، وَكَانَ يَتَكَلَّفُ بِالْآيَاتِمِ ، وَيُرْتَّبُ لَهُمْ مَعَاشَهُمْ ، وَمَنْ يَرَعَاهُمْ ، وَمَنْ يَقُومُ بِخِدْمَتِهِمْ ، وَلِلْعُمَيَانِ مَنْ يَقُودُهُمْ ، وَعَمَّرَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ وَوَسَّعَهُ ، وَرَزَقَ الْفُقَهَاءَ وَالضُّعْفَاءَ وَالْفُقَرَاءَ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ ، وَمَنَعَ الْاسْتِجْدَاءَ ، وَفَرَضَ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مَا يَكْفِيهِمْ ، وَقَدْ ضَبَطَ أُمُورَ الْخِلَافَةِ أَتَمَّ ضَبْطٍ .

❁ وَمِنَ الْمُوَافَقَاتِ الْعَجِيبَةِ أَنَّ عَمَّةَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ﷺ رَحَلَتْ إِلَى مِصْرَ وَتُوفِّيَتْ بِهَا ؛ إِذْ أَنَّهُا دُفِنَتْ بِالْبَادِيَةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهَا مِنْ وَالِيِ مِصْرَ أَخِي زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَتْ ﷺ مِنَ الصَّالِحَاتِ ، وَقَدْ تُوفِّيَتْ قَبْلَ وَفَاةِ بِنْتِ أَخِيهَا .
نَشَأَتِهَا ﷺ : فِي بَيْتِ كَرِيمٍ وَبَيْنَ أُسْرَةٍ طَهَّرَهَا اللَّهُ - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ - تَطْهِيرًا وَأَذْهَبَ عَنْهَا الرَّجْسَ ، فَتَحَتْ السَّيِّدَةُ كَرِيمَةُ الدَّارَيْنِ عَيْنَهَا وَوَعَتْ أَدْنِيهَا كِتَابَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَّ الَّذِي كَانَ يُحِيطُهَا شَجَعَهَا عَلَى ذَلِكَ ؛ فَابٌّ صَالِحٌ وَأُمَّ عَابِدَةٌ يَعْبُدَانِ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَيْلَ نَهَارٍ ، فَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ تُقَلِّدَهُمَا ، أَضْفَ

إِلَى ذَلِكَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِيهَا مِنْ تَارِيخِ جَدِّيهِمَا الْإِمَامَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَأُمَّهُمَا
الزَّهْرَاءِ وَأَبِيهِمَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا اقْتَبَسُوا جَمِيعاً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْوَارٍ ،
وَمَا أَخَذُوا عَنْهُ مِنْ شَتَّى الْفَضَائِلِ وَالْمَكْرَمَاتِ .

وَبِذَلِكَ كَانَتْ بَوَاكِيرُ نَشَأَتِهَا ﷺ نَشْأَةً نَبَوِيَّةً وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَمَرَّتْ ؛ فَإِنَّهَا بَعْدَ أَنْ
دَرَجَتْ بِمَكَّةَ تَحَوُّطُهَا الْعِزَّةَ وَالكَرَامَةَ اسْتَصْحَبَهَا أَبُوهَا وَقَدْ أَوْفَتْ الْخَامِسَةَ مِنْ
عُمْرِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِنُورِ جَدِّهَا ﷺ ، وَأَخَذَ يَلْقُنُهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ
أُمُورِ دِينِهَا وَدُنْيَاهَا ، وَكَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ تَسْمَعُ مِنْ شُيُوخِهِ ، وَتَلْقَى
الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ مِنْ عُلَمَائِهِ ، وَعَاشَتْ فِي مَدْرَسَةِ أَبِيهَا الْمُحَمَّدِيَّةِ تَسْمَعُ الْمَزِيدَ
مِنْ تَارِيخِ دِينِهَا وَتَارِيخِ أُسْرَتِهَا .

وَمِنْ بَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَتْ بِهِمُ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةً فِي الْمَدِينَةِ الْإِمَامُ مَالِكُ (إِمَامُ دَارِ
الْهَجْرَةِ) الَّذِي كَانَ حَدِيثَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً بِكِتَابِهِ الْمُوَطَّأِ وَفَقْهِهِ الَّذِي
انْتَشَرَ فِي كُلِّ الْأَمْصَارِ ، وَوَجَدَتْ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةً فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ مُبْتَغَاهَا ، وَقَرَأَتْ
الْمُوَطَّأَ وَنَاقَشَتْ كُلَّ الْقَضَايَا الدِّينِيَّةِ ، وَبَدَأَتْ تَزْدَادُ مَعْرِفَةً كَامِلَةً وَالنَّاسُ مِنْ
حَوْلِهَا بِمَا فِيهِمْ الْإِمَامُ مُعْجَبُونَ بِهَذِهِ السَّيِّدَةِ الطَّاهِرَةِ يَسْمَعُونَ آرَاءَهَا فِي كُلِّ مَا
يَتَدَارَسُونَ مِنْ فِقْهِهِ وَسِيرَةِ وَحَدِيثِهِ .

وَنَشَأَتْ ﷺ كَذَلِكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قُوَّةِ الذَّاكِرَةِ وَالْحَافِظَةِ (صَفَاءَ نَفْسٍ
وَنَقَاءَ حَدْسٍ) ؛ فَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ تَتَّجِهَ بِكُلِّ قُوَاهَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ فَالْتَمَّتْ
بِتَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ فَاسْتَجَلَّتْ غَوَامِضَهُ وَخَاضَتْ عُيَابَهُ .

وَأَخَذَتْ ﷺ وَهِيَ تَتَمُّو جِسْمًا وَعَقْلًا وَرُوحًا وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتُتَمَعِّنُ فِي
الْعِبَادَةِ وَالدِّرَاسَةِ ، فَاتَّجَهَتْ بِكُلِّ رُوحِهَا إِلَى دِرَاسَةِ حَدِيثِ جَدِّهَا فَارَوَتْ مِنْهُ عَنْ
أَبِيهَا وَأَلِ بَيْتِهَا وَعُلَمَاءِ عَصْرِهَا وَأَخَذَتْ بِحِظِّ وَافِرٍ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ ؛ وَمِنْ هُنَا جَاءَ
اللقبُ الَّذِي اشْتَهَرَتْ بِهِ (نَفِيسَةُ الْعِلْمِ) .

❁ كَمَا كَانَ لَهَا ﷺ قِسْطٌ وَافِرٌ فِي الْجِهَادِ ؛ وَذَلِكَ بِأَدَائِهَا الْمُتَكَرِّرَ لِمَنَاسِكِ الْحَجِّ ؛ فَقَدَتْ
حَجَّتْ ﷺ ثَلَاثِينَ مَرَّةً أَكْثَرَهَا مَاشِيَةً عَلَى قَدَمَيْهَا ، وَكَانَ الْقُدُومَةُ لَهَا فِي ذَلِكَ جَدِّهَا
الْإِمَامُ الْحَسَنُ الَّذِي كَانَ يَقُولُ : إِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَلْقَاهُ وَلَمْ أَمْشِ إِلَى بَيْتِهِ .

● وَكَانَتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ شَوْطٍ مِنَ الْأَشْوَاطِ السَّبْعَةِ تَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً مُتَعَلِّقَةً بِأَسْتَارِ
الْكَعْبَةِ قَائِلَةً :

(إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ ، مَتَّعْنِي وَفَرِّحْنِي بِرِضَاكَ عَنِّي ، فَلَا تُسَبِّ لِي سَبَباً بِه
عَنكَ تَحْجُبْنِي) .

زَوْجُهَا وَقِصَّةُ زَوَاجِهَا : تَزَوَّجَهَا سَيِّدُنَا إِسْحَاقُ الْمُؤْتَمَنُ بْنُ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ
ابْنِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَرِيحَانَةَ
الرَّسُولِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَيُلَقَّبُ زَوْجُهَا بِإِسْحَاقِ الْمُؤْتَمَنِ ؛ لِكَثْرَةِ أَمَانَتِهِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوْفَرِ
وَأَكْثَرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عِلْماً ، وَحِلْماً وَعَمَلاً ، وَعِبَادَةً وَوَرَعاً ، وَهُوَ شَقِيقُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ
(صَاحِبَةَ الضَّرِيحِ وَالْمَسْجِدِ الْعَامِرِ بِمَعْصَرِ الْمَحْرُوسَةِ) ، وَلزَواجِهِ مِنَ السَّيِّدَةِ
نَفِيسَةَ قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ :

لَمَّا بَلَغَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ سِنَّ الزَّوْاجِ رَغِبَ فِيهَا شَبَابُ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
بَنِي الْحَسَنِ وَبَنِي الْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا تَهَافَتَ عَلَى خُطْبَتِهَا الْكَثِيرُ مِنْ شَبَابِ أَشْرَافِ
قُرَيْشٍ ، فَكَانَ أَبُوهَا يَأْبَى عَلَيْهِمْ إِجَابَةَ طَلِبِهِمْ وَيَرُدُّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا ، إِلَى أَنْ آتَاهُ
إِسْحَاقُ الْمُؤْتَمَنُ بْنُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَكَانَتْ دَارُ الْحَسَنِ قُبَالَةَ دَارِ جَعْفَرِ
الصَّادِقِ) ، فَخَطَبَهَا مِنْ أَبِيهَا ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا ، فَقَامَ إِسْحَاقُ مِنْ عِنْدِ الْحَسَنِ
وَفِي نَفْسِهِ مَا فِيهَا وَذَهَبَ تَوًّا إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَدَخَلَ الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَوَقَفَ
تِجَاهَ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ فِي خُشُوعٍ وَإِجْلَالٍ .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي خَطَبْتُ نَفِيسَةَ بِنْتَ الْحَسَنِ مِنْ أَبِيهَا فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ جَوَابًا ،
وَإِنِّي لَمْ أَخْطُبْهَا إِلَّا لِخَيْرِهَا وَدِينِهَا وَعِبَادَتِهَا ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَقَدْ أَنْشَرَ صَدْرَهُ
وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى أَبُوهَا الْحَسَنُ جَدَّهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ
(يَا حَسَنُ ... زَوْجٌ نَفِيسَةٌ مِنْ إِسْحَاقِ الْمُؤْتَمَنِ) ، فَمَا أَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ حَتَّى بَعَثَ إِلَى
إِسْحَاقَ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ وَمَا إِنْ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَسَنِ حَتَّى أَخْبَرَهُ

بِرؤيأه ؛ وما لبث أن عمده له على ابنته في حفل جمع جمهرة من آل بيت رسول الله ﷺ وجماعة من أشرف قريش ، وكان ذلك في سنة إحدى وستين ومائة ، وبعد أن جهزها أبوها ووليت لزوجها بنى عليها في دار أبيه جعفر الصادق بالمدينة ، وهي الدار التي كان يسقى فيها الماء الذي تصدق به جعفر رضي الله عنه ، وكانت تلك الدار قبلاً لحارثة بن النعمان الأنصاري الخزرجي (من بني النجار) ؛ وكان من فضلاء صحابة رسول الله ﷺ ، وقد قال ﷺ : (دخلت الجنة فسمعت قراءة ، فقلت : من هذا ؟ ، فقيل : حارثة بن النعمان) ، فقال ﷺ : (كذلك البر) ، وكان براً بأمه ، وكان قد ذهب بصره فاتخذ خيطاً في مصلاه إلى باب حجرته ؛ فكان إذا جاءه مسكين أخذ من مكتله شيئاً ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله ، فكان أهله يقولون له نحن نكفيك ، فيقول : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مناولة المسكين تقي مصارع السوء) .

وبزواج السيد إسحاق من السيدة نفيسة اجتمع في بيتها نوران ، نور الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة .

● ومن الدروس المستفادة من هذا الزواج : ترسيخ أهل البيت (وهم صفوة الخلق) مبدأ التوسل بـ (سيد الخلق) ﷺ .

❁ وهي بعد ذلك زوجة مخلصه لم يشغلها أي أمر عن مسئوليتها كزوجة وحتى يفاخر بها المؤمن الدنيا ، ويذكر للناس من حوله أنه قد وجد فيها نعمة الله عليه ؛ فلم تقصر في حق له أبداً ، ولم يشغلها أي أمر عن حقوقه وواجباته .

❁ وهي أم ترعى الله في زوجها وولدها ؛ تغدق بالحنان ولديها أبا القاسم وأم كلثوم ترعاهما وتؤدبهما حتى يصيرا نموذجاً صالحاً يشرف الانتساب إلى بيت النبوة .

❁ وهي ربة بيت تشرف عليه .

❁ وهي محبة للعلم والمعرفة حبا جعلها بحق نفيسة العلم .

❁ وكانت رضي الله عنها المثل الأعلى في الوفاء لزوجها على وجه الخصوص وعرفان حقوقه والقيام بواجباته ، وقد ساهمته الإخلاص والود ؛ وقد عرف رضي الله عنها فيها هذا الخلق

النَّبِيلَ ؛ فَكَانَ مِثَالَ الطَّاعَةِ لَهَا فِيمَا تَسْلُكُهُ وَتَرْتَضِيهِ ، فَمَا خَالَفَ لَهَا أَمْرًا ، وَلَا وَقَفَ لَهَا فِي سَبِيلِ رَغْبَةٍ ؛ بَلْ كَانَ يُهَيِّئُ لَهَا مَا تَبْتَغِيهِ وَيُسَهِّلُ لَهَا مَا تُرِيدُهُ وَلَمْ يَبْخُلْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ .

❁ وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَجْتَمِعُ بِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنَ النَّاسِ وَتَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ وَلِهَذَا شَاهَدَ مَسْكَنُهَا فِي الْمَدِينَةِ وَفُودَ الزُّوَّارِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ إِسْلَامِيٍّ خُصُوصًا مِنَ الْقَادِمِينَ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَالرَّاعِغِينَ فِي الْعِلْمِ ، وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْوُفُودِ وَأَشَدُّهُمْ حِرْصًا عَلَى لِقَائِهَا كَانُوا مِنْ مِصْرَ .

أَخْلَاقُهَا وَسَخَاوَتُهَا : كَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَرِيمَةً الْخَلِيقَةِ شَرِيفَةً الطَّبَعِ غَرَاءَ الْمَكْرُمَاتِ زَهْرَاءَ الْمَأْثَرَاتِ ؛ فَقَدْ صَاغَهَا اللَّهُ مِنْ مَعْدِنِ كَرِيمٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ، فَجَمَعَتْ أَخْلَاقَ الْفُتُوَّةِ وَالْمُرُوءَةِ ؛ فَكَانَتْ مِعْطَاءً فَيَّاحَةً فَيَّاضَةً نَفَّاحَةً جَمَّةَ الْمَبْرَاتِ كَثِيرَةَ الصَّلَاتِ ، وَهِيَ مَعَ هَذَا زَاهِدَةٌ ، وَكَانَ زَهْدُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِيْجَابِيًّا نَافِعًا ؛ (فَهِيَ وَإِنْ مَلَكَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَمَا مَلَكَهَا شَيْءٌ) .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

(١) تَرْكُ الْحَرَامِ ؛ وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِ .

(٢) تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ ؛ وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ .

(٣) تَرْكُ مَا يَشْغَلُ الْعَبْدَ عَنِ اللَّهِ ؛ وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ .

نَعَمْ .. كَانَتْ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةً كَثِيرَةَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ ؛ تُوَاسِي الْبَائِسِينَ وَتُسَعِّفُ الْمَلْهُوفِينَ وَتُقْرِجُ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ ، وَكَانَ لَهَا مَالٌ كَثِيرٌ إِلَى مَالِ زَوْجِهَا تُحْسِنُ مِنْهُ إِلَى الْمَرْضَى وَالْمُحْتَاجِينَ وَالنَّاسِ عَامَّةً ؛ فَمَا كَانَتْ تَرُدُّ سَائِلًا وَلَا تَمْنَعُ مُسْتَجِدِيًّا وَكَانَتْ تَتَعَرَّفُ مِنْ بَيْه حَاجَةٌ فَتَقْضِي حَاجَتَهُ ، وَفِي الْمَدِينَةِ ضَاقَتْ دَارُهَا بِالزَّائِرِينَ كَمَا حَدَّثَ لَهَا تَمَامًا فِي مِصْرَ عِنْدَمَا طَلَبَتْ الرَّحِيلَ إِلَى الْحِجَازِ عِنْدَ أَهْلِهَا بِسَبَبِ أَرْحَامِ مَنْزِلِهَا بِالْقَاصِدِينَ إِلَيْهَا كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ .

قُدُومُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ وَإِقَامَتُهَا فِيهَا : فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُوَافِقِ ٢٦ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٩٢ هـ ؛

وَصَلَّتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ مَعَ أَبِيهَا حَسَنِ الْأَنْوَرِ وَزَوْجِهَا إِسْحَاقَ الْمُؤْتَمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ قُدُومِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ إِلَى مِصْرَ بِخَمْسِ سِنِينَ .

وفى العريش استقبل أهل مصر السيدة نفيسة رضي الله عنها أحسن استقبال (بعد قيامها بزيارة قبر الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بفلسطين ، ومقام السيدة زينب بنت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بغوطة دمشق الشام ، وكذلك قبر عمته فاطمة بنت الحسن بن علي رضي الله عنه ، وقبر فضة جارية جدتها فاطمة الزهراء رضي الله عنها وغير أولئك) : فقد أحبها الشعب المصري قبل قدومها إليه : فقد سمع من أنبائها ، ومنهم من التقاها بالمدينة في مواسم الحج .

تلقته النساء والرجال بالهوادج والخيول مرحبين يهللون ويكبرون ولم يزلوا معها رضي الله عنه إلى أن دخلت مصر فأنزلها عنده كبير التجار بمصر جمال الدين عبد الله الجصاص : وكان من أهل الصلاح ومن أصحاب المعروف والبر والصدقة والمحبة في الصالحين والعلماء والسادة الأشراف ، فنزلت عنده في داره معززة مبعجة مكرمة ، فأقامت بها عدة شهور والناس يقدون إليها رضي الله عنها زرافات ووحدانا من سائر مدن القطر ومن جميع الآفاق : يلتمسون بركتها ويرجون دعاءها ويرون في إشراقها إشراقه بيت النبوة وعتره المصطفى صلوات الله عليهم .

تطायرت أنباؤها فهرع إليها القوم من جميع الجهات : فتكاثرت الجموع على بابها وضافت بهم الدار بما رحبت ، ففكرت ملياً في مفادرة مصر حيث تعود ثانياً إلى مدينة رسول الله صلوات الله عليهم لتقضي بقية عمرها في هديتها وعبادتها ومناجاة بارئها ، وتلتزم حرم جدها صلوات الله عليهم : فاشتد ذلك على أهل مصر وشق عليهم أن تفارقهم وقد لمسوا نجاتها ، وعرفوا هداها وتقواها ، وما أفاضه الله تعالى عليها من فيوضات وما يحيطه بها من تجليات ومُشاهدات ، فالتمسوا منها العُدول عن عزمها ورجوها البقاء بين ظهرانهم ، فأبت عليهم طلبهم وصارحتهم بأنها تريد انفرادها لعبادة ربها ، لا يشغلها منهم شاغل ، ولما رأوا منها إصراراً على مفادرة الديار ، يمموا وجوههم نحو والي مصر السري بن الحكم بن يوسف : وكان آل السري يجلون السيدة نفيسة ويعظمونها ويكثرون من زيارتها وتعهدوا ويعرضون عليها خدمتهم إياها ، وما إن ذهب جمهرة من محبيها إلى السري يخبرونه بعزمها ، ويسألونه

أَنْ يَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا فِي الْعُدُولِ عَنْ عَزْمِهَا ، انْتَقَلَ السَّرِيَّ إِلَيْهَا يَسْتَعِطِفُهَا وَيَرْجُو بَقَاءَهَا بِمِصْرَ .

فَقَالَتْ عليها السلام لَهُ : إِنِّي كُنْتُ قَدْ اعْتَزَمْتُ الْمَقَامَ عِنْدَكُمْ ؛ غَيْرَ إِنِّي امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ ، وَقَدْ تَكَاثَرَ النَّاسُ حَوْلِي وَأَكْثَرُوا مِنْ زِيَارَتِي ، فَشَغَلُونِي عَنْ أَوْلَادِي وَجَمَعَ زَادِي لِمَعَادِي ، غَيْرَ أَنَّ مَنْزِلِي هَذَا يَضِيقُ بِهَذَا الْجَمْعِ الْكَثِيفِ وَالْعَدَدِ الْكَثِيرِ ، وَقَدْ زَادَ حَيْنِي إِلَى رَوْضَةِ جَدِّي الْمُصْطَفَى عليه السلام .

فَقَالَ لَهَا السَّرِيُّ : يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي بَعُونِ اللَّهُ كَفَيْلٌ بِإِزَالَةِ مَا تَشْكِينُ مِنْهُ ، وَسَأْمَهُدُ لَكَ السَّبِيلَ وَأَهْيِي لَكَ مَا فِيهِ رَاحَتِكَ وَرِضَاكَ ، أَمَّا ضِيقُ الْمَنْزِلِ فَإِنَّ لِي دَارًا وَاسِعَةً بِدَرْبِ السَّبَاعِ (حَيْثُ مَسْجِدُهَا الْعَامِرُ الْآنَ) ، وَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي قَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبَلِيهَا مِنِّي وَلَا تُخْجَلِيَنِي بِرَدِّهَا عَلَيَّ .

فَقَالَتْ بَعْدَ سُكُوتٍ طَوِيلٍ : إِنِّي قَدْ قَبِلْتُهَا مِنْكَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَرِيَّ كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِذِهِ الْجُمُوعَ الْكَثِيرَةَ وَالْوُفُودَ الْغَفِيرَةَ ؟

فَقَالَ : تَتَفَقِّمِينَ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلزُّوَارِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمَانِ ، وَبِاقِي الْأُسْبُوعِ تَتَفَرَّغِينَ لِعِبَادَتِكَ وَخِدْمَةِ مَوْلَاكَ ، فَاجْعَلِي يَوْمِي السَّبْتِ وَالْأَرْبَعَاءِ لِلنَّاسِ .

فَقَبِلَتْ مِنْهُ ذَلِكَ وَانْتَقَلَتْ إِلَى دَارِهِ وَخَصَّصَتْ لِلزِّيَارَةِ يَوْمِي السَّبْتِ وَالْأَرْبَعَاءِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ ، وَأَقَامَتْ عليها السلام بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا : تُضِيئُهَا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَتَعْمُرُهَا بِفَيْضِ التَّقْوَى ، حَتَّى انْتَقَالِهَا إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى .

فَقَهُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ عليه السلام وَأَرْضَاهُ :

وَالْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ (١٥٠-٢٠٤هـ) ، وَهُوَ أَحَدُ أُمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَلَقَدْ سَعِدَتْ بِهِ مِصْرُ سَنَةِ ١٩٨هـ وَحِينَ اتَّجَهَ عليه السلام إِلَى مِصْرَ أَنْشَدَ يَقُولُ :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى مِصْرٍ * وَمِنْ دُونِهَا قَطَعَ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِلَى الْفَوْزِ وَالْغِنَى * أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى قَبْرِي

وَقَوْرٌ وَصُولِ الْإِمَامِ إِلَى مِصْرَ تَمَّ الْوِدَادُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ عليها السلام وَتَوَقَّتْ

بَيْنَهُمَا الصَّلَاتُ (عِلَاوَةً عَلَى صَلَةِ الْقَرَابَةِ) ؛ فَلَقَدْ رَبَطَ بَيْنَهُمَا نُزُوعٌ إِلَى خِدْمَةِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحِرْصٌ عَلَى رَفْعِ مَنَارِهَا (كُلُّ بِطَرِيقَتِهِ وَأُسْلُوبِهِ) ؛ وَإِنَّهُ لَهَدَفَ مُشْتَرِكٌ لِمَثَلِهِ تَتَقَارَبُ الْقُلُوبُ الصَّافِيَةُ وَتَتَلَقَى الْجُهُودُ الْمُتَفَرِّقَةُ الْمُخْلِصَةُ ، وَكَانَتْ دَارُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةً بِمَثَابَةِ الْجَزِيرَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْقَائِمَةِ وَسَطَ بَحْرِ صَاخِبِ مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ .

❁ وَقَدْ اعْتَادَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَنْ يَزُورَ السَّيِّدَةَ نَفِيسَةً وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَلَقَاتِ دَرَسِهِ فِي مَسْجِدِ الْفِسْطَاطِ وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى دَارِهِ ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَوْقَاتِ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِهَا التَّرَاوِيحَ فِي مَسْجِدِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْكَرِيمِ ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا ذَهَبَ لَزِيَارَتِهَا صَحْبَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ .

❁ وَمَعَ جَلَالِ قَدْرِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا ذَهَبَ إِلَيْهَا سَأَلَهَا الدُّعَاءَ مُلْتَمِسًا بَرَكَاتِهَا ، وَقَدْ سَمِعَ عَلَيْهَا حَدِيثَ جَدِّهَا الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَإِذَا أَصَابَهُ مَرَضٌ جَعَلَهُ يَتَخَلَّفُ عَنْ زِيَارَتِهَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ تَلَامِيذِهِ كَالرَّبِيعِ الْجِيزِيِّ أَوْ غَيْرِهِ فَيَقْرئُهَا سَلَامَهُ وَيَقُولُ لَهَا : (إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ الشَّافِعِيَّ مَرِيضٌ وَيَسْأَلُكَ الدُّعَاءَ) ، فَتَرْفَعُ بِطَرَفِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَتَدْعُو لَهُ ؛ فَلَا يَرْجِعُ رَسُولُهُ إِلَّا وَقَدْ عُوْفِيَ الْإِمَامُ مِنْ مَرَضِهِ .

❁ وَكَانَ لِهَذِهِ الصَّلَةِ أَثْرٌ طَيِّبٌ فِي حَيَاةِ كُلِّ مِنْهُمَا ، وَفِي حَيَاةِ تَلَامِيذِهِمَا وَأَحْبَابِهِمَا ؛ فَهُوَ ﷺ يُعْطَرُ وَجْدَانَهُ حُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ ، فَيَسْمُ التَّلَامِيذُ أَرِيحَ هَذَا الْحُبِّ فِي قَوْلِهِ :

أَلِ النَّبِيِّ ذَرِيَعَتِي ❁ وَهُمُو إِلَيْهِ وَسِيَلَتِي
أَرْجُو بِهِمْ أَعْطَى غَدًا ❁ بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي

وَفِي قَوْلِهِ :

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ ❁ فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ ❁ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

عُلَمَاءُ أَتَقِيَاءُ حَوْلَ كَرِيمَةِ الدَّارَيْنِ ؛ وَكَانَ يَزُورُهَا ﷺ وَيَسْأَلُ دُعَاءَهَا وَحَدِيثَهَا وَقَرَأَتْهَا وَيَلْتَمِسُ بَرَكَاتَهَا :

● الإمام عثمان بن سعيد المصري .

● وكذلك الشيخ أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم (ذو النون المصري) وهو من كبار الصوفية : والذي استشعر من صدق لهجته ونفاذ بصيرته وكأنه يخاطب شريحة لا يستهان بها من المتصدين تحت راية العلماء في عصرنا : فكان يقول لهم :

(أدركننا الناس وأحدكم كلما ازداد علماً ازداد في الدنيا زهداً وبُغضاً ، وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علماً ازداد في الدنيا حباً وطلباً ومزاحمةً ، وأدركناهم وهم يُنفقون الأموال في تحصيل العلم ، وأنتم اليوم تنفقون العلم في تحصيل المال) .

ويقول : (قد غلب على العباد والنسك والقراء في هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى عرفوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ؛ أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ، ورضوا من العمل بالعلم ، يستحيي أحدهم أن يقول فيما لا يعلم : لا أعلم ، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة

إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم من القبائح ؛ إن سألوا ألحوا وإن سُئلوا شحوا ؛ لبسوا الثياب على قلوب الذئاب ، اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال ، والقيل والقال ، واتخذوا العلم شبكةً يصادون بها الدنيا فإياكم ومجالسهم) .

وقد استمر ذو النون يزورها رضي الله عنه في حياتها ويזור قبرها بعد وفاتها إلى أن توفي سنة ٢٤٥ هـ .

● وكذلك كان الفقيه الإمام عبد الله بن عبد الحكيم : من جلة أصحاب الإمام مالك وقد أفضت إليه رئاسة المالكية بعد أشهب وقد بلغ هو وبنوه من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد ، وكان صديقاً للإمام الشافعي (نزل الإمام الشافعي عندما هبط مصر عنده ، فأكرم مثواه وبلغ الغاية في بره وروى كثيراً عن الإمام الشافعي وكتب كتبه بنفسه وله مؤلفات عدة ؛ وهكذا كان سلوك الأئمة الأعلام (١) ، وكان لا ينقطع عن زيارة السيدة نفيسة في حياتها ولا عن زيارة قبرها بعد وفاتها ، وقد سمع عليها الحديث واستفاد كثيراً من آثارها وأخبارها .

● وَمَمَّنْ زَارَهَا فِي حَيَاتِهَا وَعَرَفَ حَقَّ زِيَارَةِ قَبْرِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا أَبُو سَعِيدٍ سَخْنُونُ بْنُ سَعِيدِ الْفَقِيهِ الْمَالِكِيِّ وَاسْمُهُ عَبْدُ السَّلَامِ (وَعَلَبَ عَلَيْهِ سَخْنُونُ بِاسْمِ طَائِرٍ حَدِيدِ النَّظَرِ : لِحَدِيثِهِ فِي الْمَسَائِلِ) . وَأَصْلُهُ مِنْ حِمصِ الشَّامِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْمُدَوَّنَةِ ، وَقَامَ قَاضِيًا سِتَّةَ أَعْوَامٍ بِمِصْرَ وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَى قَضَائِهِ شَيْئًا ، وَيَوْمَ أَنْ قَبِلَ الْقَضَاءَ دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ خَدِيجَةَ وَكَانَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، فَقَالَ لَهَا : الْيَوْمَ ذُبِحَ أَبُوكَ بِغَيْرِ سَكِينٍ .

● وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيِّ الْفَقِيهِ الْمِصْرِيِّ : مِنَ الَّذِينَ انْتَفَعُوا بِحَدِيثِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَرَاوِيَةٌ كُتِبَ ، وَكَانَ إِمَامًا ثِقَةً صَاحِبَ حَلَقَةٍ بِمِصْرَ : قَالَ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ : الرَّبِيعُ رَاوِيَتِي .

● وَالرَّبِيعُ الْجِيزِيُّ : صَاحِبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، مِنْ زَائِرِيهَا وَالْمُوَالِينَ لِزِيَارَةِ ضَرِيحِهَا بَعْدَ وِفَاتِهَا ، وَكَانَ عَالِمًا صَالِحًا كَثِيرَ الْحَدِيثِ مَأْمُونًا ثِقَةً .

● وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْنِيُّ : مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ دَاوَمُوا عَلَى زِيَارَتِهَا فِي حَيَاتِهَا مُلْتَمِسًا دَعْوَاتِهَا وَبَعْدَ وِفَاتِهَا مُسْتَنْزِلًا بَرَكَاتِهَا ، وَكَانَ فَقِيهًا عَالِمًا رَاجِحَ الْمَعْرِفَةِ جَلِيلَ الْقَدْرِ فِي النَّظَرِ . عَارِفًا بِوُجُوهِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَحُسْنِ الْبَيَانِ ، مُقَدِّمًا فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَقَوْلِهِ وَحِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي مَذْهَبِ إِمَامِهِ انْتَشَرَتْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَكَانَ تَقِيًّا وَرِعًا صَبُورًا وَكَانَ مُجَابِبَ الدَّعْوَةِ ، وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عَنْهُ : (الْمُرْنِيُّ نَاصِرٌ مَذْهَبِي) .

● وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ ، وَيُكْنَى أَبُو حَفْصٍ ؛ هُوَ أَيْضًا مِنْ زَائِرِيهَا فِي حَيَاتِهَا وَزَائِرِي مَقَامِهَا بَعْدَ وِفَاتِهَا ، وَكَانَ جَلِيلًا نَبِيلَ الْقَدْرِ ، وَقَدْ رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَمْ يَرَوْهُ الرَّبِيعُ ؛ مِنْهَا كِتَابُ الشَّرُوطِ وَكِتَابُ السُّنَنِ وَغَيْرُهُمَا ، وَكَانَ إِمَامًا حَافِظًا لِلْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ .

● وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ يَحْيَى الْبُويطِي (وَهُوَ الَّذِي صَلَّى السَّيِّدَةَ نَفِيسَةَ خَلْفَهُ عَلَى جَنَازَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ) ، وَكَانَ كَبِيرَ السِّنِّ جَلِيلَ الْقَدْرِ اسْتَخْلَفَهُ الشَّافِعِيُّ فِي حَلَقَتِهِ . وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِمَجْلِسِي مِنْ أَبِي يَعْقُوبَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَعْلَمَ مِنْهُ .

● وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي وكان إماماً في القراءات ؛ قال عنه الإمام الشافعي ؛ (ما رأيت بمصر أعقل من يونس) ، وهو ممن زار السيدة نفيسة وداوم على زيارتها بعد وفاتها .

هؤلاء هم بعض العلماء ورجال الدين الذين زاروا السيدة نفيسة في حياتها ، أما من زار المقام النفيسي بعد وفاتها من الأئمة الأعلام والأولياء الكرام فكثير ما هم ، وما يزال المقام النفيسي بمصر مزاراً لإجابة الدعوات ، واستئزال الرحمات .
بعض من كراماتها خالدة الذكر على سبيل الذكر لا الحصر :

● كان الإمام الشافعي رحمته الله إذا مرض يرسل إلى السيدة نفيسة رضي الله عنها رسلاً يطلب منها الدعاء له بالشفاء ، وفي كل مرة تدعو له ؛ فيشفيه الله - عز وجل - حتى كان المرض الذي توفي فيه ؛ فقد أرسل لها واحداً من أحبائه وتلامذته ، فسلم عليها وقال لها ؛ (إن ابن عمك الشافعي مريض ، ويسألك الدعاء) ، فقالت (متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم) ، فلما عاد الرسول للشافعي ، قال له ؛ (ماذا قالت لك ؟) ، قال ؛ (لقد قالت ؛ متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم) ؛ ففهم الإمام الشافعي أنه يموت ، فأوصى ، وقال لأصحابه ؛ (اسألوها أن تصلي علي) ؛ فلما توفي سنة ٢٠٤ هـ ، مروا به على بيتها ومسجدها فصلت عليه مأمومة ، وكان الذي صلى بها إماماً ؛ أبو يعقوب البويطي .

● توقف النيل في زمانها ، فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء ، فأعطتهم السيدة نفيسة قناعاً لها ، فذهبوا به إلى النهر وطرحوه فيه ؛ فما رجعوا حتى وفى النيل بمائه وزاد زيادة عظيمة .

● كان لامرأة عجوز أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة ، وفي آخر الجمعة تأخذ أمهن العجوز غزلهن وتمضي به إلى السوق فتبيعه وتشتري بنصف ثمنه كتاناً يغزلنه وبنصفه الآخر ما يمونهن طول الأسبوع ، فأخذت العجوز يوماً ما غزلته على عادتها ولفته في خرقة حمراء ومضت به إلى السوق ليبيعه ، فبينما هي سائرة في طريقها والغزل على رأسها ، إذ انقض طائر على لفة الغزل

بِخَرْقَتِهَا الْحَمْرَاءِ ، وَاخْتَطَفَهَا وَارْتَمَعَ ؛ فَوَقَعَتِ الْمَرْأَةُ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفَاقَتْ
أَذْرَتْ دُمُوعَهَا ، وَأَسَالَتْ عَيْنَيْهَا وَاسْتَرْسَلَتْ فِي بُكَائِهَا ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَقُولُ : (كَيْفَ أَصْنَعُ
بِالْيَتِيمَاتِ ، وَقَدْ أَجْهَدُهُنَّ الْجُوعُ ، وَالْمَهْنُ السَّغْبُ) ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَسَأَلُوهَا
عَنْ شَأْنِهَا وَعَمَّا أَبْكَاهَا ، فَأَخْبَرَتْهُمْ بِقِصَّتِهَا ، فَدَلُّوهَا عَلَى أَنْ تَذْهَبَ إِلَى السَّيِّدَةِ
نَفِيسَةَ رضي الله عنها تَبْتُئُهَا حُزْنَهَا ، وَتَذَكُرُ لَهَا أَمْرَهَا ؛ فَيُنْفَسَ اللَّهُ مَا بِهَا ، وَيُزِيلَ غَمَّهَا .

فَذَهَبَتْ إِلَيْهَا لَوْقَتِهَا فَأَخْبَرَتْهَا بِقِصَّتِهَا وَمَا جَرَى لَهَا وَمَا أَصَابَ بَنَاتِهَا مِنْ جُوعٍ وَسَأَلَتْهَا
الدُّعَاءَ ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيْهَا السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ وَتَأَثَّرَتْ لِمَا حَدَّثَتْ لَهَا وَلِبَنَاتِهَا ، ثُمَّ رَفَعَتْ
السَّيِّدَةُ نَفِيسَةَ بِبَصَرِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ : (يَا مَنْ عَلَا فَقَهْرُ ، وَمَلَكَ فَقَدَرُ ، أُجْبِرُ
مِنْ أُمَّتِكَ هَذِهِ مَا انْكَسَرَ ، فَإِنَّهَا وَبَنَاتِهَا مِنْ خَلْقِكَ وَعِيَالِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

ثُمَّ قَالَتْ لِلْعَجُوزِ : أَقْعِدِي ، فَإِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
فَجَلَسَتِ الْمَرْأَةُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَابِ ، وَفِي قَلْبِهَا مِنْ جُوعِ بَنَاتِهَا الْتِهَابُ ، فَلَمْ تَمُضْ
سَاعَةٌ حَتَّى أَقْبَلَ جَمَاعَةٌ يَطْرُقُونَ بَابَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَيَسْتَأْذِنُونَ فِي الدُّخُولِ فَأَذْنَتْ
لَهُمْ ، فَدَخَلُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهَا وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، فَسَأَلَتْهُمْ عَمَّا أَقْدَمَهُمْ وَعَنْ
أَمْرِهِمْ ، فَقَالُوا : (إِنَّ لَنَا لِأَمْرًا عَجَبًا ؛ نَحْنُ قَوْمٌ تُجَارُ وَلَنَا مُدَّةٌ وَنَحْنُ سَائِرُونَ
فِي الْبَحْرِ فِي سَلَامَةٍ وَأَمَانٍ ، فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى قُرْبِ بَلَدِكُمْ انْتَفَرَتْ فِي مَرْكَبِنَا ثَغْرَةٌ
وَفَتِحَتْ فِيهَا فَتْحَةٌ فَدَخَلَ فِيهَا الْمَاءُ وَأَشْرَفْنَا عَلَى الْغَرَقِ ، فَجَعَلْنَا نَسُدُّ تِلْكَ الثَّغْرَةَ
بِجَهْدِنَا فَلَمْ تَنْسُدْ ، فَاسْتَعْتْنَا بِاللَّهِ تَعَالَى وَضَرَعْنَا إِلَيْهِ وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا
بِطَائِرٍ أَلْقَى لَنَا خِرْقَةً فِيهَا غَزْلٌ مِنَ الْكَتَانِ ، فَوَضَعْنَاهَا فِي تِلْكَ الْفَتْحَةِ فَانْسَدَّتْ
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِبِرْكَتِكَ ، وَقَدْ جِئْنَا إِلَيْكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ فِضَّةً ؛ شُكْرًا لِلَّهِ
تَعَالَى عَلَى نَجَاتِنَا وَسَلَامَةِ مَرْكَبِنَا) .

وَعِنْدَ ذَلِكَ بَكَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةَ رضي الله عنها وَرَفَعَتْ بَصَرُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ :

(إِلَهِي مَا أَرْأَفَكَ وَالْطَّفَكَ بِعِبَادِكَ فَلَكَ الْحَمْدُ الْجَمِيلُ وَالشُّكْرُ الْجَزِيلُ) .

ثُمَّ نَادَتْ الْعَجُوزَ ، فَجَاءَتْ ، فَقَالَتْ لَهَا : (بِكُمْ تَبِيعِينَ غَزْلِكُ كُلُّ جُمُعَةٍ ٩) ، قَالَتْ :
بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، قَالَتْ : (أَبْشِرِي ، فَإِنَّ اللَّهَ عَوَّضَكَ عَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ
دِرْهَمًا) ؛ ثُمَّ قَصَّتْ عَلَيْهَا الْقِصَّةَ ، وَدَفَعَتْ لَهَا ذَلِكَ الْمَبْلَغَ كُلَّهُ ، فَأَخَذَتْهُ ، وَأَتَتْ

بَنَاتِهَا فَأَخْبَرْتُهُنَّ مَا وَقَعَ لَهَا كُلُّهُ ، وَمَا جَرَى مِنَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ رَدَّ لَهْفَتَهَا بِبِرْكََةِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ رضي الله عنه .

● قَالَ الْقُضَاعِيُّ : قُلْتُ لِزَيْنَبَ بِنْتِ يَحْيَى أَخِي السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ رضي الله عنه :
مَا كَانَ قُوْتُ عَمَّتِكَ ؟

قَالَتْ : كَانَتْ تَأْكُلُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَكْلَةً ، وَكَانَتْ لَهَا سَلَّةٌ مُعْلَقَةٌ أَمَامَ مُصَلَّاهَا ، وَكَانَتْ كُلَّمَا طَلَبَتْ شَيْئًا لِلْأَكْلِ وَجَدَتْهُ فِي تِلْكَ السَّلَّةِ ، وَكَانَتْ لَا تَأْخُذُ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ زَوْجِهَا أَوْ مَا يَحِبُّوهَا بِهِ رَبُّهَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لَنَا نَصِيبًا مِمَّا جَعَلَ لِلْسَّيِّدَةِ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ حَاكِيًا عَنْهَا :

﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُومُ أِنِّي لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١)

وَاللَّهُ دَرُّ الْأُسْتَاذِ أَحْمَدَ فَهَمِي عِنْدَمَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

وَحَبَا إِلَاهُ نَفِيسَةَ بِكَرَامَةٍ ● حُصَّتْ بِهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مَرْيَمُ
فِيضٌ مِنَ اللَّهِ الْغَنِيِّ وَنَفْجَةٌ ● فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْمُنْعِمُ
اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ ● وَاللَّهُ يَرْفَعُ مَنْ يُحِبُّ وَيُكْرِمُ

● الْكَرَامَةُ الَّتِي أَكَّدَتْ لِلْإِسْلَامِ السِّيَادَةَ :

كَانَ يُجَاوِزُ بَيْتَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ بَيْتَ لِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ يُقَالُ لَهُ أَبُو السَّرَايَا أَيُّوبُ بْنُ صَابِرٍ ، وَلَهُ بِنْتُ مُقْعَدَةَ ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَجَّهَتْ بِهَا أُمُّهَا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَأْذَنْتَهَا فِي بَقَائِهَا فِي حِمَامِهَا إِلَى أَنْ تَعُودَ مِنْ حِمَامِهَا ، فَتَرَكَتَهَا فِي رَدْهَةِ الدَّارِ وَمَضَتْ إِلَى الْحِمَامِ . حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ نَهَضَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ لَوْضُوتِهَا وَابْنَتُ الْقَعِيدَةِ تَرَقُّبُهَا وَتَسْتَشْرِفُ إِلَى مَا تَصْنَعُهُ السَّيِّدَةُ (وَكَانَ مَاءُ الْوُضُوءِ يَجْرِي فِي مَجْرَى بِالرَّدْهَةِ إِلَى بَيْتِ تَحْتِ عَتَبَةِ الدَّارِ) ؛ فَالْهَمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْبِنْتَ إِلَى أَنْ تَزْحَفَ مِنْ مَكَانِ قَعْدَتِهَا وَتَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْرَى زَاخِفَةً فَأَخَذَتْ فِي تَقْلِيدِ السَّيِّدَةِ فِيمَا تَفْعَلُهُ مِنْ غَسْلِ وَجْهِهَا وَبَيْدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ، وَمَا إِنْ غَسَلَتْ رِجْلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ٢٧ .

الَّذِي يَسِيلُ فِي الْمَجْرَى مِنْ فَضْلِ وَضُوءِ السَّيِّدَةِ ، حَتَّى كَانَتْما نَشَطَتْ مِنْ عِقَالِهَا
وَزَالَ عَنْهَا كُسَا حُهَا وَشَفَاها اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِمَّا بِهَا ؛ فَنهَضَتْ قَائِمَةً مُسْرِعَةً
فِي الخُرُوجِ إِلَى الدَّرْبِ خَارِجَ الدَّارِ تَلْعُبُ مَعَ لَدَائِهَا^(١) . وَالسَّيِّدَةُ نَفِيسَةٌ فِي شُغْلِ
عَنْهَا بِعِبَادَتِهَا وَصَلَاتِهَا ، فَلَمَّا حَضَرَتْ أُمُّ البِنْتِ إِذَا بِهَا تَجَدُّهَا وَقَدْ زَالَ عَنْهَا مَا
أَقْعَدَهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى قَدَمَيْهَا كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهَا شَيْءٌ فَاحْتَضَنَتْهَا وَهِيَ نَشْوَانَةٌ
مَأخُوذَةٌ وَلَا تَكَادُ تُصَدِّقُ عَيْنَيْهَا مِمَّا رَأَتْ مِنْ شِفَاءِ بِنْتِهَا وَعَافِيَتِهَا ، فَسَأَلَتْهَا عَنْ
أَمْرِهَا ، فَأَخْبَرَتْهَا بِجَلِيلَةِ الأَمْرِ وَمَا كَانَ مِنْ غُسْلِهَا رِجْلَيْهَا مِنْ فَضْلِ مَاءِ الوُضُوءِ ،
فَبَكَتِ الأُمُّ بُكَاءً شَدِيداً ، وَقَالَتْ لَا رَبِّبَ فِي أَنْ دِينَ تِلْكَ السَّيِّدَةِ الشَّرِيفَةِ هُوَ الدِّينُ
الصَّحِيحُ ، وَدَخَلَتْ عَلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةً فِي خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَإِجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ .
وَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا تُحِيِّبُهَا ثُمَّ نَطَقَتْ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَأَخْلَصَتْ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ،
وَشَكَرَتْ لِلسَّيِّدَةِ صَنِيعَهَا وَجَمِيلِهَا وَحَمِدَتِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنْ أَخْرَجَهَا مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَأَنْقَذَهَا مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الهُدَى .

وَلَمَّا حَضَرَ وَالِدُ البِنْتِ وَكَانَ مِنْ كِبَارِ قَوْمِهِ وَسِرَاةِ عَشِيرَتِهِ وَرَأَى وَحِيدَتَهُ وَقَدْ تَعَافَتْ ؛
فَصَحَّ جِسْمُهَا وَاسْتَقَامَ عُوْدُهَا وَذَهَبَتْ شَكَائِهَا ، فَأَخَذَتْهُ الأَرِيحِيَّةُ وَاسْتَطَارَهُ الفَرَحُ
فَأَخَذَ يُصَفِّقُ وَيَرْقُصُ ، وَعِنْدَمَا نَبَأَتْهُ أُمُّهَا بِخَبَرِهَا وَمَا حَاطَهَا مِنْ بَرَكََةِ السَّيِّدَةِ
الشَّرِيفَةِ جَارَتِهِمْ ، فَمَا إِنْ انْتَهَتْ زَوْجُهُ مِنْ إِخْبَارِهِ حَتَّى رَفَعَ بَصْرَهُ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى
السَّمَاءِ وَقَالَ : سُبْحَانَكَ رَبَّنَا تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ وَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ
أَنَّ هَذَا الدِّينَ هُوَ الدِّينُ الصَّحِيحُ وَأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَأَنَّهُ لَا دِينَ غَيْرَ
الإِسْلَامِ ؛ ثُمَّ تَوَجَّهَ مِنْ فُورِهِ إِلَى دَارِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةً وَاسْتَأْذَنَهَا فِي الدُّخُولِ فَأَذْنَتْ
لَهُ . فَكَلَّمَهَا وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَبَعْدَ أَنْ حَيَّاهَا وَشَكَرَ لَهَا صَنِيعَهَا ، قَالَ : سَيِّدَتِي
ارْحَمِيْنِي وَتَشَفَّعِي لِي وَاشْفَعِي فِيمَنْ هُوَ فِي ضَلَالِ الكُفْرِ قَدْ تَاهَ ، وَمِنَ الدِّينِ الحَقِّ
أَبَعْدَهُ الكُفْرُ وَأَقْصَاهُ .

فَرَفَعَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةً بِطَرَفِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، وَدَعَتِ اللهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ ؛
فَمَا إِنْ انْتَهَتْ مِنْ دُعَائِهَا حَتَّى نَطَقَ أَبُو السَّرَايَا بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَسَرَى الخَبْرُ فِي تِلْكَ

(١) لَدَائِهَا : البَنَاتُ اللَّائِي فِي سِنِّهَا .

الْجَهَةِ فَاسْلَمَ أَهْلُهَا ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ بَيْتًا مِنَ الْيَهُودِ ؛ اسْلَمُوا كَرَامَةً لِّلسَيِّدَةِ نَفِيسَةَ الَّتِي غَابَتْ عَنْ حَظِّ نَفْسِهَا مَرَضًا لِرَبِّهَا ؛ وَهَكَذَا تَكُونُ كَرَامَاتُ أَهْلِ الْحَقِّ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ .

اسْتَعْدَادُهَا ﷺ لِلِقَاءِ رَبِّهَا وَوَفَاتِهَا :

قَضَتْ سَيِّدَتُنَا نَفِيسَةَ ﷺ حَيَاتَهَا كُلَّهَا بِكُلِّ لِحْظَةٍ فِيهَا ، تُعِدُّ لِهَذِهِ السَّاعَةِ عُدَّتَهَا ، وَتَتَزَوَّدُ لَهَا بِمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ زَادِ التَّقْوَى ؛ وَكَانَتْ تُحَدِّثُ بِذَلِكَ لِلْمُحِبِّينَ لَهَا ؛ عِنْدَمَا كَانُوا يَطْلُبُونَ مِنْهَا الرِّفْقَ بِنَفْسِهَا ، وَتَقْلِيلَ السَّهْرِ ، وَتَخْفِيفَ صَلَاةِ النَّفْلِ ، فَكَانَتْ تُذَكِّرُهُمْ بِهَذِهِ السَّاعَةِ ، قَائِلَةً : (إِنَّ قُدَامَهَا عَقَبَاتٌ ، لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا الْفَائِزُونَ) ؛ وَهِيَ قَدْ اسْتَعَدَّتْ لِهَذِهِ السَّاعَةِ اسْتِعْدَادًا ؛ إِنَّهَا حَفَرَتْ قَبْرَهَا بِيَدِهَا (أَيِ أَمَرَتْ بِنَائِهِ فِي حَالِ صِحَّتِهَا لِشِدَّةِ شَوْقِهَا لِلِقَاءِ خَالِقِهَا وَعَدَمِ اسْتِرْسَالِ نَفْسِهَا فِي الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَزِينَتِهَا) ، وَكَانَتْ ﷺ تَنْزِلُ فِيهِ لِلتَّعْبُدِ وَالتَّذَكُّرِ بِالِدَّارِ الْآخِرَةِ وَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ النَّوَافِلَ الْعَدِيدَةَ ؛ حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا قَرَأَتْ فِيهِ مِائَاتِ الْخَتَمَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَوَهَبَتْ ثَوَابَهَا لِلْأَمْوَاتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، بِخِلَافِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّعْبُدَاتِ .

قَالَتْ زَيْنَبُ رَفِيقَتُهَا وَبِنْتُ أُخِيهَا : تَأَلَّمْتُ عَمَّتِي فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ وَكَتَبْتُ إِلَى زَوْجِهَا إِسْحَاقَ الْمُؤْتَمِنِ كِتَابًا ، وَكَانَ غَائِبًا بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، تُطَلِّبُ إِلَيْهِ فِيهِ الْمَجِيءَ إِلَيْهَا وَمُوَافَاتِهَا لِإِحْسَاسِهَا بِدُنُوِّ أَجْلِهَا وَفِرَاقِهَا لِدُنْيَاهَا وَإِقْبَالِهَا عَلَى أُخْرَاهَا ، وَمَا زِلْتِ مُتَوَعِّكَةً إِلَى أَنْ كَانَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَزَادَ عَلَيْهَا الْأَلَمُ وَهِيَ صَائِمَةٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا الْأَطِبَّاءُ فَأَشَارُوا عَلَيْهَا بِالْإِفْطَارِ لِحِفْظِ قُوَّتِهَا وَلِتَتَغَلَّبَ عَلَى مَرَضِهَا وَضَعْفِهَا فَقَالَتْ : (وَاعْجَبَاهُ !! إِنَّ لِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَوَفَّانِي وَأَنَا صَائِمَةٌ أَفْطِرُ ١٩ مَعَاذَ اللَّهِ تَعَالَى) .

وَعِنْدَمَا حَانَ أَجْلُهَا كَانَتْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَنْعَامِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) ، فَفَاضَتْ

رُوحَهَا الطَّاهِرَةَ ، صَاعِدَةً إِلَى رَبِّهَا ، رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً هَادِيَةً مَهْدِيَّةً .

(١) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : الْآيَةُ ١٢٧ .

كَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاسِطِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٢٠٨هـ .
رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً فِي جَنَاتِ مَأْوَاهُ ، وَجَزَاهَا عَنْ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ وَالْمُسْلِمِينَ
فِيهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ .

كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْإِنْتِقَالِ سَوَاءٌ :

إِنَّ الْوَلِيَّ وَلِيٌّ بِكُلِّ خَصَائِصِهِ حَيًّا كَانَ أَمْ مُنْتَقِلًا ؛ فَلَقَدْ وَافَقَ يَوْمَ وَفَاةِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ
حُضُورُ زَوْجِهَا إِسْحَاقَ الْمُؤْتَمِنِ إِلَى دَارِهَا بِمِصْرَ ، فَهَيَّأَ لَهَا تَابُوتًا وَصَمَّمَ عَلَى
أَنْ يَحْمِلَ جَسَدَهَا الشَّرِيفَ لِدَفْنِهِ بِالْبَقِيعِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ مِصْرَ
وَذَهَبُوا إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ السَّرِيِّ (أَمِيرِ مِصْرَ) ، وَتَوَسَّلُوا بِهِ إِلَى إِسْحَاقَ بِأَنْ يَدْفِنَهَا
عِنْدَهُمْ ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْ عَزْمِهِ ، وَخَاصَّةً أَنَّهَا حَفَرَتْ قَبْرَهَا بِيَدِهَا فِي دَارِهَا .

فَسَأَلَهُ الْأَمِيرُ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : (بِاللَّهِ لَا تَحْرِمْنَا مِنْ مُشَاهَدَةِ قَبْرِهَا ، فَإِنَّا كُنَّا
إِذَا نَزَلَ بِنَا أَمْرٌ جِئْنَا إِلَيْهَا فِي دَارِهَا فِي حَيَاتِهَا نَسْأَلُهَا الدُّعَاءَ ، فَمَا تَنْتَهِي مِنْ
دُعَائِهَا إِلَّا وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنَّا مَا نَزَلَ بِنَا ، فَدَعَا لِتَكُونَ فِي أَرْضِنَا ، فَإِذَا نَزَلَ بِنَا
أَمْرٌ جِئْنَا إِلَى قَبْرِهَا ، فَسَأَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَهُ) ، فَاصْرَرَ إِسْحَاقُ عَلَى نَقْلِهَا وَلَمْ
يَرْضَ مَا طَلَبَهُ الْقَوْمُ وَمَا عَرَضَهُ الْوَالِي .


فَجَمَعُوا لَهُ مَالًا جَزِيلًا (وَسَقَ بَعِيرَهُ الَّذِي وَفَدَ عَلَيْهِ) وَسَأَلُوهُ الْبَقَاءَ فَأَبَى ، فَبَاتُوا فِي
أَلَمٍ عَظِيمٍ وَهَمٍّ مُقِيمٍ ، وَقَدْ تَرَكُوا الْمَالَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّهَارُ : اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ
يُحَدِّقُونَهُ بِنَظَرَاتٍ كُلِّهَا رَجَاءً أَنْ يَنْتَبِيَّ عَمَّا أَرَادَ ، فَوَجَدُوا فِي وَجْهِهِ شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي
كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ ، وَأَجَابَهُمْ عَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ إِلَى دَفْنِهَا عِنْدَهُمْ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَالَهُمْ ،
فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، وَقَالَ لِي : (يَا إِسْحَاقُ ،
رُدُّ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَادْفِنِهَا عِنْدَهُمْ) ، فَفَرِحَ الْقَوْمُ وَأَخَذُوا يُكَبِّرُونَ .

● وَالْوَاقِعُ الْعَمَلِيُّ الْمَشَاهِدُ أَنَّهُ مَا مِنْ زَائِرٍ (عَلَى هُدَى وَنُورٍ) لِمَقَامِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ
إِلَّا حَفَّتْ بِهِ بَرَكَاتُهَا وَشَمِلَتْهُ نَفَحَاتُهَا ؛ فَكَمْ مِنْ مَهْمُومٍ زَارَهَا وَضَرَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
فَانْحَسَبَتْ غَمُومُهُ وَانْقَشَعَتْ هُمُومُهُ ، وَكَمْ مِنْ خَائِفٍ مَدْعُورٍ مِنْ جُورٍ أَوْ حَيْفٍ أَوْ
ظُلْمٍ إِلَّا وَقَدْ لَقِيَ الْإِنصَافَ وَبَاعَدَ اللَّهُ عَنْهُ الظُّلْمَ وَأَزَالَ عَنْهُ الْعَسْفَ ؛ فَسَكَنَ قَلْبُهُ

وعَادَ بَعْدَ زِيَارَتِهَا وَهُوَ وَادِعُ الْحَالِ سَاكِنُ الْبَالِ مُطْمَئِنُّ الْفُؤَادِ ، فَمَقَامُهَا مِنْ الْأَمَاكِنِ
الْمَعْرُوفَةِ بِاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا حَرَجَ عَلَى فَضْلِهِ ؛ فَقَدْ جَرَتْ
سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَوَاصُّ فِي الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكِنَةِ وَالْأَشْخَاصِ .

لَطِيفَةٌ نَفِيسَةٌ فِي زِيَارَةِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ :

اعْتَادَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى عِنْدَ زِيَارَةِ مَقَامِ كَرِيمَةِ الدَّارَيْنِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ
أَنْ يَبْدَأُوا بِصَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى تَحِيَّةً لِمَسْجِدِهَا ، ثُمَّ يَتَّجِهُوا إِلَى ضَرِيحِهَا فِي
خُشُوعٍ قَائِلِينَ :

السَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَالْإِكْرَامُ ، عَلَى أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ الْكِرَامِ ، السَّلَامُ وَالرَّحْمَةُ
عَلَى نَفِيسَةِ بِنْتِ الْحَسَنِ الْأَنْوَرِ بْنِ زَيْدِ الْأَبْلَجِ بْنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ بْنِ عَلِيِّ وَابْنِ
فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ  .

أَنْتُمْ غِيَاثٌ لِكُلِّ قَوْمٍ فِي الْيَقِظَةِ وَالنَّوْمِ ، فَلَا يُحْرَمُ فَضْلُكُمْ إِلَّا مَحْرُومٌ ، وَلَا يُطْرَدُ
عَنْ بَابِكُمْ إِلَّا مَطْرُودٌ ، وَلَا يُوَالِيكُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَلَا يُعَادِيكُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ شَقِيٌّ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَعْطِنِي خَيْرَ مَا رَجَوْتُ بِهِمْ ، وَبَلِّغْنِي خَيْرَ
مَا أَمَلْتُ فِيهِمْ .

يَا آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى ، إِنَّمَا السُّرُورُ وَالسَّلَامَةُ فِيكُمْ ، جِئْتُكُمْ قَاصِدًا ، وَلِلَّهِ بِكُمْ
رَاجِيًا ، اللَّهُمَّ :

إِنِّي الْوَدُ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ❁ أَرْجُو بِذَلِكَ رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ
مِنِّي الدُّعَاءُ بِحُبِّهِمْ لَكَ دَائِمًا ❁ يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالْغُفْرَانِ



ثَابِتًا (خاتمة الإسناد
بِسْمِ كَرِيمَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَنَاسِيهِمْ أُولَى الْأَمْجَادِ

سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه

سَيِّدُ التَّابِعِينَ ، وَيُكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ ؛ وَوُلِدَ لِسَنَّتَيْنِ خَلْتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه (١٥هـ) .
إِنَّمَا الْعِلْمُ الْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ :

✽ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، فَجَلَسَ فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ : وَدِدْتُ أَنَّكَ لَمْ تَتَعَنَّ ، فَقَالَ : إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وَأَنَا مُضْطَجِعٌ .

✽ وَعَنْ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : مَا كَانَ عَالِمٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا يَأْتِينِي بِعِلْمِهِ وَأُوتِي بِمَا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ .

✽ وَعَنْ أَبِي عَيْسَى الْخُرَاسَانِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : لَا تَمَلُّوْا أَعْيُنَكُمْ مِنْ أَعْوَانِ الظُّلْمَةِ إِلَّا يَبْأُتِكُمْ مِنْ قُلُوبِكُمْ لِكَيْ لَا تَخْبَطَ أَعْمَالُكُمْ الصَّالِحَةَ .

✽ وَعَنْ بُرَيْدِ مَوْلَى ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : مَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَسَعِيدٌ فِي الْمَسْجِدِ .

✽ وَعَنْ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : صَلَّى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْغَدَاةَ بِوُضُوءِ الْعَتَمَةِ خَمْسِينَ سَنَةً .

✽ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : مَا أَكْرَمَتِ الْعِبَادُ أَنْفُسَهَا بِمِثْلِ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا أَهَانَتْ أَنْفُسَهَا بِمِثْلِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَكَفَى بِالْمُؤْمِنِ نَصْرَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرَى عَدُوَّهُ يَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ .

✽ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : مَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ .

✽ وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : إِنَّ الدُّنْيَا نَذَالَةٌ هِيَ إِلَى كُلِّ نَذَلٍ أَمِيلٌ ، وَأَنْذَلُ مِنْهَا مَنْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَطَلَبَهَا بِغَيْرِ وَجْهِهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ سُبُلِهَا .

✽ وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرِيفٍ وَلَا عَالِمٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ ، وَلَكِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُذَكَرَ عَيْبُوهُ : مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ ؛ وَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ .

● وَقَدْ أَسْنَدَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ سَادَتِنَا : عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَصُهَيْبَ ، وَجَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، وَسُلْمَانَ ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَابْنَ عَبَّاسٍ ، وَعَمْرُو بْنَ أَبِي سَلَمَةَ ، وَالسَّيِّدَةَ عَائِشَةَ ، وَالسَّيِّدَةَ أُمَّ سَلَمَةَ فِي آخِرِينَ ﷺ .

● وَاتَّفَقَ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ مُرْسَلَاتِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مِنْ أَصْحَ الْمَرَاثِلِ ؛ قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ : لَا أَعْلَمُ فِي التَّابِعِينَ أَوْسَعَ عِلْمًا مِنْهُ .

هَكَذَا كَانَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ أَعَزَّاءَ كِبَرَاءَ :

عَقَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْعَزْمَ عَلَى حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةِ ثَانِيِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ ، زَمَّ الْخَلِيفَةُ رَكَابَهُ^(١) ، وَتَوَجَّهَ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ يَصْحَبُهُ بَعْضُ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَنَفَرَ مِنْ كِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ ، وَبَعْضُ أَوْلَادِهِ ، وَمَضَى الرَّكْبُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ غَيْرِ بَطْءٍ وَلَا عَجَلٍ ؛ فَكَانُوا كُلَّمَا نَزَلُوا مَنْزِلًا نُصِبَتْ لَهُمْ الْخِيَامُ ، وَفُرِشَتْ لَهُمُ الْفُرُشُ ، وَعُقِدَتْ لَهُمْ مَجَالِسُ الْعِلْمِ وَالتَّذْكَرَةِ ؛ لِيَزْدَادُوا تَفْقَهُا فِي الدِّينِ ، وَيَتَعَهَّدُوا قُلُوبَهُمْ وَنَفُوسَهُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

وَلَمَّا بَلَغَ الْخَلِيفَةُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ، أَمَّ حَرَمَهَا الشَّرِيفَ ، وَتَشَرَّفَ بِالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْأَنَامِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ ، وَسَعَدَ بِالصَّلَاةِ فِي الرَّوْضَةِ الْمُطَهَّرَةِ مَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالْمَقَامِ ؛ فَذَاقَ مِنْ بَرْدِ الرَّاحَةِ^(٢) ، وَسَلَامِ النَّفْسِ مَا لَمْ يَذُقْ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ فِي أَيِّ مَكَانٍ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُطِيلَ إِقَامَتَهُ فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مَا اسْتَأْتَرَ بِاهْتِمَامِهِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ حَلَقَاتُ الْعِلْمِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمُرُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ ، وَيَتَأَلَّقُ فِيهَا الْعُلَمَاءُ الْأَفْزَادُ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ كَمَا تَتَأَلَّقُ النَّجُومُ الزُّهْرُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ ؛ فَهَذِهِ حَلَقَةُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَتِلْكَ حَلَقَةُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ،

(٢) بَرْدِ الرَّاحَةِ : سَعَادَةِ الطَّمَأِينَةِ .

(١) زَمَّ رَكَابَهُ : أَمَدَ نَوْفَهُ لِلرَّجِيلِ .

وَهُنَاكَ حَلَقَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ .

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ صَحَا الْخَلِيفَةُ مِنْ قِيلَوْلَتِهِ ^(١) فِي وَقْتٍ كَانَ لَا يَصْحُو فِيهِ عَادَةً ، فَنادَى حَاجِبُهُ وَقَالَ : يَا مَيْسِرَةَ ، قَالَ : لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : امْضِ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ، وادْعُ لَنَا أَحَدَ الْعُلَمَاءِ لِيُحَدِّثَنَا .
مَضَى مَيْسِرَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَأَجَالَ نَظْرَهُ فِيهِ فَلَمْ يَرِ غَيْرَ حَلَقَةٍ
وَاحِدَةٍ تَوَسَّطَهَا شَيْخٌ نَيْفٌ ^(٢) عَلَى السِّتِّينَ مِنْ عُمُرِهِ فِيهِ بَسَاطَةُ الْعُلَمَاءِ وَعَلَيْهِ هَيْبَتُهُمْ
وَوَقَارُهُمْ ، فَوَقَّفَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْحَلَقَةِ ، وَأَشَارَ إِلَى الشَّيْخِ بِإصْبَعِهِ : فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ
الشَّيْخُ ، وَلَمْ يَأْبَهُ لَهُ ^(٣) ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَالَ : أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَشِيرُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : إِلَيَّ أَنَا ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ .

قَالَ : اسْتَيْقِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ : امْضِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَاَنْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا مِنْ
حُدَاثِي ^(٤) ، فَأَتَيْتِي بِهِ .

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : مَا أَنَا مِنْ حُدَاثِهِ .

فَقَالَ لَهُ مَيْسِرَةَ : وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَبْغِي مُحَدَّثًا يُحَدِّثُهُ .

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إِنَّ مَنْ يَبْغِي شَيْئًا يَأْتِي إِلَيْهِ ؛ وَإِنَّ فِي حَلَقَةِ الْمَسْجِدِ مُتَسَعًا لَهُ إِذَا
كَانَ رَاغِبًا فِي ذَلِكَ ، وَالْحَدِيثُ يُؤْتَى إِلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَأْتِي .

فَعَادَ الْحَاجِبُ أَدْرَاجَهُ وَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ : مَا وَجَدْتُ أَحَدًا فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَ شَيْخٍ
أَشْرَتْ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقُمْ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَيْقِظَ فِي هَذَا
الْوَقْتِ وَقَالَ لِي : انْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا مِنْ حُدَاثِي فِي الْمَسْجِدِ فَادْعُهُ لِي ، فَقَالَ
لِي فِي هُدُوٍّ وَحَزْمٍ : إِنِّي لَسْتُ مِنْ حُدَاثِهِ ، وَإِنَّ فِي حَلَقَةِ الْمَسْجِدِ مُتَسَعًا لَهُ إِذَا
كَانَ رَاغِبًا فِي الْحَدِيثِ .

فَتَنَهَّدَ ^(٥) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَهَبَّ قَائِمًا ، وَأَتَجَهَّ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ وَهُوَ يَقُولُ :
ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، لَيْتَكَ لَمْ تَأْتِهِ ، وَلَمْ تُكَلِّمَهُ .

(١) الْقَبُولَةُ : نَوْمَةٌ بَعْدَ الظُّهْرِ .

(٢) نَيْفٌ : زَادٌ .

(٣) لَمْ يَأْبَهُ لَهُ : لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِهِ .

(٤) حُدَاثِي : الَّذِينَ يُحَدِّثُونَنِي .

(٥) تَنَهَّدَ : أَخْرَجَ نَفْسَهُ بَعْدَ مَدَّةٍ حَزَنًا وَأَلْمًا .

الوَابِلُ الصَّبِيبُ ... لِمُتَأَمِّلٍ فِي آثَارِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ :

فَلَمَّا ابْتَعَدَ الْخَلِيفَةُ عَنِ الْمَجْلِسِ وَصَارَ فِي الدَّخْلِ ، انْتَفَتَ أَصْغَرُ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَخٍ لَهُ أَكْبَرَ مِنْهُ وَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَمْتَنِعُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحُضُورِ مَجْلِسِهِ ؛ وَقَدْ دَانَتْ ^(١) لَهُ الدُّنْيَا ، وَخَضَعَتْ لِهَيْبَتِهِ مُلُوكُ الرُّومِ .

فَقَالَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ : ذَاكَ الَّذِي خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنْتَهُ لِأَخِيكَ الْوَلِيدِ ؛ فَأَبَى أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْهُ .

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ : أَبِي أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ۖ ، وَهَلْ كَانَ يَرُومُ لَهَا زَوْجًا أَعَزَّ وَأَكْرَمَ مِنْ وَلِيِّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ، وَخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَسَكَتَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ وَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ .

فَقَالَ الْأَخُ الْأَصْغَرُ : إِذَا كَانَ قَدْ ضَنَّ بِابْنَتِهِ عَلَى وَلِيِّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَلْ وَجَدَ لَهَا الْكُفَاءَ الَّذِي يَلِيقُ بِهَا ؟ ، أَمْ إِنَّهُ حَالَ دُونِهَا وَدُونَ الزَّوْجِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ ، وَتَرَكَهَا قَعِيدَةً بَيْتٍ .

فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ : الْحَقُّ أَنَّي لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ خَبَرِهَا ، وَخَبَرِهِ مَعَهَا . فَانْتَفَتَ إِلَيْهِمَا أَحَدُ الْجُلَاسِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَدِينَةِ وَقَالَ : إِذَا أُذِنَ لِي الْأَمِيرُ قَصَصْتُ عَلَيْهِ خَبَرَهَا كُلَّهُ ؛ فَقَدْ تَزَوَّجَتْ فَتَى مِنْ فِتْيَانِ حِينَا يُقَالُ لَهُ أَبُو وَدَاعَةَ ، وَهُوَ جَارُنَا بَيْتَ بَيْتٍ ^(٢) ، وَلِزَوَاجِهِ مِنْهَا قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ رَوَاهَا لِي بِنَفْسِهِ .

فَقَالَ لَهُ الْأَخْوَانُ : هَاتِهَا .

فَقَالَ الرَّجُلُ : حَدَّثَنِي أَبُو وَدَاعَةَ قَالَ :

كُنْتُ - كَمَا تَعَلَّمُ - الْأَزِيمُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَلِبًا لِلْعِلْمِ ، وَكُنْتُ أُدَاوِمُ عَلَى حَلْقَةِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَأَزَاحِمُ النَّاسَ عَلَيْهَا بِالْمَنَاكِبِ ، فَتَغَيَّبْتُ عَنْ حَلْقَةِ الشَّيْخِ أَيَّامًا ، فَتَفَقَّدَنِي ، وَظَنَّ أَنَّ بِي مَرَضًا ، أَوْ عَرَضَ لِي عَارِضٌ ، فَسَأَلَ عَنِّي مِنْ حَوْلِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ خَبْرًا .

فَلَمَّا عُدْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ حَيَّانِي ، وَرَحَّبَ بِي وَقَالَ :

(٢) جَارُنَا بَيْتَ بَيْتٍ : مُلَاصِقٌ لَنَا .

(١) دَانَتْ : خَضَعَتْ .

أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا وِدَاعَةَ ؟

فَقُلْتُ : تُوَفِّيتُ زَوْجَتِي ، فَاسْتَعَلْتُ بِأَمْرِهَا .

فَقَالَ : هَلَّا أَخْبَرْتَنَا يَا أَبَا وِدَاعَةَ فَنُوَاسِيكَ ، وَنَشْهَدَ جَنَازَتَهَا مَعَكَ ، وَنُعِينَكَ عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ .

فَقُلْتُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ .. فَاسْتَبَقَانِي حَتَّى أَنْصَرَفَ جَمِيعٌ مِنْ

كَانَ فِي الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَمَا فَكَّرْتُ فِي اسْتِحْدَاثِ زَوْجَةٍ لَكَ يَا أَبَا وِدَاعَةَ ؟

فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، وَمَنْ يُزَوِّجُنِي ابْنَتَهُ وَأَنَا شَابٌّ نَشَأُ يَتِيمًا ، وَعَاشٍ فَقِيرًا ، فَأَنَا لَا أَمْلِكُ غَيْرَ دِرْهَمَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ .

فَقَالَ : أَنَا أَزُوجُكَ ابْنَتِي .

فَانْعَقَدَ لِسَانِي ، وَقُلْتُ : أَنْتَ ؟ ، أَتَزَوِّجُنِي ابْنَتَكَ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ مِنْ أَمْرِي مَا عَرَفْتَ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ ... فَنَحْنُ إِذَا جَاءَنَا مَنْ نَرْضَى دِينَهُ وَخُلُقَهُ زَوْجَانَاهُ ، وَأَنْتَ عِنْدَنَا

مَرْضِيٌّ الدِّينِ وَالْخُلُقِ ، ثُمَّ التَّفَتُّ إِلَيَّ مِنْ كَانَ قَرِيبًا مِنَّا ، وَنَادَاهُمْ ، فَلَمَّا أَقْبَلُوا

عَلَيْهِ ، وَصَارُوا عِنْدَهُ ؛ حَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَعَقَدَ لِي عَلَى ابْنَتِهِ ، وَجَعَلَ مَهْرَهَا دِرْهَمَيْنِ

اِثْنَيْنِ ، فَقُمْتُ وَأَنَا لَا أَدْرِي مَا أَقُولُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَالْفَرَحِ ، ثُمَّ قَصَدْتُ بَيْتِي ، وَكُنْتُ

يَوْمَئِذٍ صَائِمًا ؛ فَتَسَيَّتُ صَوْمِي وَجَعَلْتُ أَقُولُ : وَيْحَكَ ^(١) يَا أَبَا وِدَاعَةَ ، مَا الَّذِي صَنَعْتَ

بِنَفْسِكَ ؟ ، مِمَّنْ تَسْتَدِينُ ؟ ، وَظَلَلْتُ عَلَى حَالِي هَذِهِ حَتَّى أُذِنَ لِلْمَغْرِبِ ، فَأَدْبَيْتُ

الْمَكْتُوبَةَ ^(٢) ، وَجَلَسْتُ إِلَى فُطُورِي ، وَكَانَ خُبْرًا وَزَيْتًا ، فَمَا إِنْ تَنَاوَلْتُ مِنْهُ لُقْمَةً أَوْ

لُقْمَتَيْنِ حَتَّى سَمِعْتُ الْبَابَ يُقْرَعُ ، فَقُلْتُ : مَنْ الطَّارِقُ ؟

فَقَالَ : سَعِيدٌ ...

فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي كُلِّ إِنْسَانٍ اسْمُهُ سَعِيدٌ أَعْرَفُهُ إِلَّا سَعِيدَ بَنِ الْمُسَيَّبِ ؛ ذَلِكَ

لِأَنَّهُ لَمْ يَرْمُدْ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ ، فَإِذَا بِي أَمَامَ

سَعِيدِ بَنِ الْمُسَيَّبِ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ فِي أَمْرِ زَوَاجِي مِنْ ابْنَتِهِ شَيْءٌ ، وَقُلْتُ

لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ ، هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَاتِيكَ .

(٢) الْمَكْتُوبَةُ : أَي صَلَاةُ الْمَغْرِبِ .

(١) وَيْحٌ : كَلِمَةٌ تَرْحَمُ وَيَتَوَجَّعُ .

فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ أَحَقُّ بِأَنْ آتِيَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ .
فَقُلْتُ : تَفَضَّلْ عَلَيَّ .

فَقَالَ : كَلَّا ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِأَمْرٍ .
فَقُلْتُ : وَمَا هُوَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟

فَقَالَ : إِنَّ ابْنَتِي أَصْبَحَتْ زَوْجَةً لَكَ بِشَرِّعِ اللَّهِ مُنْذُ الْغَدَاةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ
مَعَكَ أَحَدٌ يُؤْنِسُ وَحْشَتَكَ ، فَكْرِهْتُ أَنْ تَبِيتَ أَنْتَ فِي مَكَانٍ وَزَوْجَتُكَ فِي مَكَانٍ آخَرَ ،
فَجِئْتُكَ بِهَا .

فَقُلْتُ : وَيَجِي ... جِئْتَنِي بِهَا ؟
فَقَالَ : نَعَمْ .

فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ بِطُولِهَا .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا وَقَالَ : ادْخُلِي إِلَى بَيْتِ زَوْجِكَ يَا ابْنَتِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، وَبِرَكَتِهِ .
فَلَمَّا أَرَادَتْ أَنْ تَخْطُو ؛ تَعَثَّرَتْ بِمَلَأَتِهَا مِنَ الْحَيَاءِ حَتَّى كَادَتْ تَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ ،
أَمَّا أَنَا فَقَدْتُ وَقَفْتُ أَمَامَهَا مَشْدُومًا ^(١) لَا أَدْرِي مَا أَقُولُ ، ثُمَّ إِنِّي بَادَرْتُ فَسَبَقْتُهَا إِلَى
الْقَصْعَةِ الَّتِي فِيهَا الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ ، فَفَحَّيْتُهَا مِنْ ضَوْءِ السَّرَاجِ حَتَّى لَا تَرَاهَا ، ثُمَّ
صَعِدْتُ إِلَى السَّطْحِ وَنَادَيْتُ الْجِيرَانَ ، فَأَقْبَلُوا عَلَيَّ وَقَالُوا : مَا شَأْنُكَ ؟

فَقُلْتُ : عَقَدَ لِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَلَى ابْنَتِهِ الْيَوْمَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ جَاءَنِي بِهَا
الآنَ عَلَى غَفْلَةٍ ، فَتَعَالَوْا أَنْسُوهَا حَتَّى أَدْعُو أُمَّي ، فَهِيَ بَعِيدَةٌ الدَّارِ .
فَقَالَتْ عَجُوزٌ مِنْهُنَّ : وَيَحْكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ ، أَزَوَّجَكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ابْنَتَهُ ،
وَحَمَلَهَا لَكَ إِلَى الْبَيْتِ بِنَفْسِهِ ؟ ، وَهُوَ الَّذِي ضَنَّ بِهَا عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ !! .
فَقُلْتُ : نَعَمْ .. وَهَا هِيَ ذِي عِنْدِي فِي بَيْتِي ، فَهَلُمُّوا إِلَيْهَا وَأَنْظُرُوهَا .

فَتَوَجَّهَ الْجِيرَانُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَهُمْ لَا يَكَادُونَ يُصَدِّقُونَنِي ، وَرَحَّبُوا بِهَا ، وَأَنْسُوا
وَحْشَتَهَا ، وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّي ، فَلَمَّا رَأَتْهَا التَّقَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : وَجْهِي
مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تَتْرُكْهَا لِي حَتَّى أَصْلَحَ شَأْنُهَا ، ثُمَّ أَزْفُهَا إِلَيْكَ كَمَا تُزَفُّ
كَرَائِمُ النِّسَاءِ .

(١) مَشْدُومًا : ذَاهِلًا حَائِرًا .

فَقُلْتُ : أَنْتِ وَمَا تُرِيدِينَ .

فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ زَفَّتْهَا إِلَيَّ ، فَإِذَا هِيَ مِنْ أَبْهَى نِسَاءِ الْمَدِينَةِ جَمَالاً ، وَأَحْفَظِ النَّاسِ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَزْوَاهُمْ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَعْرَفِ النِّسَاءِ بِحُقُوقِ الزَّوْجِ .

فَمَكَثْتُ مَعَهَا أَيَّاماً لَا يَزُورُنِي أَبُوهُمَا أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا ، ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ حَلَقَةَ الشَّيْخِ فِي الْمَسْجِدِ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَردَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَلَمْ يَكَلِّمْنِي ، فَلَمَّا انْفَضَّ الْمَجْلِسُ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي قَالَ : مَا حَالُ زَوْجَتِكَ يَا أَبَا وَدَاعَةَ ؟ .

فَقُلْتُ : هِيَ عَلَيَّ مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ الْعَدُوُّ .

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .

فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى بَيْتِي ، وَجَدْتُهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَيْنَا مَبْلَغاً وَفِيراً مِنَ الْمَالِ لِنَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى حَيَاتِنَا .

فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : عَجِيبٌ أَمْرُ هَذَا الرَّجُلِ .

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : وَمَا وَجَّهَ الْعَجَبِ فِيهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ ، إِنَّهُ أَمْرٌ جَعَلَ دُنْيَاهُ مَطِيَّةً لِأُخْرَاهُ ، وَاشْتَرَى لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ الْبَاقِيَةَ بِالْفَانِيَةِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ مَا ضَنَّ عَلَى ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِابْنَتِهِ ، وَلَا رَأَى غَيْرَ كُفْءٍ لَهَا ، وَإِنَّمَا خَافَ عَلَيْهَا فِتْنَةَ الدُّنْيَا ، وَلَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَتَرُدُّ خُطْبَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتُزَوِّجُ ابْنَتَكَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ؟ .

فَقَالَ : إِنَّ ابْنَتِي أَمَانَةٌ فِي عُنُقِي ، وَقَدْ تَحَرَّيْتُ فِيهَا صَنْعَتَهُ لَهَا صَلَاحَ أَمْرِهَا .
فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ؟ .

فَقَالَ : مَا ظَنُّكُمْ بِهَا إِذَا انْتَقَلَتْ إِلَى قُصُورِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَتَقَلَّبَتْ بَيْنَ رِيَاشِهَا وَأَثَانِهَا ، وَقَامَ الْخُدْمُ وَالْحَشْمُ وَالْجَوَارِي بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَعَنْ يَمِينِهَا ، وَعَنْ شِمَالِهَا ، ثُمَّ وَجَدَتْ نَفْسَهَا بَعْدَ ذَلِكَ زَوْجَةً لِلْخَلِيفَةِ : أَيَّنْ يُصْبِحُ دِينُهَا يَوْمَئِذٍ ؟ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ : يَبْدُو أَنَّ صَاحِبَكُمْ طِرَازٌ فَرِيدٌ مِنَ النَّاسِ .

فَقَالَ الرَّجُلُ الْمَدَنِيُّ : وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ الْحَقَّ أَبَداً ؛ فَهُوَ صَوَامٌ نَهَارٍ ، قَوَامٌ لَيْلٍ ،

حَجَّ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ حِجَّةً ، وَمَا فَاتَتْهُ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ مُنْذُ
 أَرْبَعِينَ عَامًا ، وَلَا عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قِفَا رَجُلٍ فِي الصَّلَاةِ خِلَالَ ذَلِكَ أَبَدًا
 (لِمُحَافَظَتِهِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ) ، وَقَدْ كَانَ فِي وَسْعِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ نِسَاءِ
 قُرَيْشٍ ، فَأَثَرُ بِنْتِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى سَائِرِ النِّسَاءِ ؛ وَذَلِكَ لِمَنْزِلَتِهِ مِنْ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ وَسَعَةِ رِوَايَتِهِ لِجَدِيدِهِ وَشِدَّةِ رَغْبَتِهِ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ .

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ :

لَقَدْ نَذَرَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ نَفْسَهُ لِلْعِلْمِ مُنْذُ نِعُومَةِ أَظْفَارِهِ ؛ فَدَخَلَ عَلَى أُمَّهَاتِ
 الْمُؤْمِنِينَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَأَثَّرَ بِهِنَّ (انْتَفَعَ مِنْهُنَّ وَسَلَكَ مَسَلَكَهُنَّ) ، وَتَتَلَّمَذَ عَلَى
 يَدَيْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَسَمِعَ مِنْ عُثْمَانَ
 وَعَلِيٍّ ، وَصُهَيْبٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ
 وَتَحَلَّى بِشِمَائِلِهِمْ ، وَلَقَدْ كَانَتْ لَهُ كَلِمَةٌ يُرَدِّدُهَا عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى غَدَتْ وَكَانَهَا شِعَارًا
 لَهُ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ :

مَا أَعَزَّتِ الْعِبَادُ نَفْسَهَا بِمِثْلِ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا أَهَانَتْ نَفْسَهَا بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ .
 ● تُوَفِّي ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .



النَّجَاشِيُّ ﷺ

وَأَسْمُهُ (أَصْحَمَةُ) عَلَى وَزْنِ أَرْبَعَةٍ ؛ وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ : عَطِيَّةٌ .

وَالنَّجَاشِيُّ : لَقَبٌ لَهُ وَلِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ ، كَمَا يُسَمَّى كُلُّ خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ مَلَكَ الرُّومَ قَيْصَرَ ، وَالتُّرْكَ خَاقَانَ ، وَالفُرسَ كِسْرَى ، وَمِصْرَ فِرْعَوْنَ ، وَالْيَمَنَ تَبَعَ ، وَحَمِيرَ الْقَيْلِ ، وَالهِنْدَ يَعْسُوبَ ^(١) .

عِنَايَةُ اللَّهِ تَحْفَظُ النَّجَاشِيَّ وَتَدْخِرُهُ نُصْرَةَ لِلنَّبِيِّ :

كَانَ وَالِدُ أَصْحَمَةَ مَلِكًا لِلْأَحْبَاشِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ سِوَاهُ ، فَقَالَ بَعْضُ زُعَمَاءِ الْحَبَشَةِ لِبَعْضٍ : إِنَّ مَلِكَنَا لَا وَوَلَدٌ لَهُ غَيْرَ هَذَا الْغُلَامِ ؛ وَإِنَّ ذَلِكَ سَيَقْتُلُ فِي عَضِدِهِ ^(٢) وَهُوَ حَيٌّ ، وَيَقْضِي عَلَى مُلْكِهِ إِذَا مَاتَ ، وَيَسُوقُنَا إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ ^(٣) ، فَحَبَدْنَا لَوْ قَتَلْنَاهُ وَمَلَكْنَا أَخَاهُ ؛ فَإِنَّ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ وَوَلَدًا يُؤَاوِرُونَهُ فِي حَيَاتِهِ وَيَرِثُونَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ . وَمَا زَالَ يُوسُوسُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، وَيَبُثُّ فِي رُوعِهِمْ مِنْ رُوعِهِ ^(٤) ، حَتَّى قَتَلُوا مَلِكَهُمْ ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ مِنْ بَعْدِهِ .

نَشَأَ أَصْحَمَةُ فِي كَنَفِ عَمِّهِ ، وَأَخَذَتْ بَرَاعِمَهُ تَتَفَتَّحُ عَنْ ذِكَاةٍ لَامِعٍ ، وَحَزْمٍ رَائِعٍ ، وَبَيَانٍ مُشْرِقٍ ، وَشَخْصِيَّةٍ فَذَّةٍ ؛ حَتَّى مَلَأَ فُؤَادَ عَمِّهِ إِعْجَابًا بِهِ ، وَتَقْدِيرًا لِمَزَايَاهُ ، وَتَفْضِيلًا لَهُ عَلَى أَبْنَائِهِ .

ثُمَّ وَسَّوسَ الشَّيْطَانُ مَرَّةً أُخْرَى لِسَادَةِ الْأَحْبَاشِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْمُلْكُ إِلَى هَذَا الشَّابِّ ، وَلَيْسَ تَمَّ لَهُ ذَلِكَ ؛ لَيَنْتَقِمَنَّ مِنَّا شَرًّا اِنْتِقَامٍ وَلَيَقْتُلُنَا أَجْمَعِينَ جَزَاءَ مَا قَتَلْنَا أَبَاهُ ، ثُمَّ مَضُوا إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّا لَا تَطِيبُ نَفُوسُنَا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا ، إِلَّا إِذَا قَتَلْتَ أَصْحَمَةَ ، أَوْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ؛ فَهَا هُوَ ذَا قَدْ شَبَّ ، وَإِنَّا لَنَخْشَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَّا جَزَاءَ مَا قَتَلْنَا أَبَاهُ . فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : بَسَّسَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ ؛ لَقَدْ قَتَلْتُمْ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ ، وَتَطْلُبُونَ مِنِّي أَنْ أَقْتُلَهُ الْيَوْمَ !! وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ .

فَقَالُوا : إِذْنًا نَأْخُذُهُ ، وَنَرْمِي بِهِ خَارِجَ بِلَادِنَا ، فَادْعَنَّ لَهُمْ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ وَعَجْزِ .

(١) رَفَعَ شَأْنَ الْجَبْشَانَ : جَلَّالَ الدِّينِ السُّيُوطِي .

(٢) رَفَعَ شَأْنَ الْجَبْشَانَ : جَلَّالَ الدِّينِ السُّيُوطِي .

(٣) لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ : لَا يَسُرُّ .

(٤) يَبُثُّ فِي رُوعِهِمْ : يُبْهِرُ مَخَافَتَهُمْ .

لَمْ يَمُضْ عَلَى إِبْعَادِ أَصْحَمَةَ غَيْرُ يَوْمٍ وَبَعْضُ يَوْمٍ حَتَّى وَقَعَ مَالَمٌ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ؛
 فَلَقَدْ تَلَبَّدَ الْأَفُقُ بِالْغُيُومِ الدُّكْنِ ، وَهَاجَتِ السَّمَاءُ بِالصَّوَاعِقِ وَمَاجَتْ ، ثُمَّ سَقَطَتْ
 إِحْدَاهَا عَلَى عَمِّهِ الْحَزِينِ عَلَى فِرَاقِهِ ، فَأَزْدَتْهُ قَتِيلًا ؛ فَهَبَّ الْأَحْبَاشُ إِلَى أَوْلَادِ
 الْمَلِكِ ؛ لِيُعْهَدُوا إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْمُلْكِ ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِمْ خَيْرًا ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ
 الْكَرْبُ ، وَضَاقَ فِي وُجُوهِهِمُ الْأَمْرُ .

وَقَدْ زَادَهُمْ ضِيقًا وَكَرْبًا أَنَّ بَعْضَ الشُّعُوبِ الْمُجَاوِرَةِ لِلْحَبَشَةِ هَمَّتْ بِأَنْ تَقْتَنِمَ
 الْفُرْصَةَ ، وَأَنْ تَغْزُو دِيَارَهُمْ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا يُقِيمُ أَمْرَكُمْ ،
 وَيَحْفَظُ مُلْكَكُمْ أَحَدٌ غَيْرُ ذَلِكَ الْفَتَى الَّذِي رَمَيْتُمْ بِهِ فِي الْأَمْسِ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِي
 أَمْرِ الْحَبَشَةِ حَاجَةٌ فَأَدْرِكُوهُ وَأَعِيدُوهُ ، ثُمَّ خَرَجُوا فِي طَلْبِهِ ، وَأَعَادُوهُ إِلَى وَطَنِهِ ،
 وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ ، وَبَايَعُوهُ بِالْمُلْكِ ، وَدَعَوُهُ بِالنَّجَاشِيِّ ؛ فَسَاسَ الْبِلَادَ
 بِالْحُنُكَةِ ^(١) وَالْحِكْمَةِ ، وَأَرَاخَ الْعِبَادَ مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالْفَوْضَى ، وَمَلَأَ الْحَبَشَةَ عَدْلًا
 وَخَيْرًا ؛ بَعْدَ أَنْ امْتَلَأَتْ ظُلْمًا وَشَرًّا .

مَلِكٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ؛

لَمْ يَكِدِ النَّجَاشِيُّ يَسْتَقِرُّ عَلَى كُرْسِيِّ مُلْكِهِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَيْنَ
 الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَأَخَذَ الْمَهْدِيِّونَ السَّابِقُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ يَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَاحِدًا إِثْرَ
 آخَرَ ؛ فَهَبَّتْ قَرِيشٌ تَلْحِقُ بِهِمُ الْأَذَى وَتَنْزِلُ بِهِمُ الضَّرَّ .

فَلَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ مَكَّةُ بِمَا رَحِبَتْ ، وَأَنْزَلَ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَذَى مَا يُزْلِزِلُ
 الصَّمَّ الصَّلَابَ ^(٢) ، قَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(إِنَّ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلَكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ، فَالْحَقُّوا بِبِلَادِهِ ، وَلُودُوا بِحِمَاهُ ،
 حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ فَرَجًا ، وَيُهَيِّئَ لَكُمْ مِنْ ضَيْقِكُمْ مَخْرَجًا) .

مَضَى رَكْبُ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَكَانُوا ثَمَانِينَ بَيْنَ رِجَالٍ
 وَنِسَاءٍ ؛ فَتَدَوَّقُوا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ طَعْمَ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ ، وَتَمَتَّعُوا بِحَلَاوَةِ التَّقَى وَالْعِبَادَةِ
 دُونَ أَنْ يُعَكِّرَ صَفْوُ عِبَادَتِهِمْ مُعَكِّرٌ أَوْ يُكِدِّرَ حَلَاوَةَ إِيمَانِهِمْ مُكِدِّرٌ .

(٢) الصَّمُّ الصَّلَابُ : الْجِبَالُ الرَّاسِيَّةُ .

(١) الْحُنُكَةُ : الْخَيْبَةُ .

لَكِنَّ قُرَيْشًا مَا كَادَتْ تَعْلَمُ بِرَحِيلِ هَذَا النَّفَرِ الثَّمَانِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ
الْحَبَشَةِ وَاسْتِقْرَارِهِمْ فِيهَا حَتَّى هَبَّتْ تَأْتِمُرُ بِهِمْ لِتَقْضِيَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ تَسْتَرِدَّهُمْ
إِلَى مَكَّةَ ؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْدَادِ^(١) رَجَالِهَا ذَكَاءَ وَحُنْكَةَ ، هُمَا
عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَبَعَثَتْ مَعَهُمَا بِهَدَايَا وَفِيرَةٍ لِلنَّجَاشِيِّ
وَبِطَارِقَتِهِ^(٢) مِمَّا كَانُوا يَسْتَطْرِفُونَهُ^(٣) مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ .

فَلَمَّا قَدِمَا الْحَبَشَةَ بَادَرَا إِلَى لِقَاءِ الْبِطَارِقَةِ قَبْلَ أَنْ يَلْقُوا النَّجَاشِيَّ ، وَدَفَعَا إِلَى كُلِّ
بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ ، وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ قَدْ حَلَّ فِي أَرْضِكُمْ غِلْمَانٌ مِنْ سُفَهَائِنَا ؛ صَبَبُوا^(٤)
عَنْ دِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَمَزَقُوا كَلِمَةَ قَوْمِهِمْ ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِي أَمْرِهِمْ ؛
فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا دُونَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، فَإِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ
أَبْصَرُ بِهِمْ وَأَعْلَمُ بِمَا يَدِينُونَ .

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَسَجَدَا لَهُ كَمَا كَانَ
يَسْجُدُ لَهُ قَوْمُهُ ، فَرَحَّبَ بِهِمَا النَّجَاشِيُّ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ لِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرُو بْنِ
الْعَاصِ مِنْ وَدِّ سَابِقٍ ، ثُمَّ قَدِمَا لَهُ الْهَدَايَا مَشْفُوعَةً بِتَحِيَّاتِ كِبَارِ رِجَالِ مَكَّةَ ، وَعَلَى
رَأْسِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ زَعِيمُ قُرَيْشٍ ، فَاسْتَطَرَفَ هَدَايَاهُمْ وَأَعْجَبَ بِهَا .

ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَدْ أَوَى إِلَى مَمْلَكَتِكَ غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ
قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ ، وَلَا تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ ،
وَقَدْ بَعَثْنَا أَشْرَافَ قَوْمِنَا يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ؛ فَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ دِينٍ ،
وَمَا أَحَدَثُوهُ مِنْ بَدْعَةٍ .

فَنَظَرَ النَّجَاشِيُّ إِلَى بِطَارِقَتِهِ ؛ فَقَالُوا : صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَإِنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَى
دِينِهِمْ الَّذِي اسْتَحَدَثُوهُ ، وَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَدْرَى بِهِمْ مِنَّا وَأَعْلَمُ بِمَا ابْتَدَعُوهُ .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : لَا وَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ لِأَحَدٍ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ ، وَأَقِفْ عَلَى عَقِيدَتِهِمْ ؛
فَإِنْ كَانُوا عَلَى شَرٍّ أَسْلَمْتُهُمْ لِقَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى خَيْرٍ حَمَيْتُهُمْ وَأَحْسَنْتُ جَوَارِهِمْ
مَا دَامُوا فِي بِلَادِي ، ثُمَّ أَرَدَفَ يَقُولُ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْسَى فَضْلَ اللَّهِ عَلَيَّ ؛ فَلَقَدْ رَدَّنِي

(١) الْأَهْدَادُ : سَادَةُ الْقَوْمِ وَدُمَائِهِمْ .

(٢) الْبِطَارِقَةُ : جَمْعُ بِطْرِيقٍ ، وَهُوَ الْقَائِدُ ذُو الرُّيَّةِ .

(٣) يَسْتَطْرِفُونَهُ : يَرْعَوْنَ فِيهِ وَيَجِدُونَهُ حَدِيثًا .

(٤) صَبَبُوا : حَرَّجُوا .

إِلَى أَرْضِي ، وَحَمَانِي مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ لِي ، وَصَانَتِي مِنْ بَغْيِ الْبَاغِينَ عَلَيَّ .
دَعَا النَّجَاشِيُّ الصَّحَابَةَ إِلَى لِقَاءِ بَنِي قَوْمِهِمْ عِنْدَهُ ، فَأَوْجَسُوا خِيفَةً مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْ دِينِكُمْ ؟

فَقَالَ مُقَدَّمُهُمْ : نَقُولُ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ، وَنُعَلِنُ مَا جَاءَنَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
عَنْ رَبِّهِ ، ثُمَّ مَضُوا إِلَيْهِ ؛ فَوَجَدُوا عِنْدَهُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ،
وَأَلْفَا بَطَارِقَتَهُ جَالِسِينَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، فَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَجَلَسُوا
حَيْثُ أَنْتَهَى بِهِمُ الْمَجْلِسُ .

فَالْتَقَتَ إِلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَقَالَ : مَا لَكُمْ لَا تَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ ؟
فَقَالُوا : إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ .

فَهَزَّ النَّجَاشِيُّ رَأْسَهُ إِعْجَابًا بِمَا قَالُوا ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي رِفْقٍ وَقَالَ :
مَا هَذَا الَّذِي اسْتَحَدَّثْتُمُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ دِينٍ ، وَفَارَقْتُمْ بِسَبَبِهِ دِينَ قَوْمِكُمْ ، وَلَمْ
تَدْخُلُوا فِي دِينِي ؟

فَاسْتَأْذَنَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّا لَمْ نَسْتَحْدِثْ لِأَنْفُسِنَا دِينًا ،
وَإِنَّمَا جَاءَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِدِينِ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَأَخْرَجَنَا مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ؛ فَلَقَدْ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ،
وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ ، وَبِيْطِشُ الْقَوِيَّ مِنَّا بِالضَّعِيفِ ،
وَلَقَدْ بَقِينَا عَلَى حَالِنَا تِلْكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَنْقُ
بِصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ وَأَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ، وَحَضَّنَا عَلَى
إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَأَنْ نَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُهُ مِنَ الْحِجَارَةِ
وَالْأَوْثَانِ ، كَمَا أَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ،
وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَصَوْنِ الدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنْ إِتْيَانِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ،
وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ؛ فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِرِسَالَتِهِ ، وَاتَّبَعْنَا مَا جَاءَ بِهِ ، وَجَعَلْنَا نَعْبُدُ اللَّهَ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحَلَّنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَمَا كَانَ مِنْ
قَوْمِنَا إِلَّا أَنْ عَدَوْا عَلَيْنَا ، وَأَنْزَلُوا بِنَا أَشَدَّ الْعَذَابِ ؛ لِيَفْتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ، وَيُرُدُّونَا
إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بَعْدَ أَنْ عَبَدْنَا الْوَاحِدَ الدِّيَانَ ، فَلَمَّا فَهَرُونَا ، وَظَلَمُونَا ، وَضَيَّقُوا

عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، رَغِبْنَا فِي اللُّجُوءِ إِلَى جِوَارِكِ ، وَالْإِقَامَةَ فِي دِيَارِكِ
وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ .

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ عَنْ رَبِّهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ .

فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، وَكَانَ مِمَّا قَرَأَهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا
زَكِيًّا ۖ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۖ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ هَيْبٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَقْضِيًّا ۖ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا ۖ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ
إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۖ
فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۖ ﴾^(١)

فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ^(٢) لِحَيْتُهُ ، وَبَكَى أَسَاقِفَتُهُ ، وَهُنَا انْتَقَتِ النَّجَاشِيُّ إِلَى
عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَصَاحِبِهِ وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي تُلِي عَلَيْنَا ، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى ؛
لِيُخْرِجَانِي مِنْ مِشْكَاةٍ^(٣) وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : وَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا أَبَدًا ، وَلَا
أَحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ مَا حَبِيبٌ ، ثُمَّ نَهَضَ قَائِمًا فَنَهَضَ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَانْفَضَّ الْمَجْلِسُ .
خَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ يَتَمَيِّزُ^(٤) مِنَ الْغَيْظِ ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ : وَاللَّهِ لَأَلْقِيَنَّ
النَّجَاشِيَّ غَدًا ، وَلَأُحَدِّثُهُ عَنْهُمْ حَدِيثًا يَجْتُثُّ شَجَرَتَهُمْ^(٥) ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ .
فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ (وَكَانَ أَرْقَ مِنْهُ قَلْبًا) : لَا تَفْعَلْ يَا عَمْرُو ؛ فَإِنَّ لَهُمْ فِينَا أَرْحَامًا
وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا .

(١) سُورَةُ مَرْيَمَ : الْآيَاتُ ١٦-٢٤ .

(٢) اخْضَلَّتْ : انْبَلَّتْ .

(٣) الْمِشْكَاةُ : كَوْءٌ غَيْرُ نَافِذَةٍ ؛ أَي مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ .

(٤) يَتَمَيِّزُ : يَقَطِّعُ .

(٥) يَجْتُثُّ شَجَرَتَهُمْ : يَقْلَعُ شَجَرَتَهُمْ مِنْ أَصُولِهَا .

فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ شَيْئًا وَكَتَمُوا شَيْئًا ، وَأَنَّهُمْ
يَنَالُونَ مِنْهُ ، وَيَقُولُونَ عَنْهُ إِنَّهُ عَبْدٌ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَقَدْ أَسْمَعُوكَ
بِالْأَمْسِ شَيْئًا وَأَخَفُوا عَنْكَ شَيْئًا ؛ فَهَمْ يَقُولُونَ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ عَبْدٌ .
فَدَعَاهُمْ النَّجَاشِيُّ وَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ؟ ١٥ .

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ مَا جَاءَنَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ .
فَقَالَ : وَمَا الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ ؟ ١٦ .

فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ .
فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عِيسَى عَمَّا قُلْتَ قَبْدَ أَنْمَلَةَ (١) .

فَتَنَاحَرَ الْبِطَارِقَةَ (٢) مِنْ حَوْلِهِ مُسْتَنْكِرِينَ قَوْلَهُ ، فَظَنَرَ إِلَيْهِمْ شَزْرًا (٣) ، وَقَالَ : وَإِنْ
تَنَاحَرْتُمْ ، ثُمَّ قَالَ لَجَعْفَرٍ وَمَنْ مَعَهُ : اذْهَبُوا فَإِنَّكُمْ آمِنُونَ فِي أَرْضِي ، مَنْ نَالَ مِنْكُمْ
غَرِمَ (٤) ، مَنْ نَالَ مِنْكُمْ غَرِمَ ، وَإِنِّي مَا أُحِبُّ أَنْ أُعْطَى جَبَلًا مِنْ ذَهَبٍ ، وَأُوذِيَ أَحَدًا
مِنْكُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِحُجَّابِهِ : رُدُّوا عَلَى عَمْرُو وَصَاحِبِهِ هَدَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ،
وَإِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ مِنِّي رِشْوَةً حِينَ رَدَّنِي إِلَى مُلْكِي حَتَّى آخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَمَا أَطَاعَ
النَّاسَ فِي أَمْرِي حَتَّى أُطِيعَهُمْ فِي أَمْرِهِ .

مُدَارَاةُ أَهْلِ الزَّبْحِ وَالْبُهْتَانِ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ بِالْإِيمَانِ :

هَبَّ الْبِطَارِقَةُ يُعْلِنُونَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ فَارَقَ دِينَهُ ، وَاسْتَبَدَلَ بِهِ دِينًا آخَرَ ،
وَطَفِقُوا يَدْعُونَهُمْ إِلَى خَلْعِهِ ، فَتَأَلَّبَ (٥) الْأَحْبَاشُ عَلَيْهِ ، وَعَزَمُوا عَلَى نَقْضِ بَيْعَتِهِ .
فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ يُخْبِرُهُمْ بِالْأَمْرِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ
سُفْنًا ، وَقَالَ لَهُمْ : ارْكَبُوهَا وَاسْتَعِدُّوا لِمَا سَيَحْدُثُ ؛ فَإِنْ هُرِمْتُمْ ؛ فَاْمُضُوا حَيْثُ
شِئْتُمْ ، وَإِنْ ظَفِرْتُمْ ، فَاسْتَقِرُّوا كَمَا كُنْتُمْ .

(١) قَبْدَ أَنْمَلَةَ : بِمُقْدَارِ رَأْسِ الْإِصْبَعِ .

(٢) تَنَاحَرَ الْبِطَارِقَةَ : كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَخْرَجُوا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَصْوَاتًا بَغِيضَةً .

(٣) شَزْرًا : النَّظَرُ بِمُؤَخَّرَةِ الْعَيْنِ حَالَ الْفُضْبِ أَوْ السُّخْرِيَّةِ .

(٤) غَرِمَ : خَسِرَ .

(٥) تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ : تَجَمَّعُوا عَلَيْهِ ، وَخَشَدُوا لَهُ .

ثُمَّ أَحْضَرَ رَقًّا^(١) مِنْ جِلْدِ الْغَزَالِ وَكَتَبَ فِيهِ : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) ، ثُمَّ حَزَمَ الرَّقَّ عَلَى صَدْرِهِ ، وَلَبَسَ فَوْقَهُ قِبَاءَهُ^(٢) ، وَمَضَى إِلَى لِقَاءِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا عَدَا أَمَامَهُمْ نَادَاهُمْ قَائِلًا : يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ كَيْفَ رَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيكُمْ ؟
فَقَالُوا : خَيْرَ سِيرَةٍ .

قَالَ : فَمَا الَّذِي أَثَارَكُمْ عَلَيَّ ؟

فَقَالُوا : لَقَدْ فَارَقْتَ دِينَنَا ، وَزَعَمْتَ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ .

قَالَ : مَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ فِي عِيسَى ؟

فَقَالُوا : هُوَ ابْنُ اللَّهِ .

فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قِبَائِهِ ، وَجَعَلَهَا فَوْقَ الرَّقِّ وَقَالَ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا شَيْئًا (وَهُوَ يَعْنِي مَا كَتَبَهُ فِي الرَّقِّ) .

فَسُرُّوا بِمَا قَالَ ، وَانْفَضُّوا رَاضِينَ مُطْمَئِنِّينَ .

إِسْلَامُ صَحَابِيٍّ عَلَى يَدِ تَابِعِيٍّ :

كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ صَدِيقًا حَمِيمًا لِلنَّجَاشِيِّ ، وَتَزَامَنَ وَهُوَ عِنْدَهُ قُدُومُ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ

الضَّمْرِيِّ مَبْعُوثًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، لِيُجَهِّزَ إِلَيْهِ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ ، فَسَأَلَ

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنَ النَّجَاشِيِّ قَتْلَ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، وَقَالَ :

أَتَسْأَلُ مِنِّي أَنْ أَقْتُلَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى ؟

قَالَ عَمْرُو : أَهُوَ كَذَلِكَ ؟ ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : نَعَمْ ؛ فَأَطْعَمَنِي يَا عَمْرُو وَاتَّبَعُهُ ، فَإِنَّهُ عَلَى

الْحَقِّ ، وَلَيُظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، فَاسْتَلَمَ

عَمْرُو جِينَتِيذَ عَلَى يَدِ النَّجَاشِيِّ .

لِيَزِدَادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ :

وَقَفَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَا كَانَ بَيْنَ النَّجَاشِيِّ وَقَوْمِهِ ، وَأَكْبَرَ رِعَايَتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ

(٢) القِبَاءُ : ثَوْبٌ يُلبَسُ فَوْقَ الثَّيَابِ كَالْمِعْطَفِ .

(١) الرَّقُّ : جِلْدٌ رَفِيقٌ يُكْتَبُ فِيهِ .

هاجروا إلى دياره ، وأطمأنوا في جواره ، ولقد سرَّ ﷺ بما نُقِلَ إليه من أنحيازه للإسلام ، واعتقاده بصحة ما جاء في القرآن .

ثم أخذت الصلوات تتعمق بينه وبين النبي ﷺ وتتوثق ؛ ففي الشهر الأول من سنة سبع للهجرة ، عزم رسول الله ﷺ على دعوة ستة من عظماء ملوك الأرض وأمرائها ؛ للدخول في دين الله .

فكتب لكل منهم رسالة يحضه فيها على الإسلام ، ويزين له الإيمان ، ويحذره من الكفر والشرك ، وكان ﷺ قد أعد لهذا الغرض ستة من خيرة الصحابة ؛ فتعلم كل منهم لغة القوم الذين سيمضي إليهم ، ثم خرجوا لأداء هذه المهمة في يوم واحد ، وكان عمرو بن أمية الضمري هو الذي أوفد إلى ملك الحبشة .

دخل عمرو بن أمية على النجاشي ، وحيأه بتحية الإسلام ، فردَّ التحية بأحسن منها ، ورحب به أجمل ترحيب ، فلما استقرَّ به المجلس قدم للنجاشي الكتاب الذي جاءه به من عند رسول الله ﷺ .

فبادر إلى فضه^(١) فوجد أن رسول الله ﷺ يدعو فيه إلى الإسلام ، ويتلو عليه شيئاً من القرآن ؛ فوضع النجاشي الكتاب على عينيه إجلالاً له ، ونزل عن سريره ملكه تواضعاً لما جاء فيه ، ثم أعلن إسلامه على ملا من جلسائه ، وشهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت أستطيع أن آتي محمداً عليه الصلاة والسلام لذهبت إليه ، وجلست بين يديه ، وتمرغ^(٢) على قدميه ، ثم كتب إلى النبي ﷺ رسالة رقيقة يجيبه فيها إلى دعوته ، ويعرب عن إيمانه السابق بنبوته .

النجاشي وكيل سيد النسيين ﷺ في تزويجه بأمة المؤمنين :

عند ذلك أخرج عمرو بن أمية كتاباً آخر من رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعو فيه إلى أن يزوجه من رملة بنت أبي سفيان بن حرب .

ولأم المؤمنين رملة المكناة بـ (أم حبيبة) قصة حزينة في بدايتها ، فرحة مستبشرة في نهايتها ؛ فتعالوا نلّم بها إماماً سريعاً :

(١) فضّه ، ووضعت رأسي على قدميه .

(٢) تمرغ ، فتحه .

كَانَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ (رَمَلَةٌ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ) وَزَوْجُهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ مِمَّنْ صَدَقَ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَرْهَقَتْهُمَا فُرَيْشٌ مِنْ أَمْرِهِمَا عُسْرًا، وَأَنْزَلَتْ بِهِمَا أَشَدَّ الْعَذَابِ حَتَّى بَاتَا لَا يُطِيقَانِ الْبَقَاءَ فِي مَكَّةَ؛ فَكَانَا فِي عِدَادِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، اللَّاجِئِينَ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِإِيمَانِهِمْ؛ فَلَقِيَ عِنْدَهُ مَا لَقِيَهِ إِخْوَانُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ كَرَمِ الْوَفَادَةِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، حَتَّى خِيلَ لِأُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّ الْأَيَّامَ قَدْ صَفَتْ لَهَا بَعْدَ عُبُوسٍ^(١)، إِذْ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا خَبَّأَتْهُ لَهَا الْمَقَادِيرُ.

فَلَقَدْ شَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَمْتَحِنَ أُمَّ حَبِيبَةَ امْتِحَانًا قَاسِيًا تَطِيشُ فِيهِ الْعُقُولُ؛ ذَلِكَ أَنَّ زَوْجَهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قَدْ ارْتَدَّ عَنِ دِينِهِ وَتَنَصَّرَ، وَجَعَلَ يَهْرَأُ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى حَانَاتِ الْخَمَّارِينَ، يُعَاقِرُ أُمَّ الْخَبَائِثِ^(٢)؛ فَلَا يَرْتَوِي مِنْهَا وَلَا يَشْبَعُ (أَعَاذَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ السَّلْبِ بَعْدَ الْعَطَاءِ). وَقَدْ خَيْرَهَا زَوْجُهَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحْلَاهُمَا مُرٌّ: فِيمَا أَنْ تَطْلُقَ، وَإِمَّا أَنْ تَتَنَصَّرَ. وَجَدَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ نَفْسَهَا بَيْنَ ثَلَاثٍ:

فِيمَا أَنْ تَسْتَجِيبَ لِرِزْوَجِهَا فَتَتَنَصَّرَ؛ وَبِذَلِكَ تَبُوءُ بِخِزْيِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الآخِرَةِ. وَإِمَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا فِي مَكَّةَ، وَهُوَ مَا زَالَ قَلْعَةَ الشَّرِكِ. وَإِمَّا أَنْ تَبْقَى فِي بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَحِيدَةً شَرِيدَةً، وَمَعَهَا ابْنَتُهَا الصَّغِيرَةُ حَبِيبَةُ. فَأَثَرَتْ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ، وَأَزْمَعَتْ^(٣) الْبَقَاءَ فِي الْحَبَشَةِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِفَرْجٍ مِنْ عِنْدِهِ.

لَمْ تَطُلْ مَأْسَاةُ أُمِّ حَبِيبَةَ كَثِيرًا، فَلَقَدْ قَضَى زَوْجُهَا نَحْبَهُ وَهُوَ سَكْرَانٌ مَخْمُورٌ، ثُمَّ إِنَّمَا مَا إِنْ أَتَمَّتْ عِدَّتَهَا مِنْهُ حَتَّى أَتَاهَا الْفَرْجُ؛ فَقِي ذَاتِ ضُحَى فِضِي السَّنَا بِهِي الْقِسْمَاتِ، طَرَقَ عَلَيْهَا الْبَابُ، فَلَمَّا فَتَحْتَهُ، فُوجِئَتْ بِوَصِيفَةِ النَّجَاشِيِّ وَهِيَ تُحَيِّبُهَا وَتَقُولُ لَهَا: إِنَّ الْمَلِكَ يُهْدِيكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ خَطَبَكَ لِنَفْسِهِ، وَوَكَّلَهُ أَنْ يَعْقِدَ لَهُ عَلَيْكَ، فَوَكَّلِي عَنْكَ مَنْ تُرِيدِينَ إِذَا شِئْتَ. فَاسْتَطَارَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ فَرَحًا، وَهَتَمَتْ: بِشَرِكِ اللَّهِ بِالْخَيْرِ، بِشَرِكِ اللَّهِ بِالْخَيْرِ.

(١) الْعُبُوسُ: التَّقَطُّبُ وَالْبِشَاعَةُ.

(٢) يُعَاقِرُ أُمَّ الْخَبَائِثِ: يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَقَدْ دُعِيَتْ بِأُمَّ الْخَبَائِثِ لِأَنَّهَا تَعُودُ شَارِبَهَا إِلَى ضُرُوبٍ مِنَ الشَّرِّ.

(٣) أَزْمَعَتْ: عَزَمَتْ.

ثُمَّ قَالَتْ : لَقَدْ وَكَلْتُ عَنِّي خَالِدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ .

وَفِي قَصْرِ النَّجَاشِيِّ ، اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ الْمُقِيمُونَ فِي الْحَبَشَةِ لِيَشْهَدُوا عَقْدَ أُمَّ حَبِيْبَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَلَمَّا اكْتَمَلَ الْجَمْعُ حَمِدَ النَّجَاشِيُّ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أُزَوِّجَهُ رَمَلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَجَبْتُهُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَأَمَهَّرْتُهَا نِيَابَةً عَنْهُ أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ ذَهَبًا عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .
ثُمَّ قَامَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَاسْتَعَانَ بِهِ ، وَصَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ .. فَقَدْ أَجَبْتُ طَلَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَزَوَّجْتُهُ مُوَكَّلَتِي رَمَلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ ، فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ فِي زَوْجَتِهِ ، وَهَنِيئًا لِرَمَلَةَ بِمَا أَحْظَاهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ .

مَشْكُورَةٌ تَلْكُمُ الْأَيْدِي ؛ ذَلِكُمْ أَصْحَمَةُ النَّجَاشِيِّ :

أَعَدَّ النَّجَاشِيُّ سَفِينَتَيْنِ مِنْ سُفْنِهِ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَمَلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ وَابْنَتَهَا حَبِيْبَةَ ، وَمَنْ بَقِيَ عِنْدَهُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَمَا أَرْسَلَ مَعَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَحْبَاشِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَشَوَّقُوا لِلِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالتَّمَلَّى مِنْهُ وَالصَّلَاةَ خَلْفَهُ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، ثُمَّ أَهْدَى إِلَى رَمَلَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعَ مَا عِنْدَ نِسَائِهِ مِنْ نَفِيسِ الطَّيِّبِ (مِنَ الْوَرَسِ وَالْعُودِ وَالْعَنْبَرِ) ، كَمَا حَمَلَهُمْ بَعْضَ الْهَدَايَا إِلَى حَضْرَتِهِ ﷺ .

وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَا أَهْدَاهُ إِلَيْهِ ثَلَاثُ عِصِيٍّ مِنْ رَوَائِعِ عِصِيِّ الْحَبَشَةِ ، فَأَمْسَكَ الرَّسُولُ ﷺ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا ، أَمَّا الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثَةُ فَأَهْدَاهُمَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ .

وَقَدْ كَانَ بِلَالُ بْنُ رَبِيعٍ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ بِالْعَصَا الَّتِي اسْتَبَقَاهَا لِنَفْسِهِ ، وَيَرْكُزُهَا أَمَامَهُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ؛ وَذَلِكَ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا

مَسْجِدٌ وَلَا بِنَاءٌ يُحَدِّدَانِ الْقِبْلَةَ ، وَفِي أَسْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَفِي الْعِيدَيْنِ ، وَفِي صَلَاةِ
الِاسْتِسْقَاءِ .

وَقَدْ ظَلَّ بِلَالٌ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ ، فَلَمَّا آَلَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، وَالِىَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ ؛ مَشَى بِهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا
سَعْدُ الْقُرَظِيُّ ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْخُلَفَاءُ عَلَى ذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا .

كَمَا أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى حَضْرَتِهِ ﷺ حَلِيَّةً فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَخَذَهُ ﷺ (وَإِنَّهُ
لَمُعْرَضٌ عَنْهُ) ؛ ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى (أَمَامَةٍ) ابْنَةِ بِنْتِهِ زَيْنَبَ ، وَقَالَ لَهَا : (تَحَلِّي بِهَذَا
يَا بِنِيَّةَ) .

مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ الْغَائِبِ :

دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابَةَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :

(مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ) ^(١) .

ثُمَّ أَمَّهُمْ ﷺ ؛ فَصَلُّوا عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ ، وَلَمْ يُصَلِّ ﷺ عَلَى غَائِبٍ قَبْلَ النَّجَاشِيِّ
وَلَا بَعْدَهُ .

● تُوَفِّي النَّجَاشِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ .

● وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ﷺ ، قَالَتْ : لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ كُنَّا نُحَدِّثُ
أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ نُورٌ .



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

التَّابِعُونَ الثَّمَانِيَةَ الَّذِينَ بَدَّكَرَهُمْ تُرْجَى الْعَافِيَةُ

ثَمَانِيَةٌ فِي التَّابِعِينَ قَدْ انْتَهَى ❁ إِلَيْهِمْ جَمِيعُ الزُّهْدِ فَافْهَمُهُ تَرْشُدُ
هُمُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، مَسْرُوقٌ ، عَامِرٌ ❁ أَبُو مُسْلِمٍ ثُمَّ الرَّبِيعُ وَالْأَسْوَدُ
أُوَيْسٌ ، ابْنُ حَيَّانٍ .. إِذَا مَا ذَكَرْتَهُمْ ❁ عَلَى عِلَّةٍ تَبَرَّأَ وَذَكَرَكَ يُحْمَدُ

(١) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه

هُوَ الْحَسَنُ بْنُ يَسَارٍ ؛ فَأَبُوهُ ؛ يَسَارُ أَبُو سَعِيدٍ ؛ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ؛ سَكَنَ
الْمَدِينَةَ وَأَعْتَقَ وَتَزَوَّجَ بِهَا فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ ، فَوُلِدَ لَهُ بِهَا الْحَسَنُ لِسِنْتَيْنِ بَقِيَتَا
مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه ، وَأُمَّا أُمُّهُ فَهِيَ (خَيْرَةٌ) ؛ مَوْلَاةٌ لِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ؛
وَكَانَتْ خَادِمَتَهَا الْمُقَرَّبَةَ إِلَيْهَا .

الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بَرَكَةٌ دَعَاةٌ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَزَوْجُ النَّبِيِّ :

جَاءَ الْبَشِيرُ يُبَشِّرُ زَوْجَ النَّبِيِّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها بِأَنَّ مَوْلَاتَهَا خَيْرَةٌ قَدْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا
وَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَغَمَرَتْ الْفَرْحَةَ فُوَادُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ، وَبَادَرَتْ فَأَرْسَلَتْ رَسُولًا
لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا الْوَالِدَةَ وَمَوْلُودَهَا ، لِتَقْضِيَ فِتْرَةَ النَّفَاسِ فِي بَيْتِهَا ، وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ
حَتَّى جَاءَتْ (خَيْرَةٌ) تَحْمِلُ طِفْلَهَا عَلَى يَدَيْهَا ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنَا السَّيِّدَةِ أُمَّ سَلَمَةَ
عَلَى الطِّفْلِ امْتَلَأَتْ نَفْسُهَا أَنْسَاءً بِهِ وَارْتِيحًا لَهُ ؛ فَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ الصَّغِيرُ قَسِيمًا
وَسِيمًا ^(١) بَهِيَّ الطَّلَعَةِ ، تَامَّ الْخَلْقَةِ ، يَمْلَأُ عَيْنَ مُجْتَلِيهِ ^(٢) ، وَيَأْسِرُ فُوَادَ رَائِيهِ ^(٣) .

ثُمَّ التَّفَتَّتْ أُمَّ سَلَمَةَ إِلَى مَوْلَاتِهَا وَقَالَتْ : أَسَمَّيْتُ غُلَامَكَ يَا خَيْرَةٌ ؟

فَقَالَتْ : كَلَّا يَا أُمَاهُ ، لَقَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ لَكَ ، لِتُخْتَارِيَ لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ مَا تَشَاءِينَ .

فَقَالَتْ رضي الله عنها : نُسَمِّيهِ - عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ - الْحَسَنَ ، ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَدَعَتْ لَهُ بِصَالِحِ
الدُّعَاءِ .

● لَكِنَّ الْفَرْحَةَ بِالْحَسَنِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، وَإِنَّمَا
شَارَكَهَا فِيهَا بَيْتٌ آخَرٌ مِنْ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ ؛ هُوَ بَيْتُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

(٢) يَمْلَأُ عَيْنَ مُجْتَلِيهِ : يَسُرُّ النَّاطِرَ إِلَيْهِ .

(١) قَسِيمًا وَسِيمًا : جَمِيلًا حَسَنَ الْوَجْهِ .

(٣) يَأْسِرُ فُوَادَ رَائِيهِ : يَمْلِكُ قَلْبَ رَائِيهِ .

كَاتِبٍ وَحَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ذَلِكَ أَنَّ (يساراً) وَالِدَ الصَّبِيِّ كَانَ مَوْلَى لَهُ أَيْضاً ،
وَكَانَ مِنْ أَثَرِ النَّاسِ عِنْدَهُ ، وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ .

دَرَجٌ^(٢) الْحَسَنُ بْنُ يَسَارٍ (الَّذِي عُرِفَ فِيمَا بَعْدَ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ) فِي بَيْتٍ مِنْ
بُيُوتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَبِّي فِي حِجْرِ زَوْجَةٍ مِنْ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ هِنْدُ بِنْتُ
أُمِّيَّةَ الْمَخْزُومِيَّةَ الْمَعْرُوفَةَ بِأُمِّ سَلَمَةَ .

وَالسَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ كَانَتْ مِنْ أَكْمَلِ نِسَاءِ الْعَرَبِ عَقْلاً ، وَأَوْفَرِهِنَّ فَضْلاً ، وَأَشَدَّهُنَّ
حَزْماً ، كَمَا كَانَتْ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) مِنْ أَوْسَعِ زَوَاجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِلْماً ، وَأَكْثَرِهِنَّ رِوَايَةً
عَنْهُ ؛ حَيْثُ رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِمِائَةً وَسَبْعَةً وَثَمَانِينَ حَدِيثاً ، وَكَانَتْ إِلَى ذَلِكَ
كُلَّهُ مِنَ النِّسَاءِ الْقَلِيلَاتِ النَّادِرَاتِ اللَّوَاتِي يَكْتُبْنَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .
نُمُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي أَجْوَاءِ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ :

وَقَدْ أَتَا حَتَّى الصَّلَاتِ الْوَتِيقَةَ بَيْنَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقُرْبُ بُيُوتِ بَعْضِهِنَّ مِنْ بَعْضٍ
لِلْفَلَامِ السَّعِيدِ أَنْ يَتَرَدَّدَ عَلَى هَذِهِ الْبُيُوتِ كُلِّهَا ، وَأَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ رَبَّاتِهَا جَمِيعاً ،
وَأَنْ يَهْتَدِيَ بِهَدْيِهِنَّ ، وَيَحْظَى بِحُبِّهِنَّ ؛ فَقَدْ كَانَ (كَمَا يُحَدِّثُ عَنْ نَفْسِهِ) يَمْلَأُ هَذِهِ
الْبُيُوتَ بِحَرَكَتِهِ الدَّائِبَةِ ، وَيُتْرَعُّهَا بِلَعْبِهِ النَّشِيطِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَنَالُ سُقُوفَ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِيَدَيْهِ وَهُوَ يَقْفِزُ فِيهَا قَفْزاً ، كَمَا كَانَتْ تُخْرِجُهُ أُمُّهُ وَهُوَ صَغِيرٌ إِلَى
الصَّحَابَةِ ﷺ ؛ فَيَدْعُونَ لَهُ وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَنِ يَدْعُو لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؛ قَالَ :
اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَحَبِّبْهُ إِلَى النَّاسِ .

● ظَلَّ الْحَسَنُ يَتَقَلَّبُ فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْعَطْرَةَ بِطُيُوبِ النُّبُوَّةِ ، الْمُتَالِقَةَ بِسَنَاهَا ،
وَيَنْهَلُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَارِدِ الْعَذْبَةِ الَّتِي حَفَلَتْ بِهَا بُيُوتُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَتَلَمَّذُ عَلَى
أَيْدِي كِبَارِ الصَّحَابَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ حَيْثُ رَوَى عَنْ سَادَتِنَا عُثْمَانَ بْنِ
عَفَّانَ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ ، وَجَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَغَيْرِهِمْ ﷺ ، لَكِنَّهُ أَوْلَعَ أَكْثَرَ
مَا أَوْلَعَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ؛ فَقَدْ رَاعَهُ مِنْهُ صَلَابَتُهُ فِي دِينِهِ ،

(٢) دَرَجٌ : نَشْأاً وَقَرَعَةً .

(١) مِنْ أَثَرِ النَّاسِ : مِنْ أَثَرِ النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ .

وإحسانه لِعِبَادَتِهِ ، وَزَهَادَتُهُ بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ، وَخَلْبَهُ مِنْهُ بَيَانُهُ الْمَشْرِقُ ، وَحِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ ، وَأَقْوَالُهُ الْجَامِعَةُ ، وَعِظَاتُهُ النَّافِذَةُ ؛ فَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ فِي التَّقَى وَالْعِبَادَةِ ، وَنَسَجَ عَلَى مَنَوَالِهِ ^(١) فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ .

● وَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَبِيعاً مِنْ عُمُرِهِ ، وَدَخَلَ فِي مَدَاخِلِ الرِّجَالِ انْتَقَلَ مَعَ أَبِيهِ إِلَى (الْبَصْرَةِ) وَاسْتَقَرَّ فِيهَا مَعَ أُسْرَتِهِ ؛ وَمِنْ هُنَا نُسِبَ الْحَسَنُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ .

الْحَسَنُ يَسْتَزِيدُ مِنْ عُلُومِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَيُفِيدُ جُمُوعَ النَّاسِ ؛ كَانَتْ الْبَصْرَةُ يَوْمَ أَمَّا الْحَسَنُ ؛ قَلَعَةً مِنْ أَكْبَرِ قِلَاعِ الْعِلْمِ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ مَسْجِدُهَا الْعَظِيمُ يَمُوجُ بِمَنْ ارْتَحَلَ إِلَيْهَا مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَجَلَّةِ التَّابِعِينَ ، وَكَانَتْ حَلَقَاتُ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا ؛ تَعْمُرُ بِاحَاتِ الْمَسْجِدِ وَمُصَلَّاهُ .

● لَزِمَ الْحَسَنُ الْمَسْجِدَ ، وَانْقَطَعَ إِلَى حَلَقَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ حَبْرِ الْأُمَّةِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ وَالْحَدِيثَ وَالْقِرَاءَاتِ ، كَمَا أَخَذَ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ الْفِقْهَ ، وَاللُّغَةَ ، وَالْأَدَبَ ، وَغَيْرَهَا ، حَتَّى غَدَا عَالِماً جَامِعاً فَفِيهَا ثِقَةٌ .

● أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَسَنِ يَنْهَلُونَ مِنْ عِلْمِهِ الْغَزِيرِ ، وَالتَّفُؤُوا حَوْلَهُ يُنْصِتُونَ إِلَى مَوَاعِظِهِ الَّتِي تَسْتَلِينُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ ، وَتَسْتَدِرُّ الدُّمُوعَ الْعَاصِيَةَ ، وَيَحْفَظُونَ حِكْمَتَهُ الَّتِي تَخْلُبُ الْأَلْيَابَ ، وَيَتَأَسَّوْنَ بِسِيرَتِهِ الَّتِي كَانَتْ أَطْيَبَ مِنْ نَشْرِ الْمِسْكِ .

● وَلَقَدْ انْتَشَرَ أَمْرُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْبِلَادِ وَشَاعَ ذِكْرُهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ؛ فَجَعَلَ الْخُلَفَاءُ وَالْأَمْرَاءُ يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَيَتَّبِعُونَ أَخْبَارَهُ ؛ حَدَّثَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ^(٢) ، قَالَ : لَقِيْتُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٣) فِي الْحَيْرَةِ ^(٤) ، فَقَالَ لِي : أَخْبِرْنِي يَا خَالِدُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ مَا لَا يَعْرِفُ سِوَاكَ . فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا خَيْرٌ مَنْ يُخْبِرُكَ عَنْهُ بِعِلْمٍ ؛ فَإِنَّا جَارُهُ فِي بَيْتِهِ ، وَجَلِيسُهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَعْلَمُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ بِهِ .

(١) نَسَجَ عَلَى مَنَوَالِهِ : سَارَ عَلَى طَرِيقَتِهِ .

(٢) خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مِنْ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ ، جَالَسَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمُتَّامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَاشَ حَتَّى أَدْرَكَ السَّمْعَانَ الْبَغْدَادِيَّ وَحَطَّيْ عِنْدَهُ .

(٣) مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَمِيرٌ قَائِدٌ مِنْ أَبْطَالِ بَنِي أُمَيَّةَ ، غَزَا الْقِسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَبَنَى فِيهَا مَسْجِدَ مَسْلَمَةَ .

(٤) الْحَيْرَةُ : بَلَدَةٌ قَدِيمَةٌ فِي الْمِرَاقِ عَلَى بَعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْكُوفَةِ ، ائْتَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا وَجُودٌ الْيَوْمَ .

فَقَالَ مَسْلَمَةٌ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ .

فَقُلْتُ : إِنَّهُ أَمْرٌ سَرِيرَتُهُ كَعَلَانِيَتِهِ ، وَقَوْلُهُ كَفَعْلِهِ ؛ إِذَا أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ كَانَ أَعْمَلَ النَّاسِ بِهِ ، وَإِذَا نَهَى عَنِ مُنْكَرٍ كَانَ أَتْرَكَ النَّاسِ لَهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مُسْتَغْنِيًا عَنِ النَّاسِ ؛ طَالِبِينَ مَا عِنْدَهُ ...

فَقَالَ مَسْلَمَةٌ : حَسْبُكَ يَا خَالِدُ حَسْبُكَ !! كَيْفَ يَضِلُّ قَوْمٌ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا ؟
وَلَا يُدْرِكُ الْفَضْلَ إِلَّا ذُوهُ :

كَانَ بَيْنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ^(١) هَجْرَةٌ ؛ فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ ابْنُ سِيرِينَ عِنْدَ الْحَسَنِ يَقُولُ : دَعُونَا مِنْ ذِكْرِ الْحَاكَةِ (وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ ابْنِ سِيرِينَ حَائِكًا) ، وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى الْحَسَنُ فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا عَجِيبَةً : رَأَى كَأَنَّهُ عُرْيَانٌ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى مَرْزَبَلَةٍ يَضْرِبُ بِالْعُودِ .

أَصْبَحَ الْحَسَنُ مَهْمُومًا بِرُؤْيَاهُ ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : امْضُ إِلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقُصِّ عَلَيْهِ رُؤْيَايَ عَلَى أَنَّكَ رَأَيْتَهَا ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ وَذَكَرَ لَهُ الرُّؤْيَا ، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : قُلْ لِمَنْ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا ، لَا تَسْأَلِ الْحَاكَةَ عَنْ مِثْلِ هَذَا .

عَادَ الرَّجُلُ إِلَى الْحَسَنِ وَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَتِهِ ، فَعَظُمَ لَدَيْهِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُ سِيرِينَ ، قَامَ إِلَيْهِ وَتَصَافَحَا وَسَلَّمَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَجَلَسَا يَتَعَاتَبَانِ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : دَعْنَا مِنْ هَذَا ، فَقَدْ شَغَلَتِ الرُّؤْيَا قَلْبِي ، فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : لَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ ؛ فَإِنَّ الْعُرْيَانَ عُرْيٌ مِنَ الدُّنْيَا ، لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا عِلْقَةٌ وَأَمَّا الْمَرْزَبَلَةُ فَهِيَ الدُّنْيَا ، وَقَدْ انْكَشَفَتْ لَكَ أَحْوَالُهَا ، فَأَنْتَ تَرَاهَا كَمَا هِيَ فِي ذَاتِهَا ، وَأَمَّا ضَرْبُكَ بِالْعُودِ ، فَإِنَّهُ الْحِكْمَةُ الَّتِي تَتَكَلَّمُ بِهَا وَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ .

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : فَمِنْ أَيِّنَ لَكَ أَنِّي أَنَا رَأَيْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَا ؟

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : لَمَّا قَصَّهَا عَلَيَّ فَكَرَّرْتُ ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَأَاهَا غَيْرَكَ .
مَنْ أَحْتَمَى بِالْقَهَّارِ كَفَاهُ مَرَدَّةَ الْأَشْرَارِ :

لَمَّا وَلِيَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيَّ الْعِرَاقَ وَطَفَى فِي وِلَايَتِهِ وَتَجَبَّرَ ، كَانَ الْحَسَنُ

(١) مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : مِنْ أَعْلَامِ الثَّائِبِينَ ، وُلِدَ لِسِتْنَيْنِ بَيْتًا مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ مَفَازٍ رضي الله عنه ، كَانَ أَبُوهُ مَوْلَى لِأَسِّ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، وَأُمُّهُ صَبِيئَةُ مَوْلَاةُ لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه ، فَتَحَّ اللَّهُ لِابْنِ سِيرِينَ عِلْمَ تَمْيِيرِ الرُّؤْيَى فَاسْتَشْهَرَ بِتَفْصِيلِ الْأَحْلَامِ .

البَصْرِيُّ أَحَدَ الرَّجَالِ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ تَصَدَّوْا لَطُغْيَانِهِ ، وَجَهَرُوا بَيْنَ النَّاسِ بِسُوءِ أَفْعَالِهِ ، وَصَدَعُوا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي وَجْهِهِ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بَنَى لِنَفْسِهِ بِنَاءً فِي (وَاسِطَ) ^(١) ؛ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ ، نَادَى فِي النَّاسِ أَنْ يَخْرُجُوا لِلْفُرْجَةِ عَلَيْهِ وَالِدُعَاءِ لَهُ بِالْبَرَكَاتِ ، فَلَمَّ يَشَأُ الْحَسَنُ أَنْ يُفَوِّتَ عَلَى نَفْسِهِ فُرْصَةَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ هَذِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لِيُعِظَهُمْ وَيُذَكِّرَهُمْ ، وَيُزَهِّدَهُمْ بِعَرَضِ الدُّنْيَا ، وَيُرَغِّبُهُمْ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمَّا بَلَغَ الْمَكَانَ ، وَنَظَرَ إِلَى جُمُوعِ النَّاسِ وَهِيَ تَطُوفُ بِالْقَصْرِ الْمُنِيفِ مَأْخُودَةً بِرُوعَةِ بِنَائِهِ ، مَدْهُوشَةً بِسَعَةِ أَرْجَائِهِ ، مَشْدُودَةً إِلَى بَرَاعَةِ زَخَارِفِهِ ، وَقَفَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَهُ :

لَقَدْ نَظَرْنَا فِيمَا ابْتَنَى أَخْبَثُ الْأَخْبِيثِينَ ؛ فَوَجَدْنَا أَنَّ فِرْعَوْنَ شَيْدَ أَعْظَمَ مِمَّا شَيْدَ ، وَبَنَى أَعْلَى مِمَّا بَنَى ، ثُمَّ أَهْلَكَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ ، وَأَتَى عَلَى مَا بَنَى وَشَيْدَ ، لَيْتَ الْحَجَّاجَ يَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ قَدْ مَقَتُوهُ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ قَدْ غَرُّوهُ ... وَمَضَى يَتَدَفَّقُ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ حَتَّى أَشْفَقَ عَلَيْهِ أَحَدُ السَّامِعِينَ مِنْ نِقْمَةِ الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ : حَسْبُكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ... حَسْبُكَ .

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ لِيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ دَخَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى مَجْلِسِهِ وَهُوَ يَتَمَيِّزُ مِنَ الْفَيْظِ وَقَالَ لِجَلَّاسِهِ :

تَبَا لَكُمْ وَسُحْقًا ، يَقُومُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَيَقُولُ فِيْنَا مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ لَا يَجِدُ فِيكُمْ مَنْ يَرُدُّهُ أَوْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ !!

وَاللَّهِ لِأَسْقَيْنَكُمْ مِنْ دَمِهِ يَا مَعْشَرَ الْجُبَنَاءِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِالسِّيفِ وَالنُّطْعِ ^(٢) ، فَأَحْضَرَا وَدَعَا بِالْجَلَّادِ ؛ فَمَثَلَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الْحَسَنِ بَعْضَ شُرْطِهِ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَأْتُوهُ بِهِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ الْحَسَنُ ، فَشَخَّصَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ ، وَوَجِغَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ .

فَلَمَّا رَأَى الْحَسَنُ السِّيفَ وَالنُّطْعَ وَالْجَلَّادَ ، حَرَّكَ شَفْتَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَعَلَيْهِ جَلَالُ الْمُؤْمِنِ ، وَعِزَّةُ الْمُسْلِمِ ، وَوَقَارُ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ .

(١) واسط : مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة .

(٢) النطع : بساط من الجلد يُقْرَشُ تَحْتَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِقَطْعِ الرَّأْسِ .

فَلَمَّا رَأَهُ الْحَجَّاجُ عَلَى حَالِهِ هَذِهِ ؛ هَابَهُ أَشَدَّ الْهَيْبَةِ وَقَالَ لَهُ : هَا هُنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ ، هَا هُنَا ، ثُمَّ مَا زَالَ يُوسِّعُ لَهُ وَيَقُولُ : هَاهُنَا ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ وَاسْتِفْرَابٍ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فِرَاشِهِ .

وَلَمَّا أَخَذَ الْحَسَنُ مَجْلِسَهُ انْتَفَتَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ أُمُورِ الدِّينِ ، وَالْحَسَنُ يُجِيبُهُ عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِجَنَانٍ ثَابِتٍ ، وَبَيَانٍ سَاحِرٍ ، وَعِلْمٍ وَاسِعٍ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : أَنْتَ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ يَا أَبَا سَعِيدٍ ، ثُمَّ دَعَا بِغَالِيَةِ^(١) وَطَيَّبَ لَهُ بِهَا لِحْيَتَهُ وَوَدَّعَهُ . وَلَمَّا خَرَجَ الْحَسَنُ مِنْ عِنْدِهِ ، تَبِعَهُ حَاجِبُ الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَقَدْ دَعَاكَ الْحَجَّاجُ لِغَيْرِ مَا فَعَلَ بِكَ ، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ عِنْدَمَا أَقْبَلْتَ وَرَأَيْتَ السَّيْفَ وَالنَّطْعَ ؛ قَدْ حَرَّكَتَ شَفَتَيْكَ ، فَمَاذَا قُلْتَ ؟

فَقَالَ الْحَسَنُ ، لَقَدْ قُلْتُ : يَا وَلِيَّ نِعْمَتِي وَمَلَازِمِي عِنْدَ كُرْبَتِي ؛ اجْعَلْ نِقْمَتَهُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ كَمَا جَعَلْتَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ .

مَنْ أَرَادَ وَجَهَ اللَّهُ رَضِيَ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ :

وَلَقَدْ كَثُرَتْ مَوَاقِفُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ هَذِهِ مَعَ الْوَلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ ، فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ مِنْهَا عَظِيمًا فِي أَعْيُنِ ذَوِي السُّلْطَانِ ، عَزِيزًا بِاللَّهِ ، مَحْفُوظًا بِحِفْظِهِ ؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ انْتَقَلَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ وَآلَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَّى عَلَى الْعِرَاقِ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ ، ثُمَّ زَادَهُ بَسْطَةً فِي السُّلْطَانِ فَأَضَافَ إِلَيْهِ خُرَاسَانَ أَيْضًا .

وَسَارَ يَزِيدُ فِي النَّاسِ سِيرَةً غَيْرَ سِيرَةِ سَلْفِهِ الْعَظِيمِ ؛ فَكَانَ يُرْسِلُ إِلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ بِالْكِتَابِ تَلُوَ الْكِتَابِ ، وَيَأْمُرُهُ بِإِنْفَازِ مَا فِيهَا وَلَوْ كَانَ مُجَافِيًا لِلْحَقِّ أحيانًا ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ كَلًّا مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَعَامِرِ بْنِ شَرْحِبِيلِ الْمَعْرُوفِ بِالشَّعْبِيِّ^(٢) ، وَقَالَ لَهُمَا : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ عَلَى النَّاسِ ؛ وَقَدْ وُلَّانِي مَا تَرَوْنَ مِنْ أَمْرِ الْعِرَاقِ ثُمَّ

(١) الْغَالِيَةُ : أَنْوَاعٌ مِنَ الطَّيِّبِ تُمَرَّجُ وَيُطَيَّبُ بِهَا .

(٢) ثِقَّةٌ مَشْهُورٌ فِي طَفْهَاءِ التَّابِعِينَ ، وَلَقَدْ بَلَغَ الشَّعْبِيُّ فِي الْعِلْمِ مَنْزِلَةَ جَمَلَتِهِ رَابِعَ ثَلَاثَةِ فِي عَصْرِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ الزُّهْرِيُّ يَقُولُ : الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ ، سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَعَامِرُ الشَّعْبِيُّ فِي الْكُوفَةِ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي الْبَصْرَةِ ، وَمَكْحُولٌ فِي الشَّامِ . وَتُوفِيَ الشَّعْبِيُّ سَنَةَ ١٠٥ هـ ، وَلَهُ نَحْوُ مِائَتَيْنِ سَنَةً .

زَادَنِي فَوْلَانِي فَارِسَ ، وَهُوَ يُرْسِلُ إِلَيَّ أحياناً كُتُباً يَأْمُرُنِي فِيهَا بِإِنْفَازِ مَا لَا أَطْمَعُنُّ
إِلَى عِدَائَتِهِ : فَهَلْ تَجِدَانِ لِي فِي مُتَابَعَتِي إِيَّاهُ وَإِنْفَازِ أَوَامِرِهِ مَخْرَجاً فِي الدِّينِ ؟
فَأَجَابَ الشَّعْبِيُّ جَوَاباً فِيهِ مُلَاطَفَةٌ لِلْخَلِيفَةِ ، وَمُسَايِرَةٌ لِلوَالِي ، وَالْحَسَنُ سَاكِتٌ .
فَالْتَمَتَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْحَسَنِ وَقَالَ : وَمَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟

فَقَالَ الْحَسَنُ : يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ خَفِ اللّٰهَ فِي يَزِيدٍ ، وَلَا تَخَفْ يَزِيدَ فِي اللّٰهِ ، وَاعْلَمْ
أَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدٍ ، وَأَنْ يَزِيدَ لَا يَمْنَعُكَ مِنَ اللّٰهِ ، يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ إِنَّهُ
يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مَلِكٌ غَلِيظٌ شَدِيدٌ لَا يَعْصِي اللّٰهَ مَا أَمَرَهُ ، فَيُزِيلُكَ عَنْ سَرِيرِكَ
هَذَا ، وَيَنْقُلُكَ مِنْ سَعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِكَ ، حَيْثُ لَا تَجِدُ هُنَاكَ يَزِيدَ ، وَإِنَّمَا
تَجِدُ عَمَلَكَ الَّذِي خَالَفتَ فِيهِ رَبَّ يَزِيدٍ ، يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ إِنَّكَ إِنْ تَكُ مَعَ اللّٰهِ تَعَالَى
وَفِي طَاعَتِهِ ؛ يَكْفِكَ بِأَثَقَةِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَكُ مَعَ
يَزِيدَ فِي مَعْصِيَةِ اللّٰهِ تَعَالَى ؛ فَإِنَّ اللّٰهَ يَكْلِكُ إِلَيَّ يَزِيدَ ، وَاعْلَمْ يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ أَنَّهُ لَا
طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ كَاتِباً مَنْ كَانَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَبَكَى عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ حَتَّى بَلَغَتْ دُمُوعُهُ لِحَيْتَهُ ، وَمَالَ عَنِ الشَّعْبِيِّ إِلَى الْحَسَنِ ،
وَبَالَغَ فِي إِعْظَامِهِ وَإِكْرَامِهِ .

فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ تَوَجَّهَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمَا النَّاسُ ، وَجَعَلُوا
يَسْأَلُونَهُمَا عَنْ خَبَرِهِمَا مَعَ أَمِيرِ (العِرَاقِينَ) ^(١) ، فَالْتَمَتَ الشَّعْبِيُّ إِلَيْهِمْ وَقَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُؤَثِّرَ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ
فَلْيُفْعَلْ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا قَالَ الْحَسَنُ لِعُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ قَوْلًا أَجْهَلُهُ ، وَلَكِنِّي
أَرَدْتُ فِيهَا قُلْتُهُ وَجَهَ ابْنَ هُبَيْرَةَ ، وَأَرَادَ فِيهَا قَالَهُ وَجَهَ اللّٰهَ ؛ فَأَقْصَانِي اللّٰهُ مِنْ
ابْنَ هُبَيْرَةَ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَحَبِيبُهُ إِلَيْهِ .

زُهْدُهُ وَاسْتِفْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ : وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه مِنَ الزَّاهِدِينَ حَقًّا ، فَهُوَ الَّذِي
زَهَدَ فِيهَا عِنْدَ الْمُلُوكِ فَرَغِبُوا فِيهِ ، وَاسْتَفْنَى عَنِ النَّاسِ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ فَأَحْبَبُوهُ .
فَعَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : أَخَذَ الْحَسَنُ عَطَاءَهُ فَجَعَلَ يُقَسِّمُهُ ، فَذَكَرَ أَهْلُهُ حَاجَةً ،
فَقَالَ لَهُمْ : دُونَكُمْ بَقِيَّةُ الْعَطَاءِ ؛ أَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا أَنْ يُصْنَعَ بِهِ هَذَا .

(١) الميراثان : الكوفة والبصرة .

رَقَاتُهُ لِلإِنْسَانِيَّةِ مَعِينٌ تَقْوَى :

وَقَدْ عَاشَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ نَحْواً مِنْ تِسْعِينَ عَاماً مَلاً الدُّنْيَا خِلَالَهَا عِلْماً وَحِكْمَةً وَفِقْهاً ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ مَا وَرَّثَهُ لِلأَجْيَالِ رَقَاتُهُ^(١) الَّتِي ظَلَّتْ عَلَى الأَيَّامِ رَبِيعاً لِلقُلُوبِ ، وَمَوَاعِظُهُ الَّتِي هَزَّتْ وَمَا زَالَتْ تَهْزُ الأَفئِدَةَ ، وَتَسْتَدِرُّ الشُّؤْنَ^(٢) ، وَتَدُلُّ التَّائِهِينَ عَلَى اللّهِ ، وَتُبَيِّهُ الغَارِبِينَ الغَافِلِينَ إِلَى حَقِيقَةِ الدُّنْيَا ، وَحَالِ النَّاسِ مَعَهَا ، مِنْ ذَلِكَ :

● الإِنْسَانُ وَقْتُ ، بِضْعَةَ أَيَّامٍ : كُلَّمَا انْقَضَى يَوْمٌ انْقَضَى بِضْعٌ مِنْهُ .

● وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا :

تَسَأَلُنِي عَنِ الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ !! ...

إِنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ كَمَثَلِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ : مَتَى أزدَدْتَ مِنْ أَحَدِهِمَا قُرْباً أزدَدْتَ مِنَ الأَخرِ بُعْداً .

وَتَقُولُ لِي صِفْ لِي هَذِهِ الدَّارَ !! ...

فَمَاذَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارِ أَوْلَئِهَا عِناءٌ وَآخِرُهَا فِتْناءٌ ، وَفِي حَلالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ .

● وَمِنْ ذَلِكَ أَيضاً قَوْلُهُ لِأَخرِ سَأَلَهُ عَنِ حَالِهِ وَحَالِ النَّاسِ :

وَيَحِنَّا مَاذَا فَعَلْنَا بِأَنفُسِنَا !! : لَقَدْ أَهْرَلْنَا دِينَنَا ، وَسَمَّنا دُنْيَانَا ، وَأَخْلَقْنَا^(٣)

أَخْلَاقَنَا ، وَجَدَدْنَا فُرْشَنَا وَثِيابَنَا ، يَتَكَبَّرُ أَحَدُنَا عَلَى شِمَالِهِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ مالٍ غَيْرِ

مالِهِ ؛ طَعَامُهُ غَضْبٌ ، وَخِدْمَتُهُ سُخْرَةٌ^(٤) ، يَدْعُو بِحُلُوِّ بَعْدَ حَامِضٍ ، وَبِحَارٍ بَعْدَ

بارِدٍ ، وَيَرْطِبُ بَعْدَ يَابِسٍ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتْهُ الكِظَةُ تَجَشَّأَ^(٥) مِنَ البَشْمِ^(٦) ثُمَّ قال :

يا غِلامُ ، هَاتِ هَضُوماً يَهْضُمُ الطَّعامَ .

يا أَحيمِقُ^(٨) - واللّهِ - لَنْ تَهْضِمَ إلا دِينَكَ :

أَيْنَ جَارُكَ المُحْتَاجُ !! ، أَيْنَ يَتِيمٌ قَوْمِكَ الجائِعُ !! .

(١) الرِّقَاتِي : المَواعِظُ وَالمُوصايا ، سُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِرِقَّتِها أَوْ لِأَنَّها تُرَفِّقُ القُلُوبَ .

(٢) الشُّؤْنَ : العُرُوقُ الَّتِي تَجْرِي مِنْها الدَّمُوعُ . (٣) أَخْلَقْنَا أَخْلَاقَنَا : أَلْبَيْنا أَخْلَاقَنَا .

(٤) المُسْخَرَةُ : العَمَلُ فَهراً وَبِلا أَجْرَةٍ . (٥) الكِظَةُ : ما يَغْزِي الإِنسانَ عِنْدَ الأَمْتِلاءِ مِنَ الطَّعامِ مِنَ الضَّيْقِ وَالأَلَمِ .

(٦) تَجَشَّأَ : أَخْرَجَ رِيحاً مِنْ فَمِهِ مَعَ صَوْتٍ مِنْ شِدَّةِ الطَّبَعِ . (٧) البَشْمُ : التَّخْمَةُ .

(٨) الأَحيمِقُ : تَصْغِيرُ أَحْمَقٍ ؛ وَهُوَ القَلِيلُ العَقْلُ الفاسِدُ الرُّأْيُ .

أَيْنَ مَسْكِنِكَ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْكَ ۝۹ ، أَيْنَ مَا وَصَّاكَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ۝۱۰ .
لَيْتَكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَدَدٌ ، وَأَنَّهُ كَلَّمَا غَابَتْ عَنْكَ شَمْسُ يَوْمٍ نَقَصَ شَيْءٌ مِنْ عَدَدِكَ ،
وَمَضَى بَعْضُكَ مَعَهُ .

● وَمِنْ ذَلِكَ نَصِيحَتُهُ لِلْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، يَقُولُ فِيهَا :
أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ وَإِنَّمَا أَهْبَطَ آدَمُ إِلَيْهَا
عُقُوبَةً ، فَبِحَسَبِ مَنْ لَا يَدْرِي ثَوَابَ اللَّهِ أَنَّهُ ثَوَابٌ ، وَبِحَسَبِ مَنْ لَا يَدْرِي عِقَابَ اللَّهِ
أَنَّهُ عِقَابٌ ، لَيْسَتْ صَرَعَتُهَا كَالصَّرَعَةِ تَهِينُ مَنْ أَكْرَمَهَا ، وَتُدِلُّ مَنْ أَعَزَّهَا ، وَتُقْرِئُ
مَنْ جَمَعَهَا ، وَلَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ ، فَالزَّادُ مِنْهَا تَرَكُّهَا ، وَالغِنَى فِيهَا فَقْرُهَا ، هِيَ
وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ لِيَشْفِيَهُ وَهُوَ حَتْفُهُ ؛ فَكُنْ فِيهَا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمُدَاوِي جُرْحَهُ يَحْتَمِي قَلِيلًا مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا ، وَيَصْبِرُ
عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ مَخَافَةَ الْبَلَاءِ ، فَاهْلُ الْبِصَائِرِ الْفَضَائِلُ فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَشِيئُهُمُ بِالْتَوَاضُعِ ، وَمَلْبَسُهُمُ بِالْاِقْتِسَادِ ، وَمَنْطِقُهُمُ بِالصَّوَابِ ، وَمَطْعَمُهُمُ الطَّيِّبُ
مِنَ الرِّزْقِ ، قَدْ نَفَذْتَ أَبْصَارَهُمْ فِي الْأَجْلِ كَمَا نَفَذْتَ أَبْصَارَهُمْ فِي الْعَاجِلِ ،
فَخَوْفُهُمْ فِي الْبَرِّ كَخَوْفِهِمْ فِي الْبَحْرِ ، وَدَعَاؤُهُمْ فِي السَّرَّاءِ كَدُعَائِهِمْ فِي الضَّرَّاءِ ،
وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقَرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ؛ خَوْفًا مِنْ
الْعِقَابِ وَشَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَصَغُرَ الْمَخْلُوقُ عِنْدَهُمْ ،
فَارْضَ مِنْهَا بِالْكَفَافِ وَلِيَكْفِكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحِلَّ .

وَفَاتَهُ ﷺ : وَفِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ مِنْ غُرَّةِ رَجَبٍ ^(١) سَنَةَ مِائَةٍ وَعَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، لَبَّى
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ نِدَاءَ رَبِّهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ وَشَاعَ فِيهِمْ نَعْيُهُ ؛ ارْتَجَّتِ الْبَصْرَةُ
لِمَوْتِهِ رَجَاءً ، فَغَسَّلَ وَكَفَّنَ وَصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فِي الْجَامِعِ الَّذِي قَضَى فِي رِحَابِهِ
جُلَّ حَيَاتِهِ عَالِمًا وَمُعَلِّمًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ .



(١) غُرَّةُ رَجَبٍ : أَوَّلُ رَجَبٍ .

(٢) مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ رضي الله عنه

هُوَ أَبُو عَائِشَةَ مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ بْنِ مَالِكِ الْوَادِعِيِّ الْكُوفِيِّ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ مِنْ تَلَامِذَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، وَهُوَ مِنَ الْمُخَضَّرِمِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَلْقَهُ ، وَصَلَّى خَلْفَ خَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه .

طُرْفَةٌ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهِ : سُرِقَ وَهُوَ صَغِيرٌ ثُمَّ وُجِدَ فَسُمِّيَ مَسْرُوقًا ، وَأَسْلَمَ أَبُوهُ الْأَجْدَعُ وَلَقِيَ مَسْرُوقًا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ ، فَقَالَ : مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ ، فَقَالَ : أَنْتَ مَسْرُوقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ فَثَبَّتَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

● كَانَ هَذَا الْإِمَامُ الْقُدُوءَةَ سَيِّدَ قُرَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ فَهُوَ مِمَّنْ يُقْرَأُ النَّاسَ وَيُعَلِّمُهُمْ كِتَابَ اللَّهِ .

رَوَيْتُهُ عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم :

أَسْنَدَ مَسْرُوقٌ عَنْ سَادَتِنَا : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَالْمُغْبِرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهم .
أَقْوَالٌ عَنْهُ مَأْثُورَةٌ :

● بِحَسَبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ ، وَبِحَسَبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ .

● إِذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلْيَأْخُذْ حِذْرَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

● لِأَنَّ أَقْضَى بِقَضِيَّةٍ وَفَقَّ الْحَقُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِبَاطِ سَنَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَالَ مِنْ غَزْوِ سَنَةٍ .

❁ قَالَ الشَّعْبِيُّ : كَانَ مَسْرُوقٌ أَعْلَمَ بِالْفَتْوَى مِنْ شُرَيْحٍ ^(١) ، وَكَانَ شُرَيْحٌ أَعْلَمَ بِالْقَضَاءِ مِنْ مَسْرُوقٍ ، وَكَانَ شُرَيْحٌ يَسْتَشِيرُ مَسْرُوقًا ، وَكَانَ مَسْرُوقٌ لَا يَسْتَشِيرُ شُرَيْحًا .
وَصَفَّ دَأْبَهُ حَالَ خُلُوتِهِ بِرَبِّهِ :

تَقُولُ امْرَأَتُهُ : وَاللَّهِ مَا كَانَ مَسْرُوقٌ يُصْبِحُ مِنْ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي إِلَّا وَسَاقَاهُ مُنْتَفِخَتَانِ

(١) هُوَ شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ الْكُوفِيِّ . الْقَاضِي ، وَوَلَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رضي الله عنه قَضَاءَ الْكُوفَةِ ، وَتُوفِّيَ وَقَدْ بَلَغَ مِائَةَ وَثَمَانِ سِنِينَ .

مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، وَكُنْتُ أَجْلِسُ خَلْفَهُ فَأَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا طَلَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَتَعَبَ صَلَّى جَالِسًا وَلَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ ، وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ يَزْحَفُ كَمَا يَزْحَفُ الْبَعِيرُ مِنَ الضَّعْفِ .

● هَذَا كَانَ حَالُهُ طُولَ الْعُمُرِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرًا عَارِضًا ، فَمَا الَّذِي أَنْطَوَى عَلَيْهِ هَذَا الْقَلْبُ الطَّاهِرُ النَّقِيُّ مِنَ الْخَيْرِ حَتَّى صَارَ هَذَا حَالَهُ ؟

لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ خَالِقَهُمْ ❀ فَاْمَنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أَمَرُوا
وَالْوَجْدُ وَالشَّقْوُ وَالْأَفْكَارُ قُوَّتُهُمْ ❀ وَلَا زَمُوا النِّجْدَ وَالْإِدْلَاجَ فِي الْبُكْرِ
وَبَادَرُوا لِرِضَا مَوْلَاهُمْ وَسَعَوْا ❀ قَصَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ سَعَى مُؤْتَمِرٍ
وَشَمَّرُوا وَاسْتَعَدُّوا وَفَقَّ مَا طَلِبُوا ❀ وَاسْتَفْرَقُوا وَقَتَهُمْ فِي الصُّومِ وَالسَّهْرِ
وَجَاهَدُوا وَأَنْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ ❀ عَنِ بَابِهِ وَاسْتَلَانُوا كُلَّ ذِي وَعَرٍ
جَنَاتٍ عَدَنَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا ❀ فِي مَقْعَدِ الصَّنَدِ بَيْنَ الرُّوضِ وَالزَّهْرِ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ ❀ سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ وَالْفَوْزُ بِالنَّظَرِ

● قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَرِيرٍ : قَالَ لِي مَسْرُوقٌ : مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُرْغَبُ فِيهِ إِلَّا أَنْ نَعُضَّ وَجُوهَنَا فِي التُّرَابِ ، وَمَا أَسَى عَلَى شَيْءٍ إِلَّا السُّجُودَ لِلَّهِ تَعَالَى .

❀ نَعَمْ .. لَا يَحْزَنُ عَلَى قَوَاتِ شَيْءٍ إِلَّا السُّجُودَ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ هَؤُلَاءِ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَنْقُلُوا لَنَا دِينَهُ وَشَرِيْعَتَهُ ، وَيَخْلُفُوا صَحَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ .

وَفَاتَهُ ﷺ : تُوفِّيَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ .



(٢) عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ ﷺ

الْقُدْوَةُ الْوَلِيَّةُ ، الزَّاهِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .

● أَدْرَكَ عَامِرُ الصَّدْرَ الْأَوَّلَ وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ؛ لَكِنَّهُ اشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ عَنِ الرَّوَايَةِ .

● قَالَ فِيهِ عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْتَدٍ : أَنْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَةِ فِي مُقَدِّمَتِهِمْ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ .

عامر وإعمار على هدى وبصيرة :

فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ أَمَرَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِنَاءِ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ لَتَكُونَ قَاعِدَةً لِلدَّعْوَةِ وَمَنَارَةً لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، وَبَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يَنْطَلِقُونَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ الْجَدِيدَةِ حَتَّى يَعْمرُوهَا بِدِينِ اللَّهِ ، وَلَكِي تَكُونَ لَهُمْ أَيْضاً مَعْسَكراً لِلْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي يَتَأَهَّبُ لِفَتْوحِ فَارِسَ ؛ وَالْمُسْلِمُونَ آنَذَاكَ حَرِيصُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا عَلَى ثَغْرِ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ ؛ يَرُدُّونَ عُدْوَانَ الْعَادِيْنَ ، وَيُؤْمِنُونَ حُدُودَ الدَّوْلَةِ ، وَيَنْشُرُونَ دَعْوَةَ اللَّهِ فِي الْعَالَمِينَ .

كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّجَّهُوا إِلَى الْبَصْرَةِ فَتَى فِي بَوَاكِرِ صِبَاهُ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَمِنْ قَبِيلَةِ بَنِي تَمِيمٍ يُدْعَى عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ الْعَنْبَرِيِّ ، وَكَانَتْ الْبَصْرَةُ عَلَى حَدَائِثِهَا مِنْ أَوْسَعِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ غَنِيًّا ، وَأَوْفَرِهَا ثَرْوَةً ؛ لِمَا كَانَ يَتَدَفَّقُ عَلَيْهَا مِنْ غَنَائِمِ الْحَرْبِ ؛ لَكِنَّ الْفَتَى التَّمِيمِيَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَرَبٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَلَقَدْ كَانَ زَهَاداً بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، رَغَاباً بِمَا عِنْدَ اللَّهِ ، مُعْرِضاً عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، مُقْبِلاً عَلَى اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ .

وَكَانَ رَجُلٌ الْبَصْرَةَ وَمُقَدِّمَهَا يَوْمَئِذٍ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه ؛ فَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَهُوَ قَائِدُ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنْطَلِقَةِ مِنْهَا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ ، وَهُوَ إِمَامٌ أَهْلِهَا ، وَمُعَلِّمُهُمْ ، وَمُرْشِدُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
هَكَذَا تَكُونُ عِبَادَةُ الْعُلَمَاءِ :

لَزِمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ فِي سَلْمِهِ وَحَرْبِهِ ، وَصَحْبَهُ فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ ؛ فَأَخَذَ عَنْهُ كِتَابَ اللَّهِ رَطْباً طَرِيّاً كَمَا نَزَلَ عَلَى فُوَادِ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ صلوات الله عليه ، وَرَوَى عَنْهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه صَحِيحاً مَوْصُولاً بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى يَدَيْهِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَمَّا اكْتَمَلَ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ الْعِلْمِ ، جَعَلَ حَيَاتَهُ أَقْسَاماً ثَلَاثَةً :

فَقَسَمَهُ فِي حَلَقَاتِ الذُّكْرِ ؛ يُقْرَأُ فِيهِ النَّاسُ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ .

وَقَسَمَهُ فِي خَلَوَاتِ الْعِبَادَةِ ؛ يَنْتَصِبُ فِيهِ قَائِماً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى تَكِلَّ قَدَمَاهُ .

وَقَسَمَهُ فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ ؛ يَسْأَلُ فِيهِ سَيْفُهُ غَازِيّاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

● وَلَمْ يَتْرُكْ فِي حَيَاتِهِ مَوْضِعاً لشيءٍ غَيْرَ ذَلِكَ أَبَداً ؛ حَتَّى دُعِيَ بِعَابِدِ الْبَصْرَةِ
وزَاهِدِهَا .

تَحَقَّقُ عَامِرٌ بِمَقَامِ الْيَقِينِ ثَمَرَةً فَهَمَّهُ لِلْقُرْآنِ الْمُبِينِ :

قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : أَرَبُّعُ آيَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا ذَكَرْتُهُنَّ لَا أَبَالِي عِلَامَ
أَصْبَحْتُ أَوْ أَمْسَيْتُ :

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ^(١)

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٢)

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ^(٣)

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ^(٤)

مَشْهُدٌ مِنْ مَشَاهِدِ عِبَادَتِهِ :

وَكَانَ مِنْ أَحْبَابِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَا حَدَّثَ بِهِ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْبَصْرَةِ ، قَالَ :
سَافَرْتُ فِي قَافِلَةٍ فِيهَا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ؛ نَزَلْنَا بِغِيضَةٍ ^(٥) ،
فَجَمَعَ عَامِرٌ مَتَاعَهُ ، وَرَبَطَ فَرَسَهُ بِشَجَرَةٍ ، وَطَوَّلَ لَهُ زَمَامَهُ ^(٦) ، وَجَمَعَ لَهُ مِنْ حَشَائِشِ
الْأَرْضِ مَا يُشْبِعُهُ وَطَرَحَهُ أَمَامَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ الْغِيضَةَ وَأَوَّعَلَ ^(٧) فِيهَا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
وَاللَّهِ لَا تُبْعَثُهُ ، وَلَا تُنْظَرَنَّ مَا يَصْنَعُ فِي أَعْمَاقِ الْغِيضَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ .

فَمَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَابِيَةٍ مُلْتَمَّةِ الشَّجَرِ ، مَسْتُورَةٍ عَنِ الْأَعْيُنِ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ،
وَانْتَصَبَ قَائِماً يُصَلِّي ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَحْشَعَ ، فَلَمَّا صَلَّى
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّي ، طَفِقَ ^(٨) يَدْعُو اللَّهَ وَيُنَاجِيهِ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ :

(إِلَهِي لَقَدْ خَلَقْتَنِي بِأَمْرِكَ ، وَأَقَمْتَنِي فِي بِلَايَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَشِيئَتِكَ ، ثُمَّ قُلْتَ لِي :
اسْتَمْسِكْ !! ، فَكَيْفَ اسْتَمْسِكُ إِنْ لَمْ تَمْسِكْنِي بِطُفْنِكَ يَا قَوِيُّ يَا مَتِينُ ؟ ، إِلَهِي إِنَّكَ
تَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ، ثُمَّ طَلَبْتَ مِنِّي مَرْضَاةَ لَكَ ؛ لَوْهَبْتُهَا

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : مِنَ الْآيَةِ ١٧ .

(٤) سُورَةُ هُودٍ : مِنَ الْآيَةِ ٦ .

(٦) الزَّمَامُ ؛ الْحَبْلُ الَّذِي تَعَادُ بِهِ الدَّابَّةُ .

(٨) طَفِقَ يَدْعُو ؛ أَخَذَ يَدْعُو .

(١) سُورَةُ قَامِلِر : مِنَ الْآيَةِ ٢ .

(٣) سُورَةُ الطَّلَاقِ : مِنَ الْآيَةِ ٧ .

(٥) الْغِيضَةُ ؛ مُجْتَمَعُ الشَّجَرِ فِي مَبِيزِ الْمَاءِ .

(٧) أَوَّعَلَ فِيهَا ؛ أَبْعَدَ وَتَوَارَى .

لِطَالِبِهَا : فَهَبْ لِي نَفْسِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
إِلَهِي إِنِّي أَحْبَبْتُكَ حُبًّا سَهَّلَ عَلَيَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ ، وَرَضَّانِي بِكُلِّ قَضَاءٍ ، فَمَا أُبَالِي مَعَ
حُبِّي لَكَ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا أَمْسَيْتُ فِيهِ) .

قَالَ الرَّجُلُ الْبَصْرِيُّ : ثُمَّ إِنَّهُ غَلَبَنِي النَّعَاسُ ، فَأَسْلَمْتُ جَفَنِي إِلَى الْكَرَى ^(١) ، ثُمَّ
مَازَلْتُ أَنَا وَأَسْتَيْقِظُ ، وَعَامِرٌ مُنْتَصِبٌ فِي مَوْقِفِهِ ، مَاضٍ فِي صَلَاتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ ،
حَتَّى تَنَفَّسَ الصُّبْحُ ، فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ الْفَجْرُ أَدَّى الْمَكْتُوبَةَ ^(٢) ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَدْعُو فَقَالَ :
(اللَّهُمَّ هَا قَدْ أَصْبَحَ الصُّبْحُ ، وَطَفِقَ النَّاسُ يَغْدُونَ وَيَرْوِحُونَ ؛ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِكَ ،
وَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهُمْ حَاجَةً ، وَإِنَّ حَاجَةَ عَامِرٍ عِنْدَكَ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ ، اللَّهُمَّ فَاقْضِ حَاجَتِي
وَحَاجَاتِهِمْ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا ؛ فَأَعْظِيْتَنِي اثْنَتَيْنِ ، وَمَنْعَتَنِي وَاحِدَةً ، اللَّهُمَّ فَأَعْظِيْنِيهَا
حَتَّى أَعْبُدَكَ كَمَا أَحَبُّ وَأُرِيدُ) .

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَوَقَعَ بَصْرُهُ عَلَيَّ ؛ فَعَلِمَ بِمَكَانِي مِنْهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ،
فَجَزَعُ ^(٣) لِذَلِكَ أَشَدَّ الْجَزَعِ ، وَقَالَ لِي فِي أَسَى ^(٤) : أَرَاكَ كُنْتَ تَرْقُبُنِي اللَّيْلَةَ يَا أَخَا
الْبَصْرَةَ ١٩ .

فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : اسْتُرْ مَا رَأَيْتَ مِنِّي سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ .
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَتُحَدِّثَنِي بِهَذِهِ الثَّلَاثِ الَّتِي سَأَلْتَهَا رَبَّكَ ، أَوْ لِأُخْبِرَنَّ النَّاسَ بِمَا
رَأَيْتَهُ مِنْكَ .

فَقَالَ : وَيْحَكَ ^(٥) لَا تَفْعَلْ فَقُلْتُ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ .
فَلَمَّا رَأَى إِصْرَارِي ، قَالَ : أَحَدِّثْكَ عَلَى أَنْ تُعْطِيَنِي عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَلَّا تُخْبِرَ
بِذَلِكَ أَحَدًا .

فَقُلْتُ : لَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَلَّا أُفْشِيَ لَكَ سِرًّا مَا دُمْتُ حَيًّا .
فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَخَوْفُ عَلَيَّ فِي دِينِي مِنَ النِّسَاءِ ، فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَنْزِعَ شَهْوَةَ
النِّسَاءِ مِنْ قَلْبِي ، فَاسْتَجَابَ لِي حَتَّى صِرْتُ مَا أُبَالِي امْرَأَةً رَأَيْتُ أُمَّ جِدَارًا .

(١) الْكَرَى : النَّوْمُ .

(٢) الْمَكْتُوبَةُ : الصَّلَاةُ الْمَقْرُوضَةُ .

(٣) جَزَعٌ : خَافَ وَأَغْتَمَ .

(٤) أَسَى : حُزْنٌ .

(٥) وَيْحٌ : كَلِمَةٌ تَرْجَمُ وَيَتَوَجَّعُ .

فَقُلْتُ : هَذِهِ وَاحِدَةٌ ؛ فَمَا الثَّانِيَةُ ؟ ٥ .

فَقَالَ : الثَّانِيَةُ أَنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا أَخَافُ أَحَدًا غَيْرَهُ ، فَاسْتَجَابَ لِي حَتَّى إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَزْهَبُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ سِوَاهُ .

قُلْتُ : فَمَا الثَّلَاثَةُ ؟ ٥ .

فَقَالَ : سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُذْهِبَ عَنِّي النَّوْمَ حَتَّى أَعْبُدَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ كَمَا أُرِيدُ ؛ فَمَنْعَنِي هَذِهِ الثَّلَاثَةُ .

فَلَمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ ذَلِكَ قُلْتُ لَهُ : رِفْقًا بِنَفْسِكَ ؛ فَإِنَّكَ تَقْضِي لَيْلَكَ قَائِمًا ، وَتَقْطَعُ نَهَارَكَ صَائِمًا ؛ وَإِنَّ الْجَنَّةَ تُدْرِكُ بِأَقْلٍ مِمَّا تَصْنَعُ ، وَإِنَّ النَّارَ تُتَّقَى بِأَقْلٍ مِمَّا تُعَانِي .

فَقَالَ : إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أُنْدَمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ ، وَاللَّهُ لِأَجْتَهِدَنَّ فِي الْعِبَادَةِ مَا وَجَدْتُ إِلَى الاجْتِهَادِ سَبِيلًا ؛ فَإِنْ نَجَوْتُ ، فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَإِنْ دَخَلْتُ النَّارَ ، فَبِتَقْصِيرِي .

أَدَبُ الرَّفْقَةِ الَّذِي ثَمَرَتُهُ الْمَحَبَّةُ :

غَيْرَ أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ رَاهِبًا مِنْ رُهْبَانِ (١) اللَّيْلِ فَحَسَبُ ، وَإِنَّمَا كَانَ فَارِسًا مِنْ فُرْسَانِ النَّهَارِ أَيْضًا ، فَمَا أَذِنَ مُؤَدِّنَ لِلْجِهَادِ (٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا كَانَ

فِي طَلِيعَةِ مَنْ يُجِيبُ نِدَاءَهُ ، وَكَانَ إِذَا نَهَدَ (٣) لِعِزَّةٍ مِنَ الْعِزَّاتِ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَفَ يَتَوَسَّمُ (٤) النَّاسَ لِيُخْتَارَ رِفَاقَهُ .

فَإِذَا وَقَعَ عَلَى رِفْقَةٍ تَوَافَقَهُ ؛ قَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكُمْ عَلَى أَنْ تُعْطُونِي مِنْ أَنْفُسِكُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ .

فَيَقُولُونَ : مَا هُنَّ ؟ ٥ .

فَيَقُولُ : أَوْلَاهُنَّ أَنْ أَكُونَ لَكُمْ خَادِمًا ؛ فَلَا يُنَازِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي الْخِدْمَةِ أَبَدًا .
وَالثَّانِيَةُ أَنْ أَكُونَ لَكُمْ مُؤَدِّنًا ؛ فَلَا يُنَازِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ النَّدَاءَ لِلصَّلَاةِ .

وَالثَّلَاثَةُ أَنْ أَنْفِقَ عَلَيْكُمْ بِقَدْرِ طَاقَتِي .

فَإِنْ قَالُوا : نَعَمْ ، انْضَمَّ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا نَازَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ رَحَلَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . .

(١) الرَّاهِبُ : مَنْ يَرْهَبُ اللَّهَ وَيَتَّقِي لِعِبَادَتِهِ .

(٢) أَدْنَى مُؤَدِّنَ الْجِهَادِ : دَعَا دَاعِيَ الْجِهَادِ .

(٣) نَهَدَ : أَسْرَعَ .

(٤) يَتَوَسَّمُ النَّاسَ : يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّاسِ وَيَتَمَرَّقُهُمْ .

سُلُوكِ عَمَلِي يُنبِئُ عَنِ زُهْدِ حَقِيقِي :

وَلَقَدْ كَانَ عَامِرٌ مِنْ أَوْلِيكَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَعِ (١) ، وَيَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ (٢) ؛ فَهُوَ يَغْشَى الْوَعَى (٣) كَمَا لَا يَغْشَاهَا أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَلَكِنَّهُ يَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ كَمَا لَا يَعْفُ عَنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ : فَهَذَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه يَنْزِلُ بَعْدَ الْقَادِسِيَّةِ (٤) فِي إِيوَانَ كِسْرَى ؛ وَيَأْمُرُ عَمْرُو بْنُ مُقَرَّرٍ بِأَنْ يَجْمَعَ الْفَنَائِمَ وَيُحْصِيَهَا ؛ لِيُرْسِلَ خُمْسَهَا إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَقْسِمَ بِأَقْبِيهَا عَلَى الْمُجَاهِدِينَ ، فَاجْتَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْلَاقِ (٥) وَالنَّفَائِسِ مَا يَفُوقُ الْوُصْفَ ، وَيَعِزُّ عَلَى الْحَصْرِ ؛ فَهُنَا سِلَالٌ كَبِيرَةٌ مُخْتَمَةٌ بِالرِّصَاصِ مَمْلُوءَةٌ بِأَنْيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَانَ يَأْكُلُ بِهَا مَلُوكُ فَارِسَ ، وَهُنَاكَ صَنَادِيقُ مِنْ نَفِيسِ الْخَشَبِ كُدِّسَتْ فِيهَا ثِيَابُ كِسْرَى وَأَوْشَحْتُهُ وَدُرُوعُهُ الْمُحَلَّلَةُ بِالْجَوْهَرِ وَالدَّرِّ ، وَهَذِهِ أَسْفَاطُ (٦) مَمْلُوءَةٌ بِنَفَائِسِ الْحُلِيِّ وَرَوَائِعِ الْمُقْتَنِيَّاتِ ، وَتِلْكَ أَعْمَادٌ فِيهَا سِيُوفُ مَلُوكِ الْفُرْسِ مَلَكًا بَعْدَ مَلِكٍ ، وَسِيُوفُ الْمُلُوكِ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ خَضَعُوا لِلْفُرْسِ خِلَالَ التَّارِيخِ .

وَفِيهَا كَانَ الْعُمَّالُ يُحْصُونَ هَذِهِ الْفَنَائِمَ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَسْمَعٍ ؛ أَقْبَلُ عَلَى الْقَوْمِ رَجُلٌ أَشْعَثُ أَغْبَرُ (٨) ، وَمَعَهُ حُقٌّ كَبِيرٌ الْحَجْمِ ثَقِيلُ الْوِزْنِ (حَمَلَهُ بِيَدَيْهِ كَلْتَيْهِمَا) ، فَتَأَمَّلُوهُ ؛ فَإِذَا هُوَ حُقٌّ لَمْ تَقَعْ عِيُونُهُمْ عَلَى مِثْلِهِ قَطُّ ، وَلَا وَجَدُوا فِيهَا جَمْعَهُ شَيْئًا يَعْدِلُهُ أَوْ يُقَارِبُهُ ، فَنَظَرُوا فِي دَاخِلِهِ ؛ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَلِئَ بِرَوَائِعِ الدَّرِّ وَالْجَوْهَرِ .

فَقَالُوا لِلرَّجُلِ : أَيَّنَ أَصَبْتَ هَذَا الْكَنْزَ الثَّمِينِ ؟

فَقَالَ : غَنِمْتُهُ فِي مَعْرَكَةِ كَذَا ... فِي مَكَانِ كَذَا .

فَقَالُوا : وَهَلْ أَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئًا ؟

فَقَالَ : هَذَاكَمُ اللَّهُ ؛ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحُقَّ ، وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتُهُ مَلُوكُ فَارِسَ لَا يَعْدِلُ

(١) عِنْدَ الْفَرَعِ : عِنْدَ الْخَوْفِ وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّجْدَةِ .

(٢) عِنْدَ الطَّمَعِ : عِنْدَ الْفَتَنِ وَالْمَغْنَمِ .

(٣) يَغْشَى الْوَعَى : يَخُوضُ الْحَرْبَ .

(٤) الْقَادِسِيَّةُ : نَاحِيَّةٌ مِنَ الْعِرَاقِ وَقَعَتْ فِيهَا مَعْرَكَةُ الْقَادِسِيَّةِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْفُرْسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا .

(٥) إِيوَانَ : قَصْرٌ .

(٦) الْأَسْفَاطُ : وَعَاءٌ يُوضَعُ فِيهِ تَحْفُ النِّسَاءِ .

(٨) الْأَشْعَثُ : الْمَلْبَدُ الشَّعْرَ ، وَالْأَغْبَرُ : الَّذِي عَلَاهُ الْغُبَارُ .

(٩) حُقٌّ : وَعَاءٌ .

عِنْدِي قُلَامَةٌ ظُفْرٌ^(١) ، وَلَوْلَا حَقُّ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ^(٢) فِيهِ مَا رَفَعْتُهُ مِنْ أَرْضِهِ ، وَلَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ .

فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ۖ ۱۶ .

فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَخْبِرُكُمْ لِتَحْمَدُونِي ، وَلَا أَخْبِرُ غَيْرَكُمْ لِيُقَرِّطُونِي^(٣) ، وَلَكِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَرْجُو ثَوَابَهُ .

ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى ... فَأَمَرُوا رَجُلًا مِنْهُمْ أَنْ يَتَّبِعَهُ ، وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِخَبْرِهِ ؛ فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَمْضِي وَرَاءَهُ (وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِهِ) حَتَّى بَلَغَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا سَأَلَهُمْ عَنْهُ قَالُوا : أَلَا تَعْرِفُهُ ۖ ۱۷ .

إِنَّهُ زَاهِدُ الْبَصْرَةِ ... عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ .

وَفَاتَهُ ﷺ : وَفِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ (أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ ، وَثَالِثِ الْحَرَمَيْنِ ، وَمَسْرَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ؛ كَانَ اسْتِقْرَارُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَخْرِيَاتِ حَيَاتِهِ ، إِلَى أَنْ لَبَّى نِدَاءَ رَبِّهِ رَاضِيًا مَرْضِيًّا .



٤) أَبُو مُسْلِمِ الْخَوْلَانِيِّ ﷺ

وَهُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثُوبٍ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَقَدْ أَسْلَمَ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَقِ بِهِ (فَهُوَ مُخْضَرَمٌ) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، ثُمَّ سَكَنَ الشَّامَ فَسُمِّيَ بِالزَّاهِدِ الشَّامِيِّ .

مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِنَبِيِّ جَازَ أَنْ يَكُونَ كِرَامَةً لَوْلِيٍّ :

طَارَتْ الْأَخْبَارُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ثَقُلَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ ؛ فَسَوَّلَ الشَّيْطَانُ لِلْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ أَنْ يَعُودَ لِلْكَفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَأَنْ يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ الْكِذْبَ ، فَيَزْعُمَ لِقَوْمِهِ فِي الْيَمَنِ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ .

كَانَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ رَجُلًا قَوِيًّا الْبُنْيَةَ ، أَسْوَدَ النَّفْسِ ، مُسْتَطِيرَ الشَّرِّ ، مُتَقِنًا

(١) قُلَامَةٌ الظُّفْرُ : مَا سَقَطَ مِنْ ظَرْفِهِ ، وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الشَّيْءِ الْخَسِيسِ الْحَقِيرِ .

(٢) جَعَلَ الْإِسْلَامَ خُمْسَ غَنَائِمِ الْعَرَبِ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالْبَاقِي لِلْمُجَاهِدِينَ .

(٣) يُقَرِّطُونِي : يُثْبِتُونِي ، يُثْبِتُوا عَلَيَّ .

لِلْكَهَانَةِ ، وَكَانَ لَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ إِلَّا مُقْنَعًا بِقِنَاعٍ أَسْوَدَ ؛ لِيُحِيطَ نَفْسَهُ بِهَالَةٍ مِنْ
الْعُمُوضِ وَالْهَيْبَةِ .

وَقَدْ ائْتَشَرَتْ دَعْوَةُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ فِي الْيَمَنِ ائْتِشَارَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ ^(١) ؛ فَمَا لَبِثَ
أَنْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَائْتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، فَوَثَبَ بِهِمْ عَلَى صَنْعَاءَ ، ثُمَّ وَثَبَ مِنْ
صَنْعَاءَ عَلَى الْمَنَاطِقِ الْأُخْرَى ، حَتَّى خَضَعَتْ لَهُ الْبِلَادُ الْوَاقِعَةَ مَا بَيْنَ (حَضْرَمَوْتِ)
وَ (الطَائِفِ) ، وَمَا بَيْنَ (الْبَحْرَيْنِ) وَ (عَدَنَ) .

وَلَمَّا اسْتَتَبَ الْأَمْرُ لِلأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ؛ نَشَطَ فِي تَتَبُعِ
مُعَارِضِيهِ (الَّذِينَ كَانُوا عَلَى إِيمَانٍ رَاسِخٍ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَبِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ﷺ) ؛ فَجَعَلَ يَبْطِشُ بِهِمْ فِي قَسْوَةٍ قَاسِيَةٍ ، وَيُنْزِلُ بِهِمْ أَشَدَّ النَّكَالِ ^(٢) .

وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ ثُوبِ الْمُكَنِيِّ بِأَبِي مُسْلِمِ الْخَوْلَانِيِّ ؛ وَقَدْ أَرَادَ
الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ أَنْ يَبْطِشَ بِأَبِي مُسْلِمٍ بِطِشَةً جَبَّارَةً ، فَأَمَرَ بِالْحَطْبِ بِأَنْ يُكَدِّسَ
فِي سَاحَةِ مِنْ سَاحَاتِ صَنْعَاءَ وَأَنْ تُضْرَمَ ^(٣) فِيهِ النَّارُ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا
اسْتِنَابَةَ ^(٤) فِيهِ الْيَمَنِ وَعَابِدِهَا أَبِي مُسْلِمِ الْخَوْلَانِيِّ ، وَإِقْرَارَهُ بِنُبُوَّتِهِ ، وَفِي الْوَقْتِ
الْمُحَدَّدِ أَقْبَلَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ عَلَى السَّاحَةِ الَّتِي ائْتَحَطَّتْ ^(٥) بِالنَّاسِ ائْتِظَافًا ، وَكَانَ
يَحْفُ بِهِ طَوَاغِيَتَهُ ^(٦) ، وَيَحْوِطُهُ حَرَسُهُ وَقَادَةَ جُنْدِهِ ؛ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي
نُصِبَ لَهُ قُبَالَةَ النَّارِ ، وَقِيدَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمِ الْخَوْلَانِيُّ عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّاسِ وَمَسْمَعٍ ،
فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ الطَّاغِيَةُ الْكَذَّابُ فِي خِيَلَاءِ ^(٧) ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى النَّارِ الَّتِي
تَتَأَجَّجُ أَمَامَهُ فِي ضِرَاوَةٍ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟

قَالَ : نَعَمْ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ .

فَقَطَّبَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ وَجْهَهُ ، وَزَمَّ حَاجِبِيَهُ وَقَالَ : وَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟

فَقَالَ : إِنْ فِي أَدْنِي صَمَمًا ، فَلَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ .

فَقَالَ الْأَسْوَدُ : إِذْنًا أَقْذِفُكَ فِي هَذِهِ النَّارِ .

(٢) النَّكَالُ : الْبَطْشُ الشَّدِيدُ .

(٤) الاسْتِنَابَةُ : الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْبَةِ .

(٦) يَحْفُ بِهِ طَوَاغِيَتُهُ : يُحِيطُ بِهِ شَيْطَانِيَتُهُ .

(١) الْهَشِيمُ : النَّبَاتُ الْبَاسِطُ السَّرِيعُ الْاِئْتِمَالِ .

(٣) تُضْرَمُ : تُوقَدُ وَتُشْعَلُ .

(٥) ائْتَحَطَّتْ بِالنَّاسِ : ائْتَلَّاتْ بِهِمْ حَتَّى ضَاقَتْ .

(٧) فِي خِيَلَاءٍ ، فِي عَجَبٍ وَتَكْبِيرٍ .

فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : إِنْ فَعَلْتَ اتَّقَيْتُ بِهِذِهِ النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا الْحَطَبُ ، نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .

فَقَالَ الْأَسْوَدُ : لَنْ أَعْجَلَ عَلَيْكَ ، وَسَأُتِيحُ لَكَ الْفُرْصَةَ لِتُرَاجَعَ عَقْلَكَ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ ، فَقَالَ : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَهُ بِدِينِ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَخَتَمَ بِرِسَالَتِهِ الرِّسَالَاتِ .

فَارْتَدَادَ الْأَسْوَدُ حَقًّا^(١) ، وَقَالَ : وَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟

فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : أَمَا أَخْبَرْتُكَ أَنَّ فِي أُذُنِي صَمَمًا ، فَلَا أَسْمَعُ مَقَالَتَكَ هَذِهِ ؟ فَاسْتَشَاطَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ غَيْظًا مِنْ صَرَامَةِ إِبْجَابَتِهِ ، وَهُدُوءِ نَفْسِهِ ، وَسَكِينَةِ جَوَارِحِهِ ، وَأَمَرَ بِالِقَائِهِ فِي النَّارِ ، فَلَمْ تَضُرَّهُ النَّارُ ؛ بَلْ كَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ كَمَا كَانَتْ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَبَعْدَ مُدَاوَلَةٍ سَرِيعَةٍ مَعَ شَيَاطِينِهِ أَخَذَ الْأَسْوَدُ بِمَشُورَةِ طَاغُوتِهِ ، وَأَمَرَ أَبَا مُسْلِمٍ بِمُغَادَرَةِ الْبِلَادِ لِسَاعَتِهِ .

يَمَمَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَهُوَ قَدْ آمَنَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنَاهُ بِرُؤْيَيْتِهِ ، وَتَفْرَحَ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ) ؛ لَكِنَّهُ مَا كَادَ يَبْلُغُ أَطْرَافَ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى بَلَغَهُ نَعْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيَامُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَلَى خِلافةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ .

فَتَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى الْمَسْجِدِ رَبَطَ نَاقَتَهُ قَرِيبًا مِنْ بَابِهِ ، وَدَخَلَ إِلَى الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ وَقَفَ إِلَى سَارِيَةٍ^(٢) مِنْ سَوَازِي الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ يُصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ، تَوَجَّهَ نَحْوَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ أَمَامَهُ وَقَالَ لَهُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟

فَقَالَ : مِنَ الْيَمَنِ .

(٢) السَّارِيَةُ : الْأَشْطُوَانَةُ .

(١) الْحَقُّ : شِدَّةُ الْأَغْطِيَاظِ .

فَقَالَ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِصَاحِبِنَا الَّذِي سَجَرَ^(١) لَهُ عَدُوُّ اللَّهِ النَّارَ ؛ فَانْجَاهُ اللَّهُ مِنْهَا .

فَقَالَ : هُوَ بِخَيْرٍ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةٍ .

فَقَالَ عُمَرُ : نَشَدْتُكَ^(٢) اللَّهُ أَلَسْتَ هُوَ ۙ .

فَقَالَ : بَلَى .

فَقَبَّلَ عُمَرُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : أَتَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ بِعَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكَ ؟

فَقَالَ : كَلَّا ، فَقَدْ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ عَنِّي مُنْذُ غَادَرْتُ الْيَمَنَ .

فَقَالَ : قَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِي الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، وَأَدَالَ دَوْلَتَهُ^(٣) ،

وَرَدَّ أَتْبَاعَهُ إِلَى دِينِ اللَّهِ .

فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى قَرَّتْ عَيْنِي^(٤) بِمَصْرَعِهِ ،

وَعَوْدَةِ الْمَخْدُوعِينَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ إِلَى أَكْنَافِ الْإِسْلَامِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهُ الَّذِي أَرَانِي فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ مَنْ فَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِخَلِيلِ

الرَّحْمَنِ أَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ، وَمَضَى بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ

وَبَايَعَهُ ، فَأَجْلَسَهُ الصَّدِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ ؛ وَطَفِقَ الشَّيْخَانُ^(٥) يَسْتَعِيدَانِ مَعَ أَبِي

مُسْلِمٍ خَبَرَهُ مَعَ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ .

شُيُوخُهُ وَرِحْلَتَهُ :

أَقَامَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ زَمَانًا فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ؛ لَزِمَ خِلَالَهُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخَذَ مَا وَسِعَهُ الْأَخْذُ عَنْ جِلَّةِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَمْثَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَبِي

عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَأَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ،

وَعَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ .

ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي مُسْلِمٍ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَأَنْ يَتَّخِذَهَا لَهُ مَقَامًا ؛ وَكَانَتْ غَايَتُهُ

مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ؛ لِيُشَارِكَ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوِ

الرُّومِ ، وَيَفُوزَ بِأَجْرِ الْمُرَابِطَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

(٣) أَدَالَ دَوْلَتَهُ : أَرَانِ مُلْكُهُ .

(٢) نَشَدْتُكَ اللَّهُ : اسْتَخَلَفْتُكَ بِاللَّهِ .

(١) سَجَرَ النَّارَ : أَوْقَدَ النَّارَ .

(٥) الشَّيْخَانُ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ .

(٤) قَرَّتْ عَيْنِي : سُرَّتْ .

● وَلَمَّا آتَتْ الْخِلاَفَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه ، أَكْثَرَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنَ التَّرَدُّدِ عَلَيْهِ ، وَشُهُودِ مَجَالِسِهِ ، وَنَصِيحَتِهِ ؛ وَالَّتِي كَانَ يُقَابِلُهَا مُعَاوِيَةُ بِرِحَابَةِ صَدْرٍ ، قَائِلاً : جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ الرَّعِيَّةِ خَيْرًا يَا أَبَا مُسْلِمٍ ، فَمَا عَلِمْنَاكَ إِلَّا نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ .



(٥) الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ رضي الله عنه

الإمام القدوة العابد أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري الكوفي ؛ روى عن عبد الله بن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وعمرو بن ميمون ، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن ؛ حدث عنه : الشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وهلال بن يساف ، ومُنذرُ الثوري ، وهبيرة بن خزيمة وآخرون .

● وَلَقَدْ تَلَمَذَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَقْرَبِ الصَّحَابَةِ هَدِيًّا وَسَمَنًا مِنَ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ﷺ . وَقَدْ تَلَقَّ الرَّبِيعُ بِأُسْتَاذِهِ تَلَقُّ الْوَلِيدِ بِأُمِّهِ ، وَأَحَبَّ الْأُسْتَاذُ تَلْمِيذَهُ حُبَّ الْأَبِ لَوْحِيدِهِ ؛ فَكَانَ الرَّبِيعُ يَدْخُلُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، فَإِذَا صَارَ عِنْدَهُ لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّبِيعُ .

وكان ابن مسعود يرى من صفاء نفس الربيع ، وإخلاص قلبه ، وإحسان عبادته ما يملأ فؤاده أسى على تأخر زمانه عن النبي ﷺ ، وحرمانه من صحبتته ، وكان يقول له : يا أبا يزيد ، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك .
كما كان يقول له : ما رأيتك مرة إلا ذكرتُ المُخْبِتِينَ ^(١) .

● قَالَ الشَّعْبِيُّ : مَا رَأَيْتُ قَوْمًا قَطُّ أَكْثَرَ عِلْمًا وَلَا أَعْظَمَ حِلْمًا وَلَا أَكْفَ عَنِ الدُّنْيَا مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَلَوْ لَا مَا سَبَقَهُمْ بِهِ الصَّحَابَةُ مَا قَدَّمْنَا عَلَيْهِمْ أَحَدًا .
لَذَّةُ الْعَارِفِ بِاللَّهِ بِأَحْيَاءِ لَيْلِهِ مُسْتَفْرًا مَوْلَاهُ :

لَقَدْ أَرَقُّ أُمَّ الرَّبِيعِ كَثْرَةُ تَضَرُّعِهِ ، وَشِدَّةُ نَحْبِهِ فِي عَمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامٍ حَتَّى

(١) الْمُخْبِتُونَ : الْخَاشِعُونَ .

ظَلَّتْ بِهِ الظُّنُونِ ، فَصَارَتْ تُتَادِيهِ قَائِلَةً :

مَا الَّذِي أَصَابَكَ يَا بُنَيَّ ؟ لَعَلَّكَ أَتَيْتَ جُرْماً ، لَعَلَّكَ قَتَلْتَ نَفْساً .

فَقَالَ : نَعَمْ يَا أُمًّا ، لَقَدْ قَتَلْتُ نَفْساً .

فَقَالَتْ فِي لَهْفَةٍ : وَمَنْ هَذَا الْقَتِيلُ - يَا بُنَيَّ - حَتَّى نَجْعَلَ النَّاسَ يَسْعَوْنَ إِلَى أَهْلِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْفُونَ عَنْكَ ؟ ، وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ أَهْلُ الْقَتِيلِ مَا تُعَانِي مِنَ الْبُكَاءِ ، وَمَا تُكَابِدُ مِنَ السَّهْرِ لَرَحْمُوكَ .

فَقَالَ : لَا تُكَلِّمِي أَحَدًا ، فَإِنَّمَا قَتَلْتُ نَفْسِي ؛ لَقَدْ قَتَلْتُهَا بِالذُّنُوبِ .

صَلَاحُ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِي ، بِصَلَاحِ الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ :

كَمَا هُوَ مَعَهُودٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ ؛ يَتِمَّالًا كَثِيرٌ مِمَّنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ عَلَى إِفْسَادِ النَّاسِ عَامَّةً وَالصَّالِحِينَ خَاصَّةً ؛ فَقَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَفْسِدَ الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَمَنْ الَّذِي يُفْسِدُهُ ؟ .

قَالُوا : نَأْتِي بِغَانِيَةٍ نَدْفَعُ لَهَا مَا يَكُونُ سَبَبَ إِغْوَاءِ الرَّبِيعِ ؛ وَأَتُوا إِلَى أَجْمَلِ الْغَانِيَاتِ وَدَفَعُوا لَهَا أَلْفَ دِينَارٍ ، قَالَتْ : عَلَى مَاذَا ؟ ، فَأَخْبَرُوهَا مُرَادَهُمْ .

قَالَتْ : لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ ؛ بَلْ لَكُمْ فَوْقَ هَذَا ... ، ثُمَّ تَهَيَّأَتْ لَهُ فِي مَكَانٍ خَالٍ ، ثُمَّ تَخَلَّتْ عَنْ مَلَابِسِهَا ، وَتَعَرَّضَتْ لَهُ بِمَفَاتِيحِهَا ، فَلَمَّا رَأَى بَدَنَهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الْخَالِيَةِ ، صَرَخَ قَائِلًا :

كَيْفَ بِكَ لَوْ نَزَلَتْ الْحُمَى بِجِسْمِكَ فَغَيَّرَتْ مَا أَرَى مِنْ لَوْنِكَ وَبَهَجَتِكَ ؟

أَمْ كَيْفَ بِكَ لَوْ نَزَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ وَقَطَعَ مِنْكَ حَبْلَ الْوَتِينِ ؟

أَمْ كَيْفَ بِكَ لَوْ سَأَلْتُكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ؟ .

فَصَرَخَتْ صَرَخَةً عَظِيمَةً ثُمَّ وَلَّتْ هَارِبَةً وَأَصْبَحَتْ مِنَ الْعَابِدَاتِ الصَّالِحَاتِ ؛ فَقَالَ الَّذِينَ أَرْسَلُوهَا ؛ لَقَدْ أَفْسَدَهَا الرَّبِيعُ عَلَيْنَا .

الْكُونُ الْمَنْظُورُ تَطْبِيقُ عَمَلِيٍّ لِمَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ الْمَسْطُورُ :

وَلِلرَّبِيعِ فِي التَّمَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ، وَحُدُوثِ الْخَشْيَةِ لِلَّهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالُوا :

خَرَجْنَا يَوْمًا بِصُحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمَعَنَا الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ ، فَلَمَّا صِرْنَا عَلَى شَاطِئِ

الْفُرَاتِ ، مَرَزْنَا بِأَتُونٍ ^(١) كَبِيرٍ قَدْ سَعُرَتْ نَارُهُ ، فَتَطَايِرَ شَرُّهَا وَتَصَاعَدَتْ أَلْسِنَةُ لَهَبِهَا ،
وَسُمِعَ زَفِيرُهَا ، وَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي الْأَتُونِ الْحِجَارَةَ لِتَحْتَرِقَ حَتَّى تُصْبِحَ كِلْسًا .

فَلَمَّا رَأَى الرَّبِيعُ النَّارَ تَوَقَّفَ فِي مَكَانِهِ ، وَأَصَابَتْهُ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَتَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۖ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا
ضَبِيحًا مُتَقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ^(٢) ، ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ؛ فَرَابَطْنَا مَعَهُ
حَتَّى أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، وَمَضَيْنَا بِهِ إِلَى بَيْتِهِ .

● وَبَعْدُ ... فَقَدْ ظَلَّ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ حَيَاتَهُ كُلَّهَا يَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ وَيَسْتَعِدُّ لِلِقَائِهِ ، فَلَمَّا
اِحْتَضَرَ ؛ جَعَلَتْ بِنْتُهُ تَبْكِي ، فَقَالَ :
مَا يُبْكِيكِ يَا بِنْتِيَّ وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيَّ أَبِيكَ الْخَيْرُ ؟
ثُمَّ أَسْلَمَ رُوحَهُ إِلَى بَارِيهَا .



(٦) الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ رضي الله عنه

أَبُو عَمْرٍو الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قَيْسِ النَّخَعِيِّ الْكُوفِيُّ ؛ وَهُوَ أَخُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ
وَوَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ وَابْنُ أَخِي عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسِ وَخَالَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ
(فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ رُؤُوسِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ) .

● كَانَ الْأَسْوَدُ مُخْضَرَمًا (أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ) ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمْعٍ مِنَ
الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ ، مِنْهُمْ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَيِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ،
وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه .

● كَانَ الْأَسْوَدُ نَظِيرَ مَسْرُوقٍ فِي الْجَلَالَةِ وَالْعِلْمِ وَالثَّقَةِ وَالسَّنِّ وَيُضْرَبُ بِعِبَادَتِهِمَا الْمَثَلُ .
● حَجَّ الْأَسْوَدُ ثَمَانِينَ مَا بَيْنَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ، وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ
لَيْلَتَيْنِ ، وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ سِتِّ لَيَالٍ .
● تُوَفِّيَ رضي الله عنه بِالْكُوفَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ .



(٢) سُورَةُ الْفُرْقَانِ : الْآيَاتَانِ ١٢ ، ١٣ .

(١) الْأَتُونُ : مَوْفِدٌ تُحْرَقُ فِيهِ الْحِجَارَةُ حَتَّى تُصْبِحَ كِلْسًا .

(٧) أُوَيْسُ الْقَرْنِيِّ رضي الله عنه

خَيْرُ التَّابِعِينَ سَيِّدُ الْعِبَادِ وَعَلَمُ الْأَصْفِيَاءِ الزُّهَادِ : أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ جَزْءِ بْنِ مَالِكٍ... الْمُرَادِيُّ ثُمَّ الْقَرْنِيُّ ، أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَقِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا إِلَّا أُمُّهُ الَّتِي كَرَسَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي بَرِّهَا ؛ فَمَنْعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْقُدُومِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

● بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْصَى بِهِ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسُ ، وَلَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَارٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، وَكَانَ بِهِ بِيَاضٌ ، فَمَرُّوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ) ^(١) .

● رَوَى مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ ، سَأَلَهُمْ : هَلْ فِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ ، حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ قَرْنٍ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : كَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَارٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبْرَهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ) ؛ فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ ، قَالَ : الْكُوفَةَ ، فَقَالَ : أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا فَيَسْتَوْصِي بِكَ ، قَالَ : لِأَنِّي أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ .

● عَاشَ أُوَيْسُ فِي الْيَمَنِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَكَانَ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي (صِفِّينَ) وَبِهَا لَقِيَ اللَّهَ شَهِيداً .

رَحْمَةً بِالْخَلْقِ تَعَدَّدَتْ طُرُقَهُمُ الْمُوصِلَةَ إِلَى الْحَقِّ :

لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ طَرِيقٌ يَلْتَمَسُ فِيهِ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ وَمَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ ؛ فَالْبَعْضُ اتَّخَذَ قِيَامَ اللَّيْلِ وَسَيْلَةَ الْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْبَعْضُ اتَّخَذَ الْاسْتِغْفَارَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بَابُ فَضَائِلِ أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ) .

بِالْأَسْحَارِ طَرِيقاً آخَرَ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَبِالْبَعْضِ اتَّخَذَ الْإِنْفَاقَ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ وَسِيْلَةً تَعْبِيرٍ عَنِ شُكْرِهِ لِلَّهِ ، وَبِالْبَعْضِ اتَّخَذَ مُوَالَاةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَسِيْلَةً اسْتِمْدَادٍ لِنَصْرِ اللَّهِ ، وَبِالْبَعْضِ اتَّخَذَ طَرِيقَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالِدَفْعِ عَنْهَا وَسِيْلَةً لِحُبِّ اللَّهِ ، وَبِالْبَعْضِ اتَّخَذَ التَّفَكُّرَ وَسِيْلَةً الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ .

لَمْ يَكُنْ أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ كَعَامَّةِ النَّاسِ يَحْيَا وَلَا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ؛ لَكِنَّهُ فَهَمَ حَقِيقَةً هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَأَدَانَ نَفْسَهُ وَعَمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَكَانَ يَغْلِبُ عَلَى أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ التَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ لِتَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى حُبِّ خَالِقِهَا ؛ لَمَّا قَدِمَ هَرَمُ بْنُ حَيَّانَ الْكُوفَةَ سَأَلَ عَنْ أُوَيْسٍ ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ يَأْلَفُ مَوْضِعاً مِنَ الْفُرَاتِ يُقَالُ لَهُ : الْعُرَيْضُ (بَيْنَ الْجَسْرِ وَالْعَاقِلِ) وَمِنْ صِفَتِهِ كَذَا ، فَمَضَى هَرَمٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ وَيُفَكِّرُ ؛ وَكَانَتْ عِبَادَةُ أُوَيْسِ الْفِكْرَةَ .

● انْطَبَعَتْ عِبَادَةُ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ عَلَى سُلُوكِهِ ، مِمَّا أَثَرَ إِجَاباً فِي الْآخِرِينَ ، فَقَدْ كَانَ التَّأْثِيرُ بِسُلُوكِهِ أَكْثَرَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ ؛ فَهُوَ الْمُتَوَاضِعُ لِرَبِّهِ ، الْبَارُّ بِأُمَّهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ دَائِمَ النَّصْحِ وَالتَّوْجِيهِ لِلْآخِرِينَ ، قَائِماً بِالْحَقِّ رَغْمَ مُعَادَاةِ الْآخِرِينَ لَهُ وَرَمِيهِ بِعِظَائِمِ الْأُمُورِ ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنْهِي عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَمِمَّا يُرَوَى فِي هَذَا الصَّدِيدِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَةِ مُرَادٍ ، جَاءَهُ وَقَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَ : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، قَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا أُوَيْسُ ؟ ، قَالَ : بِخَيْرٍ نَحْمَدُ اللَّهَ ، قَالَ : كَيْفَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ ؟ ، قَالَ : مَا تَسْأَلُ رَجُلًا إِذَا أَمْسَى لَمْ يَرِ أَنَّهُ يُصْبِحُ ، وَإِذَا أَصْبَحَ لَمْ يَرِ أَنَّهُ يُمْسِي ، يَا أَخَا مُرَادٍ : إِنَّ الْمَوْتَ لَمْ يُبْقِ لِمُؤْمِنٍ فَرَحًا ، يَا أَخَا مُرَادٍ : إِنَّ مَعْرِفَةَ الْمُؤْمِنِ بِحُقُوقِ اللَّهِ لَمْ تُبْقِ لَهُ فَضْلاً وَذَهَاباً ، يَا أَخَا مُرَادٍ : إِنَّ قِيَامَ الْمُؤْمِنِ بِأَمْرِ اللَّهِ لَمْ يُبْقِ لَهُ صَدِيقاً ، وَاللَّهُ إِنَّا لَنَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَتَّخِذُونَا أَعْدَاءً وَيَجِدُونَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْفُسَّاقِ أَعْوَاناً ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَمَوْنِي بِالْعِظَائِمِ ؛ وَإِيْمُ اللَّهِ لَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ أَنْ أَقُومَ لِلَّهِ بِحَقِّ بَدَلِ النَّصِيحَةِ .

● وَلَمَّا طَلَبَ مِنْهُ هَرَمُ بْنُ حَيَّانَ أَنْ يُوصِيَهُ ، قَرَأَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الدُّخَانِ ؛ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(١) حَتَّى خَتَمَهَا ،

(١) سُورَةُ الدُّخَانِ : الْآيَةُ ٤٠ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : (يَا هَرَمُ ، احْذَرِ لَيْلَةَ صَبِيحَتِهَا الْقِيَامَةَ ، وَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ فَتَفَارِقَ دِينَكَ) ، مَزَادُهُ عَلَيْهِ .

وَكَانَ يُخَاطَبُ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَائِلًا لَهُمْ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ تَوَسَّدُوا الْمَوْتَ إِذَا نِمْتُمْ ، وَاجْعَلُوهُ نُصَبَ أَعْيُنِكُمْ إِذَا قُمْتُمْ .

وَفَاتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَانَتْ اسْتِشْهَادًا سَنَةَ ٣٧ هـ ، يَوْمَ صِفِّينَ نُصْرَةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

● نَادَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ : أَفِيكُمْ أُوَيْسُ الْقَرْنِيِّ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ مِنْ خَيْرِ التَّابِعِينَ أُوَيْسًا الْقَرْنِيَّ) .

● وَقَدْ كَانَ أُوَيْسٌ خَرَجَ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَوْقِعَةِ صِفِّينَ ، وَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ ، وَدَعَا اللَّهَ قَائِلًا : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً تُوجِبُ لِي الْحَيَاةَ وَالرِّزْقَ .



(٨) هَرَمُ بْنُ حَيَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

العابِدُ الزَّاهِدُ : هَرَمُ بْنُ حَيَّانِ الْعَبْدِيُّ ، وَيُقَالُ الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ ، وَقِيلَ سُمِّيَ هَرَمًا لِأَنَّهُ بَقِيَ حَمَلًا سَنَتَيْنِ حَتَّى طَلَعَتْ أَسْنَانُهُ .

● حَدَّثَ هَرَمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَوَى عَنْ هَرَمِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ .

● وَوَلِيَ هَرَمٌ بَعْضَ الْحُرُوبِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِيَلَادِ فَارِسَ .

● وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ هَرَمٌ عَامِلًا لِعُمَرَ ، وَكَانَ ثِقَّةً لَهُ فَضَّلَ وَعَبَادَةٌ .

● قَالَ مَطَرُ الْوَرَّاقِ : بَاتَ حَمَمَةٌ (صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَ هَرَمِ بْنِ حَيَّانَ ، فَبَاتَ لَيْلَتُهُ يَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ ، فَسَأَلَهُ حِينَ أَصْبَحَ : مَا الَّذِي أَبْكَاكَ ؟ ، قَالَ : ذَكَرْتُ لَيْلَةَ صَبِيحَتِهَا تَتَنَاطَرُ نَجُومُ السَّمَاءِ فَأَبْكَانِي ذَاكَ .

قال : وَكَانَا يَصْطَحِبَانِ أَحْيَانًا بِالنَّهَارِ فَيَأْتِيَانِ سُوقَ الرِّيحَانِ ؛ فَيَسْأَلَانِ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَيَدْعُوَانِ ، ثُمَّ يَأْتِيَانِ سُوقَ الْحَدَّادِينَ ؛ فَيَعُودَانِ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ يَتَفَرَّقَانِ إِلَى مَنَازِلِهِمَا .

مِنْ رَقَائِقِ عِظَاتِهِ :

❁ ما أَثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ حَكِيمٌ ، وَلَا عَصَى اللّٰهُ كَرِيمٌ .

❁ عَجِبْتُ مِنَ الْجَنَّةِ كَيْفَ نَامَ طَالِبُهَا ، وَعَجِبْتُ مِنَ النَّارِ كَيْفَ نَامَ هَارِبُهَا .

❁ لَوْ قِيلَ لِي إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَتْرَكَ الْعَمَلَ ؛ لِئَلَّا تَلُومَنِي نَفْسِي فَتَقُولَ : أَلَا صَنَعْتَ ؟ أَلَا فَعَلْتَ ؟ .

❁ مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللّٰهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللّٰهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ حَتَّى يَرْزُقَهُ وَدَهُمُ .

❁ أُوصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ النَّحْلِ :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٨﴾

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٩﴾

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿ إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣١﴾ (١) .

بُكَاءُ السَّمَاءِ عَلَيْهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

❁ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، قَالَ : مَاتَ هَرَمُ بْنُ حَيَّانَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ،

فَلَمَّا نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنْ قَبْرِهِ جَاءَتْ سَحَابَةٌ تَسِيرُ حَتَّى قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ ؛ فَلَمْ تَكُنْ

أَطْوَلَ مِنْهُ وَلَا أَقْصَرَ ، فَرَشَّتْهُ حَتَّى رَوَتْهُ ثُمَّ انْصَرَفَتْ .

❁ وَعَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : أَمْطَرَ قَبْرُ هَرَمِ بْنِ حَيَّانَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَأُنْبِتَ العُشْبُ مِنْ يَوْمِهِ .



عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه

الْخَلِيفَةُ الصَّالِحُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْأَمْوِيِّ .
يُكْنَى أَبُو حَفْصٍ ، وَأُمُّهُ : أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه .
جَدَّتُهُ لَأُمِّهِ ؛ وَرَعَّهَا وَتَقَوَّاهَا :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَسْلَمَ ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا وَعُمَرُ
بُنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ يَعْشُ بِالْمَدِينَةِ ^(١) ؛ إِذْ أَغْيَا فَاتَّكَأَ عَلَى جَانِبِ جِدَارٍ فِي جَوْفِ
الَّيْلِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَقُولُ لِابْنَتِهَا : يَا بِنْتَاهُ ، قُومِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَاْمَذِقِيهِ بِالْمَاءِ ،
فَقَالَتْ لَهَا : يَا أُمَّتَاهُ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ ؟ .
قَالَتْ : وَمَا كَانَ مِنْ عَزْمَتِهِ يَا بِنْتِيَّةُ ؟ .

قَالَتْ : إِنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيًا ، فَنَادَى أَنْ لَا يُشَابَّ اللَّبَنُ بِالْمَاءِ .
فَقَالَتْ لَهَا : يَا بِنْتَاهُ ، قُومِي إِلَى اللَّبَنِ فَاْمَذِقِيهِ بِالْمَاءِ ؛ فَإِنَّكَ بِمَوْضِعٍ لَا يَرَاكَ عُمَرُ ،
وَلَا مُنَادِي عُمَرَ !! .
فَقَالَتْ الصَّبِيَّةُ لِأُمِّهَا : يَا أُمَّتَاهُ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَطِيعَهُ فِي الْمَلَأِ وَأَعْصِيَهُ فِي الْخَلَاءِ
(وَعُمَرُ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ) .

فَقَالَ عُمَرُ : يَا أَسْلَمُ عَلِّمِ الْبَابَ ، وَاعْرِفِ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ مَضَى فِي عَسْبِهِ ، فَلَمَّا
أَصْبَحَا ، قَالَ : يَا أَسْلَمُ ، اْمْضِ إِلَى الْمَوْضِعِ فَانظُرْ مِنَ الْقَائِلَةِ ، وَمَنِ الْمَقُولُ لَهَا ،
وَهَلْ لَهُمْ مِنْ بَعْلٍ ؟

فَأْتَيْتُ الْمَوْضِعَ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا الْجَارِيَةُ أَيِّمٌ لَا بَعْلَ لَهَا ^(٢) ، وَإِذَا تَيْكَ أُمُّهَا ، وَإِذَا لَيْسَ
بِهَا رَجُلٌ ، فَأْتَيْتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَا عُمَرُ أَوْلَادَهُ ، فَجَمَعَهُمْ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ
مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْوَجُهُ ؟ .

فَقَالَ عَاصِمٌ : يَا أَبَتَاهُ ، لَا زَوْجَةَ لِي فَزَوِّجْنِي ؛ فَبَعَثَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى الْجَارِيَةِ ،
فَزَوَّجَهَا مِنْ عَاصِمٍ ، فَوَلَدَتْ لِعَاصِمٍ بِنْتًا ، وَوَلَدَتْ الْبِنْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(١) يَمَسُ بِالْمَدِينَةِ : يَسِيرُ فِي أَرْقَةِ وَسَوَارِعِ الْمَدِينَةِ لَيْلًا ؛ لِيَتَحَسَّنَ أَحْوَالُ النَّاسِ لَيْلًا وَهُمْ لَا يَشْمُرُونَ .

(٢) لَا بَعْلَ لَهَا : لَا زَوْجَ لَهَا .

● قَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ : لَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ لِقِيَمِهِ : أَجْمَعْ لِي أَرْبَعَ مِائَةَ دِينَارٍ مِنْ طَيِّبِ مَالِي ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ لَهُمْ صِلَاحٌ ؛ فَتَزَوَّجَ أُمَّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .
أَشَجُّ بَنِي أُمَيَّةَ وَالنُّبُوَّةَ الْعُمَرِيَّةَ :

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه يُلقَّبُ بِالْأَشَجِّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَشَجُّ بَنِي مَرْوَانَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَمَا كَانَ صَغِيرًا دَخَلَ إِلَى اصْطَبْلِ أَبِيهِ (عِنْدَمَا كَانَ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ) ، لِيَرَى الْخَيْلَ فَضْرِبَهُ فَرَسٌ فِي وَجْهِهِ فَشَجَّهُ ، فَجَعَلَ أَبُوهُ يَمَسُّحُ الدَّمَ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ أَشَجُّ بَنِي أُمَيَّةَ إِنَّكَ إِذَا لَسَعَيْدٌ ، وَلَمَّا رَأَى أَخُوهُ الْأَصْبَغُ الْأَثْرَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! هَذَا أَشَجُّ بَنِي مَرْوَانَ الَّذِي يَمْلِكُ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ : إِنْ مِنْ وَلَدِي رَجُلًا بَوَّجَهُ أَثْرٌ يَمَلُّ الْأَرْضَ عَدْلًا ؛ وَكَانَ الْفَارُوقُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ .

وَقد تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا لِغَيْرِ الْفَارُوقِ حَتَّى أَصْبَحَ الْأَمْرُ مَشْهُورًا عِنْدَ النَّاسِ ؛ بِدَلِيلِ مَا قَالَهُ أَبُوهُ عِنْدَمَا رَأَى الدَّمَ فِي وَجْهِهِ ، وَمَا قَالَهُ أَخُوهُ عِنْدَمَا رَأَى الشَّجَّ فِي وَجْهِهِ ؛ كِلَاهُمَا تَفَاعَلَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْأَشَجُّ الَّذِي يَمَلُّ الْأَرْضَ عَدْلًا .

مَوْلِدُهُ وَنَشَأَتُهُ : وُلِدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحُلْوَانَ بِضَوَاحِي مِصْرَ ، وَأَبُوهُ أَمِيرٌ عَلَيْهِمَا سَنَةٌ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ هِجْرِيَّةً ، وَظَلَّ أَبُوهُ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى تُوْفِيَ بِهَا . ثُمَّ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ فِي بَوَاكِرِ صِبَاهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِيَتَأَدَّبَ بِهَا ، وَيَنْبِتَ فِي طَيْبَةِ الطَّيْبَةِ مَقَامُهَا ؛ فَتَشَأَ بِهَا ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِهَا ، وَتَأَثَّرَ بِعُلَمَائِهَا .

وَفِي أَجْوَانِهَا شَبَّ الْفَتَى النَّابِغُ بَيْنَ أَحْوَالِهِ مِنْ أَبْنَاءِ الْفَارُوقِ عُمَرَ وَأَحْفَادِهِ ، وَاخْتَلَفَ إِلَى حَلَقَاتِ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَنَهَلَ مِنْ عِلْمِهِمْ ، وَتَأَدَّبَ بِأَدَبِهِمْ ، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ حَاضِرَةَ الْعِلْمِ ، وَمَأْوَى أُمَّتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ ، وَمَنْ طَالَ عُمُرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَتَقَامَ بِالرُّوَايَةِ عَنْهُمْ .

ثُمَّ انْتَقَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى التَّحْدِيثِ وَالرُّوَايَةِ بَعْدَ أَنْ رَسَخَتْ قَدَمُهُ فِي الْعِلْمِ ، وَتَلَمَّذَ عَلَى أُمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ ؛ فَرُوِيَ عَنْهُ كَمَا سَيَأْتِي لِاحِقًا فِي فَضْلِ عِلْمِهِ .

عِلْمُهُ (اسْتِمْدَادُهُ وَإِمْدَادُهُ):

● رَوَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَابْنِ قَارِظٍ ، وَيُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَعَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَعُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالرَّبِيعِ بْنَ سَمُرَةَ ، وَطَائِفَةٍ ؛ قَدْ أَسْنَدَ عَنْهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ .

وَقَدْ أَرْسَلَ الْحَدِيثَ عَنِ الْقَدَمَاءِ مِنْهُمْ : عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَتَمِيمَ الدَّارِيِّ ، وَأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ ، وَأُمَّ هَانِئٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

● وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الزُّهْرِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَرَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ ، وَخَلَائِقُ كَثِيرُونَ .

✽ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلَاةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى (يَعْنِي : عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْمَدِينَةِ) .

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : فَكَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، وَيُخَفِّفُ الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ .

✽ أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ رَبِيعِ بْنِ عُبَيْدَةَ ، قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَشَيْخٌ مُتَوَكِّئٌ عَلَى يَدِهِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ جَافٍ ، فَلَمَّا صَلَّى وَدَخَلَ لِحَقَّتُهُ ، فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، مَنْ الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى يَدِكَ ؟ ، قَالَ يَا رَبِّاحُ رَأَيْتَهُ ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا رَجُلًا صَالِحًا ، ذَلِكَ أَخِي الْخَضِرُ أَتَانِي فَأَعْلَمَنِي أَنِّي سَأَلِي أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنِّي سَأَعْدِلُ فِيهَا .

✽ لَمَحَةٌ مِنْ وَرَعِ فَقْهِهِ : أَخَذَ أَحَدُ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُرَدِّدُ فِي مَجْلِسِهِ

قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ^(١) ، بِقَصْدِ حَمَلِ عُمَرَ عَلَى

الْإِقْبَالِ عَلَى مَا لَدَّ وَطَابَ مِنَ الطَّعَامِ ؛ فَقَالَ عُمَرُ : هَيْهَاتَ ؛ لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى غَيْرِ مَذْهَبِهِ ؛ إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ طَيِّبَ الْكَسْبِ ، وَلَيْسَ طَيِّبَ الطَّعَامِ .

زَوَاجُهُ وَأَوْلَادُهُ : لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَخَذَهُ عَمُّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ

(١) سُورَةُ طه : مِنَ الْآيَةِ ٨١ .

الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَخَلَطَهُ بِوَلَدِهِ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ وَهِيَ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ تَأَثَّرَتْ بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَآثَرَتْ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ :

بِنْتُ الْخَلِيفَةِ وَالْخَلِيفَةُ جَدُّهَا * أَخْتُ الْخَلَائِفِ وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا

وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ : أَنَّهَا بِنْتُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَالْخَلِيفَةُ جَدُّهَا مَرْوَانُ ابْنُ الْحَكَمِ ، وَأَخْتُ الْخَلَائِفِ فَهِيَ أُخْتُ الْخُلَفَاءِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا فَهُوَ عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه ؛ حَتَّى قِيلَ عَنْهَا : لَا نَعْرِفُ امْرَأَةً بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا سِوَاهَا ، وَقَدْ وُلِدَتْ لَهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَمُوسَى .

وَمِنْ زَوْجَاتِهِ لَمَيْسُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ الْحَارِثِ ، وَقَدْ وُلِدَتْ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ وَبَكْرًا وَأُمُّ عَمَّارٍ ، وَمِنْ زَوْجَاتِهِ : أُمُّ عُثْمَانَ بِنْتُ شُعَيْبِ بْنِ زَيْانَ ، وَقَدْ وُلِدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَأُمَّا أَوْلَادُهُ : عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ وَعَاصِمٌ وَيَزِيدُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ وَزَيْانُ وَأَمِينَةُ وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَأُمُّهُمْ : أُمُّ وَلَدِ (مَلِكُ يَمِينِهِ) .

● كَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَمْسَةَ عَشَرَ وَلَدًا فِيهِمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ؛ وَكَانُوا جَمِيعًا عَلَى حَظِّ مَوْفُورٍ مِنَ النَّقِيِّ ، وَمَقَامٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّلَاحِ ، لَكِنَّ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ وَاسِطَةً عَقْدِ ^(١) إِخْوَتِهِ ، وَكَوَكِبَهُمُ الْمُتَأَلِّقُ ؛ لَقَدْ كَانَ أَدِيبًا أَرِيبًا ^(٢) ، لَهُ سِنُّ الْفَتِيانِ وَعَقْلُ الْكُهُولِ .

خِلَافَتُهُ (عَدْلُهُ وَوَرَعُهُ) ٩٩ - ١٠١ هـ :

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ مِنْ ابْنِ عَمِّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فِي صَفْرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ هَجْرِيَّةً ، فَمَكَثَ فِيهَا سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ نَحْوَ خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ؛ مَلَأَ فِيهَا الْأَرْضَ عَدْلًا وَسَنَّ السُّنَنَ الْحَسَنَةَ .

● قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : يُرَوَى فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ عَامٍ مَنْ يُصَحِّحُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَهَا ، فَنَظَرْنَا فِي الْمِائَةِ الْأُولَى فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَنَظَرْنَا فِي الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ فَإِذَا هُوَ الشَّافِعِيُّ .

(٢) أَرِيبًا : مَاوِرًا فِطْنًا .

(١) الْعِقْدُ : الْقِلَادَةُ .

● ما كَادَ التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَنْفُضُ يَدَيْهِ مِنْ تُرَابِ قَبْرِ سَلْفِهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَتَّى سَمِعَ لِلْأَرْضِ مِنْ حَوْلِهِ رَجَّةً ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : هَذِهِ مَرَاجِبُ الْخِلَافَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أُعِدَّتْ لَكَ لِتَرْكَبَهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا عُمَرُ بِطَرْفِ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ :

وَلَوْلَا التَّقَى ثُمَّ النَّهْيَ خَشْيَةَ الرَّدَى ❁ لِعَاصَيْتُ فِي وَقْتِ الصَّبَا كُلِّ وَاجِبٍ
قَضَى مَا قَضَى فِيهَا مَضَى ثُمَّ لَا يَرَى ❁ لَهُ عَوْدَةٌ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَائِبِ

ثُمَّ قَالَ : نَحُوهَا عَنِّي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، وَفَرِّبُوا إِلَيَّ بَغْلَتِي ، فَإِنَّ لِي فِيهَا بِلَاغًا ^(١) ،
ثُمَّ إِنَّهُ مَا كَادَ يَسْتَوِي عَلَى ظَهْرِ الْبَغْلَةِ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُ الشَّرْطِ ^(٢) ؛ لِيَمْشِيَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَمَعَهُ ثَلَاثَةٌ ^(٣) مِنْ رِجَالِهِ اصْطَفُوا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حِرَابُهُمْ
اللَّامِعَةُ ، فَانْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : مَا لِي بِكَ وَبِهِمْ حَاجَةٌ ، فَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
أَغْدُو كَمَا يَغْدُونَ ، وَأَرْوَحُ كَمَا يَرْوَحُونَ .

ثُمَّ سَارَ وَسَارَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ : الصَّلَاةَ جَامِعَةً ،
الصَّلَاةَ جَامِعَةً ؛ فَتَسَائَلَ النَّاسُ عَلَى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَلَمَّا اكْتَمَلَتْ جُمُوعُهُمْ ،
قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ
إِنِّي قَدْ ابْتَلَيْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ رَأْيٍ مِنِّي فِيهِ ، وَلَا طَلَبَ لَهُ ، وَلَا مَشُورَةَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ ^(٤) ، وَإِنِّي خَلَعْتُ مَا فِي أَعْنَاقِكُمْ مِنْ بَيْعَتِي فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَلِيفَةً
تَرْضُونَهُ ، فَصَاحَ النَّاسُ صَيْحَةً وَاحِدَةً : قَدْ اخْتَرْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَضِينَا بِكَ ؛
فَلِ ^(٥) أَمَرْنَا بِالْيَمَنِ وَالْبَرَكَةِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْأَصْوَاتَ قَدْ هَدَأَتْ ، وَالْقُلُوبَ قَدْ اطْمَأَنَّتْ ، حَمِدَ اللَّهَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، وَصَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، وَطَفِقَ يَحُضُّ النَّاسَ عَلَى التَّقْوَى ،
وَيُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِالْمَوْتِ بِلَهْجَةٍ تَسْتَلِينُ
الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ ، وَتَسْتَدِرُّ الدُّمُوعَ الْعَاصِيَةَ ، وَتَخْرُجُ مِنْ فُؤَادِ صَاحِبِهَا فَسْتَقِرُّ فِي

(٢) صَاحِبُ الشَّرْطِ : رَئِيسُ الشَّرْطِ وَمُدِيرُهُمْ .

(٤) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَلَفَهُ أَخَذَ الْبَيْعَةَ دُونَ أَنْ يُسَمِّيَهُ .

(١) بِلَاغًا : كِتَابَةً .

(٣) ثَلَاثَةٌ : جَمَاعَةٌ .

(٥) فَلِ أَمَرْنَا : فَتَوَلَّى أَمَرْنَا .

أَقْتَدَةَ السَّامِعِينَ ، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ الْمُتَعَبَ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاسَ جَمِيعاً ، وَقَالَ :
 أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لَهُ عَلَى أَحَدٍ ، أَيُّهَا
 النَّاسُ : أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فِيكُمْ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ .
 ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمُنْبَرِ ، وَاتَّجَهَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَأَوَى إِلَى حُجْرَتِهِ .

● عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ مَوْلَى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : بَكَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
 فَبَكَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ ، فَبَكَى أَهْلُ الدَّارِ لَا يَدْرِي هَوْلًا مَا أَبْكَى هَوْلًا ، فَلَمَّا تَجَلَّتْ
 عَنْهُمْ الْعَبْرَةُ ، قَالَتْ لَهُ فَاطِمَةُ : يَا أَبِي أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّ بَكَيتُ ؟ قَالَ :
 ذَكَرْتُ مُنْصَرَفَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ، ثُمَّ صَرَخَ وَغُشِيَ عَلَيْهِ .

● قَالَ فُرَاتُ بْنُ السَّائِبِ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَأَمْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
 (وَكَانَ عِنْدَهَا جَوْهَرٌ أَمَرَ لَهَا بِهِ أَبُوهَا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ) : اخْتَارِي إِمًّا أَنْ تَرُدِّي حُلِيَّكَ
 إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَإِمًّا أَنْ تَأْذِنِي لِي فِي فُرَاقِكَ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتِ وَهُوَ فِي
 بَيْتٍ وَاحِدٍ ، قَالَتْ : لَا بَلْ اخْتَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَعْصَافِهِ ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَحَمِلَ حَتَّى وُضِعَ
 فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ وَاسْتُخْلِفَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ لِأُخْتِهِ
 فَاطِمَةَ : إِنْ شِئْتَ رَدَدْتُهُ إِلَيْكَ ، قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَطِيبُ بِهِ نَفْسًا فِي حَيَاتِهِ وَأَرْجِعُ
 فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ .

● وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَتْ رِعَاءُ الشَّاءِ فِي
 رُؤُوسِ الْجِبَالِ : مَنْ هَذَا الْخَلِيفَةُ الصَّالِحُ الَّذِي قَدْ قَامَ عَلَى النَّاسِ ؟ قَالَ : فَقِيلَ
 لَهُمْ : وَمَا عَلِمَكُمْ بِذَلِكَ ؟ ، قَالُوا : إِنَّهُ إِذَا قَامَ خَلِيفَةً صَالِحٌ كَفَّتِ الذَّنَابُ وَالْأَسْدُ
 عَنْ شَانِنَا ^(١) .

● وَقَالَ حَسَنُ الْقَصَّابِ : رَأَيْتُ الذَّنَابَ تَرَعَى مَعَ الْغَنَمِ بِالْبَادِيَةِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، ذُئِبٌ فِي غَنَمٍ لَا يَضُرُّهَا !! ، فَقَالَ الرَّاعِي : إِذَا
 صَلَحَ الرَّأْسُ فَلَيْسَ عَلَى الْجَسَدِ بَأْسٌ .

(١) عَنْ شَانِنَا : عَنْ غَنَمِنَا .

● وَعَنْ اللَّيْثِ ، قَالَ : لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بَدَأَ بِلُحْمَتِهِ ^(١) وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَأَخَذَ مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَسَمَّى أَمْوَالَهُمْ مَظَالِمَ .

● كَتَبَ بَعْضُ عُمَّالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَيْهِ : إِنَّ مَدِينَتَنَا قَدْ خَرِبَتْ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْطَعَ لَنَا مَا لَا نَرُمُّهَا بِهِ فَعَلْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا ، فَحَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ وَنَقِّ طُرُقَهَا مِنَ الظُّلْمِ ؛ فَإِنَّهُ مَرَمَتُهَا ، وَالسَّلَامُ .

● قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ : حَدَّثْتَنِي فَاطِمَةُ امْرَأَةُ عُمَرَ ، أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مُصَلَّاهُ تَسْبِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلِشَيْءٍ حَدَّثَ 5 ، قَالَ : يَا فَاطِمَةُ ، إِنِّي تَقَلَّدْتُ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أَسْوَدَهَا وَأَحْمَرَهَا ، فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ ، وَالْمَرِيضِ الضَّائِعِ ، وَالْعَارِي الْمَجْهُودِ ، وَالْمَظْلُومِ الْمَقْهُورِ ، وَالغَرِيبِ الْأَسِيرِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَذِي الْعِيَالِ الْكَثِيرِ ، وَالْمَالِ الْقَلِيلِ ، وَأَشْبَاهِهِمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَائِلِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَخَشِيتُ أَنْ لَا تُثَبِّتَ لِي حُجَّةٌ فَبَكَيتُ .

● قَالَ أَبُو أُمَيَّةَ الْخَصِيُّ غُلَامٌ عُمَرَ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى مَوْلَاتِي فَغَدَّتْنِي عَدَسًا ، فَقُلْتُ : كُلَّ يَوْمٍ عَدَسٌ 5 ، قَالَتْ : يَا بُنَيَّ هَذَا طَعَامُ مَوْلَاكَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

● وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبَّادَةَ ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمَ الْعِيدِ (وَالنَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ) وَيَقُولُونَ : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ .

- وَهَذَا أَصْلُ حَسَنِ لِلتَّهْنِئَةِ بِالْعِيدِ ، وَالْعَامِ وَالشَّهْرِ - .

● قَالَ أَبُو عَمْرٍو : دَخَلْتُ ابْنَةَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَامَ لَهَا وَمَشَى إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَمَا تَرَكَ لَهَا حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا .

● وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ ، قَالَ : دَعَانِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ : صِفْ لِي الْعَدْلَ ، فَقُلْتُ : بَخٍ ، سَأَلْتُ عَنْ أَمْرِ جَسِيمٍ ؛

(١) لُحْمَتُهُ : أَقَارِبُهُ .

كُنْ لَصْفِيرِ النَّاسِ أَبًا ، وَلِكَبِيرِهِمْ ابْنًا ، وَلِلْمَثَلِ مِنْهُمْ أَخًا ، وَلِلنِّسَاءِ كَذَلِكَ ، وَعَاقِبِ
النَّاسَ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِ أَجْسَادِهِمْ ، وَلَا تَضْرِبَنَّ لِعَضْبِكَ سَوْطًا وَاحِدًا
فَتُعَدَّ مِنَ الْعَادِينَ .

● وقال جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ : لَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاءَهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي
بُرْدَةَ فَهَنَأَهُ وَقَالَ : مَنْ كَانَتْ الْخِلَافَةُ شَرَّفَتْهُ فَقَدْ شَرَّفَتْهَا ، وَمَنْ كَانَتْ زَانَتْهُ فَقَدْ
زَانَتْهَا ، وَأَنْتَ كَمَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ :

وَتَزِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا * أَنْ تَمَسِّيهِ ، أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا ؟
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ * كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهِكَ زَيْنًا

● وقال رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : سَمَرْتُ لَيْلَةً عِنْدَ عُمَرَ ، فَغَشَى السَّرَاجُ (وَالِي جَانِبِهِ
وَصَيْفٌ) ^(١) ، قُلْتُ : أَلَا أَنْبَهُهُ ؟ ، قَالَ : لَا ، قُلْتُ : أَفَلَا أَقُومُ ؟ ، قَالَ : لَيْسَ مِنْ مَرْوَةَ
الرَّجُلِ اسْتِخْدَامُهُ ضَيْفُهُ ، فَقَامَ إِلَى بَطَّةِ ^(٢) الزَّيْتِ وَأَصْلَحَ السَّرَاجَ ثُمَّ رَجَعَ ، وَقَالَ :
قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

● وقال يَحْيَى الْغَسَّانِيُّ : لَمَّا وَلَّانِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُوَصِّلَ قَدِمْتُهَا فَوَجَدْتُهَا
مِنْ أَكْثَرِ الْبِلَادِ سَرَقَةً وَنَهْبًا ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ حَالِ الْبَلَدِ وَأَسْأَلُهُ : أَخَذَ النَّاسَ
بِالظَّنَّةِ وَأَضْرَبَهُمْ عَلَى التُّهْمَةِ أَوْ أَخَذَهُمْ بِالْبَيِّنَةِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ :
أَنْ أَخَذَ النَّاسَ بِالْبَيِّنَةِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ ؛ فَإِنْ لَمْ يُصْلِحْهُمْ الْحَقُّ فَلَا أَصْلِحْهُمْ
اللَّهُ ، قَالَ يَحْيَى : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْمُوَصِّلِ حَتَّى كَانَتْ مِنْ أَصْلَحِ الْبِلَادِ
وَأَقْلَهَا سَرَقَةً وَنَقْبًا .

● وَإِذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالشَّدَّةِ وَالْحَيَاةِ الْخَشِينَةِ ، فَإِنَّهُ
لَمْ يُلْزِمَ بِهَا وُلَاتَهُ ، بَلْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ ، وَفَرَضَ لَهُمْ رَوَاتِبَ جَيِّدَةً تَحْمِيهِمْ
مِنَ الْإِنْشِغَالِ بِطَلَبِ الرِّزْقِ ، وَتَصْرِفُهُمْ إِلَى الْإِنْشِغَالِ بِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا
مَنْعَهُمْ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِالتَّجَارَةِ ، وَأَعْطَى لَهُمُ الْحُرِّيَّةَ فِي إِدَارَةِ شُؤْنِ وِلَايَتِهِمْ ، فَلَا
يُشَاوِرُنَهُ إِلَّا فِي الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ ضَيْقَهُ مِنَ الْوَلَاةِ إِذَا اسْتُوْضِعُوهُ فِي

(٢) بَطَّةُ الزَّيْتِ : إِنَاءٌ عَلَى شَكْلِ الْبَطَّةِ يُوضَعُ فِيهِ الدُّهْنُ .

(١) الْوَصَيْفُ ، الْخَادِمُ .

الأُمُور الصَّغِيرَةَ ؛ كَتَبَ إِلَيْهِ أَحَدُ وُلَاتِهِ يَسْتَوْضِحُ مِنْهُ أَمْرًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرَارٍ مِنَ الخَلِيفَةِ ، فَضَاقَ مِنْهُ عُمَرُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ ، فَأَرَاكَ لَوْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ أَنْ أذْبَحَ شَاةً ، وَوَزَّعَ لَحْمَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ ، لَأَرْسَلْتُ إِلَيْي تَسْأَلُنِي : كَبِيرَةٌ أَمْ صَغِيرَةٌ ؟ فَإِنْ أَجَبْتُكَ ، أَرْسَلْتُ تَسْأَلُ : بَيِّضَاءُ أَمْ سَوْدَاءُ ؟ ، إِذَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ بِأَمْرٍ ، فَتَبَيَّنَ وَجْهَ الْحَقِّ مِنْهُ ، ثُمَّ أَمَضِهِ .

● وَبَلَغَ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الرَّفْقِ بِرَعِيَّتِهِ ، وَاحْتِرَامِهِ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ أَنْ جَعَلَ لِكُلِّ أَعْمَى قَائِدًا يَقُودُهُ وَيَخْدُمُهُ ، وَلِكُلِّ مَرِيضٍ مَرَضًا شَدِيدًا خَادِمًا لَهُمَا ، وَلِكُلِّ خَمْسَةِ أَيَّامٍ أَوْ مِنْ لَا عَائِلَ لَهُمْ خَادِمًا يَخْدُمُهُمْ ، وَيَقُومُ عَلَى شُؤُونِهِمْ .

قَدْ يُدْرِكُ فِي سِنَةٍ مَا لَا يُدْرِكُ فِي سِنَةٍ :

تَبَوَّأَ الخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ مَكَانَةً سَامِقَةً فِي تَارِيخِنَا الْإِسْلَامِيِّ لَمْ يَنْلِهَا إِلَّا الْأَفْذَاذُ مِنَ القَادَةِ وَالْفَاتِحِينَ ، وَالجَهَابِذَةَ مِنَ أئِمَّةِ العِلْمِ الْمُخْلِصِينَ ، وَيَزْدَادُ عَجَبُكَ حِينَ تَعْلَمُ أَنَّهُ احْتَلَّ هَذِهِ المَكَانَةَ بِسِنَتَيْنِ وَبِضِعَةِ أَشْهُرٍ قَضَاهَا خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فِي حِينٍ قَضَى غَيْرُهُ مِنَ الخُلَفَاءِ وَالزُّعَمَاءِ عَشْرَاتِ السِّنِينَ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِمُ التَّارِيخُ ؛ لِأَنَّ سِنَاتِ حُكْمِهِمْ كَانَتْ فَرَاغًا فِي تَارِيخِ أُمَّتِهِمْ ، فَلَمْ يَسْتَشْعِرِ النَّاسُ تَحَوُّلًا فِي حَيَاتِهِمْ ، وَلَا نُهوضًا فِي دَوْلَتِهِمْ ، وَلَا تَحَسُّنًا فِي مَعِيشَتِهِمْ ، وَلَا إِحْسَاسًا بِالأَمْنِ يَعْصَمُ بِلَادَهُمْ .

وَالقَادَةُ وَالزُّعَمَاءُ يَدْخُلُونَ تَارِيخَ الْإِنْسَانِيَّةِ الطَّاهِرِ المَصُونِ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي تُغَيِّرُ تَارِيخَ أُمَّتِهِمْ لَا بِالسَّنَوَاتِ الَّتِي عَاشُوهَا يَحْكُمُونَ ؛ فَالْخَلِيفَةُ العَبَاسِيُّ النَّاصِرُ لِديْنِ اللَّهِ قَضَى سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سِنَةً فِي مَنْصِبِ الخِلَافَةِ (٥٧٥ - ٦٦٢ هـ = ١١٧٩ - ١٢٢٥ م) ، وَمَضَى دُونَ أَنْ يَحْفَرَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا فِي تَارِيخِ أُمَّتِهِ ، فِي الوَقْتِ الَّذِي قَضَى فِيهِ (سَيْفُ الدِّينِ قُطْرُز) سُلْطَانًا فِي مِصْرَ نَحْوَ عَامٍ ، نَجَحَ أَثْنَاءَهُ فِي إِحْقَاقِ أَكْبَرِ هَزِيمَةٍ بِالمَغُولِ فِي عَيْنِ جَالُوتَ ، وَإِعَادَةِ النُّثَّةِ فِي نُفُوسِ المُسْلِمِينَ ؛ وَكَانَ دَوْرُهُ التَّارِيخِيَّ (عَلَى قِصْرِ فَتْرَتِهِ الزَّمْنِيَّةِ) كَبِيرًا وَخَالِدًا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ وَاحِدًا مِمَّنْ دَخَلُوا التَّارِيخَ بِأَعْمَالِهِ العَظِيمَةِ وَإِدَارَتِهِ

العَادِلَةَ لِلدَّوْلَةِ ، حَتَّى تَجَدَّدَ الْأَمَلُ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ بِالْإِمْكَانِ عَوْدَةُ حُكْمِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَاقِعًا مَلْمُوسًا ؛ لَا قَصَصًا تُرَوَّى وَلَا أَمَانِيَّ تَطْلُبُ وَلَا خِيَالًا يُتَصَوَّرُ ، بَلْ حَقِيقَةً يَشْهَدُهَا النَّاسُ ، وَيَنْعَمُونَ بِخَيْرِهَا آمِنِينَ .

وَاحْتِاجَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِإِحْدَاتِ هَذَا التَّغْيِيرِ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ إِلَى ثَلَاثِينَ شَهْرًا ، لَا إِلَى سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ؛ حَيْثُ كَانَتْ الْأُمَّةُ نَابِضَةً بِالْإِيمَانِ ، مَلِيئَةً بِالرِّجَالِ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ (إِلَى جَانِبِ الصَّلَاحِ) الْقُدْرَةَ وَالْكَفَاءَةَ ؛ وَلَوْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مُجَدِّبَةً مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ لَمَا اسْتَطَاعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَقُومَ بِهَذَا الْإِصْلَاحِ الْعَظِيمِ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ الْقَصِيرَةِ ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : كَمَا تَكُونُوا يُوَلِّ عَلَيْكُمْ .

تَدْوِينُهُ لِلسُّنَّةِ خَيْرُ أَعْمَالِهِ لِلْأُمَّةِ :

وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَانِبٌ مُشْرِقٌ فِي حَيَاتِهِ الْمُضِيئَةِ كُلِّهَا ، يَكَادُ يُخْفِي أَهْمِيَّةَ أَعْمَالِهِ الْأُخْرَى ، وَإِصْلَاحَاتِهِ الْكُبْرَى ، وَعَدْلِهِ ، وَمَنَاقِبِهِ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا كُتُبُ التَّرَاجِمِ وَالسِّيَرِ ؛ فَتَبَنَّى (تَدْوِينَ السُّنَّةِ) ، وَكَانَتْ هَذِهِ خُطْوَةٌ بِالْغَةِ الْأَهْمِيَّةِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّدْوِينِ وَظُهُورِ الْمُصَنَّفَاتِ الْكُبْرَى فِي الْحَدِيثِ وَتَنُوعِ مَنَاجِحِهَا ، حَتَّى بَلَغَ بِهَا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ قِمَّةَ النُّضْجِ فِي التَّصْنِيفِ وَالتَّبْوِيبِ ، وَإِذَا كَانَتْ أَعْمَالُ سَيِّدِنَا عُمَرَ الْأُخْرَى قَدْ احْتَقَطَتْ بِهَا كُتُبُ التَّارِيخِ آثَارًا تُرَوَّى ، فَإِنَّ قَرَارَهُ بِتَدْوِينِ السُّنَّةِ لَا يَزَالُ أَثَرُهُ بَاقِيًا حَتَّى الْيَوْمِ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مُمَثَّلًا فِي كُتُبِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ .

وَبَدَأَ عُمَرُ فَكَتَبَ إِلَى الْأَمْصَارِ بِأَمْرِ الْعُلَمَاءِ بِجَمْعِ الْأَحَادِيثِ وَتَدْوِينِهَا ، وَكَانَ فِيهَا كُتُبُهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ : انظُرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَارْتَبُوهُ ؛ فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ ، وَذَهَابَ أَهْلِهِ ، وَكُتِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ حَزْمٍ : اكْتُبْ إِلَيَّ بِمَا ثَبَتَ عِنْدَكَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَإِنِّي خَشِيتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ أَهْلِهِ .

كَمَا أَمَرَ ابْنَ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرَهُ بِجَمْعِ السُّنَنِ فَكُتِبُوا لَهُ ، وَكَانَ ابْنُ شِهَابٍ أَحَدَ الْحِفَاطِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي جَمْعِ الْحَدِيثِ ، وَيَقُولُ فِي ذَلِكَ : أَمَرْنَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجَمْعِ السُّنَنِ ، فَكُتِبْنَا دَفْتَرًا دَفْتَرًا ، فَبَعَثَ إِلَيَّ كُلُّ أَرْضٍ لَهُ عَلَيْهَا سُلْطَانٌ دَفْتَرًا .

إِتْحَافُ ذَوِي التَّمْيِيزِ بِمَشْهَدَيْنِ مِنْ حَيَاةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :
 أَوَّلًا) عَطَاءُ الْأَتْقِيَاءِ عَطَاءُ النَّمَاءِ : أَمَّا الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ فَيَرَوِيهِ لَنَا (دُكَيْنُ بْنُ سَعِيدِ
 الدَّارِمِيُّ) أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الرَّجَّازِ الْبُدَاةِ ، فَيَقُولُ :

امْتَدَحْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمَ كَانَ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ لِي بِخَمْسَ عَشْرَةَ
 نَاقَةً مِنْ كَرَائِمِ الْإِبِلِ ، فَلَمَّا صَرَنْ فِي يَدِي تَأَمَّلْتُهُنَّ ؛ فَرَاعَنِي ^(١) مَنْظَرُهُنَّ ، وَكَرِهْتُ
 أَنْ أَمْضِيَ بِهِنَّ وَحْدِي فِي فِجَاجِ ^(٢) الْأَرْضِ خَوْفًا عَلَيْهِنَّ ، وَلَمْ تَطُبْ ^(٣) نَفْسِي بِيَعِيهِنَّ ،
 وَفِيمَا أَنَا كَذَلِكَ ، قَدِمْتُ عَلَيْنَا رُفْقَةٌ تَبْتَغِي السَّفَرَ نَحْوَ دِيَارِنَا فِي (نَجْدِ) ؛ فَسَأَلْتُهُمْ
 الصُّحْبَةَ ، فَقَالُوا : مَرْحَبًا بِكَ ، وَنَحْنُ نَخْرُجُ اللَّيْلَةَ ، فَأَعِدْ نَفْسَكَ لِلْخُرُوجِ مَعَنَا .
 فَمَضَيْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُودِعًا ، فَأَلْفَيْتُ ^(٤) فِي مَجْلِسِهِ شَيْخَيْنِ لَا أَعْرِفُهُمَا ،
 فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ ؛ التَفْتُ إِلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ : يَا دُكَيْنُ ، إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَاقَةً ^(٥) ،
 فَإِنْ عَرَفْتَ أَنَّي بَلَفْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنَا فِيهِ الْآنَ ؛ فَأَتَيْتِي ، وَلَكَ مِنِّي الْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ .
 فَقُلْتُ : أَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
 فَقَالَ : أَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ .
 فَقُلْتُ : وَمَنْ خَلَقَهُ .

فَقَالَ : هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ .

فَأَقْبَلْتُ عَلَى أَحَدِهِمَا وَقُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، قُلْ لِي مَا اسْمُكَ حَتَّى أَعْرِفَكَ ؟

فَقَالَ : سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

فَالْتَفْتُ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُ : لَقَدْ اسْتَسَمَنْتُ ^(٦) الشَّاهِدَ ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْآخَرِ ،
 وَقُلْتُ : وَمَنْ أَنْتَ جُعِلَتْ فِدَاكَ ؟

فَقَالَ : أَبُو يَحْيَى مَوْلَى الْأَمِيرِ .

فَقُلْتُ : وَهَذَا شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ حَيَّيْتُ وَأَنْصَرَفْتُ بِالنُّوقِ إِلَى دِيَارِ قَوْمِي فِي
 (نَجْدِ) ، فَرَمَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْبَرَكَاتَةَ حَتَّى اقْتَنَيْتُ مِنْ نِتَاجِهِنَّ ^(٧) الْإِبِلَ وَالْعَبِيدَ .

(١) رَاعَنِي : أَدَهَشَنِي .

(٢) فِجَاجٌ : جَمْعُ فَجٍّ ؛ وَهُوَ الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .

(٣) لَمْ تَطُبْ نَفْسِي : لَمْ تَسْمَحْ نَفْسِي بِيَعِيهِمْ وَلَمْ تَرْتَحْ لِذَلِكَ .

(٤) أَلْفَيْتُ : وَجَدْتُ .

(٥) تَوَاقَةٌ : رَغَابَةٌ عَالِيَةٌ الْمَصَالِحِ .

(٦) اسْتَسَمَنْتُ الشَّاهِدَ : ظَنَرْتُ بِشَاهِدٍ مَسْمُوعِ الْكَلِمَةِ .

(٧) مِنْ نِتَاجِهِمْ : مِمَّا تَوَالَدَ مِنْهُمْ .

ثُمَّ دَارَتِ الْأَيَّامُ دَوْرَتَهَا ، فَبَيْنَا أَنَا بِصَحْرَاءِ فَلَجٍ مِنْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ فِي نَجْدٍ ، إِذَا نَاعَ يَنْعِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقُلْتُ لِلنَّاعِي : وَمَنِ الْخَلِيفَةُ الَّذِي قَامَ بَعْدَهُ ؟

فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

فَمَا إِنِ سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ حَتَّى شَدَدْتُ رِحَالِي نَحْوَ بِلَادِ الشَّامِ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ دِمَشْقَ لَقِيتُ جَرِيرًا^(١) مُنْصَرَفًا مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ ، فَحَيَّيْتُهُ وَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ يَا أَبَا حَزْرَةَ ؟
فَقَالَ : مِنْ عِنْدِ خَلِيفَةٍ يُعْطِي الْفُقَرَاءَ ، وَيَمْنَعُ الشُّعْرَاءَ ، أَرْجِعْ مِنْ حَيْثُ آتَيْتَ ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ .

فَقُلْتُ : إِنَّ لِي شَأْنًا^(٢) غَيْرَ شَأْنِكُمْ .

فَقَالَ : أَنْتَ وَمَا تُرِيدُ .

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى بَلَغْتُ دَارَ الْخَلِيفَةِ ، فَإِذَا هُوَ فِي بَاحَةِ الدَّارِ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْيَتَامَى ، وَالْأَرَامِلُ ، وَأَصْحَابُ الظُّلَامَاتِ^(٣) ، فَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهِ مِنْ تَرَاخُمِهِمْ عَلَيْهِ ؛ فَرَفَعْتُ صَوْتِي قَائِلًا :

يَا عُمَرَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَكَارِمِ ❁ وَعُمَرَ الدَّسَائِعِ^(٤) الْعَظَائِمِ

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ قَطَنِ^(٥) مِنْ دَارِمِ^(٦) ❁ طَلَبْتُ دِينِي مِنْ أَخِي الْمَكَارِمِ

فَنظَرَ إِلَيَّ مَوْلَاهُ أَبُو يَحْيَى نَظْرَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ عِنْدِي لِهَذَا الْبَدْوِيِّ شَهَادَةً عَلَيْكَ .

فَقَالَ : عُمَرُ : أَعْرِفُهَا ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : أَدْنُ مِنِّي يَا دُكَيْنُ .

فَلَمَّا صَرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَالَ عَلَيَّ وَقَالَ : أَتَذْكُرُ مَا قُلْتَهُ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَنَّ نَفْسِي

مَا نَالَتْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا تَأَقَّتْ إِلَيَّ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ .

فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) جَرِيرٌ : أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الثَّلَاثَةِ الْكِبَارِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، وَهُوَ جَرِيرٌ ، وَالْفَرَزْدَقُ ، وَالْأَخْطَلُ .

(٢) شَأْنًا : مَنْرَلَةٌ وَمَقَامًا . (٣) أَصْحَابُ الظُّلَامَاتِ : الَّذِينَ أُخْذَتْ أَمْوَالُهُمْ ظُلْمًا .

(٤) الدَّسَائِعُ : جَمْعُ دَسَمَةٍ ، وَهِيَ الْجَفْنَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الْأَجْوَادُ .

(٥) قَطَنٌ : مَدِينَةٌ ذَاتُ شَأْنٍ فِي وَادِي حَضْرَ مَوْتِ . (٦) مِنْ دَارِمٍ : بَنُو دَارِمٍ مِنْ عَرَبِ الْحِجَازِ .

فَقَالَ : وَهَا أَنَا ذَا قَدْ نَلْتُ غَايَةَ مَا فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْمَلِكُ ، فَتَفَسِّي تَتَوَقُّ إِلَى غَايَةِ مَا فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْجَنَّةُ ، وَتَسْعَى إِلَى الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَئِنْ كَانَ الْمَلُوكُ يَجْعَلُونَ الْمَلِكَ سَبِيلًا لِبُلُوغِ عِزِّ الدُّنْيَا ، فَلَا جَعْلَ لَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ عِزِّ الْآخِرَةِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا ذُكَيْنُ ، إِنِّي - وَاللَّهِ - مَا رَزَأْتُ^(١) الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا مُنْذُ وَلِيْتُ هَذَا الْأَمْرَ ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَخُذْ نِصْفَهَا ، وَاتْرُكْ لِي نِصْفَهَا .

فَأَخَذْتُ الْمَالَ الَّذِي أَعْطَانِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْظَمَ مِنْهُ بَرَكََةً .

ثَانِيًا) مِيرَاثُ التَّقْوَى عِزُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى : وَأَمَّا الْمَشْهُدُ الثَّانِي مِنْ حَيَاةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَيَرَوِيهِ لَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي كِتَابِهِ النَّفِيسِ الْمُسَمَّى (سِيرَةَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ) ، فَيَقُولُ :

لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةٌ^(٢) بِنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ فَطَمْتَ^(٣) أَفْوَاهَ أَوْلَادِكَ عَنْ هَذَا الْمَالِ ؛ فَحَبِّذَا لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَيَّ أَوْ إِلَى مَنْ تَفَضَّلَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ .

فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ كَلَامِهِ ... قَالَ عُمَرُ : أَجْلِسُونِي ، فَأَجْلَسُوهُ ، فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَاتَكَ يَا مَسْلَمَةٌ ، أَمَّا قَوْلُكَ : إِنِّي قَدْ فَطَمْتُ أَفْوَاهَ أَوْلَادِي عَنْ هَذَا الْمَالِ ؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا مَنَعْتُهُمْ حَقًّا هُوَ لَهُمْ ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيهِمْ شَيْئًا لَيْسَ لَهُمْ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ : لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إِلَيَّ أَوْ إِلَى مَنْ تَفَضَّلَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّمَا وَصِيِّي وَوَلِيِّي فِيهِمْ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى^(٤) الصَّالِحِينَ ، وَاعْلَمْ يَا مَسْلَمَةٌ أَنَّ أَبْنَائِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٌ صَالِحٌ مُتَّقٍ ؛ فَسَيُعْطِيهِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجًا^(٥) .

وَإِمَّا رَجُلٌ طَالِحٌ^(٦) مَكْبٌ عَلَى الْمَعَاصِي ، فَلَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُعِينُهُ بِالْمَالِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) مَارَزَأْتُ الْمُسْلِمِينَ : مَا أَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

(٢) هُوَ مَسْلَمَةٌ بِنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، أَحَدُ كِبَارِ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَعُقَلَانِهِمْ وَقَادَةَ جِيُوشِهِمْ .

(٣) فَطَمْتُ أَفْوَاهَ أَوْلَادِكَ : مَنَعْتُهُمْ مِنْ اغْتِنَامِ الْفُرْصِ ، وَامْتِلَاكِ الْأَمْوَالِ .

(٤) يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ : يَحْفَظُ الصَّالِحِينَ وَيُعِينُهُمْ .

(٥) مَخْرَجًا : سَبِيلًا يَسْلُكُهُ . (٦) طَالِحٌ : الطَّالِحُ ضِدُّ الصَّالِحِ ؛ تَقُولُ : هَذَا خَيْرٌ صَالِحٌ وَذَاكَ شَرٌّ طَالِحٌ .

ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا لِي بَنِي ، فدَعَوْهُمْ (وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ وَلَدًا) ، فَلَمَّا رَأَهُمْ تَرَفَّرَتْ عَيْنَاهُ^(١) وَقَالَ : بِنَفْسِي فِتْيَةٌ تَرَكَتُهُمْ عَالَةً لَا شَيْءَ لَهُمْ ، وَبِكَيِّ بُكَاءً صَامِتًا ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : أَيُّ بَنِي^(٢) ، إِنِّي قَدْ تَرَكَتُ لَكُمْ خَيْرًا كَثِيرًا ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَمُرُّونَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَهْلِ ذِمَّتِهِمْ إِلَّا رَأَوْا أَنَّ لَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا .

يَا بَنِي ، إِنَّ أَمَامَكُمْ خِيَارًا مِنْ أَمْرَيْنِ : فَمَا أَنْ تَسْتَغْنُوا ، وَيَدْخُلَ أَبُوكُمْ النَّارَ ، وَإِمَّا أَنْ تَقْتَرُوا ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ ... وَلَا أَحْسَبُ إِلَّا أَنْكُمْ تُؤْتِرُونَ^(٣) إِنْقَادَ أَبِيكُمْ مِنَ النَّارِ عَلَى الْغَنَى .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فِي رَفَقٍ وَقَالَ : قَوْمُوا عَصَمَكُمْ اللَّهُ ، قَوْمُوا رَزَقَكُمْ اللَّهُ .
فَالْتَفَّتْ إِلَيْهِ مَسْلَمَةٌ وَقَالَ : عِنْدِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟؟

قَالَ : لَدَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ؛ وَإِنِّي أَهْبِهَا لَكَ فَفَرَّقَهَا فِيهِمْ ، أَوْ تَصَدَّقْ بِهَا إِذَا شِئْتَ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَوْ خَيْرٌ^(٤) مِنْ ذَلِكَ يَا مَسْلَمَةُ ؟

فَقَالَ : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ : تَرُدُّهَا إِلَيَّ مَنْ أَخَذَتْ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ بِحَقٍّ ، فَتَرَفَّرَتْ عَيْنَا مَسْلَمَةَ ، وَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - حَيًّا وَمَيِّتًا ؛ فَقَدْ أَلَنْتَ مِنَّا قُلُوبًا قَاسِيَةً ، وَذَكَرْتَهَا وَقَدْ كَانَتْ نَاسِيَةً ، وَأَبْقَيْتَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ ذِكْرًا .

● ثُمَّ تَتَبَعَ النَّاسُ أَخْبَارَ أَبْنَاءِ عُمَرَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ فَرَأَوْا أَنَّهُ مَا أَحْتَاجُ أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَا افْتَقَرَ ؛ وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ : ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾^(٥) .

(١) تَرَفَّرَتْ عَيْنَاهُ : دَمَعَتْ عَيْنَاهُ .

(٢) أَيُّ بَنِي : يَا أَبْنَائِي .

(٣) تُؤْتِرُونَ : تَقْضُونَ .

(٤) أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ : بَلْ عِنْدِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا عِنْدَكَ .

(٥) سُورَةُ النَّسَاءِ : الْآيَةُ ٩ .

مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ ﷺ :

● قال أيوب : قيل لعمر بن عبد العزيز في مرضه : لو أتيت المدينة فإن مت دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ ، وصاحبه ﷺ ، فقال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار أحب إلي من أن يعلم الله مني أنني أراني لذلك الموضع أهلاً .

● وقال عبيد بن حسان : لما احتضر عمر بن عبد العزيز ، قال : اخرجوا عني ، فقعده مسلمة وفاطمة على الباب ، فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه : ليست بوجوه إنس ولا جان ، ثم قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) ، ثم هدأ الصوت ، فدخلوا فوجدوه قد قبض ﷺ .

● توفي أبو حفص عمر بن عبد العزيز ﷺ بدير سمعان بسوريا (معرّة النعمان) : وهي الآن تتبع محافظة إدلب ، وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة هجرية ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر : وكانت وفاته بالسُّمِّ ؛ كانت بنو أمية قد تبرموا به لكونه شدد عليهم وانتزع من أيديهم كثيراً مما غصبوه ، وقد أهمل التحرز فسقوه السُّمَّ ، وعرف عمر ﷺ غلامه الذي سمه ، فقال : ما حملك عليه ؟ قال : ألف دينار أعطيتها وأن أعق ، فأخذها عمر ﷺ فوضعها بيت المال ، وقال : اذهب حيث لا يراك أحد .



(١) سورة القصص : الآية ٨٢ .

رابعاً (تذكير أولى الألباب
بذكر ما للصحة من آداب

آدابُ الصُّحْبَةِ

قال السُّلَمِيُّ ^(١) : وَالصُّحْبَةُ عَلَى أَوْجِهِ ، لِكُلِّ آدَابٍ وَمَوَاجِبُ وَلَوَازِمُ :

● صُحْبَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

فَمَعَ اللَّهُ ، سُبْحَانَهُ : بِاتِّبَاعِ أَوْامِرِهِ ، وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ ، وَدَوَامِ ذِكْرِهِ ، وَدَرَسِ كِتَابِهِ ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِهِ ، وَالرَّحْمَةَ وَالشَّفَقَةَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَالتَّحَقُّقَ بِمَقَامِ الْإِحْسَانِ ؛ وَهُوَ أَنْ يَعْْبُدَ الْإِنْسَانُ مَوْلَاهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ ؛ أَيَقِنَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ .

❁ وَالْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَشْرَةٌ :

الْأَوَّلُ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفْهِيمِ لِمَعَانِيهِ وَالتَّفْطُنِ لِمُرَادِ اللَّهِ مِنْهُ .

الثَّانِي : التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ فَإِنَّهَا تُوصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ .

الثَّلَاثُ : دَوَامُ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ ، فَنَصِيبُ الْمَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ .

الرَّابِعُ : إِيْثَارُ مَحَابِّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الْهَوَى .

الخَامِسُ : مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَتَقَلُّبُهَا فِي رِيَاضِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَمِيَادِينِهَا ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، أَحَبَّهُ اللَّهُ لَا مَحَالَةَ .

السَّادِسُ : مُشَاهَدَةُ بَرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَنِعْمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ .

السَّابِعُ : وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا ؛ انْكِسَارُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّبِّ ؛ فَهُوَ أَحْظَى لِلتَّقَرُّبِ ؛ وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ قَوْلُ الْحَقِّ جَلَّ فِي عُلَاهُ : (أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي) .

(١) هُوَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى النَّبْسَابُورِيِّ (٢٢٥-٤١٧هـ) الْعَاقِلُ شَيْخُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ، صَحِبَ جَدَّهُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ نَجْدِيدٍ وَسَمِعَ الْأَصْمَ وَطَبَقْتَهُ ، وَصَنَّفَ التَّبْسِيرَ وَالتَّارِيخَ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَبَلَغَتْ تَصَانِيفُهُ مِائَةً ، وَأَشْهَرُهَا طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ، وَآدَابُ الصُّحْبَةِ .

الثَّامِنُ : الخَلُوةُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَقَتَ النُّزُولِ الإِلَهِيِّ (أَي : وَقَتَ التَّجَلِّيِّ وَهُوَ فِي الأَسْحَارِ قَبْلَ الفَجْرِ) ؛ لِمُنَاجَاتِهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ وَالْوُقُوفِ بِالقَابِ وَالقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ .

التَّاسِعُ : مُجَالَسَةُ المُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ وَالتَّقَاتِ أَطْيَبَ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ ، وَالأَّ يَتَكَلَّمُ المُحِبُّ إلا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الكَلَامِ وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِ تَزِيداً لِحَالِهِ .
العَاشِرُ : مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ القَلْبِ وَبَيْنَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَمِنْ هَذِهِ وَصَلَ المُحِبُّونَ إِلَى مَنَازِلِ المَحَبَّةِ .

● صُحْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ

وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَتَرَكَ مُخَالَفَتَهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّ أَعْظَمَ مَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حُسْنَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّاهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّاهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّاهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللّهِ ، وَاللّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي ، فَقَالَ ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ) ، فَقَالَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ : وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسِي .

✽ وَاتِّبَاعُ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ صُورٌ كَثِيرَةٌ مُتَمَثِّلَةٌ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَالتَّاسِّيِّ وَالاقتِدَاءِ بِهَا ، عَلَى أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ، وَأَعْظَمُهَا أَنْ تَبْدُلَ نَفْسَكَ وَمَالَكَ لِتَفُوزَ بِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَهَذَا سَيِّدُنَا عُمَرَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ يُنْفِقُ النِّفَقَاتِ الكَثِيرَةَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ؛ فَقَدْ تَصَدَّقَ بِأَلْفِ بَعِيرٍ فِي تَجْهِيزِ جَيْشِ العُسْرَةِ احْتِسَاباً وَامْتِثَالاً لِأَمْرِ اللّهِ .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الآيَةُ ٣١ .

● صُحْبَةُ الصَّحَابَةِ وَآلِ الْبَيْتِ ﷺ

وَمَعَ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ : بِالترَّحُّمِ عَلَيْهِمْ ، وَتَقْدِيمِ مَنْ قَدَّمَ ، وَحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ ، وَقَبُولِ أَقْوَالِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ وَالسُّنَنِ ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ :

(مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ أَصْحَابِي وَقَرَابَتِي) ^(١) .

وقوله ﷺ : وَقَدْ سُئِلَ حِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ : (فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ . مَنْ أَجَابَهُمْ فَدَفَوْهُ فِيهَا) ، قَالُوا : مَا نَأْخُذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ ﷺ : (عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ) ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ ، قَالَ ﷺ : (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) ^(٢) وقوله ﷺ : (إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي) ^(٣) ؛ وَالثَّقَلَانِ : تَشْيِئَةٌ ثَقَلٍ ، لِعِظَمِهِمَا وَكِبَرِ شَأْنِهِمَا ، وَالعِترَةُ : الْوَلَدُ وَالذَّرِيَّةُ .

❁ وَمِنَ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَحَبَّةُ آلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ وَقَرَابَتِهِ الْكِرَامِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٤) ؛ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ ﷺ لَهُمْ إِكْرَامٌ خَاصٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٥) ؛ وَيُرْوَى أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ قَرَابَتُكَ ؟ ، قَالَ ﷺ : (عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا) ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي) .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ ﷺ :

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
(٤) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : مِنَ الْآيَةِ ٢٣ .

(١) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ .
(٣) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ، وَمُصَنَّفُ أَبِي شَيْبَةَ .
(٥) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الْآيَةِ ٢٣ .

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَدَيْنَ - وَأَشَارَ إِلَيَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ - وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

فَعَلَامَةٌ حُبِّ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى حُبُّهُ لِحَبِيبِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ، وَعَلَامَةٌ حُبِّ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ حُبُّ أَهْلِ بَيْتِهِ الْكِرَامِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الْقَائِلِ :

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ * فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ * مَنْ لَمْ يَصِلْ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَحُبَّ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَحُبَّ صَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

● صُحْبَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ

وَمَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ : بِالْخِدْمَةِ ، وَالْإِحْتِرَامِ لَهُمْ ، وَتَصْدِيقِهِمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ

وَمَشَائِخِهِمْ ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ :

(أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ) ^(١) .

وَالْوَلِيُّ ضِدُّ الْعَدُوِّ ، وَالْوَلَايَةُ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ ، وَأَصْلُ الْوَلَايَةِ الْمَحَبَّةُ وَالتَّقَرُّبُ ، وَأَصْلُ

الْعَدَاوَةِ الْبُغْضُ وَالتَّبَعُدُ ؛ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ : الْمُرَادُ بِوَلِيِّ

اللَّهِ ؛ الْعَالِمُ بِاللَّهِ تَعَالَى الْمُوَظَّبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ ، قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٢) .

وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ هُمُ الْمُتَّقِدُونَ بِالْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ فَيَفْعَلُونَ

مَا أَمَرَ بِهِ وَيَنْتَهُوا عَمَّا نَهَى عَنْهُ ، وَيَقْتَدُونَ فِيمَا بَيْنَ لَهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ فِيهِ ، فَيُؤَيِّدُهُمْ

بِمَلَائِكَتِهِ وَرُوحٍ مِنْهُ ، وَيَقْدِفُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَيَخْصِمُهُم بِالكَرَامَاتِ الَّتِي

يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقِينَ .

(٢) سُورَةُ يُوسُفَ : الْآيَاتُ ٦٢-٦٤ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

❁ وَأَمَّا الاستخفاف بالعلماء فقد قال ابن حجر الهيثمي في كتابه الزواجر : إن أولياء الله في الحقيقة هم العلماء العاملون : فإن الاستخفاف بالعلماء من أكبر الكبائر لأنه حارب الله في معاداة العلماء ، وإن محاربة الله لم تذكر إلا في أكل الربا ومعاداة الأولياء ؛ كما في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ، ومن عاداه الله لا يفلح أبداً ، ولا بُدَّ أن يموت على الكفر ، عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه .

❁ وقال الحافظ ابن عساكر : اعلم يا أخي وفقك الله وإيانا وهداك إلى سبيل الخير أن لحوم العلماء مسؤومة ، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة ، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .
أيها المسلم كن على حذر كل الحذر من الخوض في أعراض العلماء والنهش في لحومهم ، اللهم ارزقنا الأدب مع أحبائك وعبادك أجمعين .

● صُحْبَةُ السُّلْطَانِ

وَمَعَ السُّلْطَانِ : بِالطَّاعَةِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَيَدْعُو لَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، لِيُصَلِّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَيُصَلِّحَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيُنْصَحُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دِينِهِ ، وَيُصَلِّي وَيُجَاهِدُ مَعَهُ ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) ، قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : (لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ) ^(١) .

❁ وَدُعَاؤُنَا لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ يَنْفَعُهُمْ وَيَنْفَعُنَا ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَا تَسُبُّوا السُّلْطَانَ فَإِنَّهُ ظَلُّ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بِهِ يَقُومُ الْحَقُّ وَيُظْهَرُ الدِّينُ وَبِهِ يَدْفَعُ اللَّهُ الظُّلْمَ وَيُهْلِكُ الْفَاسِقِينَ .

وقال الفضيل بن عياض : لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان ، قيل ولم تقدمه على نفسك ؟ ، قال : إن دعوة نفسي لا تنفع غيري ، فإذا كانت له انتعشت البلاد والعباد بعدله وصلاحه .



(١) أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي .

● صُحْبَةُ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

وَمَعَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ : بِالْمُدَارَةِ وَسَعَةِ الْخُلُقِ وَالنَّفْسِ وَتَمَامِ الشَّفَقَةِ وَتَعْلِيمِ الْأَدَبِ وَالسُّنَّةِ ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^(١) ، وَالصَّفْحُ عَنْ عَثْرَاتِهِمْ ، وَالغَضُّ عَنْ مَسَاوِيئِهِمْ فِي غَيْرِ إِثْمٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : (إِنَّ الْمَرْأَةَ كَالضِّلْعِ إِذَا ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا كَسَرَتْهَا وَإِنْ تَرَكْتَهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ) ^(٢) .

❁ قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي عُمْدَةِ الْقَارِي : قَالَ الدَّوْدِيُّ : إِنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَقْصَرِ وَالْأَيْسَرِ وَهُوَ نَائِمٌ ، وَيُقَالُ إِنَّ آدَمَ نَامَ نَوْمَةً فَاسْتَلَّ الْمَلِكُ ضِلْعَهُ فَخُلِقَتْ مِنْهُ حَوَاءُ ، فَاسْتَيْقَظَ آدَمُ وَهِيَ جَالِسَةٌ عِنْدَهُ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ .

وَقَالَ الْمُنَاوِي : فِيهِ إِشْعَارٌ بِاسْتِحَالَةِ تَقْوِيمِهَا ، أَيِ إِنْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنَ الْكَسْرِ فَكَسَرُهَا طَلَقُهَا ، وَهَذَا حَثٌّ عَلَى الرَّفْقِ بِالنِّسَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَى عَوْجِهِنَّ وَتَحْمَلِ ضَعْفِ عُقُولِهِنَّ ، وَأَنَّهُ لَا يُطْمَعُ فِي اسْتِقَامَتِهِنَّ ، وَفِيهِ رَمْزٌ إِلَى التَّقْوِيمِ بِرَفْقٍ بِحَيْثُ لَا يُبَالِغُ فِي كَسْرِ وَلَا يَتْرُكُهُ عَلَى عَوْجِهِ ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ؛ فَلَا يَتْرُكُهَا عَلَى الْأَعْوَجِ إِذَا تَعَدَّتْ مَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ النِّقْصِ إِلَى ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ بِمَبَاشَرَتِهَا أَوْ بِتَرْكِ الْوَاجِبِ ، بَلِ الْمُرَادُ تَرْكُهَا عَلَى عَوْجِهَا فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ فَقَطْ ، وَفِيهِ نَدْبٌ لِاسْتِمَالَةِ النَّفُوسِ وَتَأَلُّفِ الْقُلُوبِ وَسِيَّاسَةِ النِّسَاءِ بِأَخْذِ الْعَفْوِ عَنْهِنَّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ مَعَ أَنَّهُ لَا غِنَى لَهُ عَنِ امْرَأَةٍ يَسْكُنُ إِلَيْهَا .

وَمَعْنَى دَارِهَا : لِاطْفَافِهَا ؛ وَالْمُدَارَةُ (كَمَا فِي الْمِصْبَاحِ وَغَيْرِهِ) ^(٣) الْمُلَاطَفَةُ ، يُقَالُ دَارَيْتُهُ أَيِ لَاطَفْتُهُ ، وَعَلَيْكَ بِالْمُدَارَةِ أَيِ الْمُلَاطَفَةِ ^(٤) .

(١) سُورَةُ التَّحْرِيمِ : الْآيَةُ ٦ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (بَابُ الْمُلَاقِ) ، مَا جَاءَ فِي مُدَارَةِ النِّسَاءِ .

(٣) مِنْ قَوَائِمِ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ .

(٤) فَيْضُ الْقَدِيرِ : الْمُنَاوِي .

● صُحْبَةُ الْإِخْوَانِ

وَمَعَ الْإِخْوَانِ : بِدَوَامِ الْبِشْرِ ، وَبَدَلِ الْمَعْرُوفِ ، وَنَشْرِ الْمَحَاسِنِ ، وَسْتَرِ الْقَبَائِحِ ،
وَاسْتِكْبَارِ بَرِّهِمْ إِيَّاكَ ، وَاسْتِقْلَالِ بَرِّكَ إِيَّاهُمْ وَإِنْ كَثُرَ ، وَمُسَاعَدَتِهِمْ بِالْمَالِ
وَالنَّفْسِ ، وَمُجَانِبَةِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ وَمَا يَكْرَهُونَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ ،
وَتَرَكَ مَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ .

● صُحْبَةُ الْعُلَمَاءِ

وَمَعَ الْعُلَمَاءِ : بِمُلَازِمَةِ حُرْمَاتِهِمْ ، وَقَبُولِ أَقْوَالِهِمْ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ فِي الْمُهَيَّمَاتِ ،
وَمَعْرِفَةِ الْمَكَانِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ خِلَافَةِ نَبِيِّهِ وَوِرَاثَتِهِ ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : (الْعُلَمَاءُ
وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)^(١) .

❁ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ : الدُّنْيَا كُلُّهَا مُظْلِمَةٌ إِلَّا مَجَالِسَ الْعُلَمَاءِ .

● صُحْبَةُ الْوَالِدَيْنِ

وَمَعَ الْوَالِدَيْنِ : بِبِرِّهِمَا بِالْخِدْمَةِ وَالْمَالِ فِي حَيَاتِهِمَا ، وَإِنْجَازِ وَعْدِهِمَا بَعْدَ وِفَاتِهِمَا ،
وَالدُّعَاءِ لَهُمَا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، وَإِكْرَامِ أَصْدِقَائِهِمَا ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : (إِنَّ أَبْرَّ الْبَرِّ أَنْ
يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ)^(٢) ، وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ
بِرِّ وَالِدَيْ شَيْءٍ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ وِفَاتِهِمَا ؟ ، قَالَ ﷺ : (نَعَمْ : الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا)^(٣) ،
وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا)^(٤) .

❁ وَقَالَ أَحَدُ الْعَارِفِينَ : مِنَ الْعُقُوقِ أَنْ يَرَى أَبَوَاكَ رَأْيًا وَتَرَى غَيْرَهُ .
وَالْعُقُوقُ : أَصْلُهَا الْعَقُّ أَيُّ الشَّقِّ ، وَيُسَمَّى الْإِنْسَانُ عَاقًا لِأَنَّهُ يَشُقُّ عَصَا الطَّاعَةِ .

● صُحْبَةُ الضَّيْفِ

وَمَعَ الضَّيْفِ : بِالْبِشْرِ ، وَطَلِاقَةِ الْوَجْهِ ، وَطِيبِ الْحَدِيثِ ، وَإِظْهَارِ السُّرُورِ ، وَقَبُولِ
أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَرُؤْيَةِ فَضْلِهِ وَمَنْتِهِ بِإِكْرَامِكَ وَتَحْرِيهِ لِعَطَامِكَ .

قَالَ ﷺ : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) ؛ إِنَّ إِكْرَامَ الضَّيْفِ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَأَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ .

(٣) الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ؛ الدُّعَاءُ لَهُمَا وَمَنْتُهُ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ .

مِنَ الْإِيمَانِ وَمِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَتَحَلَّى بِهِ الْمُسْلِمُ ، لِأَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِحْسَانَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .

❁ قَالَ الْعَلَامَةُ عَلِيُّ الْقَارِي : مِنْ إِكْرَامِ الضَّيْفِ : الْفَرْحُ وَالسُّرُورُ وَالْبِشْرُ فِي وَجْهِ الضَّيْفِ ، وَالتَّشْبِيحُ إِلَى الْبَابِ ، وَتَعْجِيلُ الطَّعَامِ .

سُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ إِكْرَامِ الضَّيْفِ ٩ ، قَالَ : طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَطِيبُ الْحَدِيثِ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَبِي لَيْلَى : مَا دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى إِلَّا حَدَّثَنَا حَدِيثًا حَسَنًا وَأَطْعَمَنَا طَعَامًا حَسَنًا ^(١) .

❁ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ : قَالَ بَعْضُ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ : وَاجِبٌ عَلَى الْمُضِيفِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ ، وَعَلَى الضَّيْفِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ : فَأَمَّا عَلَى الْمُضِيفِ : فَإِنَّ يُطْعِمُهُ مِنَ الْحَلَالِ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ وَلَا يَحْبَسَ عَلَيْهِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَعَلَى الضَّيْفِ : فَإِنَّ يَجْلِسَ حَيْثُ يُجْلِسُهُ وَأَنْ يَرْضَى مَا قُدِّمَ إِلَيْهِ وَالْأَخْرَجَ إِلَّا بَعْدَ الْاسْتِئْذَانِ .

● صُحْبَةُ الْجَوَارِحِ وَأَدَابُهَا

ثُمَّ عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ أَدَبٌ تَخْتَصُّ بِهِ :

(١) أَدَبُ الْبَصْرِ : فَأَدَبُ الْبَصْرِ : نَظْرُكَ لِلْأَخِ بِالْمَوَدَّةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا مِنْكَ ، هُوَ وَالْحَاضِرُونَ ، نَاضِرًا إِلَى أَحْسَنِ شَيْءٍ يَبْدُو مِنْهُ ، غَيْرَ صَارِفٍ بَصْرَكَ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ لَكَ .

❁ فَأَدَابُ الْبَصْرِ : الْغَضُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَعَنْ عُيُوبِ الْآخَرِينَ وَعَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ؛ وَقِيلَ مَنْ طَاوَعَ طَرْفَهُ تَابَعَ حَتْفَهُ .

(٢) أَدَبُ السَّمْعِ : وَأَدَبُ السَّمْعِ : إِظْهَارُ التَّلَذُّذِ بِحَدِيثِ مُحَادِثِكَ ، غَيْرَ صَارِفٍ بَصْرَكَ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ ، وَلَا قَاطِعٍ لَهُ بِشَيْءٍ ؛ فَإِنْ اضْطَرَّكَ الْوَقْتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَظْهَرْ لَهُ عُذْرَكَ .

❁ فَأَدَابُ السَّمْعِ : أَلَّا يَسْمَعَ الْفُحْشَ وَالْغِيبَةَ وَالْمَنَاكِرَ ، بَلْ يَسْمَعَ الذِّكْرَ وَالْوَعْظَ

(١) عَيْنُ الْعِلْمِ وَدَيْنُ الْجَلْمِ : الْعَلَامَةُ عَلِيُّ الْقَارِي .

وَالْحِكْمَةَ وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْفَائِدَةِ فِي دُنْيَاهُ ، وَيُحْسِنُ الْإِصْغَاءَ لِمُكَلِّمِيهِ وَمُخَاطَبِيهِ مُتَلَذِّدًا بِذَلِكَ .

(٣) أَدَبُ اللِّسَانِ : وَأَدَبُ اللِّسَانِ ؛ أَنْ تُحَدِّثَ الْإِخْوَانَ بِمَا يُحِبُّونَ فِي وَقْتِ نَشَاطِهِمْ لِسَمَاعِ ذَلِكَ ، بِإِذْلَالِهِمْ النَّصِيحَةَ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ ، مُسْقِطًا مِنْ كَلَامِكَ مَا يَكْرَهُونَهُ ، وَلَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُخَاطِبُهُمْ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَهُ .

❁ فَادَابُ اللِّسَانِ : أَنْ يَكُونَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَذْكَرَ الْإِخْوَانَ بِخَيْرٍ وَالِدُعَاءِ لَهُمْ ، وَبِذَلِّ النَّصِيحَةِ وَالْوَعْظِ ، وَلَا يُكَلِّمُهُمْ فِي مَا يَكْرَهُونَ ، وَلَا يَنْتَابُ ، وَلَا يَنْبِمُ وَلَا يَشْتُمُ ، وَلَا يَمْضِي فِي مَا لَا يَعْنِيهِ فَإِذَا كَانَ فِي جَمَاعَةٍ تَكَلَّمَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي مَا يَعْنِيهِمْ ؛ فَإِذَا أَخَذُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي مَا لَا يَعْنِيهِمْ تَرَكَّهُمْ وَأَمْسَكَ ، وَيَتَكَلَّمَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِمَا يُوَافِقُ الْحَالَ ؛ فَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَقِيلَ : خَلَقَ اللَّهُ اللِّسَانَ تَرْجُمَانًا لِلْقَلْبِ وَمِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَقِيلَ : إِذَا طَلَبْتَ صَلَاحَ قَلْبِكَ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِحِفْظِ لِسَانِكَ ، وَالزَّمِ الصَّمْتَ فَإِنَّهُ سِتْرُ الْجَاهِلِ وَزِينُ الْعَاقِلِ ؛ قَالَ عليه السلام : (وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) ^(١) .

(٤) أَدَبُ الْيَدَيْنِ : وَأَدَبُ الْيَدَيْنِ ؛ بَسْطُهُمَا لِلْإِخْوَانَ بِالْبِرِّ وَالصَّلَةِ ، وَعَدَمُ قَبْضِهِمَا عَنْهُمَا ، وَلَا عَنِ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَمَعُونَتِهِمْ فِي مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ .

❁ فَادَابُ الْيَدَيْنِ : الْبَسْطُ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَخِدْمَةِ الْإِخْوَانِ ، وَالْأَيْسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

(٥) أَدَبُ الرَّجُلَيْنِ : وَأَدَبُ الرَّجُلَيْنِ ؛ أَنْ تُمَاشِيَ إِخْوَانَكَ عَلَى حَدِّ التَّبَعِ ، وَلَا تَتَقَدَّمَهُمْ ؛ فَإِنَّ قَرِيبُوكَ إِلَيْهِمْ تَقَرُّبٌ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ ، وَتَرْجِعُ إِلَى مَكَانِكَ ، وَالْأَيْ تَقَعُدُ عَنْ حُقُوقِ الْإِخْوَانِ ثِقَةً بِالْأُخُوَّةِ ، وَكَانَ الْفُضَيْلُ ^(٢) يَقُولُ : (تَرَكَ حُقُوقَهُمْ مَذَلَّةً) ، وَأَنْ تَقُومَ لَهُمْ إِذَا أَبْصَرْتَهُمْ مُقْبِلِينَ ، وَلَا تَقَعُدُ إِلَّا بِقُعُودِهِمْ ، وَتَقَعُدُ حَيْثُ يُقَعِدُونَكَ .

❁ فَادَابُ الرَّجُلَيْنِ : السَّعْيُ بِهِمَا فِي صَلَاحِ نَفْسِهِ وَإِخْوَانِهِ وَالْأَيْ مَشْيَ بِهِمَا مَرَحًا ،

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ ؛ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

(٢) هُوَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضَ بْنِ مَسْعُودِ التَّمِيمِيِّ (أَبُو عَلِيٍّ) ؛ شَيْخُ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ، مِنْ أَكَابِرِ الْمُبَادِ وَالصُّلَحَاءِ ، كَانَ ثِقَةً فِي الْعَدِيدِ ، أَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ، وُلِدَ فِي مَمَرٍ قَدَّمَ سَنَةَ ١٠٥ هـ ، وَدَخَلَ الْكُوفَةَ وَهُوَ كَبِيرٌ ، وَأَصْلُهُ مِنْهَا ، ثُمَّ سَكَنَ مَكَّةَ سَنَةَ ١٨٧ هـ .

وَلَا يَخْتَالُ ، وَلَا يَتَبَخَّرَ ، وَلَا يَزْهُو فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُبْغِضُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَالْأَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْمَعَاصِي .

● صُحْبَةُ الْبَوَاطِنِ وَأَدَابُهَا

وَأَعْلَمُ ، أَيُّهَا الْحَبِيبُ ، وَقَتَكَ اللَّهُ لِلرَّغْبَةِ فِي أَدَبِ الصُّحْبَةِ ، أَنَّ أَدَبَ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَأَى رَجُلًا يَمَسُّ لِحْيَتَهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : (لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ) ^(١) .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ لِأَبِي حَفْصٍ ^(٢) : أَدَبَتْ أَصْحَابِكَ أَدَبَ السَّلَاطِينِ ، فَقَالَ : لَا ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ^(٣) ، وَلَكِنْ حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ .

وَإِذَا وَجِبَ عَلَى الْعَبْدِ مُرَاعَاةُ ظَاهِرِهِ لِصُحْبَةِ الْخَلْقِ ، فَمُرَاعَاةُ بَاطِنِهِ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ مَطْلَعُ نَظَرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَالْتَحَقُّ بِأَدَابِ الْبَاطِنِ يَتِمُّ بِمُلَازِمَةِ سَجَايَا ثَمَانِي :

أَوَّلُهَا) الْإِخْلَاصُ : وَالْإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ وَلَا هَوَى فَيَمِيلُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ ^(٤) .

✽ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ) .

✽ وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : (مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ) .

✽ قِيلَ لِلْعَارِفِ بِاللَّهِ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ : أَيُّ أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ ، قَالَ : الْإِخْلَاصُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهَا نَصِيبٌ .

✽ قَالَ مَكْحُولٌ : مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ .

(١) أَخْرَجَهُ السُّبُوْطِيُّ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ .

(٢) أَبُو حَفْصٍ الْحَدَّادُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ طَرِيقَةَ التَّصَوُّفِ فِي نَيْسَابُورَ ، وَكَانَتْ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٢٦٤ هـ .

(٤) سُورَةُ الْبَيْتَةِ : آيَةٌ ٥ .

ثانيتها) التَّوَكُّلُ : والتَّوَكُّلُ مِنْ أَشْرَفِ مَقَامَاتِ الْمُؤَقِنِينَ وَأَعَزِّ ثَمَرَاتِ الْيَقِينِ ؛ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ^(١) ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .

❁ وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقِيقَةَ التَّوَكُّلِ عِنْدَمَا جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ فَقَالَ يَارَسُولَ
اللَّهِ : أُرْسِلْ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ ؟ ، فَقَالَ ﷺ : (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) .

❁ قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ : قَدْ يُظْهِرُ الْجَهَّالُ أَنْ شَرْطَ التَّوَكُّلِ تَرْكُ الْكَسْبِ وَتَرْكُ
التَّدَاوِي وَالِاسْتِسْلَامَ لِلْمُهْلِكَاتِ ؛ وَذَلِكَ خَطَأً لِأَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ فِي الشَّرْعِ ، وَلَقَدْ بَيَّنَّ
النَّبِيُّ ﷺ أَهْمِيَّةَ التَّوَكُّلِ وَقِيَمَتَهُ وَرُوحَهُ ؛ فَقَالَ : (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ
تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) ، وَقَدْ أَرَشَدَنَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِلَى التَّوَكُّلِ وَخَاصَّةً عِنْدَمَا يَخْرُجُ الْمُؤْمِنُ مِنْ بَيْتِهِ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
(مَنْ قَالَ - يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ - : بِاسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ لَهُ : كَفَيْتَ وَوَفَيْتَ ، وَتَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرُ ؛
كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُمِّي وَوَفِي) .

وَأَصْلُ التَّوَكُّلِ يَقِينُ الْقَلْبِ بِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ وَفِي قَبْضَتِهِ وَأَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ
وَلَا مُعْطِيٍّ وَلَا مَانِعَ غَيْرُ اللَّهِ ، ثُمَّ طَمَآنِينَةُ الْقَلْبِ وَسُكُونُهُ .

الثَّلَاثُ (الْخَوْفُ) : وَحَقِيقَةُ الْخَوْفِ هُوَ تَأَلُّمُ الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقُهُ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ ؛ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جَرِيَانِ ذُنُوبٍ ، وَقَدْ يَكُونُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
بِمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ الَّتِي تُوجِبُ الْخَوْفَ لَا مَحَالَةَ وَهَذَا أَكْمَلُ وَأَتَمُّ ، لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ
بِالضَّرُورَةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا تَخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٣) .

وَالْخَوْفُ مِنَ الْمَقَامَاتِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَسِيرُ بِهَا الْمُؤْمِنُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ ^(٥)

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ١٥٩ .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ١٧٥ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الْآيَةِ ١٥٩ .

(٤) سُورَةُ هَاطِلٍ ١ مِنَ الْآيَةِ ٢٨ .

(٥) سُورَةُ ق : مِنَ الْآيَةِ ٤٥ .

أَوْلَيْكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^(١) ، وَيُرَوَّى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ ، أَهُمُّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَخَافُونَ ؟ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا ، هُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالطَّاعَةِ وَيَخَافُونَ أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ) .
 وَلَيْسَ الْخَائِفُونَ بِمَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ بَلْ هُمْ عَلَى مَرَاتِبٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَقَدْ صَنَّفَ (ابْنُ عَجِيبَةَ) مَرَاتِبَهُمْ إِلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ ، فَقَالَ : (خَوْفُ الْعَامَّةِ مِنَ الْعِقَابِ وَفَوَاتِ الثَّوَابِ ، وَخَوْفُ الْخَاصَّةِ مِنَ الْعِتَابِ وَفَوَاتِ الْاِقْتِرَابِ ، وَخَوْفُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْاِحْتِجَابِ بِعُرُوضِ سُوءِ الْأَدَبِ)^(٢) .

الرَّابِعُ (الرَّجَاءُ) : قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ زُرُوقٌ فِي تَعْرِيفِ الرَّجَاءِ^(٣) :
 الرَّجَاءُ : السُّكُونُ لِفَضْلِهِ تَعَالَى بِشَوَاهِدِ الْعَمَلِ فِي الْجَمِيعِ ، وَإِلَّا كَانَ اغْتِرَارًا ؛ فَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِحَثِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الرَّجَاءِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْقُنُوطِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ قُلْ لِيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) .

وَجَاءَ الْحَثُّ عَلَى رَجَاءِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ ، مِنْهَا :
 مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ)^(٥) .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْبُيُودِ وَالنَّصَارَى)^(٦) .

✽ وَالرَّجَاءُ يَخْتَلِفُ عَنِ التَّمَنِّيِّ : إِذِ الرَّاجِي هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ بِأَسْبَابِ الطَّاعَةِ طَالِبًا مِنَ اللَّهِ الرَّضَا وَالْقَبُولَ ، بَيْنَمَا يَتْرُكُ الْمُتَمَنِّيُّ الْأَسْبَابَ وَالْمُجَاهِدَاتِ ثُمَّ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ الْأَجْرَ وَالْمَثُوبَةَ ؛ فَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا

(٢) مِرْجَاةُ التَّصَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ ، ابْنُ عَجِيبَةَ .

(٤) سُورَةُ الزُّمَرِ ، آيَةٌ ٥٢ .

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (كِتَابُ التَّوْبَةِ) .

(١) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ : الْآيَاتَانِ ٦٠ ، ٦١ .

(٣) قَوَاعِدُ التَّصَوُّفِ : أَحْمَدُ زُرُوقٌ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي) (١) .

❁ وَلَيْسَ الرَّاجُونَ بِمَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ بَلْ هُمْ عَلَى مَرَاتِبَ ذَكَرَهَا ابْنُ عَجِيبَةَ ، إِذْ قَالَ : رَجَاءُ الْعَامَّةِ حُسْنُ الْمَأْبِ بِحُصُولِ الثَّوَابِ ، وَرَجَاءُ الْخَاصَّةِ حُصُولُ الرِّضْوَانِ وَالْإِقْتِرَابِ ، وَرَجَاءُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ التَّمَكِينُ مِنَ الشُّهُودِ وَزِيَادَةُ التَّرَقِّي فِي أَسْرَارِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ) (٢) .

(الخامس) الرضا : عَرَّفَ الْعُلَمَاءُ الرِّضَا تَعْرِيفَاتٍ مُتَعَدِّدَةً ، وَتَكَلَّمَ كُلُّ مِنْهُمْ عَلَى حَسَبِ مَشْرَبِهِ وَمَقَامِهِ ، فَمِنْهَا : الرِّضَا طِيبُ النَّفْسِ بِمَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ وَيُفُوتُهُ مَعَ عَدَمِ التَّنْفِيرِ ، وَمِنْهَا : سُكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ مَجَارِي الْأَحْكَامِ .

❁ فَالرِّضَا مَقَامٌ قَلْبِيٌّ ؛ إِذَا تَحَقَّقَ بِهِ الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ اسْتِطَاعَ أَنْ يَتَلَقَّى نَوَائِبَ الدَّهْرِ وَأَنْوَاعِ الْكَوَارِثِ بِإِيمَانٍ رَاسِخٍ ، وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ ، وَقَلْبٍ سَاكِنٍ ، بَلْ قَدْ يَتَرَقَّى إِلَى أَرْفَعِ مَنْ ذَلِكَ ؛ فَيَشْعُرُ بِالسُّرُورِ وَالْفَرَحَةِ بِمُرِّ الْقَضَاءِ ، وَذَلِكَ نَتِيجَةٌ مَا تَحَقَّقَ بِهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُبِّ الصَّادِقِ لَهُ سُبْحَانَهُ .

❁ وَأَمَّا الرِّضَا عَنِ اللَّهِ فَهُوَ حَالٌ عَزِيزٌ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٣) ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ) .

وَيُقَالُ سَخَطُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ :

- ١- أَنْ يُقْصَرَ فِيهَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى .
- ٢- أَلَّا يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ .
- ٣- أَنْ يَطْلُبَ شَيْئًا فَلَا يَجِدُهُ فَيَسْخَطُ عَلَى رَبِّهِ .

(السادس) الصبر : وَقَدْ عَرَفَهُ الْعُلَمَاءُ بِتَعَارِيفٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَهَمُّهَا مَا قَالَهُ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ : (الصَّبْرُ هُوَ التَّبَاعُدُ عَنِ الْمُخَالَفَاتِ ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ تَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلِيَّةِ ، وَإِظْهَارُ الْغِنَى عِنْدَ حُلُولِ الْفَقْرِ بِسَاحَةِ الْمَعِيشَةِ) .

وَمَا ذَكَرَهُ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي فِي مُفْرَدَاتِهِ : (الصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ

(٢) وَمِرْاجُ التَّشْوِيفِ .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ ، عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : مِنَ الْآيَةِ ١١٩ .

العقلُ أو الشرعُ أو عمَّا يَقتَضِيانِ حَبْسَهَا عَنْهُ .

وما ذَكَرَهُ السَّيِّدُ الجُرْجَانِي فِي تَعْرِيفَاتِهِ : (الصَّبْرُ هُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى مِنْ أَلَمِ البَلْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ) .

وَيُفْهَمُ مِنْ تَعْرِيفِ (السَّيِّدِ) : أَنَّ الشَّكْوَى لِلَّهِ تَعَالَى لَا تُتَافَى الصَّبْرَ ؛ إِنَّمَا يُنَافِيهِ شَكْوَى اللَّهِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا كَانَ مِنْ سَيِّدِنَا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِلَى هَذِهِ الحَالَةِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(١) .

✽ أَمَّا أَقْسَامُ الصَّبْرِ ؛ فَكُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى أَنْوَاعٍ ثَلَاثَةٍ : صَبْرٌ عَلَى الطَّلَاعَاتِ ، وَصَبْرٌ عَنِ المَعَاصِي ، وَصَبْرٌ عَلَى المَصَائِبِ .

✽ وَلِعَظِيمِ أَهْمِيَّةِ الصَّبْرِ وَرَفِيعِ مَقَامِهِ ؛ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا :

فَتَارَةً يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، فيَقُولُ : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ ^(٢) .

وَفِي مَوْطِنٍ آخَرَ يُثْنِي عَلَى أَهْلِهِ ، فيَقُولُ : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٣) .

وَفِي بَعْضِ الآيَاتِ يُخْبِرُ عَنْ مَحَبَّتِهِ لِلصَّابِرِينَ ، فيَقُولُ : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٤) . وَطَوْرًا يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى مَعِيَّتَهُ لِلصَّابِرِينَ مَعِيَّةَ حِفْظٍ وَتَأْيِيدٍ وَنُصْرَةٍ ، فيَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٥) .

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يُخْبِرُ عَنْ إِجَابِ الجَزَاءِ لَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فيَقُولُ :

﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٦) .

وَفِي مَوْطِنٍ آخَرَ يُبَيِّنُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الهُدَاةَ المُرْشِدِينَ قَدْ نَالُوا هَذَا المَقَامَ الرَّفِيعَ بِالصَّبْرِ ، فيَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ^(٧) .

✽ وَلَقَدْ جَاءَتِ الأحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الكَثِيرَةُ مُؤَكَّدَةً فَضْلَ الصَّبْرِ ، وَمَالَهُ مِنْ أَثَرِ عَمِيقٍ فِي ثَبَاتِ الإنسانِ المُؤْمِنِ عِنْدَ تَلَقُّيهِ صَدَمَاتِ الحَيَاةِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ

(٢) سُورَةُ الأَعْرَافِ : مِنَ الآيَةِ ١٢٨ .

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : مِنَ الآيَةِ ١٤٦ .

(٧) سُورَةُ السَّجْدَةِ : مِنَ الآيَةِ ٢٤ .

(١) سُورَةُ يُوسُفَ : مِنَ الآيَةِ ٨٦ .

(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ : مِنَ الآيَةِ ١٧٧ .

(٥) سُورَةُ البَقَرَةِ : مِنَ الآيَةِ ١٥٢ .

(٦) سُورَةُ الزُّمَرِ : مِنَ الآيَةِ ١٠ .

قَوْلُهُ ﷺ :

(مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) ^(١) ، (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) ^(٢) ، (الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ) ^(٣) .

السَّابِعُ التَّوَاضُعُ :

✽ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، فَقَالَ ﷺ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ ^(٤) وَغَمَطُ النَّاسِ ^(٥)) ^(٦) .

وَسُئِلَ الْجَنِيْدُ عَنِ التَّوَاضُعِ ، فَأَجَابَ : خَفَضُ الْجَنَاحِ لِلخَلْقِ وَلِينُ الْجَانِبِ لَهُمْ .
وَقِيلَ : التَّوَاضُعُ نِعْمَةٌ لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا ، وَالْكَبَرُ مِحْنَةٌ لَا يُرْحَمُ عَلَيْهَا ، وَالْعِزُّ فِي التَّوَاضُعِ ، فَمَنْ طَلَبَهُ فِي الْكِبَرِ لَمْ يَجِدْهُ .

يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ : الشَّرْفُ فِي التَّوَاضُعِ ، وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى ، وَالْحُرِّيَّةُ فِي الْقَنَاعَةِ .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : التَّوَاضُعُ حَسَنٌ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ لَكِنَّهُ فِي الْأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ ، وَالتَّكْبَرُ قَبِيحٌ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ لَكِنَّهُ فِي الْفُقَرَاءِ أَسْمَجٌ .

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : التَّوَاضُعُ قَبُولُ الْحَقِّ مِمَّنْ كَانَ .

وَقِيلَ : رَكِبَ زَيْدٌ بَنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه فَدَنَا مِنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه لِيَأْخُذَ بِرِكَابِهِ ، فَقَالَ :
مَهْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا ، فَأَخَذَ زَيْدٌ يَدَ ابْنِ
عَبَّاسٍ فَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ : هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٧) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

(٣) غَمَطُ النَّاسِ : اخْتِقَارُهُمْ .

(٤) قَبِيضُ الْقَدِيرِ ، الْمُنَاوِي ، وَسَيَرُ أَعْلَامِ التُّبَلَاءِ : الذُّهَبِيُّ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(٦) بَطَرَ الْحَقُّ : رَدُّهُ وَإِبْطَالُهُ .

(٧) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وقال عبد الله الرازي : التواضع ترك التمييز في الخدمة .

وقال بعضهم : رأيت في الطواف إنساناً بين يديه شاكريّة^(١) يمنعون الناس لأجله عن الطواف ، ثم رأيتُه بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئاً ، فتعجبت منه ، فقال لي : أنا تكبرتُ في موضع يتواضع الناس هناك : فابتلاني الله تعالى بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس .

قال السيّد أحمد الرفاعي : طرفت أبواب الحق تعالى فوجدتها مُزدحمة إلا باب الذلّ والانكسار فلزمتُه .

الثامن (اليقين) :

﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾^(٢) ويقول الحق تعالى : ﴿إن في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين﴾^(٣) وخلقكم وما يبئ من دابةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ^(٤)

واليقين : العلم بالحقيقة علماً جازماً بالدليل القطعي .

وعلم اليقين : الإدراك الجازم للحقيقة من وراء حجاب .

وعين اليقين : إدراك الحقيقة بلا حجاب ؛ قال تعالى : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾^(٥) ثُمَّ لَتَرَوُنَّ عَيْنَ الْيَقِينِ^(٦) .

ولا يُعتبر الإيمان إيماناً إلا إذا كان يقيناً مع الانقياد ؛ قال تعالى في قوم من الكافرين : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾^(٥) : فما أفادوا من يقينهم لعدم انقيادهم للرّسول ﷺ .

﴿وعن الحارث بن مالك أنه مرّ بالنبي ﷺ فقال له ﷺ : (كيف أصبحت يا حارثة ؟) ، قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، قال ﷺ : (فانظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟) ، فقال : عرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليالي وأظلمات نهارِي ، وكانني أنظر عرش ربّي بارزاً ، وكانني أنظر إلى أهل الجنة

(١) الشاكريّة : مُفرّداً الشاكري : وهي لفظة فارسيّة . وتمني : الأجير والمستخدم .

(٢) سورة الجاثية : الآيات ٣ ، ٤ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة النمل : من الآية ١٤ .

(٥) سورة التكاثر : الآيات ٦ ، ٧ .

يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا ، قَالَ ﷺ : (يَا حَارِثَةُ عَرَفْتَ فَالْزَمِ)^(١) ، وَفِي رِوَايَةٍ : مُؤْمِنٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ .

❁ وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :
(لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا أزدَدْتُ يَقِينًا)^(٢) .

أَدْعُو اللَّهَ الْكَرِيمَ الْوَهَّابَ أَنْ يُوفِّقَ النَّاطِرَ فِي كِتَابِنَا هَذَا بِالتَّأَدُّبِ بِهَذِهِ الْأَدَابِ ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا وَلَهُ مِنَ الْقُبُولِ كُلِّ الْأَبْوَابِ .
● وَيَعُدُّ : أَخِي اللَّيِّبُ وَأُخْتِي اللَّيِّبَةُ :

فَهَوْلَاءِ نَمَازِجُ الْإِنْسَانِ الصِّفَا وَالْوَفَا (ذَكَرًا كَانَ أَمْ أُنْثَى) ؛ وَهُمْ أَجْزَاءٌ مِنْ بُنْيَانِ
شَامِخِ الْبِنَاءِ ، وَكُلُّهُمْ عُقْلَاءُ أَتْقِيَاءُ عُلَمَاءُ فَضْلَاءُ ، وَبِحُسْنِ ذِكْرِهِمْ يُعَطَّرُ أَجْوَاءَنَا
الْعَبْقُ ؛ حَفِظْنَا اللَّهَ بِمَحَبَّتِهِمْ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ فِيهِ مُنْزَلُ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَنْعَمَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .



(٢) حاشية السُّنْدِي : تَحْقِيقُ عَبْدِ الْفَتْاحِ أَبُو عُذَّة .

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

عمر

مُبْرَكٌ مِنْ خَلْقِي

لَوْ كُنَّا

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَرَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
عَنْ سَادَتِنَا وَأَقْبَاتِنَا وَقَدَوَاتِنَا
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ
وَعَنْ سَائِرِ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعِينَ ،
وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَاحْضُرْنَا وَأَرْحَمْنَا
مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

أَمِينَ

علي

مُبْرَكٌ مِنْ خَلْقِي

عمر

مَسْئُورٌ مِنْ حَلَقِي

سُرُورُنَا تَمَّ

وَالْفَضْلُ قَدْ عَمَّ

وَالْحُبُّ وَافِي

وَالرَّبُّ أَنْعَمَ

أَحْبَبْنَا اللَّهُمَّ زَادْنَا لِلنَّارِ وَالْأَحْبَابِ
مَنْ يَوْمَنَا إِلَى يَوْمِ الْمِيعَادِ

مَسْئُورٌ مِنْ حَلَقِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَهْرَسُ الْمَرَاجِعِ وَالْمَصَادِرِ

- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
- الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ : أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيُّ .
- التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ : فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي .
- الْبَحْرُ الْمَدِيدُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ : ابْنُ عَجِيبَةَ .
- تَفَاسِيرُ : ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ ، وَالْبَغَوِيُّ ، وَالْقُرْطُبِيُّ ، وَالْأَلُوسِيُّ ، وَأَبِي السُّعُودِ .
- الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ : جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ .
- تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ .
- أَسْبَابُ النُّزُولِ : السُّيُوطِيُّ .
- الصَّحِيحَانِ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ .
- الْمَوْطَأُ : الْإِمَامُ مَالِكٌ .
- الْأَمُّ : الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ .
- مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .
- الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : الْحَاكِمُ .
- سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ .
- سُنَنُ الدَّارَقُطْنِيِّ .
- مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ .
- سُنَنُ الْبَيْهَقِيِّ الْكُبْرَى .
- الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ : الطَّبْرَانِيُّ .
- مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ .
- مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ : الذَّهَبِيُّ .
- فَتْحُ الْبَارِيِّ : ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ .
- مُسْنَدُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ .
- مُسْنَدُ الْبَرَزَارِ .
- لِسَانُ الْمِيزَانِ : ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ .
- مُسْنَدُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ .
- السُّنَّةُ : ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ .
- تَهْذِيبُ الْكَمَالِ : الْمُزِّيُّ .
- الدَّرُّ الْمَنْثُورُ : السُّيُوطِيُّ .
- عِلَلُ الْحَدِيثِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّازِيُّ .
- كَنْزُ الْعَمَالِ : الْمُتَّقِيُّ الْهِنْدِيُّ .
- صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ .
- إِتْحَافُ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ : الزَّيْدِيُّ .
- صَحِيحُ ابْنِ خَزِيمَةَ .
- جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ فِي شَرْحِ خَمْسِينَ حَدِيثًا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ : ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ .

- نَصَبُ الرَّايَةِ لِأَحَادِيثِ الْهَدَايَةِ : جَمَالُ الدِّينِ الزَّيْلَعِيِّ .
- مَشْكَاتُ الْمَصَابِيحِ : التَّبْرِيْزِيُّ .
- كَشْفُ الْخَفَاءِ : الْعَجْلُونِيُّ .
- مُشْكَلُ الْأَثَارِ : الطَّحَاوِيُّ .
- نَوَادِرُ الْأُصُولِ : الْحَكِيمُ التَّرْمِذِيُّ .
- التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ : الْمُنْذَرِيُّ .
- رِيَاضُ الصَّالِحِينَ : النَّوَوِيُّ .
- السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ : ابْنُ هِشَامٍ .
- السِّيْرَةُ الشَّامِيَّةُ (سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيْرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ) : مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الصَّالِحِيِّ .
- السِّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ (إِنْسَانُ الْعُيُونِ فِي سِيْرَةِ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ) : عَلِيُّ بْنُ بُرْهَانَ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ .
- السِّيْرَةُ الْمِصْرِيَّةُ (إِيْنَاسُ الْإِنْسَانِ فِي سِيْرَةِ الْمَبْعُوْثِ رَحْمَةً لِبَنِي الْإِنْسَانِ) د.سعيد أبو الأسعاد .
- الْمَوَاهِبُ اللَّدْنِيَّةُ : الْقَسْطَلَانِيُّ
- شَرْحُ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ : الزُّرْقَانِيُّ .
- الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى : ابْنُ سَعْدٍ (مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَأَقِدِيِّ) .
- أَسْدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ : ابْنُ الْأَثِيرِ (عَزُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزْرِيِّ) .
- الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ : ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ .
- الْأَسْتِيعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ : ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (أَبُو عَمْرٍو يُوسُفُ) .
- الرِّيَاضُ النَّصْرَةُ فِي مِناقِبِ الْعَشْرَةِ : الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ .
- سِيْرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ : الذَّهَبِيُّ .
- صِفَةُ الصَّفْوَةِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَوْزِيِّ .
- الْكَامِلُ : ابْنُ الْأَثِيرِ .
- تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ : النَّوَوِيُّ .
- حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ : أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ .
- شَذْرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ : ابْنُ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ .
- الْأَعْلَامُ : خَيْرُ الدِّينِ الزُّرْكَلِيُّ .
- مِناقِبُ عَمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ : ابْنُ الْجَوْزِيِّ .
- النَّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي أَخْبَارِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ : ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي .
- الْإِجَابَةُ لِمَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ : الزُّرْكَشِيُّ .

- أبو هريرة راوية الإسلام : د. محمد عجاج الخطيب .
- أصول الحديث : د. محمد عجاج الخطيب . ● مقدمة ابن خلدون .
- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي . ● تاريخ الخلفاء : السيوطي .
- وفيات الأعيان : ابن خلكان . ● البيان والتبيين : الجاحظ .
- عين العلم وزين الحلم : علي القاري . ● الكنى والأسماء : الدولابي .
- اتحاف المرید شرح تحفة التوحيد : اللقاني .
- لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة : الجويني .
- أبو أيوب الأنصاري عند العرب والترك : د. حسين مجيب المصري .
- حياة الصحابة : محمد يوسف الكاندهلوي .
- الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين : أحمد بن زيني دحلان .
- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء : محمد الخضري بك .
- أهل البيت : توفيق أبو علم . ● المنية والأمل : القاضي عبد الجبار .
- خديجة بنت خويلد : د. محمد عبده يماني .
- قصص الصحابيَّات : د. مصطفى مراد . ● الحسن بن علي : د. مصطفى مراد .
- صور من حياة الصحابة : د. عبد الرحمن رأفت الباشا .
- صور من حياة الصحابيَّات : د. عبد الرحمن رأفت الباشا .
- صور من حياة التابعين : د. عبد الرحمن رأفت الباشا .
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) .
- البداية والنهاية : ابن كثير . ● أصحاب النبي : فؤاد شاكر .
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية : طاشكبري زاده .
- الأنبياء المستطاب في مناقب الصحابة والقرابة : ابن سيّد الكلّ القفطي .
- آداب الصحبة : أبو عبد الرحمن السلمي .
- الإحكام في أصول الأحكام : الأمدي . ● معجم البلدان : ياقوت الحموي .
- تهذيب تاريخ دمشق : ابن عساكر . ● أنساب الأشراف : البلاذري .
- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي . ● الصواعق المحرقة : ابن حجر .

- ❖ الذَّرِيَّةُ الطَّاهِرَةُ النَّبَوِيَّةُ : الدُّوَلَابِيُّ .
- ❖ عَنِ الْأَحْبَابِ : فُوَادِ شَاكِرٍ .
- ❖ تَارِيخُ وَاسِطٍ : أَسْلَمُ بْنُ سَهْلِ الرَّزَّازِ الْوَاسِطِيِّ .
- ❖ رِجَالُ حَوْلِ الرَّسُولِ : خَالِدٌ مُحَمَّدٌ خَالِدٌ .
- ❖ قَوَاعِدُ التَّصَوُّفِ : أَحْمَدُ زُرُّوقٌ .
- ❖ حَاشِيَةُ السَّنَدِيِّ : تَحْقِيقُ (عَبْدِ الْفَتْاحِ أَبُو عُدَّةٍ) .
- ❖ مِعْرَاجُ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ : ابْنُ عَجِيبَةَ .
- ❖ الْبَيَانُ الْجَازِمُ أَنَّ التَّصَوُّفَ لِتَرْكِيَّةِ الْإِنْسَانِ نَهْجٌ لَازِمٌ : د. سَعِيدُ أَبُو الْأَسْعَادِ .
- ❖ كُتُبُ اللُّغَةِ : الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ ، وَالْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ .



الفهرسُ المَوْضوعي لِلكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	استفتاح
١١	أضواءٌ على سِجَلاتِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ
٢١	مِمَّا جاءَ مِنْ ذِكْرِهِمْ ﷺ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
٢٤	مِمَّا جاءَ مِنْ ذِكْرِهِمْ ﷺ فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ
٣٠	الأسبابُ المُهمَّةُ الَّتِي أرساها الصَّحابةُ لِلإنسانِيَّةِ سَعادَةً وَقَمَّةً
٣٠	العِلْمُ والتَّعلِيمُ
٣١	الْقُرْآنُ
٣٢	السُّنَّةُ
٣٢	الفِقهُ
٣٤	التَّوْحِيدُ
٣٥	الحِكمةُ
٣٥	الكتابَةُ
٣٥	لُغاتُ الأَعاجِمِ (اللُّغاتُ غَيْرُ العَرَبِيَّةِ)
٣٥	الطُّبُّ
٣٧	الأَدابُ (الثَّقافةُ الإِسْلامِيَّةُ الحَقَّةُ)
٤٥	الزَّكاةُ
٤٦	القَضاءُ
٤٧	الفُتيا
٤٨	الحُدودُ
٥١	زوالُ الأرتيابِ
٥٢	ثناءُ الصَّحابةِ على القِرايةِ
٥٩	ثناءُ القِرايةِ على الصَّحابةِ

- ٦٧ (أولاً) إمتاع الفؤاد بذكر أصحاب خير هاد
- ٦٨ سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه
- ٨٥ سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- ٩٧ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١١٧ بمثل هذا ساد الأولون
- ١١٨ أسوة ذوق ورقبي .. مع صاحبي النبي
- ١١٨ استدراك وإظهار لمقام أبي بكر وعمر عند جعفر الطيار وعلي الكرار
- ١١٩ الصديق وصيانة الإسلام لحقوق الإنسان
- ١٢٠ تتم فيها فوائد مهمة
- ١٢٥ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
- ١٣٦ مقدمة بين يدي الفتنة
- ١٣٨ ابن سبأ وجذور الماسونية الضارب عبر قرون الإنسانية
- ١٤٠ إزالة شبهة .. بجواب حجة
- ١٤٩ مشيئة القهار أن تغتال يد الأشرار صفوة الأخيار
- ١٥٢ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه
- ١٧٧ العيون الأربعة محبتهم نور العيون الأربعة
- ١٧٨ سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ١٨٦ النصيحة القيمة
- ١٨٩ عقيدة الحسن النقية ودخض آراء الجبرية والمعتزلة والقدرية
- ١٩١ فضائل أهل البيت
- ١٩٧ البيان الذي ثمرته الإيقان
- ٢٠١ عظة وعبرة في تذكر فضائل بقية العشرة
- ٢٠١ سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

- ٢٠٤ سَيِّدُنَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه
- ٢٠٦ حِكْمَةٌ مَا أَحْكَمَهَا وَعِبْرَةٌ مَا أَعْبَرَهَا
- ٢٠٩ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه
- ٢١٣ سَيِّدُنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه
- ٢١٦ سَيِّدُنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه
- ٢١٩ سَيِّدُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه
- ٢٢٢ أُمَّةٌ فِيهَا ذِكْرُ الْعِبَادَةِ بِالْخَيْرِ آهَلَةٌ
- ٢٢٢ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه
- ٢٢٨ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه
- ٢٣٣ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه
- ٢٣٩ عَبْدُ اللَّهِ وَغَزْوَةُ الْعِبَادَةِ
- ٢٤٠ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه
- ٢٤٧ تَقْبِيلُ أَيْدِي ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلِ الْحَقِّ سُنَّةٌ عَنِ سَيِّدِ الْخَلْقِ صلى الله عليه وسلم
- ٢٤٨ مَوْعِظَةٌ مَا أَحْوَجَ أَهْلَ زَمَانِنَا إِلَى تَدْبِيرِهَا
- ٢٤٨ وَغَايَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ
- ٢٤٩ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه
- ٢٥٥ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه
- ٢٥٩ سَيِّدُنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه
- ٢٦٦ سَيِّدُنَا قَتَادَةُ رضي الله عنه
- ٢٧٣ ثَانِيًا (صَفْوُ الْوُدَادِ بِذِكْرِ صَحَابِيَّاتٍ وَفُضَلِيَّاتٍ أَرْضَيْنَ رَبَّ الْعِبَادِ
- ٢٧٤ السَّيِّدَةُ / خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنه
- ٢٨٦ السَّيِّدَةُ / صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ رضي الله عنه
- ٢٨٩ السَّيِّدَةُ / أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

- ٢٩٥ السَيِّدَةُ / أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ رضي الله عنه
- ٢٩٨ السَيِّدَةُ / أُمُّ سَلِيمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ (الرُّمَيْصَاءُ) رضي الله عنه
- ٣٠٤ السَيِّدَةُ / أُمُّ عُمَارَةَ رضي الله عنه
- ٣٠٩ السَيِّدَةُ / سَفَانَةَ رضي الله عنه
- ٣١٥ السَيِّدَةُ نَفِيسَةَ رضي الله عنه
- ٣٣٣ ثَالِثًا) غَايَةَ الْإِسْعَادِ بِذِكْرِ كَوَكْبَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ أَوْلَى الْأَمْجَادِ
- ٣٣٤ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه
- ٣٤٢ النَّجَاشِيُّ رضي الله عنه
- ٣٥٣ التَّابِعُونَ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ بِذِكْرِهِمْ تُرْجَى الْعَافِيَةُ
- ٣٥٣ (١) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه
- ٣٦٢ (٢) مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ رضي الله عنه
- ٣٦٣ (٣) عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ رضي الله عنه
- ٣٦٩ (٤) أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ رضي الله عنه
- ٣٧٣ (٥) الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ رضي الله عنه
- ٣٧٥ (٦) الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدٍ رضي الله عنه
- ٣٧٦ (٧) أُوَيْسُ الْقَرْنِيِّ رضي الله عنه
- ٣٧٨ (٨) هَرْمُ بْنُ حَيَّانٍ رضي الله عنه
- ٣٨٠ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه
- ٣٩٥ رَابِعًا) تَذَكِيرُ أَوْلَى الْأَبَابِ بِذِكْرِ مَا لِلصُّحْبَةِ مِنْ آدَابٍ
- ٣٩٦ آدَابُ الصُّحْبَةِ
- ٣٩٦ صُحْبَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٣٩٧ صُحْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٣٩٨ صُحْبَةُ الصَّحَابَةِ وَآلِ الْبَيْتِ رضي الله عنه

٣٩٩	صُحْبَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ
٤٠٠	صُحْبَةُ السُّلْطَانِ
٤٠١	صُحْبَةُ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
٤٠٢	صُحْبَةُ الْإِخْوَانِ
٤٠٢	صُحْبَةُ الْعُلَمَاءِ
٤٠٢	صُحْبَةُ الْوَالِدَيْنِ
٤٠٢	صُحْبَةُ الضَّيْفِ
٤٠٣	صُحْبَةُ الْجَوَارِحِ وَأَدَابُهَا
٤٠٥	صُحْبَةُ الْبَوَاطِنِ وَأَدَابُهَا





شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

معمد حسنى متولى وشركاه

الإدارة : ٩٧ ش التحرير - ميدان النقى - برج ساريدار - القاهرة

ت : ٢٣٢٨٨١١٩ موبایل : ٠١٢٢١٦٧٤٥٨

الطابع : ١٠٥ شارع ناير الناحية - النقى - القاهرة ت : ٢٣٢٨٤١١٦

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١١/٤٠٥٢

الترقيم الدولي : 977-5842-25-5

